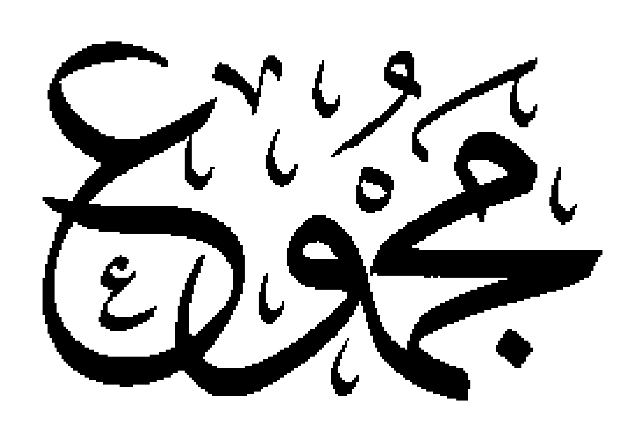
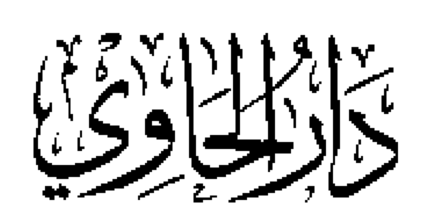




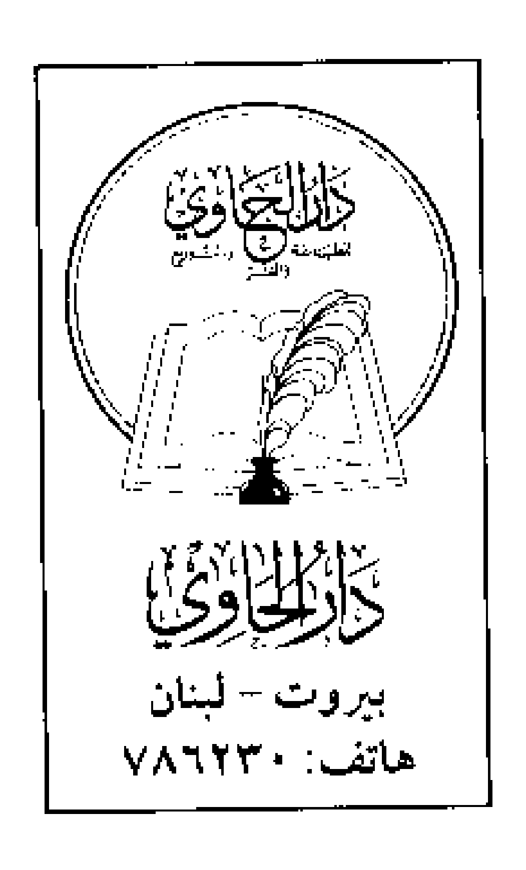
الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوي

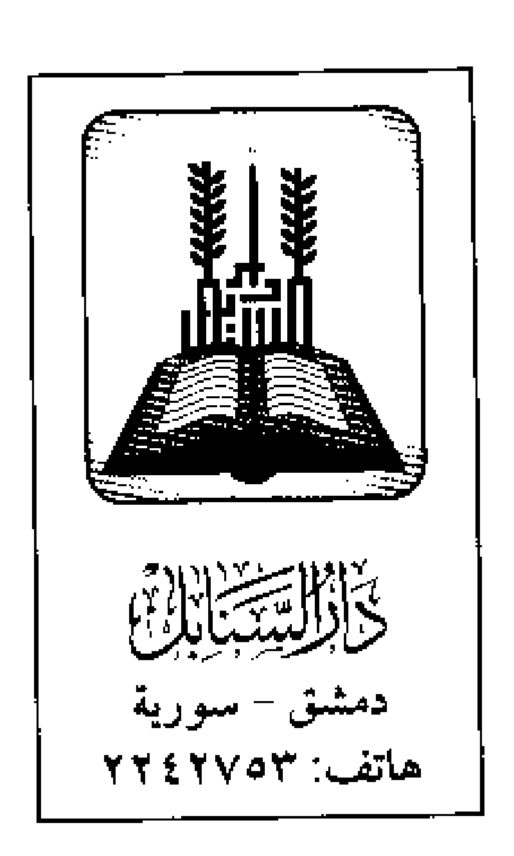
مجموع مشتمل على ثلاث وعشرين رسالة
وعلى ديوان ومنظومة ووصية

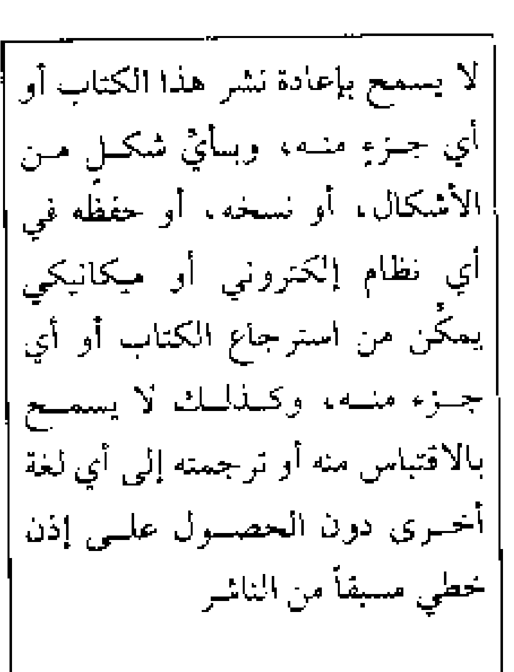
تأليف
الإمام العالم الشريف
الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوي
رحمه الله تعالى
(١١٩١هـ - ١٢٧٢هـ)







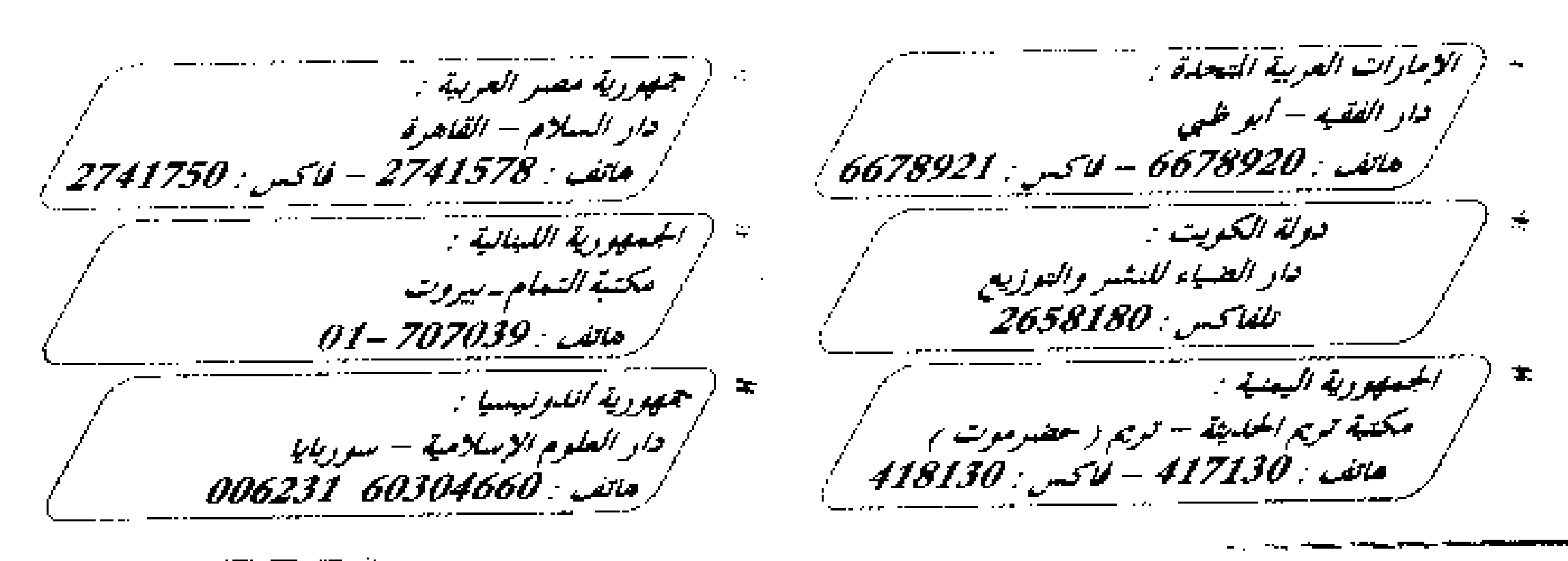




الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

الموزعون المعتمدون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترجمة الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوي (١)

(١١٩١هـ - ١٢٧٢هـ)

الإمام الكبير ، والعلم الشهير ، الجامع بين علمي الباطن والظاهر ، ذو الجود المتواتر ، والمجد الباهر ، الزاهد الورع ، الداعي إلى الله تعالىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولد سنة (١١٩١هـ) بمدينة تريم ، ونشأ بها نشأةً حسنةً مميزةً عن سائر أقرانه وخلانه ، حتىٰ شبَّ عن الطوق ، وغدا في المجتمع العام ذا شخصية كبرىٰ من شخصيات الاهتداء والاقتداء .

وأخذ عن مشايخ كثيرين يأتي في مقدمتهم : شيخه العلامة السيد حامد بن عمر المنفر ، وابنه العلامة السيد عبد الرحمٰن ، والعلامتين عمر وعلوي ابنا الحبيب أحمد بن حسن الحداد .

وارتحل إلىٰ مكة والمدينة ، مكث سنوات هناك ، تلقى أثناءها بمكة عن العلامة السيد عقيل بن عمر بن عقيل بن يحيىٰ ، وعن السيد علي البيتي ، والشيخ عمر بن عبد الرسول عطار ، والعلامة السيد أحمد بن علوي جمل الليل .

وأما شيخُ فتْحِهِ . . فهو الإمام الكبير العلامة عمر بن سقاف بن محمد السقاف .

---

(١) مصادر ترجمته :

١ـ « تاريخ الشعراء الحضرميين » للسيد عبد الله بن حامد السقاف .

٢ـ « فيوضات البحر الملي » للسيد طه بن حسن السقاف .

٣ـ « كلام الحبيب علوي بن شهاب » .

كما أن الآخذين عنه كثيرون ، ومن أشهرهم : ابن أخته العلامة السيد عبد الله بن عمر بن يحيىٰ ، والعلامة السيد عبد الرحمـٰن بن علي بن عمر بن سقاف السقاف ، والعلامة السيد محمد بن حسين بن عبد الله الحبشي مفتي مكة ، والعلامة السيد محسن بن علوي السقاف ، والعلامة السيد حامد بن عمر السقاف ، والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان ، والشيخ العلامة عبد الله بن سعد بن سُمير ، والعلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي .

أنتم شهداء الله في أرضه

فمِمَّا قالوا عنه :

قال عنه ابن أخته الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيىٰ : خالي عبد الله بن حسين اجتمعت فيه أحوال أهل « المشرع » كلهم .

ولما سأله أهل المدينة عنه؟ قال لهم : خالي عبد الله بن حسين تخلَّىٰ عن المهلكات ، وتحلَّىٰ بالمنجيات ، ووصفه « الإحياء » وزيادة .

وذكروا أن جلاَّسه يقولون : ما عرفنا أننا في الدنيا إلا لمَّا مات ولد حسين ، وإلاَّ . . كانوا يعدون أنفسهم في الجنة .

وقال الحبيب علي الحبشي : لو جاء كاتب با يكتب أعمال ولد حسين . . ما با يقدر يكتبها أو يحصيها لكثرتها .

وقد أُثِر عنه أنه كان قيامه بالليل بعشرة أجزاء من القرآن ، وفي صلاة الضحىٰ ثمانية أجزاء ، ومن أوراده خمسة وعشرون ألفاً من (يا ألله) وخمسة وعشرون ألفاً من (لا إلـٰه إلا الله) وخمسة وعشرون ألفاً من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وعلىٰ كثرة هـٰذه الأعمال وجليل هـٰذه الخصال . . فهو يقول في شعره معترفاً :

يـــا ربِّ مـــا مَعْنَـــا عَمَـــلْ　　وكَسْبنـــا كلُّـــهْ زَلَـــلْ
لكـــنْ لَنَـــا فيـــكَ أَمَـــلْ　　تُحيـــي العظـــامَ الـــرَّامَّـــةْ

أدبه مع أخيه طاهر

كان عميق التأدُّبِ مع أخيه سيدنا الحبيب طاهر بن حسين ، وهٰذا التأدب كان ملازماً له من صغره ، فهو يذكر أنه لمَّا كان يلعب مع أخيه . . يتظاهر بالهزيمة أدباً لأخيه ، واستمر معه في كبره ، فكان يتجنَّب الصعود إلى المكان الذي يكون تحته أخوه ، كما لم يتقدَّم عليه في مشيٍ أو غيره مدىٰ حياته ؛ تأدباً معه وحرمةً له .

مؤلفاته :

يذكرون أن مؤلفاته حوت الخلاصة والزبدة من كلام الإمام الغزالي والإمام الحداد ، ومن مؤلفاته :

« سلم التوفيق » في الفقه وغيره ، و« مفتاح الإعراب » في النحو ، و« الوصية الكبرىٰ » ، و« تذكرة النفس والإخوان بآيات من القرآن وأحاديث سيد ولد عدنان » ، إضافة إلىٰ « رسائل ووصايا وفرائد وفوائد من فتح جميل العوائد » كما سماها .

وله « ديوان منظوم » ، ومن أهمه منظومة (هدية الصديق للأخ والرفيق) ، وقد جمعت رسائله وعهوده ومكاتباته ووصاياه في « مجموعه العظيم » .

وفاته :

وقد توفي منتصف ليلة الخميس (١٧) ربيع الثاني ، عام (١٢٧٢هـ) وشيعت جنازته في جموع غفيرة ، توافدت من مدن وقرىٰ وجهات كثيرة ، ودفن إلىٰ جانب أخيه طاهر بن حسين ، رحمهما الله آمين .

وكتبه
السيد علوي بن حسن علوي الحداد
عفا الله عنه آمين

الرسالة الأولى
في النصيحة والوصية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين ، سيدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فيقول مَنْ قصدَ في جميع أموره ربَّه ، محسن بن ناصر بن صالح أبو حربه : إنه لمَّا انطبع « المجموع » المحتوي علىٰ ثلاثٍ وعشرين رسالة ، مع ديوان المؤلفِ ، ومنظومته الموسومة بـ« هدية الصديق للأخ والرفيق ». . حصل في ذلك الطبع إبدالٌ لبعض الحروف بغيرها ؛ وذلك لعدم معرفة المصريين بلسان حضرموت وسِيَرِها ؛ لأن علماءها ـ خصوصاً المؤلف رحمه الله تعالىٰ ـ يراعون تفهيم العوام ، كما هو سيرة المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام ؛ فإنه يخاطب الشخص بما يألفه ويعتاد ، كما قيل : داووا الأجساد بما تعتاد ، فأردتُ قبل الشروع في طبعه ثانياً أن أصلح ما بُدِّل فيه غير متوانٍ ؛ فما تيقنت تغييره . . بادرت تحريره ، وما لم أعلم فيه التغيير . . فالحكم لله العليِّ الكبير .

ولا شك أن هـٰذا المجموع جمع فأوعىٰ ، جزى الله مؤلفه عنَّا خيراً بما سعىٰ ؛ فلا غنىٰ عنه لصغيرٍ وكبيرٍ ، فهو في الحجم صغيرٌ وفي العلم كبير ، فلو اشتُرِي بوزنه ذهباً . . لكان المشتري هو الذي غَلَب ؛ لقد جمع « الإحياء » الغزالية ، وتكفَّل بالآداب النقلية والعقلية .

وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم ، والحمد لله أوّلاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً .

* * *

ولمؤلف هٰذه الرَّسائل هٰذه الوصية علىٰ حرف الصاد وهي هٰذه :

الحمد لله ، أوصيك بالإخلاص ، وبالصدق وبالصمت ، وبالاقتصاد وبالصبر ، وبالصلاة وبالصدقة ، وبالصيام وبالصِّلة ، وبالنصيحة وبالصَّلاح ، وبالإصلاح وبالإنصاف ، وبالاتِّصاف بالأوصاف الصالحة ، وباقتناص الصديقية القصوىٰ ، وبالصيانة وبالرصانة ، وبالتواصي بالصبر وصاحبه ، وبصحبة الصالحين ، صدَّقَنا الله ، وصيَّر مصيرنا مصير الصادقين ، آمين ، والحمد لله ربِّ العالمين[1] .

* * *

(١) طبع علىٰ نفقة الشيخ سالم بن سعد بن نبهان صاحب المكتبة الكبرىٰ بمدينة (سربايا) بمطبعة دار الكتب العربية الكبرىٰ بمصر .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله السَّتَّار الغفَّار ، لمن كثرت منه العيوب والأوزار ، فسبحانه كم يتودَّد إلينا بالنِّعم في كل نَفَسٍ وحين ، ونبارزه بالذُّنوب في الظاهر والباطن طول السِّنين ، نستعين بنعمه علىٰ معاصيه ، ولم يقطع عنَّا فضله وأياديه ، فنستغفره ونتوب إليه ، ونعترف ونقرُّ له بذلك ونُشهِده عليه ؛ فعسىٰ بالاعتراف يَمحو الاقتراف ، وبمحض فضله أن يمنَّ علينا بالإنصاف ، ثم يحلينا بمحاسن الأوصاف ، ومن الوصف الجميل بالاتصاف .

وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلَّى الله عليه وسلَّم وعلىٰ آله وصحبه ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين ، وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين ، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

أما بعد :

فقد طلب مني وصيةً بعضُ الإخوان[1] ، الذي له عليَّ حقٌّ وله صحبةٌ ومودةٌ من أوّل الزمان ، فلم أقدر علىٰ مخالفته ؛ وإلاَّ . . فالذي أراه أن سكوتي أَولىٰ من وجوهٍ كثيرة :

منها : عدم الأهلية ، وعدم صلاح النية .

ومنها : قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ، وقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ ،

(١) قوله : بعض الإخوان : هو السيد الشريف الفاضل ابن عمر بن علوي العيدروس ، كذا بخط المؤلف اهـ من هامش الأصل .

وقوله سبحانه : ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « يؤتىٰ بالعالِم يوم القيامة فيُلقَىٰ في النار ، فتندلق أقتابه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرَّحا ، فيطوف به أهل النار ، فيقولون : ما بالك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه ، وأنهىٰ عن الشَّرِّ وآتيه » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « عَدَلَتْ شهادة الزور الإشراكَ بالله » مرتين أو ثلاثاً .

ولمَّا عدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر الكبائر . . قال في آخرها : « وشهادة الزور أو : وقول الزور » ولم يزل يردِّدها حتىٰ وَدَّ الصحابةُ أنه سكت .

قال بعض العلماء رحمه الله : إن من شهادة الزور إظهار زي الصالحين ؛ من السُّبحةِ والسجادة ، مع قبح الإرادة ، وكذا الاشتغال بكتبهم وطرائقهم ، مع الإعراض عن طلب حقائقهم ، والتشبه بالفقراء ، مع أفعال الأُمراء ، وإظهار الخشوع والحضور ، مع الغفلة الشاملة في البطون والظهور ، وكلٌّ يعلم ما عنده من هـٰذه الأمور ، إلاَّ أن يكون من أهل الغرور ، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فلا أقل من الاعتراف عند ملابسة الاقتراف ، ولا أقل من الإنصاف إذا حُرمتَ الاتِّصاف بمحاسن الأوصاف ، ولا تجمع بين خبيثين ؛ يعني : تكون من أصحاب ذنوبٍ وأوزار ، وتظن بنفسك أنك من أهل الأنوار .

اللهم ؛ اجعل سريرتنا خيراً من علانيتنا ، واجعل علانيتنا صالحة .

اللهم ؛ مغفرتك أوسع من ذنوبنا ، ورحمتك أرجىٰ عندنا من أعمالنا .

اللهم ؛ إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لِمَا لا نعلمه .

وإذاً لا بُدَّ من مساعدة هـٰذا الأخ ، ومع ما قدمناه من الاعتذار نرجو من مولانا الكريم أن يغمرنا وإياه ومن وقف علىٰ هـٰذه الرسالة بفضله العظيم ،

ويهدينا الصراط المستقيم ، ويرزقنا كمال المتابعة لنبيه الكريم ، ويجعلنا ممَّن يأتيه بقلبٍ سليم ، ويفعل كذلك بأهلينا وأحبابنا وسائر المؤمنين .

فأقول ـ والله المستعان في كل شان ، والمحرك للجَنان واللِّسان والبَنَان ـ : أُوصي نفسي وأخي ، والأدنىٰ فالأدنىٰ ، ثم الإخوان والمحبين ، ثم سائر المسلمين : بما أوصىٰ به ربُّ العالمين ، بني آدم أجمعينَ ، بقوله وهو أصدق القائلين : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ فهي الكلمة الجامعة للدِّين ، وهي امتثال الأوامر واجتناب الزواجر ، في القلب والجوارح ، والباطن والظاهر ، شاملة للإتيان بالواجب والمندوب ، وترك المحرم والمكروه ؛ فلقد فاز بخير الدُّنيا والآخرة مَن لزمها وتمسَّك بها ، وقد خاب وخسر من حُرِمها وضيَّعها .

فَصْلٌ

وعليكَ رحمك الله بالتوبة الصادقة النصوح ؛ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « لَلَّهُ أفرحُ بتوبة التائب من الظمآن الوارد ، ومن العقيم الوالد ، ومن الضالِّ الواجد ، فمن تاب إلى الله توبةً نصوحاً . . أنسى الله حافظه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه » .

وَٱعْلَمْ : أن التوبة : هي النَّدم علىٰ كل فعلٍ أوتركٍ ، أو حركةٍ أو سكونٍ ، أو فوات نَفَسٍ أو لحظةٍ أو خطرة فات عبثاً وأنت تقدر علىٰ صرفه فيما يقرِّبك إلىٰ ربك ويبلغك رضاه ، ندماً يحملك على الإقلاع في الحال ، والعزم علىٰ عدم الوقوع في مثله في الاستقبال ، ويوجب التلافي بالقضاء إن كان من قبيل ترك المأمورات ، وبالأداء أو الاستحلال إن كان من التَّبِعات ، والاشتغال بالاستغفارات مع ذلك والمكفرات .

وهي واجبةٌ فوراً في ترك الواجبات ، وارتكاب المحرّمات ، ومندوبةٌ ومطلوبةٌ في غيرهما ؛ من ترك المندوبات ، وارتكاب المكروهات ، وتضييع الأوقات في المباحات .

فَصْلٌ

وعليكَ رحمك الله بأداء جميع ما أمرك الله به ، وبالصِّدق مع الله ، والإخلاص لله ، وحسن النيَّة ؛ فإنما الأعمال بالنِّيَّات ، وإنما لكل امرىءٍ ما نوىٰ ، وإن الله لا ينظر إلىٰ صوركم وأعمالكم ، وإنما ينظر إلىٰ نياتكم وقلوبكم .

فلا بُدَّ أن تكون أعمالك في الظاهر موافقةً لما شرعه الله ؛ من الإتيان بواجباتها من الأركان والشروط ، وتجنُّب المبطلات ، ثم يُسنُّ أن يأتي بباقي سننها وآدابها ومكمِّلاتها .

وأما في الباطن . . فيجب عليك أن تفعلها لله وحده ؛ امتثالاً لأمره ، قاصداً بها وجهه وما عنده من فضله ، حاضراً معه فيها ، لا رياء ولا سمعة ، ولا تطلب ثناءً ولا صيتاً ، ولا مَحْمَدةً عند الناس ولا جاهاً عندهم ، ولا تعجب بها في نفسك ـ وهو : أن تراها صادرةً منك إليك ـ غائباً عن مِنَّةِ الله عليك .

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بطلب العلوم النافعة التي تُعرِّفك ما أوجب الله عليك وما حَرَّمه ، وكيفية أداء الواجبات وما يبطلها ، وكذا علم كل عبادةٍ مسنونةٍ أو معاملةٍ أردْتَ فعلها ، فلا يجوز أن تفعل ذلك حتىٰ تعلم ما يجب له وما يفسده ؛ لتأتي به كما أمر الله ، وكذا يجب عليك أن تعلم ما يفسد الأعمال من الآفات الباطنة ؛ كالعُجب والرِّياء ؛ لتحترز منها ، فتسلم لك أعمالك .

وأكْثِرْ من طلب العلوم المرقِّقة للقلوب ، المُزهِّدة في الدنيا ، المُرغِّبة في الآخرة ، المُذكِّرة للموت وما بعده ، المعرِّفة لك عيوبك ونقصك ، المصغِّرة إليك نفسك ، المحقِّرة عندك أعمالك ، الدَّاعية لك من الدنيا إلى الآخرة .

وإن ظفرتَ بأحدٍ من أهل الله الذي تذكرك بالله رؤيته ، وتدلُّك على الله

إشارته ، من الذين إذا رُؤوا . ذُكِرَ الله ، هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم .

هداة الورىٰ طوبىٰ لعبدٍ رآهمُ وجالَسَهمْ لو مرةً منه في العمرِ

فاستمسك به ، ولازمه ؛ فإنه الغنيمة العظيمة ، وخذ عنه وتأدَّب به ومعه ، وأحسن به ظنَّك ، وإن لم تجد أحداً منهم وأعوزك فقدهم كما قيل :

متىٰ أراهمْ وأنَّىٰ لي برؤيتهم أو تسمع الأذنُ منِّي عنهمُ خبرا

فتعلَّق بحبهم وملازمة كتبهم ، ووصاياهم وذكر سِيَرهم ، واسلك علىٰ ذلك ، وخُذْ عن غيرهم جانباً بعيداً ، وفِرَّ من سواهم فِراراً شديداً ، واجعل ذكر الله وذكر الموت وما بعده وقراءة الكتب النافعة دِثارك وشعارك ، وديدنك وهِجِّيراك .

ولا أرىٰ أحسن للقلوب نفعاً ، ولا أعظم في إصلاحها وقعاً : من قراءة كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام حجة الإسلام الغزالي ، فلا تخلِّي قراءة شيءٍ منه كل يوم ، بل اجعله جليسك وأنيسك ، وصديقك ورفيقك ، وصاحبك وخليلك ، فنعم النصيحُ والدَّليل ، والمعلم والمشير ، والمؤدِّب والمذكِّر ؛ إن كنت تحب الناصحين ومن يرشدك إلىٰ ما فيه نجاتك ، وفوزك وفلاحك ، ومَن يحذِّرك مِنْ كل ما فيه هلاكك ، فجزى الله مصنِّفه عن هـٰذه الأُمة أفضل الجزاء ، وكذلك كتب الحبيب عبد الله الحداد ، وكتب الشاذلية ، وسائر كتب القوم الواضحة المعاني ، وكذا ذكر تراجمهم وسِيَرهم وأخلاقهم الجميلة ؛ فإن ذلك يورث حبهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحب » وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد :

فإنَّ أحاديث الأحبَّة مرهمٌ لقلبي من الدَّاء العُضال المخامرِ
إذا فاتني قرب الأحبةِ واللِّقا ففي ذكرهمْ أُنْسٌ لوَحشة خاطري
فإن لم يصبها وابلٌ صَيِّبُ الندى فطلٌّ به تحيا موات سرائري
فتَذكارهم راحي وروحي وراحتي يطيب به قلبي وتصفو ضمائري

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بمغانمة العمر والصحة والفراغ ، قال الله سبحانه : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس : الصِّحةُ والفراغ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اغتنم خمساً قبل خمسٍ : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغِناك قبل فقرك » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « بادروا بالأعمال فتناً كقِطَع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً ؛ يبيع أحدهم دِينه بعَرَضٍ من الدُّنيا قليل » .

وقال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد :

البدارَ البدارَ قبل الفواتِ ... إنَّما أنت عرضة الآفاتِ
بادر الفوت قبل ما تقطعنك ... دون ما تبتغي حتوفُ المماتِ
ما أُراك مشمراً والليالي ... سوف تدني إليك ما هو آتي
إنما رأس مالِك العمرُ فاعمر ... ه بفعل الجميل والمكرمات
واتخذه مطيةً تمتطيها ... لسلوك السبيل للدرجات
وجواداً تطوي عليه مدىٰ هـ ... ـذي الدُّنَيَّا لتبلغ الغايات[1]

---

(١) قوله : الدنيَّا مصغر للوزن . اهـ

واعلم رحمك الله : أن كل نَفَسٍ من أنفاسك جوهرةٌ ، لا قيمة لها إلا إن أنفقته في طاعة ربك وما يقرِّبك إليه ، أو حسرة عظيمة ، وندامة لا آخر لها إن أنفقته في غير ذلك ، فكيف بمَنْ ضيَّع عمره جميعه في المعاصي وفيما لا طائل تحته ؟! وليته تيقَّظ وتلافىٰ ما بقي منه ، بل ألحق ما بقي وما هو تحت اختياره بما مضىٰ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

اللهم ؛ أيقظنا من غفلتنا ، ووفِّقنا للتدارك لما مضىٰ فيما أبقيتنا ، واختم لنا بأحسن الختام عند نزول الحِمام .

فصل

وعليك رحمك الله بالإكثار من ذكر الله بالجَنَان واللِّسان ، في جميع الآناء والأحيان ؛ قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ .

وقال سبحانه ذامّاً لمن نسي ذكره : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعِها في درجاتكم ، وخيرٌ لكم من إنفاق الذَّهب والوَرِق ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟! » قالوا : بلىٰ يا رسول الله . قال : « ذكر الله » .

فلو لم يَرِدْ في الترغيب في ذكر الله إلاَّ هـٰذا الحديث . . لكان كافياً وافياً ، فكيف والآيات والأحاديث في فضله كثيرةٌ شهيرةٌ ؟! فلو لم يكن من الآيات إلاَّ قوله تعالىٰ : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ . . لكفىٰ .

وقد ورد في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « من قعد مقعداً لم يذكرِ الله فيه . . كانت عليه من الله تِرَة ، ومَنِ اضطجع مضطَجَعاً لم يذكرِ الله فيه . . كانت عليه ترة ، وما مشىٰ أحدٌ ممشىً لم يذكر الله فيه . . إلاَّ كانت عليه من الله ترة » . الترة هنا : التبعة ، وقيل : الحسرة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لأَن أذكر الله مع قومٍ بعد صلاة الفجر إلىٰ طلوع الشمس أَحَبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها ، ولأن أذكرَ الله مع قوم بعد صلاة العصر إلىٰ أن تغيب الشمس أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ذاكرُ اللهِ في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارِّين ، وذاكر الله في الغافلين مِثْلُ الذي يقاتل عنِ الفارين ، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم ، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي قد تحاتَّ من شدة البرد ، وذاكر الله في الغافلين يعرِّفه الله مقعده من الجنة ، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بِعَدَدِ كلِّ فصيحٍ وأعجم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ذاكر الله خالياً كمبارزةٍ إلى الكفار من بين الصفوف خالياً » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ذاكر الله في رمضان مغفورٌ له ، وسائل الله فيه لا يَخيب » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذكر الله ؛ فإنه عونٌ لك علىٰ ما تطلب » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذكروا الله ذكراً حتىٰ يقول المنافقون إنكم تُراؤون » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ، ولا تناموا عليه فتقسوَ قلوبكم » .

والأحاديث في فضائل الذكر كثيرةٌ شهيرةٌ ، ومن لم يتذكر بالتذكير بالقليل . . فلا يجدي معه التطويل ، وقد جعل الله بفضله ذكر الله أفضل العبادات ، وهو أخفُّها وأيسرها على الإنسان ، وأشدها تأثيراً في القلوب ، وأعظمها ثواباً عند علاَّم الغيوب ، وأمحقها للسيئات والذنوب ، ومبدأُ السالكين ، ومنتهى العارفين ، فلا مدخل إلاَّ منه ، ولا وصول إلاَّ إليه وإن كان في الحقيقة أنه لا بُدَّ لمن أراد أن يبلغ به غاية المراد ، أن يحسم جملة من المواد ، وأن يسلك في أعماله علىٰ منهج السداد ؛ فإنا لا ننكر ذلك ، بل الأمر كذلك ، ولـٰكنا نرجو لمن جعل ذكر الله ديدنه وشغله وهِجِّيراه : أن يوقظه الله لسلوك الطريق ، وأن يُلحِقه بأحسن فريق ، وأن تعود ثمراته عليه ، وأن يقرِّبه ويوصله إليه ، وخصوصاً إذا لزم الدُّعاء ، وكثرة التضرع والالتجاء ، باللجأ والاضطرار ، والافتقار والانكسار ، في أن يوفقه الغفار لأعمال المقربين الأبرار ، وأكثرَ الندم والاستغفار وقت الأسحار ، وآناء الليل وأطراف النهار ، وأكثر الصلاة والسلام على النبي المختار ، وعلىٰ آله وصحبه الأخيار ؛ فإن ذلك مما يرقِّق القلوب ، وعند ذلك تتنزل الرحمات ، وتحصل النفحات ، ويَقْبل القلب التذكر والتذكير ، ويصغي إلىٰ كلام الله وما جاء عن البشير النذير ، ويتأثر بالتخويف والتحذير ، ويستبشر بآيات الرجاء وأحاديثه فيسلك حينئذٍ السبيل ، بالإجمال والتفصيل علىٰ أحسن دليل ؛ لقوله سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ .

وأما التذكير للقلوب الغافلة الذاهلة الجامدة . . فلا يُترك تذكيرها بحالٍ ، ولـٰكن يكون التذكير أوّلاً بما يوقظها ويحييها ، ثم ثانياً بما ينعشها وينميها ؛ كذكر آلاء الله وأفعاله ، وعجائب صنعه ومخلوقاته ، في أرضه وسماواته ، وذكر أيامه وعقوباته ، والأخذ مع ذلك في الأفعال تكلفاً، (عجب ربك من قوم يُقادون إلى الجنة بالسلاسل) ، والله سبحانه ولي التوفيق ، ومنه بدا كلُّ شيءٍ وإليه يعود .

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بالملازمة والمواظبة علىٰ أذكار الصباح والمساء والأدعية الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وعند النوم والاستيقاظ ، وأدبار الصلوات ، والخروج من المنزل ودخوله ، وأدعية الحطِّ والتَّرحال ، ورؤية البلد ، وأدعية مناسك الحج ، وتغاير الأحوال ممَّا أورده الإمام النووي في « الأذكار » وغيره ممَّا يكثر ذكره ، ويتعذَّر حصره ؛ وقد قال سيدنا عبد الرحمـٰن السَّقاف : من لا له وردٌ . . فهو قرد .

فمن وفقه الله للإتيان بكل ذلك . . فقد حظي من الخير بما لا مزيد عليه ، ومن حفظ البعض . . فليأت به ، وليقل بعده : اللهم ؛ إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، وأعوذ بك ممَّا استعاذك منه عبدك ونبيك محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، فليلازم هـٰذه الدعوة من لم يحفظ الوارد في كل موطنٍ فيه ذِكْرٌ واردٌ أو يحفظه لـٰكن لم يتأتَّ له الإتيان به لعذرٍ من الأعذار ؛ لأن هـٰذه الدعوة من الجوامع الكوامل ، فهي شاملةٌ لدعواته واستعاذاته صلى الله عليه وسلم ، وهي من خصوصياته حيث يقول : « أعطيت جوامع الكلم ، واختُصر لي الكلام اختصاراً » .

وهي من النِّعم التي لا يُقدَّر قدرها ، ولا يُحصَىٰ شكرها ؛ لأن مَنْ دعا بها . . كأنه دعا بكل دعاءٍ دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتىٰ بكل استعاذةٍ استعاذ بها صلى الله عليه وسلم ، فلا يتركها إلاَّ محرومٌ ؛ لأنها الغنيمة الباردة التي لا تعب فيها ولا نصب ، ولا علَّمها سيدنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه سيدتنا عائشة رضي الله عنها إلاَّ لعلمه بأنها عاجزةٌ عنِ الإتيان بكل دعواته ، ونحن أعجز منها ، وقد أتىٰ في الحديث ما معناه : أنه عليه الصلاة والسلام لمَّا سأل الأعرابيَّ : ماذا تقول في دعائك ؟ فقال : إني لست أعرف دندنتك ولا دندنة معاذ ، إنما أسأل الله الجنة وأستعيذه من النار . فقال عليه الصلاة والصلام : « حولها ندندن » .

فخذ من الأعمال والأذكار ما تطيق المداومة عليه مع الإحسان والحضور ، وكمله بهٰذه الدعوة الجامعة .

فصل

وعليك رحمك الله بالتفكر ، **ومجاري الفكر كثيرةٌ** :

فمنها : التفكر في المخلوقات التي منها الأرض والسماوات ، والحيوانات ، وأصناف النبات ، ونفسك ومعانيك وجميع أجزائك ؛ قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ .

وقال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ . . . ﴾ الآية .

وقال : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ . . . ﴾ إلىٰ آخر الآيات .

وقال : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ . . . ﴾ الآية .

وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ . . . ﴾ الآية .

فمن أراد التفكر في المخلوقات . . فليقرأ الآيات هٰذه وما قاربها ، ويتفكرْ فيها .

ومن مجاري الفكر : التفكر في الدنيا وتقلبها بأهلها ، وسرعة فنائها ، وكثرة عنائها ، وقلة غنائها ، وخسة شركائها ، وشدّة بلائها ، وترادف همومها وغمومها ؛ قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا . . . ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ :

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ . . . ﴾ الآية ، وقال : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ والآيات في ذمِّها كثيرة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا دارُ مَنْ لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه . . أخذ حتفه وهو لا يشعر » .

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة ، الدنيا لا تصفو لمؤمنٍ كيف وهي سجنه وبلاؤه . حب الدنيا رأس كلِّ خطيئة » .

وقال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد :

وذه دنيا دنيه حوادثها كثيره ... وعيشتها حقيره ومدتها قصيره
ولا يحرص عليها سوىٰ أعمى البصيره ... قليل العقل لو كان يعقل كان أفكر

يفكّر في فناها
وفي كثرة عَناها
وفي قلة غَناها

فطوبىٰ ثم طوبىٰ لمن منها تحذّر ... وطلّقها وفي طاعة الرحمٰن شمَّر

وقال رضي الله عنه في القصيدة الأخرىٰ :

كيف ترضون بدنيا لا تدوم ... حُشِيَتْ شغلاً وبؤساً وهموم
وبلاء وعناء وغموم ... فارفضوها إنها النزر الحقير

وقال أيضاً :

وهٰذه الدار دار لا بقاء لها ... لا يفتننك فيها الوَرْق والذهب

وقال أيضاً :

وما الدنيا بباقية ولٰكن ... نفارقها بموت وانتقال

وقال أيضاً :

ومـا هـٰـذه الـدنيـا بـدار إقـامـة ... وما هي إلا كالطريق إلى الوطنْ
ومـا الـدار إلاَّ جنـةٌ لمـن اتقـى ... ونارٌ لمن لم يتق الله فاسمعنْ

وقال أيضاً :

تنـافسُـوهـا وأعطَـوهـا قـوالبهـم ... مـع القلـوب فيـالله مـن عجـبِ
وهي التي صغرت قدراً وما وزنت ... عند الإلـٰه جناحاً فالحريص غبي

فعليك بالقناعة ، بل بالزهد فيها وفي جاهاتها ، وفي حظوظها وفي شهواتها ؛ رغبةً في ثواب الله تعالىٰ وتفرغاً للأُنْسِ بذكره ، وللفكر في ملكه وملكوته ، وتنزهاً وتحذُّراً عمَّا يصيبك في الدنيا والآخرة بسبب الدخول في ذلك من البلايا ، والفتن والمحن ، والهم والغم ، والشغل الذي لا آخر له ؛ كما هو مشاهَدٌ ومجرَّبٌ لمن لابَس ذلك ، مع قِلَّة الظفر لأكثر طالبيها منها بطائل ، ومن ظفر منها بشيءٍ . . صحبه معه أضعاف من الهموم والغموم ، ثم يسلب منه في حياته بنوعٍ من أنواع الإتلافات ، أو يموت عنه فيحوزه وارثه ويتنعَّم به صفواً عفواً ، وعليه حسابه وعقابه .

فهل رأيت لبيباً عاقلاً يرغب في مثل هـٰذه الأشياء ؟! ولـٰكنها لا تعمى الأبصار ولـٰكن تعمى القلوب التي في الصدور ، قال الشاعر :

أضغـاث نـومٍ أو كظـلٍّ زائـلٍ ... إن اللبيـب بمثلهـا لا يُخـدع

ومن مجاري الفكر : التفكر في الموت وفيما بعد الموت وقرب الأجل وخروج الأمر عن الاختيار ووقوع النَّدم حين لا ينفع الندم ؛ قال سبحانه حكايةً عمَّن ندِم في غير محل الندامة : ﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي . . . ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ . . . ﴾ الآية .

وقال تعالىٰ : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ ، ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴾ ، ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ . . . ﴾ الآية .

وقال سبحانه : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أكثروا ذكر هاذم اللذات ؛ فإنه لم يذكره أحدٌ في ضيقٍ من العيش إلاَّ وسَّعه عليه ، ولا ذكره في سعةٍ إلاَّ ضيقها عليه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أكثروا ذكر الموت ؛ فإنه يمحِّص الذنوب ، ويُزهِّد في الدنيا » .

واعلم رحمك الله : أنه غلب علينا طول الأمل فقست قلوبنا ، وغلبت عليها الغفلة فتراها ميتة لا تتأثر بذكر الموت ولا برؤية الموتىٰ ، ولا تتعظ بالآيات والمواعظ ، قال سبحانه : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ .

وقال الحبيب عبد الله الحداد :

إن المواعظ لا تغني أسير هوًى ... مقفل القلب في حَيدٍ عن السَّنن

وقال الآخر :

لقد أسمعتَ لو ناديت حيًّا ... ولٰكن لا حياة لمن تنادي

ونارٍ لو نفخت بها أضاءت ... ولٰكن ضاع نفخك في الرَّمادِ

وقال تعالىٰ : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ ، ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .

وقال سيدنا الحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه رحمه الله تعالىٰ : (فكل من لم ينتفع بالذِّكر والقرآن ، ولم يخشع للتذكير والبيان . . فذلك لضعف الإيمان ، واعتلال الجَنان ؛ حيث ران عليه ما ران ، فليتدارك ما بقي من عمره ، وما فرَّط في أمره ، فالعجب كل العجب ممَّن إذا اعتلَّتْ يده أو

رجله . . بذل جهده في علاجها بكل وجهٍ ، وإذا اعتلَّ قلبه ، ومرض لبُّهُ . . لا يتفكَّر في علاجه ، ولا ينظر في طبه ، ويهمل أمره حتىٰ يموت قلبه ، فلا يحيا أبداً ، ويُطبع عليه ، ويذهب دينه فلا يفلح سرمداً . . .) إلىٰ آخر ما قال .

ثم كل تأثرٍ لم يثمر ثمرة من فعل أعمال صالحة وتجنب لأعمالٍ رديئة . . فهو كالعدم ؛ لأنه لا يُراد لذاته ، بل لما يحصل منه إلاَّ أن أوَّل التأثر ربما قد يكون ضعيفاً فلا يَحمِلُ على الأعمال ، فعلى الإنسان أن يردفه بثانٍ وثالثٍ . . . وهٰكذا إلىٰ أن يحصل به المقصود ، ثم لم يزل يُكرِّر ذكر الموت وأهواله وما بعده علىٰ قلبه مدة حياته ؛ ليزيد تأهبه له ، ولا يهملها ولا يتركها .

ومن مجاري الفكر : التفكر في آلاءِ الله وإنعامه عليك ، وكثرة مِنَنِه وأياديه لديك ؛ قال الله سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ، وقال : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحبُّوا الله ؛ لما يغذوكم به من نعمه » .

ومن مجاري الفكر : التفكُّر في الثواب والعقاب ، قال سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ الآية ، وقال : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

ومن مجاري الفكر : التفكر في أنه سبحانه وتعالىٰ مُطَّلعٌ علىٰ ظاهرك وباطنك ، وعالمٌ بحركاتك وسكناتك ، وبخفايا سرك وضميرك ، ورقيبٌ عليك في جميع أحوالك ، ومصاحبٌ لك في حضرك وسفرك ، وخلوتك

وجلوتك ، وكلِّ شأنك، قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ ، ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ ، ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ ، ﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

ومن مجاريه : التفكر في الحساب ، والميزان والصراط ، والحشر والنشر ، وأحوال يوم القيامة ، والجنة ونعيمها ، والنار وأهوالها ، وليقرأ ما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث .

واعلم : أن للتفكر في كل واحدٍ من هٰذه الأشياء ثمرةً تخصه ، فثمرةُ التفكر في أفعال الله زيادةُ الإيمان والمعرفة واليقين ، وثمرةُ التفكر في الدنيا الزهدُ فيها ، وثمرةُ التفكر في الموت الاستعدادُ له بالأعمال الصالحة ، وثمرةُ التفكر في الثواب والعقاب الإكثارُ من الحسنات والتحفُّظُ عن السيئات ، والتفكرُ في الآخرة يثمر الرغبةَ فيها ، والتزوُّدَ لها بالأعمال الصالحة ، والتجنبَ لما يوقع في أهوالها ، والتفكرُ في أنَّ الله معك ، مطَّلعٌ عليك يثمر المراقبةَ والحياءَ من الله ؛ من فعل سوء أدبٍ معه فضلاً عن الذنوب والمعاصي ، والتفكر في نعم الله عليك يثمر الشكرَ والرضا والمحبة لله ، والتفكرُ في معاصيك وقبائحك وغفلتك وسوء أدبك مع ربك يثمر الخوف والحياء والانكسار واحتقار النفس ، وهٰذه الأحوال تثمر أعمالاً ، فمن لم يحصِّل له فكرُه أحوالاً وأعمالاً . . ففكره حديث نفس .

فصل

وعليك رحمك الله بالخمول ، وكراهة الشهرة والظهور ، قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ ، وقال

تعالىٰ : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « خُصَّ بالبلاء من عرف الناس ، وعاش فيهم مَنْ لم يعرفهم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله تعالىٰ يحب العبد التقي الغني الخفي » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله تعالىٰ يحب المؤمن المتبذل ؛ الذي لا يبالي ما لبس » .

وقال بعضهم :

والخفا والظهورُ وصفان لـٰكن ... في ظهورِ الظُّهور قَصْم الظهور

وقال الآخر :

قد قال أهل الفطنةْ ... إن الخمول جُنَّةْ

وَاعْلَمْ : أن المذموم هو محبة العبد ذلك ، وطلبه له ، لا وجوده من غير طلبٍ وميلِ قلبٍ إليه ؛ كما وقع للخلفاء الراشدين ، وغيرهم من الأولياء ، والعلماء العاملين ؛ قال الحبيب عبد الله الحدَّاد رضي الله عنه :

ولا تطلبَنَّ الجاه يا صاحِ إنه ... شهيٌّ وفيه السُّمُّ من حيث لا تدري

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بالعزلة عن الناس ، والبعد عنهم ، والفرار منهم ما وجدتَ إليه سبيلاً ؛ قال سيدنا الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه :

وما في لقاء الناس جدوىٰ سوى اللقا ... لإصلاح حال أو لتحصيل حكمة

وما أحسن الإنسانَ في جوف داره ... وأسلَمَه من كلِّ شَرٍّ وريبة

فقد حصر المصلحة في لقاء الناس في خصلتين : إما طلب علمٍ تستعين به علىٰ سلوك طريق الآخرة ، أو طلب معيشةٍ تعينك علىٰ ذلك ، ولا خير في لقائهم لسوىٰ ذلك ، فلا تخرج من بيتك إلا لصلاة الجمعة أو الجماعة ، أو لمجلس علمٍ تفيده أو تستفيده ، أو لقضاء حاجة لا بُدَّ لك منها ولم تجد من يكفيك فيها ، وإذا خرجت لهٰذه الأشياء . . فتحفَّظ في ذهابك وإيابك ، ومدة جلوسك : لعينك وسمعك ، ولسانك وقلبك غايةَ التحفُّظ ، وأسرِع الرجعة بعد ذلك ، ولا تسأل عن أخبار أهل الزمان ، ولا عن أحوالهم وما هم فيه وعليه ، ولا تتطلع لذلك ؛ فإن أكثرها أو كلها ممَّا يشوش البال ، ويورث الهموم والغموم ، ويدخلك في الإثم والحرج ، ويبقىٰ معك أثره مدّة مديدة ، وربَّما تولدتْ منه شرورٌ عديدة ، ويكفي الإنسانَ إثماً وهماً وغماً ما يدخل عليه قهراً من رؤية أحوالهم ، وسماع أخبارهم من غير تشوُّف وتطلع ؛ لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : « إذا رأيت الناس مَرِجَت عهودُهم ، وخفت أماناتهم ، وكانوا هٰكذا ـ وشبَّك بين أصابعه ـ فقلت : ما تأمرني ؟ فقال : « الزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ، وعليك بأمر الخاصة ، ودع عنك أمر العامة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « سيأتي على الناس زمانٌ لا يسلم لذي دينٍ دينه إلاَّ مَنْ فَرَّ بدينه من قريةٍ إلىٰ قريةٍ ، ومن شاهقٍ إلىٰ شاهقٍ ، ومن حُجْرٍ إلىٰ حُجْرٍ ؛ كالثعلب الذي يروغ » قيل : ومتىٰ ذلك الزمان يا رسول الله ؟ قال : « إذ لم تُنَل المعيشة إلاَّ بمعاصي الله ، قال : فإذا كان ذلك الزمان . . حلَّت العزوبة » قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؛ وقد أمرتنا بالتزويج ؟ قال : « إذا كان ذلك الزمان . . كان هلاك الرجل علىٰ يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان . . فعلىٰ يدِ زوجته وولده ، فإن لم يكن له . . فعلىٰ يد قرابته » قالوا : فكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « يعيِّرونه بضيق اليد ، فيتكلَّف ما لا يطيق حتىٰ يوردوه موارد الهلكة » .

قال سيدنا محمد الغزالي رحمه الله بعد إيراده هٰذا الحديث : (ولست أقول هٰذا أوان ذلك الزمان ، فلقد كان بأعصار قبل هٰذا العصر) .

وفوائد العزلة كثيرة شهيرة ، يعرفها مَن له أدنىٰ بصيرة :

منها : تيسير الصمت ؛ وهو فائدةٌ عظيمةٌ يحتوي علىٰ جملة فوائد دينية ودنيوية ، وقد عدَّ سيدنا الغزالي للِّسان عشرين آفة ، ولا ينَجِّي منها على القطع إلاَّ العزلة .

ومنها : الفراغ للعبادة ؛ كالذِّكر والفكر وغيرهما ، والأنس بالله ومناجاته ، وتيسر مطالعة الكتب .

ومنها : التفرغ للحرفة ؛ كالكتابة ، والخياطة وغيرهما .

ومنها : السلامة عن سماع المنكرات ؛ كالغيبة والنميمة ، والأخبار الموحشة المظلمة ، والأراجيف المخوفة وغيرها .

ومنها : السلامة عن مشاهدة المنكرات ؛ ككشف العورات ، والنظر إلى النساء الأجنبيات ، ولباس الفضة والحرير ، ومَن هو مرتكب محرم أوتارك واجب .

ومنها : السلامة من مسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة ، والأعمال الخبيثة من جلساء السوء ، وسقوط وقعها عن القلب بأُلف المشاهدة .

ومنها : السلامة من إساءة الظن .

ومنها : الراحة من مداراة الناس ومعاناتهم .

ومنها : عدم التأذي والإيذاء ، والضرر والإضرار .

ومنها : السلامة من تكلُّف عوائد الناس وغير ذلك من الفوائد العظيمة الجسيمة .

اللهم ؛ وفقنا لكل خيرٍ ، واحفظنا من كل ضيرٍ ؛ قال الفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة :

بِنْ بخِيْتْ إنْ بغيت الدهرْ يمنحكْ دَرَّهْ   مِلْ عن الخوض فيما خاضَوُا الناس في أمرَهْ

مـا خَـذَوْا فيـهْ إلـىٰ يُمنَـهْ فخـذ فيـهْ يُسـرَهْ

إلىٰ أن قال :

والعجبْ في زمانكْ ذا فشُفْ فيه وأدرَهْ   مَن صَحِبتَهْ وراعيتَهْ وجَرَّيتْ جَرَّهْ

واحتملت المشقهْ في شفايتهْ وأمرَهْ   ما درىٰ بكْ ولا راعاكْ في وَزِنْ ذرَّهْ

والكلام في العزلة وفوائدها ، وما ورد فيها من الآيات والأخبار والآثار شيءٌ كثيرٌ لا تسعه مجلدات ، وليس المقصود الإكثار والإهدار ، وإنما المقصود العمل ولزوم الدار ، والانحياش والفرار إلى الكريم الغفار ، وقد طال الكلام في هـٰذا الفصل ، ولـٰكنني أقول كما قال القائل :

مـا أطلـت الكـلام إلاَّ لعلمـي   أن هـٰـذا المقـام أمـرٌ عظيـمُ

لـم يـوفـق لنيلـه غيـرُ شخـصٍ   قلبـه مـن سِوىٰ الحبيـب سليـمُ

يرتجي الوصل خائفاً من صدودٍ   لـم يـزل فيـه بـالغـرام يهيـمُ

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بالصمت وحفظ اللِّسان عن الكلام إلاَّ عن خيرٍ ؛ قال الله سبحانه : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليقل خيراً أو ليصمت » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من صمت . . نجا » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « وهل يَكُبُّ الناسَ في النارِ علىٰ مناخرهم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « رحم الله عبداً تكلم بخيرٍ فغَنِمَ ، أو سكت عن شرٍّ فسَلِمَ » .

وجاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال : دلني علىٰ عملٍ يدخلني الجنة قال : « أطعم الجائع ، واسقِ الظمآن ، وأمر بالمعروف وأنْهَ عن المنكر ؛ فإن لم تطقْ . . فكف لسانك إلاَّ من خيرٍ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلُغ به ما بلغت . . يكتب الله له بها رضوانه إلىٰ يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلُغ به ما بلغت . . يكتب الله عليه بها سخطه إلىٰ يوم يلقاه » .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يُضحِك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا » .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : (إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها في الجنة) .

والأخبار والآثار في ذمِّ الكلام فيما لا يعني والفضول كثيرةٌ شهيرةٌ ؛ فضلاً عمَّا ورد في الغيبة والنميمة ، والكذب وغيرها من معاصي اللِّسان ، ولا عاصم من أمر الله إلا مَنْ رحم ، ولا معين علىٰ ذلك إلاَّ العزلة والصمت ، وليس كالعزلة ، فاجتهد رحمك الله في حفظ اللسان جهدك ، واحترس منه طاقتك ، واشغله بذكر الله ؛ فإنه مِنْ أعصىٰ أعضائِكَ عليك ، فإنَّ ضُرَّه كثير ، وذنبه كبير ، وأمره خطير ، وضبطه عسير ؛ قال سيدنا الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه رحمه الله تعالىٰ :

وفي الصمت للإنسان سمتٌ وحكمةٌ	وسَترٌ علىٰ ما فيه من كل عورةِ
وما زائدُ الأقوال إلاَّ نقيصةٌ	وكثرتها أصلٌ لكل مزلة
ولا يحصد الإنسانُ من شؤم لفظه	مدى الدهر إلاَّ كلَّ بُغضٍ وحسرة
ولا تحقرَنْ كيد اللسان فجِرْمُه الـ	ـصَّغيرُ له جُرمٌ كبير الضرورة

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بقراءة القرآن ، اجعل لك ورداً منه تقرؤه كل يوم ، الذي تستطيع المداومة عليه ، واقرأه بالترتيل والتجويد ، والتدبر والتفهم والتعظيم ، واحذر من اللَّحن ؛ فإنه حرامٌ ، ولا تترك قراءة سورة (يس) كل يوم ، و(الم تنزيل) و(تبارك الملك) كل ليلة ، واقرأ عند النوم أوّل (البقرة) إلىٰ ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ .

و﴿ إِلَٰهُكُمْ﴾ الآية وآية الكرسي وأواخر (البقرة) و(المعوّذات) ثلاثاً .

واقرأ هٰذه الآيات أيضاً بعد كل فريضة و(الإخلاص) عشراً ، و(المعوّذتين) مرة مرة .

وسبِّح واحمد وكبِّر من كلٍّ ثلاثاً وثلاثين عند النوم ، وبعد الفرائض ، وكمل المئة بـ(لا إلٰه إلاَّ الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير) .

ولا تترك صلاة الوتر سفراً وحضراً ، وصلِّ الضحىٰ ولو ركعتين ، وصلِّ من الأوَّابين ما تيسَّر ، واعمر ما بين العشاءَيْنِ بعبادةٍ ، وكذا ما بعد صلاة الصبح إلى الإشراق .

واحذر من ضياع الوقت ، ومن مجالسة العامة وأهل الغفلة ، واللهو واللعب ، والسخرية والمزح ؛ فمجالستهم حرمانٌ وخسران ، لا تنظر إليهم ولا تجالسهم ، ولا تسمع كلامهم ؛ فإن بليت بهم في محلٍّ لا تستطيع مفارقتهم عنه ؛ كسفينةٍ ونحوها . . فتشاغل عنهم ، وتغافل وتصامم وتعامىٰ ، وإن رأيتَ فيهم مخايل القَبول . . فانصحهم وعلِّمهم ، ونَبِّهْهُم برفقٍ وتأنٍ .

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بأداء الصلوات الخمس في أوّل أوقاتها ، وأدِّها علىٰ أحسن الوجوه وأتمِّها من إكمال أركانها وشروطها ، وتَجنُّب مبطلاتها

ومفسداتها ، وكَمِّلِ الحضور والخشوع والإخلاص فيها ، وأْتِ بسننها وهيئاتها وآدابها ، واحذر من الغفلة والعُجْب والرياء بها .

واعلم رحمك الله : أن الصلاة عماد الدين ، وهي له بمنزلة الرأس من الجسد ، وقد حذَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من إضاعتها ، وشدَّد في تركها ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : « بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة » ، وفي روايةٍ : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها . . فقد كفر » .

وعن عبد الله بن شقيق قال : (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفرٌ إلاَّ الصلاة) .

فيجب على الإنسان الاهتمام بشأنها في نفسه وفي أهله وولده وسائر مَنْ رآه مُتهاوناً بها ، أو مقصراً فيها .

ولا تتركِ الجماعة وإن كنت مريضاً أو مسافراً ؛ فإنَّ صلاة الجماعة تفضل علىٰ صلاة المنفرد بسبعٍ وعشرين درجة ، وهي سُنَّةٌ مؤكدةٌ ، بل هي فرض كفايةٍ على الذُّكور المقيمين غير المعذورين ، بل قيل : فرض عينٍ ، وقيل : شرطٌ لصحة الصلاة ، فكيف يصح التهاون لمسلمٍ بها مع هٰذه الأقوال في بطلان أو نقصان عمادِ دينه ؟!

وهل التهاون بها إلاَّ قدحٌ في أصل الإيمان ؟ كما ورد عن سيد ولد عدنان ؛ فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الجفاء كل الجفاء ، والكفر والنفاق : مَنْ سمع مناديَ الله ينادي بالصلاة ويدعو إلى الفلاح . . فلا يجيبه » .

وأما الجمعة . . فهي فرض عينٍ بالاتفاق إلاَّ على المعذورين ؛ كما هو مقررٌ ، ويومها أفضل الأيام حتىٰ علىٰ يوم عرفة إذا لم يكن يوم جمعة ، وقد تهاون الناس بها وبفضلها ، فينبغي للإنسان أن يخصَّ هٰذا اليوم بالتجرُّد

لأعمال البِرِّ والإكثار من الخيرات وأنواع القربات ، ويكثر ممَّا ورد فيه بالخصوص ؛ كقراءة سورة (الكهف) ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإكثار الدعاء ؛ رجاءَ مصادفة ساعة الإجابة .

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بتنبيه كل مَنْ رأيته مرتكباً لمحرَّمٍ ، أو تاركاً لواجبٍ ، أو يخل بشيء من واجبات الصلاة أو غيرها من العبادات والمعاملات ، وكذلك الأمر بالفضائل ؛ فإنَّ الدالَّ على الخير كفاعله ، ولا يكمل إيمان عبدٍ حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحدُ معالمِ الدِّين وواجباته ومهماته ، وليكن تنبيهك بصيغة المحبة والشفقة ، والرِّفق واللِّين ، وذكر الترغيب والترهيب ، ولا تتكبر عليه وترىٰ أنك أفضل منه ، ولا تعنفه وتشدد عليه وتغلظ عليه في القول إلاَّ إذا لم يقبلِ الحقَّ ، ويئست من الرفق به .

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بأداء الزكاة والفطرة الواجبة عليك ؛ فإنها أحدُ أركانِ الإسلام .

وقد قرنها الله بالصلاة ، وهي للأموال مَطْهَرة ومَنْماة ، وإبقاؤها فيها مَهْلَكةٌ لها ومذهبةٌ لها ، والأحاديث الواردة في الوعيد في تركها كثيرةٌ شهيرةٌ ، فليخرجها الإنسان بطيبة نَفْسٍ ، وببشرٍ ، ومن أجود ماله ، ويضعها في أحسن مواضعها من المستحقين لها ، لله لا لحظٍّ وهوىً ، من غير مَنٍّ ولا أذىٰ ، ولا عُجبٍ ولا رياء .

وعليك بصدقة التطوُّع ، وصلة الأرحام ، ومواصلة المحتاجين والجيران ، والأيتام والأرامل ، والضعفاء والمساكين بالمال إن كنت من أهل الثروة واليسار ، وإلاَّ . . فبالدعاء لهم والإيناس ، والخدمة والمحبة ، وترك

الغِشِّ وكفِّ الشرِّ ، ودعوتهم للخير ، والزيارة والسلام ؛ كما أن هـٰذه الأشياءَ مطلوبةٌ من صاحب المال أيضاً .

ولا تخلِّي الصدقة كل يومٍ ولو بشيءٍ يسيرٍ ؛ فرُبَّ قليلٍ من مقلٍّ بنيةٍ صالحةٍ خيرٌ من كثيرٍ من غيره .

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بصيام شهر رمضان ، وبكثرة الصيام بعد الواجب منه ، ولا تترك صوم يوم عرفة ، وعاشوراء وتاسوعاء ، وستِّ شوال ، وثلاثة أيام من كل شهرٍ ، ففضل ذلك كثيرٌ وعمله يسير .

وصُنْ صيامك عمَّا يُبطل ثوابه من محبطات الأعمال ، وعمَّا يخص الصوم ؛ كالغيبة والنميمة ، والكذب والفحش ، والفطر على الحرام ؛ فكم من صائم ليس له من صيامة إلاَّ الجوع والعطش .

وواظبْ علىٰ صلاة التراويح مدَّةَ شهرِ رمضان ، وأدِّها بالتأني والإحسان ، والإتيان بالسنن فضلاً عنِ الأركان ، وصلِّها في الجماعة مع مَنْ يأتي بها مع الكمال ، وأكثِر من أنواع البرِّ والخير في شهر رمضان زيادة علىٰ غيره ؛ كما أن ذلك مطلوبٌ في كل زمانٍ فاضلٍ ومكان .

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بأداء فريضة الحج والعمرة مهما وَجَبَا عليك ، والحذرَ من التأخير والتكاسل والتسويف ؛ قال الله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ مَلَكَ زاداً وراحلةً تبلغه إلىٰ بيت الله الحرام ولم يحجَّ . . فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً » وذلك أن الله يقول : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ . . . ﴾ الآية .

فإذا عزمت علىٰ ذلك . . فتزوّد من المال الحلال ما يؤديك وتواسي غيرك

إن كنت موسراً ؛ فإنما بِرُّ الحجِّ طيبُ الكلام ، وإطعام الطعام .

وخُذْ من علوم الدِّين ما تُؤدِّي به نُسُكَكَ على الكمال ، وتحفظه عنِ النقص والإخلال .

وواظب علىٰ أورادك ، وعلى الأذكار الواردة للمسافر والحاج : من أذكار الحطِّ والتَّرحال ، ورؤية البلاد وغيرها ، وما تيسر عليك من ذلك أو لم تحفظه . . فقل فيه : (اللهم ؛ إني أسألك من خير ما سألك . . .) إلىٰ آخرِ الدعوة السابقة .

ولا تترك بعد الحج زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، وزيارة المشاهد كلها ، وأَكثرْ من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في طريقك ، وفي المدينة ، وفي كل حالٍ ، وقل بلسانك وجنانك ، في جميع أحيانك وحركاتك وسكناتك ، مدة حياتك : اللهم ؛ ارزقني كمال المتابعة لنبيك الكريم صلى الله عليه وسلم ، ظاهراً وباطناً ، في عافيةٍ وسلامةٍ ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وإذا قدر الله للإنسان الوصول إلىٰ تلك الأماكن الشريفة ، والمواطن المنيفة . . فليحمدِ الله وليشكره ، وليحذر كل الحذرِ منَ الغفلةِ وسوء الأدب ، والكسل وضياع الوقت ، وليستفرغ طاقته وجهده في التأدُّب ظاهراً وباطناً في أعمال الجوارح في القربات حسب الطاقة والإمكان ، علىٰ أتم الوجوه وأكملها ، وليحسنِ الظنَّ بكل مَنْ رآه ما أمكن ووجد له محملاً ، ولا يستحقر أحداً ؛ فإن الذَّنْب الصغير في الحَرَم عظيمٌ ؛ كما أن الحسنة تضاعف .

فَصْلٌ

وعليك رحمك اللهُ إذا أردت الدخول في أسباب المعاش بحسن النية في ذلك ؛ فإن طلب الحلال فريضةٌ علىٰ كل مسلمٍ ، واقصد بذلك الاستعانةَ على الدِّين ، وإعفافَ نفسك ومَنْ عليك مؤونتهم عن المسألة وعن الطمع فيما في أيدي الناس ، ولا يَشغَلك معاشك عن معادك ، ولا عن طلب العلم الذي هو

فرضُ عين عليك ، ولا عن أداء فرائض الله في الجماعة ، بل ولا عن ذكر الله وأنواع القربات ؛ قال الله سبحانه : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ . وقال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ .

وتعلَّمْ من العلم المتعلق بسببك ما تسلك به سبيل العدل والإحسان ، وتسلم به من الوقوع في الإثم والعصيان ، والحذرَ كل الحذر من الحرام بجميع أنواعه ؛ فإنه خبيثٌ ويذهب من يد صاحبه عن قريب ؛ كما هو مُجرَّبٌ ومشاهَدٌ ، والعبادة مع أكل الحرام أو لبسه غير مقبولةٍ ؛ قال صاحب « الزبد » :

وطـاعـةٌ ممَّـن حـرامـاً يـأكـلُ   مثـل البنـاء فـوق مـوج يُجعَـلُ

وفي الأثر أو الخبر : « من أكل الحرام . . عصت جوارحه شاء أم أبىٰ » ، وقيل : كُلْ ما شئت ؛ فمثله تعمل .

ثم إذا ظفرت بالحلال . . فتناوله بأدبٍ ونيةٍ ، وكُلْ ما دون الشِّبَع ؛ فإن الشبع من الحلال مبدأُ كلِّ شرٍّ ، فكيف من الحرام ؟!

وفي الحديث : « ما مُلِيءَ وعاء شر من بطنٍ ، بحسْب ابن آدم لقيماتٌ يُقِمْنَ صلبه ، فإن كان لا بُدَّ . . فثلثٌ لطعامه ، وثلثٌ لشرابه ، وثلثٌ لنَفَسِهِ » . الحديث أو ما معناه .

ويقال : إن كل علةٍ وداءٍ سببه الشِّبع .

وَٱعْلَمْ : أن المال القليل من الحلال خيرٌ وأبركُ من كثيرٍ من حرامٍ أو شبهةٍ ، وإذا حصل لك الذي يمنعك في وقتك وحينك . . فاقنع به ، واشكرِ الله عليه ، ولا تُعلِّقْ همَّك بالمستقبل ؛ قال سيدنا أبو بكر العيدروس العدني :

إن مـا اَستقبلـك يحكمـه العفـو   مثـل مـا أَحكَـمْ أمـور الابتـداء

ولا تطمع ولا تحرص فتُتْعبَ قلبك وجسمك ، ولا يصل إليك إلاَّ ما كُتِب لك .

وَاعْلَمْ : أن نعمة الله عليك فيما زُوي عنك من الدنيا أعظمُ ممَّا أوصله إليك منها .

واحذر من الغِشِّ والخيانة والكذب في معاملتك ؛ فإن ذلك مسخطٌ للربِّ ، مُمحقٌ للبركة ، وابْنِ أمرك على الصِّدق والنصيحة ، وأَخرِج كل حقٍّ وجب عليك في مالك بطيبة نَفْسٍ وبِبِشْرٍ في أوّل وقته ، وذلك : كالزكاة ، والدُّيون ، والنفقات الواجبة عليك ، وكذا كل معروفٍ تخرجه يكون كذلك ، ولا تؤذه ، ولا تمُنَّ ولا تغلَّس ولا تعبس فتفوّتَ ثوابَك ومالَكَ ومروءتَكَ .

وإذا استقضَيت . . فسامح ، وخذ بأنقصَ ، وإذا قضيتَ . . فأوفِ وكَمِّل وأثنِ عليه وٱدْعُ له .

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله ببرِّ الوالدين ويحسن الخُلُق معهم ، ومع الزوجة والأولاد ، والقرابة والعشيرة والجيران والمعاملين ، وسائر المسلمين ائت إليهم ما تحب أن يأتوا إليك ، وأَحِبَّ لهم ما تحب لنفسك ، لا تؤذهم ولا تبغضهم ، ولا تغشهم ولا تحسدهم ، ولا تغتابهم ولا تسيء الظن بهم ، ولا تستحقرهم ولا تستهزيء بهم ، وانصحهم وادع لهم .

وَاعْلَمْ : أن حق الوالدين آكدُ الحقوق وأوجبها وأعظمها ، وعقوقهم من الكبائر ، وحق الزوجة والأولاد آكدُ من غيرهم ، وحق الأرحام والجيران آكد من الأجانب ، والمسلمون الأجانب لهم حقوقٌ كثيرةٌ كبيرةٌ : فٱبدأ بنفسك ، ثم بمن تعول ، ثم الأقرب فالأقرب ، ثم هٰكذا وهٰكذا .

فالموفَّق مَنْ قام بالواجب ، ورتَّب الحقوق ، وأعطىٰ كل ذي حقٍّ حقه ، وسَلِم من العقوق ، وعمَّ الكل بالنصيحة والمحبة ، والرحمة والشفقة ؛ إنكم لن تَسَعوا الناس بأموالكم ، فسَعُوهم ببسط الوجه ، وحسن الخُلق ، وكفِّ الأذىٰ ، وسلامة الصدر ، والترحم عليهم ، والاستغفار والدعاء لهم ، فلا تترك الدعاء للمسلمين كلهم : الأموات بالاستغفار لهم ، والترحم عليهم ،

وذكر محاسنهم ، والكف عن مساويهم ، والأحياء بذلك وبالتوفيق والهداية ، ورفع البلاء عنهم ، وجلب ما يصلحهم ، وكف يدك عن أبدانهم وأموالهم ، ولسانك عن أعراضهم ، وقلبك عن الغِلِّ والحقد والحسد ، وسوء الظن بهم ، وتلزمك نصيحتهم إذا قدرت عليها من غير ضررٍ يصيبك لا سيما إذا ظننت القبول منهم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « فإن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلاَّ بحقها كحرمة يومكم هـٰذا ، في بلدكم هـٰذا ، في شهركم هـٰذا ، ألا هل بلغت » ثلاثاً .

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بحفظ جوارحك السبعة ؛ وهي اللسان ، والعين ، والأُذن ، واليد ، والبطن ، والفرج ، والرِّجل ، وكذا سائر بدنك عن جميع المعاصي والمحرمات ، بل وعن الفضول وما لا يعني ، وتفصيل ذلك يطول ، وقد ذكرتُ جملةً من معاصي هـٰذه الأعضاء في كتاب « سلم التوفيق » فينبغي الاطلاع عليها لكي تحترز منها ؛ فإن اجتناب المعاصي واجبٌ ، قال الشاعر :

عرفتُ الشر لا للشر لـٰكنْ لتَوَقِّيهِ   ومَن لم يعرفِ الشَّرَّ من الناس يقعْ فيهِ

بل لا تكفي المعرفة ما لم تساعده المجاهدة والتوفيق ، واشغل هـٰذه الأعضاء بالذي خُلِقَتْ له من العبادة ، وبما يعود عليك نفعه في الدنيا والآخرة ، وهو استعمالها في القُربات والباقيات الصالحات ، من الواجبات والمندوبات ، قال الحبيب عبد الله الحداد :

وأعمر بأوراد العبادة عمرك الـ   ـفاني وساعات الزمان المزمع

وقال أيضاً رضي الله عنه ونفعنا به :

فـدع العجـز والتعلـل وٱسلُـلْ   صـارم العـزم يـا لـه مـن حسـامِ
واغتنـم مـن بقيـة العمـر مـا أمـ   ـكَنَ والاختيـار طـوع الـزمـامِ
وانتهـز فـرصـة الـزمـان وبـادر   بَغَتـاتِ الحِمَـامِ والأسقـامِ

واعلم رحمك الله : أنك لا تستطيع ذلك ، ولا تنال حقيقة ما هنالك : حتىٰ تصلح قلبك الذي منه تصدر الأعمال ، وإليه تُنسب جميع الأفعال ، ومنه تترشح جميع الأخلاق والخلال ، القبيحة والعوال ، قال عليه الصلاة والسلام : « ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت . . صلح سائر الجسد ، وإذا فسدتْ . . فسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب » . فاشتغل بإصلاحه إن كنت تطلب الخلاص والنجاة من غضب الجبار ، ومن العذاب والنار ، والخِزْيِ والعار ، فتدارك ذلك ما زلت بهـٰذه الدار ، قبل خروج الأمر عن الاختيار ، وحصول الحسرة والندامة ، حين لا تنفع حسرة ولا ندامة ، والأمر في علاج القلب واصلاحه يطول ؛ لأن له أخلاقاً سيئةً يجب التنزُّه والتخلي عنها ، وله أخلاقٌ حسنةٌ يجب التخلق والتحلي بها ، وقد شرح الحسنةَ والسيئةَ وبيَّن أسبابهما وعلاجهما سيدُنا الغزاليُّ في كتاب « الإحياء » في (ربع المنجيات ، وربع المهلكات) فاعمل بما قرّر في ذلك وفصَّل ، واسلك علىٰ ذلك ؛ فإنه العمدةُ وعليه المعوَّل ، كما شهد له بذلك الشهود العدول ، والسادة القادة الفحول ، أولياء الله وأمناؤه على الدِّين ؛ فمنهم جملة من السادة العلويين مثل سيدنا عبد الله بن أبي بكر العيدروس ، وابنه أبي بكر العدني ، وأخيه الشيخ علي بن أبي بكر ، وابنه عبد الرحمـٰن بن علي ، والحبيب عبد الله الحداد ، فقد أثنوا عليه الثناء الكثير ، وشهدوا لقارئه بحصول التأثير ، فمن أخذ بما فيه . . ظفر بما ظفر به أولـٰئك السابقون : ﴿ وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

واعلم : أنه لا ينجو يوم القيامة ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ كما ذكره الله في القرآن عن خليله إبراهيم .

فقوله : (سليم) أي : من كل خُلُقٍ ذميمٍ ، والأخلاقُ الذَّميمة كثيرةٌ : فمنها حب الدنيا ، وحب المال والجاه ، وشهوة البطن والفرج ، والكبر والحسد ، والعجب والرياء ، والهوىٰ ، والشح والبخل ، والغرور وغيرها ،

ورأسهنَّ ومنبعهنَّ حبُّ الدنيا ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حب الدُّنيا رأس كل خطيئة » . قال سيدنا الغزالي : (ففُهِمَ من هٰذا الحديث أن بُغضها رأس كلِّ حسنة) .

اللهم ؛ زهِّدنا في الدنيا ورغبنا في الآخرة ، وبصِّرنا بعيوبنا ووفِّقنا لإصلاحها ، آمين .

وَاعْلَمْ : أن صلاح القلب هو استقامته علىٰ ما أمر الله به ورسوله ، ونَفْرَتُه عن المعاصي وكراهته لها ، والرغبة والتشمير والإنابة لدار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله ، وأن يصير هواك تبعاً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن تؤثر متابعته فيما تفعل وتقول ، علىٰ كل شهوةٍ وفضول ، فهٰذا علامة صلاحه .

وما دام يميل ويركن إلىٰ هٰذه الدار ، وطول الأمل والغفلة والاغترار ، والمعاصي والأوزار . . فهو دليلٌ علىٰ مرضه وفساده ، إنْ قليل . . فقليل ، وإن كثير . . فكثير .

والدنيا عبارةٌ عن كل ما كان قبل الموت إلاَّ ما كان فيها ويصحبك إلى الآخرة ، وهو صلاح القلب وما أعان علىٰ صلاحه ؛ لأن القلب لا ينعدم بالموت ، بل يبقىٰ منعَّماً أو معذباً .

وَاعْلَمْ : أن طاعات القلب كثيرةٌ : فمنها الإيمان ، واليقين والمعرفة ، والتوبة والمحبة ، والزهد والرضا ، والشكر والصبر ، والمراقبة والإحسان وغيرها ، ولم نشرحها ونفصلها ؛ لعدم الأهليَّة ، وللإفلاس عنِ التحقُّق بها بالكلية ، واكتفاءً بما شرحه فيها أهلُ الذَّوق والكمال ، المتكلمين فيها بلسان الحال والمقال ، وأما نحن المتصفين بقبائح الخلال . . فيكفينا فخراً ـ إن صحَّ منَّا ـ محبةُ أولـئك الرجال .

فَصْلٌ

ولمَّا كان هٰذا الزمان زمانَ الفتن والامتحان ، والهَرْج والمرْج[1] الذي وعد به سيد ولد عدنان ، والاختلاف في الأهواء والأديان . . أحببنا أن نذكر شيئاً ممّا وصَّانا به سيدُ الناصحين الصادق الأمين ، الذي هو بنا رؤوف رحيم ، بشهادة الرب الكريم ؛ فإنه صلوات الله وسلامه عليه لما ذكر ظهور تلك الأهوال ، واختلاف تلك الأحوال . . أمر مَنْ حضرها بأمور ، فعليك رحمك الله بملازمة وصيته ، والأخذ بها ، والتمسك بحبلها ، عَضَّ عليها بالنواجذ ؛ فعن أبي أمية الشعباني قال : قلت : يا أبا ثعلبة ؛ كيف تقول في هٰذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ ؟ فقال : أما والله ؛ لقد سألتَ عنها خبيراً ، سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ائتمروا بالمعروف ، وانتهوا عن المنكر ، حتىٰ إذا رأيتم شُحّاً مطاعاً ، وهوىً متبعاً ، ودنيا مؤثَرة ، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه . . فعليك نفسك ، ودع عنك أمر العوام ؛ فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهنَّ كالقبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم » أخرجه أبو داوود والترمذي .

الشح : البخل الشديد ، وطاعته اتباع الإنسان هوىٰ نفسه ؛ لبخله وانقياده له ، وقوله : (ودنيا مؤثرة) أي : محبوبة مشتهاة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : شبَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه وقال : « كيف أنت يا عبد الله بن عمرو إذا بقيتَ في حثالة قد مَرِجتْ عهودُهم واختلفوا فصاروا هٰكذا ؟ » قال : فكيف يا رسول الله ؟ قال : « تأخذ ما تعرف ، وتدع ما تُنكر ، وتقبل علىٰ خاصتك ، وتدعهم وعوامهم » . الحثالة : الرديء من كل شيء .

وفي حديث أبي ذرٍّ لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة القتل . .

---

(١) الهَرْج والمرْج : الفتنة والاختلاط ، وفسَّره النبي صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة بالقتل .

قال : قلت : فما تأمرني ؟ قال : « تلزم بيتك » قلت : فإن دُخل علىٰ بيتي ؟ قال : « إن خشيتَ أن يبهرك شعاع السيف . . فألقِ ثوبك علىٰ وجهك يبوءُ بإثمك وإثمه » .

وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والماشي فيها خيرٌ من الساعي ، فكسّروا قِسيَّكم ، وقطِّعوا أوتاركم ، واضربوا سيوفكم بالحجارة ، فإن دُخل علىٰ أحدٍ منكم . . فليكن كخير ابني آدم » . وفي روايةٍ قال : فما تأمرنا ؟ قال : « كونوا أحلاس بيوتكم » .

وعن المقداد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن السعيد لَمَن جُنِّبَ الفتن ، ولمن ابتلي فصبر ، فواهاً » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب ، أفلح من كفَّ يده » .

وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليأتين علىٰ أمتي ما أتىٰ علىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعل ، حتىٰ إن كان منهم مَنْ أتىٰ أُمَّه علانيةً . . ليكوننَّ في أمتي مَنْ يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت علىٰ ثنتين وسبعين ملةً ، وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين ملةً كلها في النار إلاَّ ملة واحدة » قالوا : مَنْ هي ؟ قال : « مَنْ كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي » .

وفي حديث سيدنا حذيفة الذي سأل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرِّ مخافة أن يدركه قال في آخره : قلتُ : يا رسول الله ؛ فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلتُ : فإن لم تكن جماعةٌ ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفِرَق كلها ولو أن تعض بأصل شجرةٍ حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلاَّ كان عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هـٰذه جُعِل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمور تُنكرونها ؛ فتجيء فتنة فيزلق بعضها بعضاً ، فيقول المؤمن : هـٰذه مهلكتي ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هـٰذه هـٰذه ، فمن أحب أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة . . فلتأته منيَّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس ما يحب أن يُؤتىٰ إليه ، ومن تابع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه . . فليطعه ما استطاع ؛ فإن جاء آخر ينازعه . . فاضربوا عنق الآخر » .

قوله : (يزلق) أي : يدفعه بسرعة وروده عليه ، وروي : (يزهق) أي : يعجل .

وقال عليه الصلاة والسلام : « سباب المؤمن فسوقٌ وقتاله كفر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ ، ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه » .

وعن الزبير بن عدي قال : دخلنا علىٰ أنس بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه ما نلقىٰ من الحجَّاج ، فقال : « اصبروا ؛ فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلاَّ والذي بعده شرٌّ منه حتَّىٰ تَلْقَوا ربكم » سمعت هـٰذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري ، أورد أحاديث هـٰذا الفصل عبدُ الرحمـٰن بن علي الديبعي في كتابه « تيسير الأصول » .

فَصْلٌ

وعليك رحمك الله بالرِّضا عنِ الله في جميع الأمور ، على الوجه المشروع المشكور ؛ وهو أن ما كان من قبيل المعاصي والمنكرات الجارية علىٰ أيدي المكلفين . . فكراهتها لازمةٌ ، وإنكارها كذلك من حيث كونُها كسبَهم ومنسوبة

إليهم ، ومعاقبين بها ومؤاخذين دنيا وأخرىٰ ، وترضىٰ بها من حيث كونُها جرت بإرادة الله وقضائه وقدره .

وإنما الرِّضا المحض فيما يقع من المصائب والبلايا ؛ كالأمراض ، والعاهات والفاقات ، وموت الأقارب ونحوها التي تقع بلا واسطة ، وأما التي وقعت بواسطة العباد ؛ فإن وقعت في حق نفسك . . فالأَولى الغيبة عن الواسطة ، والعفو عنه ، والرضا بها ، وإن وقعت في جانب الغير . . لزم الإنكار والكراهة من حيث الشريعةُ ، والرضا والتسليم من حيث الحقيقة ، وليس هناك تنافٍ .

وعليك رحمك الله بالصبر في جميع أحوالك من أمور دينك ودنياك ، وفي القيام بحق سيدك ومولاك ، وفي التزوُّد لمعادك وأخراك ، وفي معاشرتك لأهلك وأقاربك ومَنْ والاك ، وفي احتمال من تعادىٰ لك وآذاك ، وفيما أصابك به مولاك وابتلاك ، فكل شيءٍ من هـٰذه الأشياء يحتاج إلى الصبر فيه .

ومعنىٰ (الصبر) : إقامة باعث الدِّين في مدافعة باعث الهوىٰ ، مثال ذلك في الصبر علىٰ فعل الطاعة أن الهوىٰ يميل إلى الكسل ، فمعنى الصبر : حمل النَّفس كرهاً علىٰ فعلها ، ثم علىٰ إتمام أركانها وشروطها ، وتجنُّب مبطلاتها ، وعلى الحضور فيها ، والإتيان بباقي سننها وآدابها ومكملاتها ، والصبر عن مفسداتها ومحبطاتها ؛ كالعُجْب والرياء بها ، وكذا باقي أحوالك تحتاج فيه إلى الصبر ؛ وذلك بأن تقوم بحق الله فيه ، وما من نَفَسٍ يمضي عليك إلاَّ ولله عليك فيه حقٌّ ، بل حقوق ولا تقدر على القيام بالحقوق إلاَّ بالصبر .

قال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه :

ومن عرف الدنيا تحقق أنها بلا مريةٍ مستوطَن البؤس والضرِّ
ولا بدَّ للإنسان طول حياته وما دام فيها من ملازمة الصبرِ

قال بعضهم : أهل هـٰذا الزمان صبرهم قليل ، وزمانهم يحتاج إلىٰ صبرٍ

كثير ، والأوَّلون صبرهم كثير ، وزمانهم يكفيه الصبر القليل ؛ ولهٰذا استراح الأولون وتعب الآخِرون .

وقال آخر : مَنْ رضي بشيءٍ . . تنعَّم به ، ومن سخط بشيءٍ . . تعذَّب به .

وقال آخر : إذا لم أصبر . . فأي شيء أفعل . قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد رضي الله عنه :

وكم محنةٍ كابدْتُها وبليةٍ ... إلىٰ أن أتاني الله بالفتح والنصر
صبرت لها حتى انقضىٰ وقتها الذي ... به وُقتت في سابق العلم والذكر
ولو أنني بادرتها قبل تنقضي ... بما تقتضيه النفس في حالة العسر
من الجزع المذموم والغم والأسى ... لكنت قد استجلبت ضراً إلىٰ ضر
وما جزع الإنسان في حالة البَلا ... سوىٰ تعب في الحال يَذهَب بالأجر
إذا ما ابتلاك الله فالصبر حقه ... عليك وإن أولاك فالحق في الشكر

وقال رضي الله عنه في قصيدةٍ أخرىٰ :

وحالفِ الصبر واعلم أن أوَّله ... مرٌّ وآخره كالشَّهد والضَّرَب

وقال آخر :

لم يبق إلاَّ الصبر فأجرع كاسه ... فلئن أمرَّ فما سواه ينفع

واعلم : أن سبب المكثفات والمشوِّشات ، والحوادث والمصائب كسبُ الذنوب والأوزار في الظاهر والباطن ؛ قال الله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ .

﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ ﴾ ، ولا دواء لرفعها ودفعها على القطع والبتِّ إلاَّ التوبة النَّصوح الجامعة لكل الشروط ، ولا مخفِّف لها وملطِّف ومهوِّن ومسكِّن مثل الاستغفارات والمكفرات ؛ كالصدقات وإكثار الحسنات .

ومن جملة المكفرات صلاة التسبيح ؛ فالإكثار منها له جدوىٰ كبير في رفع النوازل ، فينبغي للإنسان في هٰذا الزمان الإكثار منها ، بل ينبغي أن يجمع بين التوبة النَّصوح وهٰذه المكفرات ، ربنا ؛ اغفر لنا ، وتب علينا ؛ إنك أنت التواب الرحيم .

فَصْلٌ

نذكر فيه شيئاً من كلام سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم مما أورده الديبعي[1] في كتابه « تيسير الأصول » قال الشاعر :

أحاديثُ الرَّسولِ شفاءُ قلبي وقرةُ ناظري وجلاءُ همي

وقد أجمع بعض الأحاديث إلىٰ بعضٍ ، وقد آتي ببعض الحديث وأترك بعضه ؛ خوف التطويل :

فمن كلامه صلى الله عليه وسلم : « إن الإسلام بُني علىٰ خمسٍ : شهادةِ أن لا إلـٰه إلاَّ الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحجِّ البيت ، وصوم رمضان » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « قل : آمنت بالله ثم استقم » .

« ذاق طعم الإيمان مَنْ رضيَ بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ رسولاً » .

« لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .

« لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير » .

---

(١) هو وجيه الدِّين عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد الديبعي ، ولد آخر يوم الخميس الرابع من المحرم الحرام سنة (٨٦٦) ، وتوفي سنة (٩٤٤) ودُفن إلىٰ جانب مشهد سيدي الشيخ الكبير الولي الشهير المعروف : إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي الصوفي ، وعُمْرُ الديبعي ثمانية وسبعون سنة وستة أشهر وأحد وعشرون يوماً . انتهىٰ من نسخة قديمة من « تيسير الأصول » له .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « المسلم مَنْ سَلِم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن مَنْ أمنه الناسُ علىٰ دمائهم وأموالهم ، والمهاجر مَنْ هجر ما نهى الله عنه » .

وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « ألا أي شهر تعلمونه أعظمَ حرمة ؟ قالوا : ألا شهرنا هـٰذا ، قال : ألا أي بلدٍ تعلمونه أعظم حرمة ؟ قالوا : ألا بلدنا هـٰذا ، قال : « ألا أي يومٍ تعلمونه أعظم حرمة ؟ قالوا : ألا يومنا هـٰذا ، قال : « فإن الله قد حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلاَّ بحقها ؛ كحرمة يومكم هـٰذا ، في بلدكم هـٰذا ، في شهركم هـٰذا ، ألا هل بلغت ؟ » ثلاثاً ، كل ذلك يجيبونه : ألا نعم ، قال : « ويحكم ـ أو ويلكم ـ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ » .

وفي رواية : « ألا ليبلغِ الشاهدُ الغائبَ » .

ومن كلامه صلى الله عليه وسلم : « إن مَثَلي ومَثَلَ ما بعثني الله تعالىٰ به كمَثَل رجلٍ أتىٰ قومه ، فقال : إني رأيتُ الجيش بعيني ، وأنا النذير العريان ، فالنجا ، فأطاعه طائفةٌ من قومه فأدلجوا وانطلقوا علىٰ مَهْلهم ، فنجوا وكذَّبت طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مَثَل مَنْ أطاعني واتبع ما جئت به ومثل مَنْ عصاني وكذب ما جئت به من الحق ، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله . . جعل الفَرَاشُ وهـٰذه الدواب التي تقع في النار تقع فيها ، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذٌ بحُجَزكم عنِ النار وأنت تقتحمون فيها » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « يا أيها الناس ؛ خذوا من الأعمال ما تطيقون ؛ فإن الله لا يمل حتىٰ تَمَلُّوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله تعالىٰ ما دام وإن قَلَّ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أدِّ الأمانة إلىٰ مَنِ ائتمنك ، ولا تخُنْ مَنْ خانك » .

« إن الخازن المسلم الأمين الذي يعطي ما أُمر به كاملاً موفَّراً طيبةً به نفسه أحد المتصدقين » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « من رأىٰ منكم منكراً . . فليغيِّرْهُ بيده ؛ فإن لم يستطع . . فبلسانه ، فإن لم يستطع . . فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ، والذي نفسي بيده ؛ لَتأمرُنَّ بالمعروف ، ولَتنهَوُنَّ عن المنكر . . أو لَيوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » .

« إذا عُملت الخطيئة في الأرض . . كان مَنْ شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها . . كان كمن شهدها » .

« إن من أعظم الجهاد كلمةَ عدلٍ عند سلطان جائر » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ ، وعُدَّ نفسك من أهل القبور » .

« ومن أنسأ الله في أجله إلىٰ أربعين . . فقد أعذر الله إليه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وسلم : « رغم أنفه ، رغم أنفه ، رغم أنفه » . قيل : مَنْ يا رسول الله ؟ قال : « مَنْ أدرك والديه عند الكبر ، أو أحدهما ، ثم لم يدخل الجنة » .

« لن يجزيَ ولدٌ والده إلاَّ أن يجده مملوكاً فيشتريَه فيُعتقَه » .

« رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد » .

« الوالد أوسط أبواب الجنة ؛ فإن شئت . . فأضع ذلك الباب ، أو احفظه » .

« من حجَّ عن أحد أبويه . . أجزأ ذلك عنه ، وبشر روحه بذلك في السماء ، وكُتِبَ عند الله بارّاً ولو كان عاقاً ، وكتب لأبيه بحجٍّ وله بسبعٍ » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « من ابتُليَ من هـٰذه البنات بشيء فأحسن إليهن . . كنَّ له ستراً من النار » .

« مَنْ عال جاريتين حتىٰ تبلغا . . دخلتُ أنا وهو الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه .

« من عال ثلاث بنات ، أو ثلاث أخوات ، أو أختين ، أو ابنتين ، فأدبهنَّ ، وأحسن إليهنَّ ، وزوَّجهنَّ . . فله الجنة » .

« من كانت له أنثىٰ فلم يئدها ، ولم يُهِنها ، ولم يؤثر ولده ـ يعني الذكور ـ عليها . . أدخله الله تعالى الجنة » .

« أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة ، امرأة آمت من زوجها ذات منصبٍ وجمالٍ حبست نفسها علىٰ يتاماها حتىٰ بانوا أو ماتوا » .

« ما نَحَل والدٌ ولداً من نُحْلٍ أفضلَ من أدبٍ حسن » .

« لأن يؤدِّب الرجلُ ولده خيرٌ من أن يتصدَّق بصاعٍ » .

« خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هٰكذا ـ وأشار بالسبابة والوسطىٰ ـ وفرَّج بينهما » .

« من قبض يتيماً من بين المسلمين إلىٰ طعامه وشرابه . . أدخله الله تعالى الجنة ألبتة إلاَّ أن يكون قد عمل ذنباً لا يغفر » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « عُرِضتْ عليَّ أعمال أمّتي حسنها وسيئها : فوجدتُ في محاسن أعمالها الأذىٰ يُماط عن الطريق ، ووجدتُ في مساوىء أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن » .

ومن كلامه صلى الله عليه وسلم : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل » .

« أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ؛ ما من عاملٍ يعمل بخصلةٍ منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلاَّ أدخله الله بها الجنة : كل سُلامىٰ من الناس عليه صدقة ، كل يومٍ تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة ، وتُعين الرجل في

دابته ؛ فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوةٍ تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتُميط الأذىٰ عن الطريق صدقة » .

وفي حديثٍ آخر : « علىٰ كل مسلمٍ صدقةٌ » قيل : أرأيت إن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف أو الخير » قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : « يمسك عن الشرِّ ؛ فإنها صدقةٌ ، وإن من المعروف أن تَلْقىٰ أخاك بوجهٍ طَلْقٍ ، وأن تُفرِغ من دَلْوِكَ في إناء أخيك » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إن التُّجَّار يُبعثون يوم القيامة فُجَّاراً إلاَّ مَنِ اتَّقى الله ، وبرَّ ، وصدق » .

« التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين » .

« يا معشر التجار ؛ إن البيع يحضره اللغو والحلف والكذب ، فشوبوه بالصدقة » .

« الحلف منفقةٌ للسلعة ، ممحقةٌ للبركة » .

« رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترىٰ ، وإذا اقتضىٰ » .

« إنَّ أحبَّ البلاد إلى الله تعالى المساجدُ ، وأبغض البلاد إلى الله تعالى الأسواق » .

« مَنْ أَقَالَ مسلماً . . أقاله الله عثرته » .

« إنكم قد وليتم أمرينِ هلكت فيهما الأمم السالفة قبلكم » يعني المكيال والميزان .

« لا يحل لامرىءٍ مسلمٍ يبيع سلعة يعلم أن بها داءً إلاَّ أخبر به » .

« مَنْ غشنا . . فليس منَّا » .

« ليأتينَّ على الناس زمانٌ لا يبقىٰ أحدٌ إلاَّ أكل الرِّبا ، فمن لم يأكله . . أصابه من بخاره » .

« من احتكر طعاماً أربعين يوماً يريد به الغلاء . . فقد بَرِىء من الله تعالىٰ ، وبرىء الله تعالىٰ منه » .

« ما مِنْ صاحب إبلٍ ولا بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدِّي زكاتها إلاَّ جاءت يوم القيامة أعظمَ ما كانت وأسمنه : تنطحه بقرونها ، وتَطَؤُه بأظلافها ، كلَّما نفدت أُخراها . . عادت عليه أُولاها حتىٰ يقضىٰ بين الناس » .

« إياكم والشحَّ ؛ فإنما هلك مَنْ كان قبلكم بالشح » .

« خصلتانِ لا يجتمعانِ في مؤمنٍ : البخل ، وسوء الخلق » .

« لا تتخذوا الضَّيعة ؛ فترغبوا في الدنيا » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « النفقة كلها في سبيل الله إلاَّ البناء فلا خير فيه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال في القرآن بغير علم . . فليتبوّأ مقعده من النَّار » .

ومن كلامه صلوات الله وسلامه عليه : « أما إنَّها ستكون فتنةٌ » قيل : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله ؛ فيه نبأ ما قبلَكم ، وخبر ما بعدَكم ، وحُكم ما بينَكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبارٍ . . قصمه الله تعالىٰ ، ومَنْ ابتغى الهدىٰ في غيره . . أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذِّكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخلَق علىٰ كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، مَنْ قال به . . صدق ، ومَنْ عمل به . . أُجر ، ومَنْ حكم به . . عدل ، ومَنْ دعا إليه . . هُدي إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ » .

« ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالىٰ : يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرَّحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

« أيحبُّ أحدكم إذا رجع إلىٰ أهله أن يجد ثلاث خلِفاتٍ عظامٍ سمانٍ ؟»

قلنا : نعم . قال : « فثلاث آياتٍ يقرؤها أحدكم في صلاته خيرٌ له من ثلاث خلفات عظامٍ سمانٍ » .

« مَنْ قرأ القرآن وعمل به . . أُلبِسَ والداه تاجاً يوم القيامة ، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس ، فما ظنكم بالذي عمل به ! ! » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عُرِضت عليَّ أُجور أمَّتي حتى القذاةُ يخرجها الرجل من المسجد ، وعُرِضتْ عليَّ ذنوب أمّتي ، فلم أَرَ فيها ذنباً أعظم من سورةٍ من القرآن ، أو آيةٍ أُوتيها رجلٌ ثم نسيها » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لكل شيءٍ قلبٌ وقلب القرآن يٓس ، ومَنْ قرأها . . كتب الله تعالىٰ له بقراءتها القرآن عشر مراتٍ دون يٓس » .

« تعاهدوا هٰذا القرآن ؛ فوالذي نفس محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ؛ لهو أشد تفلتاً من صدور الرجال من الإبل في عُقلها » .

ومن كلامه صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه : « اللهُ أفرحُ بتوبة عبده المؤمن من رجلٍ نزل في أرضٍ دَوِّيَّةٍ مهلكةٍ ، معه راحلته ، عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومةً ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتىٰ إذا اشتد عليه الجوع والعطش . . قال : أرجع إلىٰ مكاني الذي كنت فيه ، فأنام حتىٰ أموت ، فوضع رأسه علىٰ ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هٰذا براحلته وزاده » .

« إن الله عزوجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » .

« من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها . . تاب الله عليه » .

« إن الله عزوجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » .

« كل بني آدم خطاءٌ ، وخيرُ الخطائين التوّابون » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من صُنِع إليه معروفٌ ، فقال لفاعله : جزاك الله خيراً . . فقد أبلغ في الثناء » .

« من لا يشكر الناس . . لا يشكر الله » .

ومن كلامه صلى الله عليه وسلم :

« رباط يومٍ في سبيل الله خيرٌ من ألف يومٍ فيما سواه من المنازل » .

« كل ميتٍ يُختَم علىٰ عمله إلاَّ المرابط في سبيل الله ؛ فإنه ينمىٰ له عمله إلىٰ يوم القيامة ، ويأمن من فتنة القبر » .

« لَغَدوةٌ في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها » .

« من قاتل في سبيل الله فواق ناقة ؛ لتكون كلمة الله هي العليا . . وجبت له الجنة » . الفواق : قدر ما بين الحلبتين .

« ألا أخبركم بخير الناس : رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ، ألا أخبركم بالذي يتلوه : رجل معتزل في غُنَيمة له يؤدِّي حق الله فيها » .

« عينان لا تمسهما النار : عينٌ بكت من خشية الله ، وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قُتِل في سبيل الله . . فهو شهيدٌ ، ومَنْ مات في سبيل الله . . فهو شهيدٌ ، ومَنْ مات في الطاعون . . فهو شهيدٌ ، ومَنْ مات في البطن . . فهو شهيد ، والغريق شهيد ، ومَنْ قُتِل دون ماله . . فهو شهيدٌ ، ومَنْ قُتِل دون دمه . . فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه . . فهو شهيد ، ومَنْ قُتِل دون أهله . . فهو شهيد ، والمرأة تموت بجُمْع » أي إذا ماتت وولدها في بطنها .

وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ ترك المراء وهو مبطلٌ . . بُني له بيتٌ في رَبَض الجنة ، ومَنْ تركه وهو محقٌّ . . بُنيَ له في وسطها ، ومن حَسُنَ خلقُهُ . . بُنيَ له في أعلاها » .

« إن أبغض الرِّجال إلى الله الألدُّ الخَصِمُ » .

« إنما أهلك مَنْ كان قبلكم كثرةُ التنازع في أمر دينهم ، واختلافهم علىٰ أنبيائهم » .

وقال صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « يا أيُّها الناس ؛ قد فُرِض عليكم الحجُّ فحجُّوا ، من ملك زاداً وراحلةً تبلغه إلىٰ بيت الله الحرام ولم يحج . . فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً » .

« تابعوا بين الحج والعمرة ؛ فإنَّهما ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد » .

« العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلاَّ الجنة » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « مَنْ حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله تعالىٰ . . فقد ضادَّ الله عز وجل ، ومن خاصم في باطلٍ وهو يعلم . . لم يزل في سخط الله تعالىٰ حتىٰ يَنزِع ، ومَنْ قال في مؤمن ما ليس فيه . . أسكنه الله تعالىٰ ردغة الخبال حتىٰ يخرج ممَّا قال ، ومَنْ أعان علىٰ خصومة بظلمٍ . . فقد باء بغضبٍ من الله تعالىٰ » . الرَّدْغة ـ بسكون الدال وتحريكها وغين معجمة ـ : الطين والوحل الكثير .

ومن كلامه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه : « دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم : الحسدُ والبغضاءُ ، وهي الحالقة ، أما إني لا أقول تحلق الشعر ولـٰكن تحلق الدِّين ، والذي نفسي بيده ؛ لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا ، ألا أدلكم علىٰ ما تحابُّون به ؟ أفشوا السلام بينكم » .

« إياكم والحسدَ ؛ فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

« لا حسدَ إلاَّ في اثنتينِ : رجل آتاه الله تعالى الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها ، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه علىٰ هلكته في الحق » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لو كان لابن آدم واديان من مالٍ . . لابتغىٰ إليهما ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابنِ آدم إلاَّ التراب ، ويتوب الله علىٰ مَنْ تاب » .

« ما ذئبانِ جائعانِ أُرْسِلا في غنمٍ بأفسدَ لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » .

« يَهرَم ابن آدم ويشبُّ فيه اثنتان : الحِرص على المال ، والحرص على العمر » .

ومن كلامه صلوات الله وسلامه عليه : « استحيوا من الله حقَّ الحياء » قلنا : إنا نستحيي من الله يا رسول الله ؛ والحمد لله . قال : « ليس ذاك ، ولٰكن الاستحياء من الله حق الحياء : أن يحفظ الرأس وما وعىٰ ، والبطن وما حوىٰ ، ويذكر الموت والبِلَىٰ ، ومن أراد الآخرة . . ترك زينة الحياة الدنيا ، ، وآثر الآخرة على الأُولَىٰ ، فمن فعل ذلك . . فقد استحيا مِنَ الله حقَّ الحياء »

« إن لكل دينٍ خلقاً ، وخُلُق الإسلام الحياء » .

« ما كان الفحش في شيءٍ إلاَّ شانه ، وما كان الحياء في شيءٍ إلاَّ زانه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « أَحسِنْ خُلُقَك للناس » .

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً ، وخياركم خياركم لأهله » .

« ما من شيءٍ أثقلَ في ميزان المؤمن يوم القيامة مِنْ خُلُقٍ حسنٍ » .

« وإن الله تعالىٰ ليبغض الفاحش البذيء ، وإن صاحبَ حُسنِ الخُلُق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » .

« إن مِن أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وأبغضكم إلي وأبعدكم منِّي مجلساً يوم القيامة الثَّرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون » المتفيهقون : أي المتكبرون والثرثارون ؛ الذين يكثرون الكلام فيما لا يعني .

« البرُّ حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهتَ أن يطَّلع عليه الناس » .

ومن كلامه **صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم** : « من خاف . . أدلج ، ومن أدلج . . بلغ المنزل ، أَلاَ إنَّ سلعة اللهِ غاليةٌ ، ألا إنَّ سلعة الله الجنة » .

« إني أرىٰ ما لا تَرَوْنَ ، وأسمع ما لا تسمعون ، أَطَّتِ السماء وحُقَّ لها أن تئط ؛ ما فيها موضع أربع أصابع إلاَّ وفيه مَلَكٌ واضعٌ جبهته لله تعالىٰ ساجداً » .

« والله ؛ لو تعلمون ما أعلم . . لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، ولما تلذَّذتم بالنِّساء على الفُرُش ، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله » .

« لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة . . ما طمع بجنته ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة . . ما قنط من جنته » .

ومن كلامه **صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم** : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته ، والإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله ومسؤولٌ عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ وهي مسؤولةٌ عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته » .

« من ولاَّه الله شيئاً من أمور المسلمين ، فاحتجب دون حاجتهم وخَلَّتهم وفقرهم . . احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » .

« ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلاَّ حرَّم الله تعالىٰ عليه الجنة ، أَلاَ أخبركم بخيار أمرائكم وشرارهم ؟ خيارهم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتدعون لهم ويدعون لكم ، وشرار أمرائكم الذين تُبغِضونهم ويُبغِضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » .

« اسمعوا وأطيعوا وإنِ استُعمِل عليكم عبدٌ حبشيٌّ كأنَّ رأسه زبيبةٌ ما أقام فيكم كتاب الله تعالىٰ » .

« من أطاعني . . فقد أطاع الله تعالىٰ ، ومن عصاني . . فقد عصى الله تعالىٰ ، ومن يطعِ الأمير . . فقد أطاعني ، ومن يعصِ الأمير . . فقد عصاني » .

« من خرج عنِ الطاعة ، وفارق الجماعة . . مات مِيتةً جاهلية » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة اختلعتْ من زوجها من غير ما بأس . . لم ترح رائحة الجنة » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « الدعاء هو العبادة » .

« من فتح له بابُ الدعاء . . فُتِحتْ له أبوابُ الرحمة ، وما سُئل الله تعالىٰ شيئاً أحب إليه من أن يُسأل العافية » .

« وإن الدعاء ينفع ممَّا نزل وممَّا لم ينزل ، ولا يردُّ القضاء إلاَّ الدعاء ؛ فعليكم بالدعاء » .

« ما على الأرض مسلمٌ يدعو الله تعالىٰ بدعوةٍ إلاَّ آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدعُ بإثمٍ أو قطيعة رحم » .

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدٌ ؛ فأكثروا الدعاء » .

« لا يُرَدُّ الدُّعاء بين الأذان والإقامة » . قيل : ماذا نقول يا رسول الله ؟ فقال : « اسألوا الله العافية في الدنيا والآخرة » .

« إن ربكم حييٌّ كريمٌ يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صفراً » .

« ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ » .

« الدعاء موقوفٌ بين السماء والأرض ، لا يصعد حتىٰ يُصَلَّىٰ عليَّ ؛ فلا تجعلوني كغمر الراكب ـ الغمر القدح الصغير ـ صلوا عليَّ أوَّلَ الدعاء وأوسطَه وآخِرَه » .

« يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوتُ ربي فلم يُستجَبْ لي » .

« ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب إلاَّ قالت الملائكة : آمين ، ولك بمثلٍ » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « توبوا إلىٰ ربكم ، فوالله ؛ إني لأتوب إلىٰ ربي تبارك وتعالىٰ في اليوم مئة مرة » .

« ما من رجلٍ يُذنب ذنباً ، ثم يقوم فيتطهر ، ويُصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله تعالىٰ إلاَّ غفر له » .

« مَنْ قال : لا إلـٰه إلاَّ الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير ، في يومٍ مئة مرة . . كانت له عدل عشر رقاب ، وكُتب له مئة حسنة ، ومُحيت عنه مئة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي ، ولم يأتِ بأفضل ممَّا جاء به إلاَّ رجلٌ عمل أكثر منه » .

« ومن قال : سبحان الله وبحمده في يومٍ مئة مرة . . حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زَبَدِ البحر » .

« من دخل السوق ، فقال : لا إلـٰه إلاَّ الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حيٌّ لا يموت ، بيده الخير ، وهو علىٰ كل شيءٍ قدير . . كتب الله له ألف ألفِ حسنةٍ ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة » .

« كلمتانِ خفيفتانِ على اللِّسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتانِ إلى الرحمـٰن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

« أكثروا من قول : لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله ؛ فإنها كنزٌ من كنوز الجنة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم :

« مَنْ صلَّىٰ عليَّ صلاةً واحدةً . . صلَّى الله عليه عشر صلوات ، وحُطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات » .

« أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم صلاةً عليَّ » .

« البخيل مَنْ ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ » .

« إن لله ملائكة سيَّاحين في الأرض يبلغوني عن أمّتي السلام » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إن من أعظم الذُّنوب عند الله تعالىٰ أن يلقاه به عبدٌ بعد الكبائر التي نهى الله عنها : أن يموت رجلٌ وعليه دينٌ لا يدع له قضاء » .

« مطل الغني ظلم » .

« من سرَّه أن ينجيه الله تعالىٰ من كرب يوم القيامة . . فلينفسْ عن معسرٍ ، أو يضعْ عنه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إن لله ملائكةً يطوفون في الطُّرُق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالىٰ . . تنادوا : هلموا إلىٰ حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلىٰ سماء الدنيا ، فيسألهم ربهم ـ وهو أعلم بهم ـ: ما يقولون عبادي ؟ فيقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك ـ قال ـ فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون : لا ، فيقول : كيف لو رأوني ؟ فيقولون : لو رأوك . . كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً ـ قال ـ فيقول : فما يسألون ؟ فيقولون : يسألونك الجنة ، فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا يا رب ؛ فيقول : كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها . . كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة ، قال : فمِمَّ يتعوَّذون ؟ فيقولون : يتعوَّذون من النار ، فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا يا رب ، فيقول : كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها . . كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة ـ قال ـ فيقول : أُشهدكم أني قد غفرتُ لهم ـ قال ـ فيقول مَلَكٌ منهم : فيهم فلانٌ عبدٌ خطَّاء ليس منهم ، إنَّما مرَّ لحاجةٍ فجلس ؟ فيقول : وله قد غفرت ؛ هُمُ القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم » .

« لا يقعد قومٌ يذكرون الله تعالىٰ إلاَّ حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

« مَثَلُ البيت الذي يُذْكَرُ الله فيه والبيت الذي لا يُذْكَرُ الله فيه مَثَلُ الحيِّ والميت » .

« ما عمل العبدُ عملاً أنجىٰ له من عذاب الله من ذكر الله تعالىٰ ، يقول الله تعالىٰ : أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ؛ فإن ذكرني في نفسه . . ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ . . ذكرته في ملأٍ خيرٍ منه ، وإن تقرَّب إليَّ شبراً . . تقرّبتُ إليه ذراعاً ، وإن تقرَّب إليَّ ذراعاً . . تقربتُ إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي . . أتيتُهُ هرولة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إنَّ ممَّا أخاف عليكم ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ، وإنَّ هـٰذا المال خضرٌ حلو ، ونِعْم صاحبُ المسلم هو لمن أعطىٰ منه المسكين واليتيم وابن السبيل ، وإن مَنْ يأخذه بغير حقه . . كمن يأكل ولا يشبع ، ويكون عليه شهيداً يوم القيامة » .

« إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ ، وإن الله تعالىٰ مستخلِفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا والنساء ؛ فإن أوّل فتنة بني إسرائيل كانت النساء ، فما تركتُ بعدي فتنةً أضرّ على الرجال من النساء » .

« الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلاَّ ذكر الله وما والاه ، وعالمٌ ومتعلمٌ » .

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » .

« حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وحبك الشيء يعمي ويُصِمُّ » .

« ما لي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلاَّ كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها » .

« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقىٰ كافراً منها شربة ماء » .

« إذا أحب الله عبداً . . حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « الراحمون

يرحمهم الله تعالىٰ ، ارحموا من في الأرض . . يرحمكم مَنْ في السماء » .

« الرحم شِجْنة من الرحمـٰن ، مَنْ وصلها . . وصله الله ، ومَنْ قطعها . . قطعه الله تعالىٰ » .

« لا يرحم الله مَنْ لا يرحم الناس » .

« لا تُنزع الرحمة إلاَّ من شقيٍّ » .

« إن الله تعالىٰ خلق يوم خلق السَّماوات والأرض مئة رحمةٍ ، كل رحمةٍ طباقُ ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمةً ؛ فبها تعطف الوالدة علىٰ ولدها ، والوحش والطير بعضها علىٰ بعض ، فإذا كان يوم القيامة . . أكملها الله تعالىٰ بهـٰذه الرحمة .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إن الرِّفق ما كان في شيءٍ إلاَّ زانه ، ولا نُزِع من شيءٍ إلاَّ شانه » .

« من يُحرَم الرفقَ . . يُحرم الخيرَ كله » .

« بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « أوّل مَنْ يُدْعَىٰ به يوم القيامة رجلٌ جمع القرآن ، ورجلٌ قُتِل في سبيل الله ، ورجلٌ كثير المال ، فيقول الله للقارىء : ألم أعلِّمك ما أنزلت علىٰ رسولي ؟ فيقول : بلىٰ يا رب ، قال : فما عملت فيما علمت ؟ فيقول : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله تعالىٰ له : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبتَ ؛ إنما أردتَ أن يُقالَ : فلانٌ قارىء ، وقد قيل ذلك ، ويُؤتىٰ بصاحب المال ، فيقول الله تعالىٰ : ألم أُوسِّع عليك حتىٰ لم أدعك تحتاج إلىٰ أحدٍ ؟ فيقول : بلىٰ يا رب ، فيقول : فماذا عملتَ فيما آتيتك ؟ فيقول : كنتُ أَصِلُ الرَّحم ، وأتصدق ، فيقول الله عز وجل له : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، ويقول له الله : بل أردتَ أن يُقال : فلانٌ جوادٌ ، وقد قيل ذلك ، ثم يُؤْتَىٰ بالذي قُتِلَ في سبيل الله تعالىٰ فيقول له الله تعالىٰ : في ماذا قُتلت ؟ فيقول :

أُمرتُ بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتىٰ قتلت ، فيقول الله له : كذبتَ ، وتقول له الملائكة : كذبتَ ، ويقول الله تعالىٰ : بل أردتَ أن يقال : فلانٌ جريءٌ وقد قيل ذلك ، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ ركبة أبي هريرة رضي الله عنه ، فقال: يا أبا هريرة ؛ أولـٰئك الثلاثة أوَّلُ خَلْقٍ تُسعَّر بهم النار يوم القيامة » .

« يكون في آخر الزمان رجال يختِلون الدنيا بالدِّين ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلىٰ من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله : أبي تغترون ، أم عليَّ تجترِئُون ؟ فبي حلفت ؛ لأبعثنَّ علىٰ أولـٰئك منهم فتنةً تذر الحليم منهم حيران » .

« تعوَّذوا بالله من جب الحزن » ـ بالجيم المعجمة ـ فقالوا : يا رسول الله ؛ وما جب الحزن ؟ قال : « وادٍ في جهنم ، تتعوَّذ منه جهنم كل يومٍ مئة مرة » قيل : يا رسول ؛ ومن يدخله ؟ قال : « القرَّاء المراؤون بأعمالهم » .

« من طلب العلم ليُجاري به العلماء ، ويُماري به السفهاء ، ويصرف به وجوه الناس إليه . . أدخله الله تعالى النار » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « اللهم ؛ أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين ؛ إنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً » .

« يا عائشة ؛ لا تردِّي المسكين ولو بشق تمرةٍ ، يا عائشة ؛ أحِبِّي المساكين وقرِّبيهم يقربك الله تعالىٰ يوم القيامة » .

« إن سرَّكِ اللحوقُ بي . . فليَكْفِكِ من الدنيا كزاد الراكب ، وإياكِ ومجالسةَ الأغنياء ، ولا تستخلقي ثوباً حتىٰ ترقعيه » .

« ليستِ الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولـٰكن الزهادة أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أُصبت بها أرغبَ منك فيها لو أنها بقيت لك » .

« لا يبلغ المؤمنُ حقيقة التقوىٰ حتىٰ يدع ما لا بأس به حذراً ممَّا به بأس ،

ألا تسمعون ؛ ألا تسمعون إن البذاذة من الإيمان » المراد به : التواضع في اللباس .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لقد أُخِفتُ في الله ما لم يُخَفْ أحد ، وأُوذيت في الله ما لم يؤذ أحد ، ولقد أتىٰ عليَّ ثلاثون من بين يومٍ وليلةٍ ومالي ولبلالٍ من الطعام إلاّ شيء يواريه إبْط بلال » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جرس » .

« إن كنتم تُحبون حلية الجنة وحريرها . . فلا تلبسوها في الدنيا » .

« لا تنتِفوا الشيب ؛ فإنه ما من مسلمٍ يشيب شيبةً في الإسلام إلاَّ كانت له نوراً يوم القيامة » .

« إن الله طيبٌ يحبُّ الطيب ، نظيفٌ يحبُّ النظافة ، كريمٌ يحب الكرم ، جوادٌ يحب الجود ، فنظفوا أفنيتَكم ، ولا تشبَّهوا باليهود »

« ثلاثة لا تُردّ : الوسادة ، والدُّهن ، والطيب » .

« طيب الرجل ما ظهر ريحه وخفي لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه » .

« كل عينٍ زانيةٌ ، وإن المرأة إذا استعطرت ثم مرَّت بالمجلس . . فهي زانيةٌ » .

« أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة » .

« عشرٌ من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، والمضمضة ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبْط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء » . يعني الاستنجاء ، والبراجم : عُقد الأصابع الظاهرة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة » .

« من صوَّر صورةً . . عذَّبه الله بها يوم القيامة حتىٰ ينفخ فيها الروحَ وما هو بنافخ » .

« لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورةٌ ، ولا جُنبٌ ، ولا كلبٌ » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « السخي قريبٌ من الله ، قريبٌ من الناس ، قريبٌ من الجنة ، بعيدٌ من النار ، والبخيل بعيدٌ من الله ، بعيدٌ من الناس ، بعيدٌ من الجنة ، قريبٌ من النار ، ولَجاهلٌ سخيٌّ أحب إلى الله من عابدٍ بخيل » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « لا يحل لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يومٍ وليلةٍ إلاَّ ومعها محرمٌ لها » .

وقال صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرَّم أشياء فلا تقربوها ، وترك أشياء عن غير نسيان فلا تبحثوها » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا واحداً كشرب البعير ، ولٰكن اشربوا مثنىٰ وثلاث ، وسَمُّوا الله تعالىٰ إذا أنتم شربتم ، واحمدوا الله إذا أنتم رفعتم » .

« إذا شرب أحدكم . . فلا يتنفس في الإناء ، وغطوا الإناء ، وأوكوا السِّقاء ؛ فإن في السنة ليلةً ينزل فيها وباء ، لا يمرُّ بإناءٍ ليس عليه غطاءٌ أو سقاءٍ ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء » .

« كل مسكرٍ حرامٌ ، ومن شرب الخمر في الدنيا ، ومات وهو يدمنها لم يتب منها . . لم يشربها في الآخرة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « يقول الله : أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فإذا خانه . . خرجت من بينهما » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « أرأيتم لو أنَّ نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يومٍ خمس مراتٍ ما تقولون : هل يُبقي ذلك من

درنه شيئاً ؟ » قالوا : لا يُبقي ذلك من درنه شيئاً ، قال : « فذلك مَثَلُ الصلوات الخمس ، يمحو الله بها الخطايا » .

« يَعجَب ربك من راعي غنم في رأس شظية الجبلِ ، يؤذن بالصلاة ويصلي ، فيقول الله تعالىٰ : انظروا إلىٰ عبدي هـٰذا ، يؤذِّن ويقيم الصلاة ، يخاف منِّي ، قد غفرتُ لعبدي وأدخلته الجنة ، استقيموا ولن تُحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلاَّ مؤمنٌ » .

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع » .

« من نسي الصلاة . . فليصلِّها إذا ذكر ، لا كفارة لها إلاَّ ذلك » .

« بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة » .

« بين الكفر والإيمان ترك الصلاة ، العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها . . فقد كفر » .

« الذي تفوته صلاة العصر كأنَّما وُتِر أهلُهُ ومالُهُ ، من ترك صلاة العصر . . فقد حبط عمله » .

« لا تؤخر الصلاة إذا دخل وقتها ، والجنازة إذا حضرت ، والأيِّمَ إذا وجدت لها كفؤًا » .

« لا تؤخروا الصلاة لطعامٍ ولا لغيره ، إذا أُقيمتِ الصلاة وحضر العَشاء . . فابدؤوا بالعَشاء » .

« الوقت الأول من الصلاة رضوان الله ، والآخر عفو الله » .

« أسفروا بالفجر ؛ فإنه أعظم للأجر ، وإن أفضلَ العمل الصلاة لوقتها » .

« لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلاَّ أن يستهموا عليه لاستهموا » .

« إذا نُودي بالصلاة . . أدبر الشيطان وله ضراط حتىٰ لا يسمع التأذين ، حتىٰ إذا انقضى التثويب . . أقبل حتىٰ يخطِر بين المرء ونفسه ، يقول : اذكر

كذا ، لِمَا لم يكن يذكر من قبل ، حتىٰ يظل الرجل ما يدري كم صلَّىٰ » .

« إذا سمعتم النداء . . فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلُّوا عليَّ ؛ فإنه مَنْ صلّىٰ عليَّ صلاةً . . صلَّى اللهُ عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فمن سأل لي الوسيلة . . حلَّتْ له الشفاعة » .

« المؤذن يُغفر له مدَّ صوته ، ويشهد له كل رطبٍ ويابسٍ » .

« وشاهدُ الصلاة في الجماعة يكتب له خمس وعشرون صلاة ، ويكفَّر عنه ما بينهما » .

« صلاة الرجل في الجماعة تضعَّف علىٰ صلاته في بيته وسوقه خمساً وعشرين ضعفاً ؛ وذلك أنه إذا توضَّأ . . فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلاَّ الصلاة . . لم يخط خطوة إلاَّ رفعت له بها درجة ، وحطت عنه خطيئة ، فإذا صلَّىٰ . . لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه : اللهم ؛ صلِّ عليه ، اللهم ؛ ارحمه ، ولا يزال أحدكم في صلاةٍ ما انتظر الصلاة » .

« من صلَّى العِشاء في جماعةٍ . . فكأنما قام نصف الليل ، ومَنْ صلَّى الصبح في جماعةٍ . . فكأنما صلى الليل كله » .

« أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمرَ رجلاً يصلِّي بالناس ، ثم أنطلقَ معي برجالٍ معهم حزمٌ من حطبٍ إلىٰ قومٍ لا يشهدون الصلاة ، فأحرِّق عليهم بيوتهم » .

« أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدُّوا الخلل ، ولينوا بأيدي إخوانكم ؛ ولا تذروا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفاً . . وصله الله ، ومن قطعه . . قطعه الله » .

« أما يخشىٰ أحدكم إذا رفع رأسه من ركوعٍ أو سجودٍ قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمارٍ ، أو صورته صورة حمارٍ » .

« الجمعة حقٌّ واجبٌ علىٰ كل مسلمٍ في جماعةٍ إلاَّ علىٰ أربعة : عبدٍ مملوكٍ ، أو امرأةٍ ، أو صبيٍّ ، أو مريض » .

« الجمعة علىٰ مَنْ يسمع النداء ، من ترك ثلاث جُمَعٍ تهاوناً بها . . طبع الله علىٰ قلبه » .

« الوتر حقٌّ ؛ فمن لم يوتر . . فليس منّا » قالها ثلاثاً .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « يا عمّاه ؛ ألاَ أعطيك ، ألا أمنحُك ، ألا أحبوك ، ألا أفعل بك عشر خصال ؟ إذا أنت فعلتَ ذلك . . غفر الله ذنبك ؛ أوّلَه وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته ، عشر خصال : أن تصلي أربع ركعات ، تقرأ في كل ركعةٍ (فاتحة الكتاب) وسورةً ، فإذا فرغت من القراءة . . قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلاَّ الله ، والله أكبر ، خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكعٌ عشراً ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً ، ثم تهوي ساجداً فتقولها وأنت ساجدٌ عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ، ثم تسجد فتقولها عشراً ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشراً ، فذلك خمسٌ وسبعون في كل ركعةٍ ، تفعل ذلك في أربع ركعات ، إن استطعتَ أن تصليها في كل يومٍ مرةً . . فافعل ، وإلاَّ ففي كل جمعةٍ مرةً ، فإن لم تفعل . . ففي كل شهرٍ مرةً ، فإن لم تفعل . . ففي كل سنة ، فإن لم تفعل . . ففي عمرك مرة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبع مئة ضعف ، قال الله تعالىٰ : إلاَّ الصوم ؛ فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي ، للصائم فرحتان : فرحةٌ عند فطره ، وفرحةٌ عند لقاء ربه ، ولخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

« الصيام جُنَّة ، فإذا كان يومُ صومِ أحدكم . . فلا يرفث ، ولا يصخَب ؛

فإن شتمه أحدٌ ، أو قاتله . . فليقل : إني صائمٌ ، إني صائم » .

« من صام يوماً في سبيل الله تعالىٰ . . جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض » .

« إنَّ في الجنة باباً يقال له : الريان لا يدخله إلاَّ الصائمون ، فإذا دَخَلوه . . أغلق فلم يدخل منه أحدٌ ، ومَنْ دخله . . لم يظمأ أبداً » .

« من فطر صائماً . . كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيءٌ » .

« إذا دخل رمضان . . فُتِحتْ أبواب الجنة ، وغُلِّقتْ أبواب النار ، وسُلسلت الشياطين ، ويُنادي منادٍ كل ليلة : يا باغيَ الخير ؛ هلم ، ويا باغي الشرِّ ؛ أقصر » .

« لا تصوموا حتىٰ تروا الهلال ، ولا تُفطروا حتىٰ تروه ؛ فإن غمَّ عليكم . . فأكملوا العدة ثلاثين » .

« من لم يدع قول الزور والعملَ به . . فليس لله تعالىٰ حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . قوله : (ولخُلوف) هو بضم الخاء : تغير الفم لأجل ترك الأكل والشرب .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « من أُصيب بمصيبةٍ فقال ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم ؛ أجرني في مصيبتي ، واخلف لي خيراً منها إلاَّ خلف الله له خيراً منها » .

« إذا مات ولد العبد . . قال الله لملائكته عليهم السلام : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حَمِدك واسترجع ، فيقول : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد » .

« إن الله لا يرضىٰ لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيِّه من أهل الأرض ، فصبر واحتسب بثوابٍ دون الجنة » .

« إذا مرض العبد.. بعث الله تعالىٰ إليه ملكينِ فقال : انظرا ماذا يقول لعوَّاده ؟ فإن هو إذا جاؤُوه حمد الله وأثنىٰ عليه.. رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم ، فيقول : لعبدي عليَّ إن توفيته أن أُدخله الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، وأن أُكفِّر عنه سيئاته » .

« المؤمن الذي يُخالط الناس ، ويصبر علىٰ أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالطهم ولا يصبر علىٰ أذاهم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يقول الله عز وجل : من أذهبتُ حبيبتيه فصبر واحتسب.. لم أرض له ثواباً دون الجنة » . قوله : (حبيبتيه) يعني عينيه .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إن الصدق يهدي إلى البرِّ ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل لَيَصدُقُ ويتحرَّى الصدق حتىٰ يكتب عند الله صِدِّيقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل لَيَكذِبُ ويتحرى الكذب حتىٰ يكتب عند الله كذَّاباً » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « سبق درهم مئة ألف درهم » قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : « كان لرجلٍ درهمان ، فتصدَّق بأجودهما ، وانطلق آخر إلىٰ عرض ماله ، فأخرج منه مئة ألف درهمٍ فتصدَّق بها » .

« ما من يومٍ يصبح فيه العباد إلاَّ وملكان ينزلان من السماء ، يقول أحدهما : اللهم ؛ أعطِ منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم ؛ أعطِ ممسكاً تلفاً » .

« الصدقة تطفىء غضب الرب ، وتدفع مِيتة السوء » .

« دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله ، ودينارٌ أنفقتَه في رقبةٍ ، ودينارٌ تصدَّقتَ به علىٰ مسكينٍ ، ودينارٌ أنفقته علىٰ أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته علىٰ أهلك » .

« إن المسلم إذا أنفق علىٰ أهله نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقة » .

« من وسَّع علىٰ عياله في النفقة يوم عاشوراء . . وسَّع الله عليه سائر سنته » .

« بادروا بالصدقة ؛ فإن البلاء لا يتخطَّاها » .

« اتقوا النار ولو بشق تمرة » .

« ما نقص مالٌ من صدقةٍ ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلاَّ عزًا ، ولا تواضع عبدٌ لله إلاَّ رفعه الله » .

وخطب رسول الله صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم يوماً ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ . . . ﴾ الآية ، والآية التي في (الحشر) : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ . . . ﴾ الآية ، ثم قال : « لِيتصدقِ الرجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، حتىٰ قال : ولو بشق تمرة » ، فجاء رجلٌ من الأنصار بصرَّةٍ كادت كفه تعجز عنها ، حتىٰ تتابع الناس ، حتىٰ رأيت كومينِ من ثياب وطعام ، حتىٰ تهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « مَنْ سَنَّ في الإسلام سنةً حسنةً . . فله أجرها وأجر مَنْ عمل بها مِن بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ ، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سنةً سيئةً . . كان عليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها مِن بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « الرحم معلقةٌ بالعرش ، تقول : من وصلني . . وصله الله ، ومن قطعني . . قطعه الله ، من سره أن يبسط الله تعالىٰ له في رزقه ، وأن يُنْسأ له في أثره ـ أي الأجل ـ . . فليصلْ رحمه » .

« الصدقة على المسكين صدقةٌ ، وعلىٰ ذي الرحم ثنتان : صدقة وصلة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ . . لأمرتُ الزوجة أن تسجد لزوجها » .

« أيما امرأةٍ ماتت وزوجها عنها راضٍ . . دخلتِ الجنة » .

« والذي نفسي بيده ؛ ما من رجلٍ يدعو امرأته إلىٰ فراشه ، فتأبىٰ عليه إلاَّ كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتىٰ يرضىٰ عنها زوجها » .

« استوصوا بالنساء ، فإنَّ المرأة خُلِقتْ من ضِلَعٍ ، وإن أعوج ما في الضِّلَع أعلاه ، فإن ذهبت تُقيمه . . كسرتَهُ ، وإن تركتَهُ . . لم يزل أعوجَ ؛ فاستوصوا بالنساء خيراً » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إياكم والظنَّ ؛ فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونو عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالىٰ ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، بحسب امرِىءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرامٌ ، ماله ودمه وعرضه » .

« إن اللهَ لا ينظر إلىٰ صوركم وأجسادكم ، ولـٰكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم ، التقوىٰ هـٰهنا ، التقوىٰ ههنا ، التقوىٰ ههنا ، ويشير إلىٰ صدره ألا لا يَبْغِ بعضكم علىٰ بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث » .

« حق المسلم على المسلم خمسٌ : ردُّ السلام ، وعيادة المريض ، واتِّباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

« أطعموا الجائع ، وعُودوا المريض ، وفكوا العانيَ » . « إياكم والجلوسَ في الطرقات ، إذا أبيتم إلاَّ المجلس . . فأعطوا الطريق حقَّه : غض البصر ، وكف الأذىٰ ، وردُّ السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتعينوا الملهوف ، وتَهدوا الضال » .

« لا يقيمنَّ أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولـٰكن توسَّعوا ،

وتفسحوا . . يفسحِ الله لكم » . « إذا كانوا ثلاثة . . فلا يتناجى اثنانِ دون الثالث ؛ فإن ذلك يُحزِنه » .

« لا يحل لرجلٍ أن يجلس بين اثنين إلاَّ بإذنهما » .

« صفة الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسكِ ، ونافخ الكير ، فصاحب المسك إما أن يُحذِيَك ، وإما أن تبتاع منه ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريحاً خبيثةً » .

« المجالس بالأمانة إلاَّ ثلاثة : سفك دم حرام ، وفرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق » .

« والذي نفسي بيده ؛ لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابُّوا ، ألا أدلكم علىٰ شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

« مثل المؤمنين في توادِّهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكىٰ منه عضوٌ . . تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمَّىٰ » .

« إذا أحب أحدكم أخاه . . فليخبره أنه يحبه » .

« إنَّ من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة ؛ لمكانهم من الله تعالىٰ ، هم قومٌ تحابُّوا بروح الله علىٰ غير أرحامٍ بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فواللهِ ؛ إنَّ وجوههم لنورٌ ، وإنهم لعلىٰ نورٍ ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم قرأ هـٰذه الآية : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أفضل الأعمال : الحبُّ في الله ، والبغض في الله ، ومن كان في حاجة أخيه . . كان الله في حاجته » .

« ومن فرَّج عن مسلمٍ كربةً . . فرَّج الله عنه بها كربةً من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً . . ستره الله يوم القيامة ، ومن مشىٰ مع مظلومٍ حتىٰ ثبَّتَ له حقه . . ثبَّت الله تعالىٰ قدميه على الصِّراط يوم تَزِلُّ الأقدام ، ومَنْ يسَّر علىٰ معسرٍ . . يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

« ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً . . سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالىٰ : يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلاَّ نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتْهُم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بَطَّأَ به عمله . . لم يسرع به نسبه » .

« الدِّين النصيحة ، وإن أحدكم مرآة أخيه ، فإن رأىٰ به أذىً . . فليمطه عنه » .

« من ذبَّ عن عرض أخيه . . ردَّ الله النار عن وجهه يوم القيامة » .

« ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقِّر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف ويَنهَ عن المنكر » .

« إن من إجلال الله تعالىٰ إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ، ولا الجافي عنه ، وإكرام ذي السُّلطان المقسط » .

« ما أكرم شابٌّ شيخاً لسِنِّه إلاَّ قيَّض الله تعالىٰ له من يكرمه عند سنه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « أولى الناس بالله مَنْ بدأهم بالسلام » .

« إذا انتهىٰ أحدكم إلى المجلس . . فليسلِّم ؛ فإن أراد أن يقوم . . فليسلِّم ؛ فليست الأُولىٰ بأحقَّ من الآخرة » .

« يا بني ؛ إذا دخلت علىٰ أهلك . . فسلم ؛ يكن سلامك بركة عليك وعلىٰ أهل بيتك » .

« ما من مسلمَينِ يلتقيان فيتصافحان إلاَّ غُفر لهما قبل أن يتفرقا » .

« تصافحوا . . يَذهبِ الغل ، وتَهادُوا تحابوا وتذهب الشحناء » .

« إن الله يحب العُطاس ، ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم فحمد الله . . فحقٌّ علىٰ كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله ، وأما التثاؤب . . فإنما هو من الشيطان » .

« ما من رجلٍ يعود مريضاً ممسياً إلاَّ خرج معه سبعون ألفَ مَلَكٍ ، يستغفرون له حتىٰ يصبحَ ، وكان له خريف في الجنة ، ومن أتاه مصبحاً . . خرج معه سبعون ألفَ ملك ؛ يستغفرون له حتىٰ يُمسيَ ، وكان له خريفٌ في الجنة » . الخريف هنا : هو الحائط في الجنة من النخل .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من عاد مريضاً لم يحضر أجلُه ، فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم ، ربَّ العرش العظيم أن يشفيَك . . إلاَّ عافاه الله تعالىٰ من ذلك المرض » .

« إذا دخلتم علىٰ مريضٍ . . فنفِّسوا له في أجله ؛ فإن ذلك يطيِّب نفسه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننتُ أنه سيوَرِّثه » .

« لا يدخل الجنة مَنْ لا يأمن جارُه بوائقه » .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليُكرِمْ ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليحسن إلىٰ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليقل خيراً أو ليسكت » .

« لا يحلُّ لمؤمنٍ أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث » .

« تُعرَض الأعمال في كل خميسٍ وإثنين ، فيغفر الله عزَّ وجل في ذلك اليوم لكل امرئٍ لا يشرك بالله شيئاً إلاَّ مَنْ كان بينه وبين أخيه شحناء ، فيقول : اتركوا هـٰذينِ حتىٰ يصطلحا » .

« يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلىٰ قلبه ؛ لا تُؤذوا المسلمين ، ولا تُعيِّروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه مَنْ يتبعْ عورة أخيه المسلم . . يتبعِ الله عورته ، ومن يتبع الله عورته . . يفضحْهُ ولو في جوف رحله » .

« من رأىٰ عورةً فسترها . . كان كمن أحيا موؤدةً قَبَرَها » .

« لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلاَّ ستره الله تعالىٰ يوم القيامة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « ألا لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلاَّ مع ذي محرم » .

« لا تصاحب إلاَّ مؤمناً ، ولا يأكلْ طعامك إلاَّ تقي » .

« المرء علىٰ دين خليله ؛ فلينظر أحدكم من يخالل » .

« ألا أُخبرُكم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة » قالوا : بلىٰ ، قال : « صلاح ذات البين ؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول : تحلق الشعر ولـٰكن تحلق الدِّين » .

« أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ، ثم يفشوا الكذب ، حتىٰ يحلف الرجل ولا يُستَحْلَف ، ويشهد الشاهد ولا يُستشهَد » .

« ألا لا يخلونَّ رجل بامرأة إلاَّ كان ثالثهما الشيطان » .

« عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ؛ فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، ومن أراد بحبوحة الجنة . . فليلزمِ الجماعة » .

« من سرته حسنته ، وساءته سيئته . . فذلكم المؤمن » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « ألا أدلكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ » قالوا : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخُطىٰ إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة . . فذلكمُ الرِّباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » .

« ما من مسلمٍ يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلي ركعتينِ ، يُقبِل عليهما بقلبه ووجهه إلاَّ وجبتْ له الجنة ، ما منكم من رجلٍ يقرب وضوءه ، فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلاَّ خرجت خطاياه من وجهه وفيه وخياشيمه ، ثم إذا غسل وجهه . . خرجت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم إذا غسل يديه مع المرفقين . . خرجت خطايا يديه من أنامله مع الماء ، ثم إذا مسح رأسه . . خرجت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم إذا غسل قدميه مع الكعبين . . خرجت خطايا رِجليه من أنامله مع الماء ، فإن هو قام : فصلىٰ

فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ومجده بالذي هو أهله ، وفرَّغ قلبه لله . . إلاَّ انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه : « إذا دخل الرجل منزله ، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه . . قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإن ذكر الله عند دخوله ولم يذكره عند عشائه . . يقول : أدركتم العشاء ولا مبيت لكم ، وإن لم يذكرِ الله عند دخوله ولا عند عشائه . . قال : أدركتم المبيت والعشاء » .

« لا يأكلنَّ أحدكم بشماله ولا يشربنَّ بها ؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها » .

« إذا أكل أحدكم طعاماً . . فليقل : باسم الله ، فإن نسي في الأول . . فليقل في الآخر : باسم الله في أوله وآخره » .

« تنزل البركة وسط الطعام ، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه » .

« ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيماتٌ يقمن صلبه ؛ فإن كان لا محالة فاعلاً . . فثلثٌ لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسِه » .

« طعام الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي الثمانية ؛ فإن أكثر الناس شِبَعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة » .

« إذا أكل أحدكم طعاماً . . فلا يمسح يده حتىٰ يلعقها ، أو يُلْعِقَها غيره » .

« إنكم لا تدرون في أيِّ طعامكم البركة ؛ فإذا وقعت لقمة أحدكم . . فليأخذها وليُمِطْ ما كان بها من أذىً ، ولا يدَعْها للشيطان ؛ فإن آنية الطعام تستغفر للذي يلعقها ويغسلها ، وتقول : أعتقك الله من النار كما أعتقتني من الشيطان » .

« بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده » .

« إن الشيطان حسَّاس لحاس ، فاحذروه علىٰ أنفسكم » .

« من بات وفي يده غَمَر فأصابه شيءٌ . . فلا يلومنَّ إلا نفسه » .

« إذا اشترىٰ أحدكم لحماً . . فليكثر مرقته ؛ فإن لم يجد لحماً . . أصاب مرقاً ، وهو أحد اللحمينِ » .

« أجيبوا هـٰذه الدعوة إذا دعيتم » .

« كل غلامٍ رهينةٌ بعقيقته ؛ تُذبح عنه يوم سابعه ، ويُحلَقُ رأسه ويُسمَّىٰ » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إن الله تعالىٰ أنزل الدَّاء والدَّواء ، وجعل لكل داءٍ دواءً ، فتداوَوْا ولا تتداوَوْا بحرامٍ ، فإذا أُصيب دواء الداء . . برىء بإذن الله تعالىٰ » .

« لا تُكرِهوا مرضاكم على الطعام والشراب ؛ فإن الله تعالىٰ يطعمهم ويسقيهم » .

« ما من داءٍ إلاَّ في الحبة السوداء منه شفاء إلاَّ السَّام » .

« لو أنَّ شيئاً كان فيه شفاءٌ من الموت . . كان في السناء » « عليكم بالإثمد ؛ فإنه من خير أكحالكم يجلو البصر ، وينبت الشعر » .

« الحمىٰ من فيح جهنم ، فأبردوها عنكم بالماء » .

« الشفاء في ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية بنارٍ ، وأنهىٰ أمتي عن الكي » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « العين حقٌّ ، ولو كان شيءٌ سابقَ القدر . . سبقته العين ، وإذا استغسلتم . . فاغسلوا » .

« إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ . . فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها . . فلا تخرجوا منها » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « ما أحل الله شيئاً أبغض من الطلاق ، أيما امرأةٍ سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس . . فحرامٌ عليها رائحة الجنة » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « لا عدوىٰ ولا طيرة ، ويعجبني الفأل » ، قالوا : وما الفأل ؟ قال : « كلمة طيبة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « فضل العالم على العابد كفضلي علىٰ أدناكم ، إن الله تعالىٰ وملائكته عليهم السلام ، وأهل السماوات وأهل الأرض ، حتى النملة في حجرها ، والحيتان في البحر يصلُّون علىٰ معلمي الناس الخير » .

« نعم الرجل الفقيه في الدِّين ؛ إن احتيج إليه . . نفع ، وإن استُغنِي عنه . . أغنىٰ نفسه » .

« فقيهٌ واحدٌ أشد على الشيطان من ألف عابدٍ » .

« من أحيا سنةً من سنتي أُميتت بعدي . . فقد أحبني ، ومن أحبني . . كان معي » .

« من سلك طريقاً يطلب به علماً . . سلك الله به طريقاً من طُرُقِ الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً ، ولـٰكن ورَّثوا العلم ، فمن أخذه . . أخذ بحظٍّ وافرٍ » .

« من يردِ الله به خيراً . . يفقهه في الدِّين » .

« من خرج في طلب العلم . . فهو في سبيل الله تعالىٰ حتىٰ يرجع » .

« من طلب العلم . . كان كفارةً لما مضىٰ » .

« تعلموا الفرائض والقرآن ، وعلموا الناس ؛ فإني امرؤٌ مقبوض » .

« لن يشبع المؤمن من خيرٍ يسمعه حتىٰ يكون منتهاه الجنة » .

« الكلمة الحكمةُ ضالة المؤمن ، فحيث وجدها . . فهو أحق بها » .

« من سُئِل عن علمٍ فكتمه . . ألجم بلجامٍ من نارٍ » .

« والله ؛ لأن يُهدىٰ بهداك رجل واحد خير لك من حمر النَّعَم » .

« إن الناس لكم تبعٌ ، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقَّهون في الدِّين ، فإذا أتوكم . . فاستوصوا بهم خيراً » .

« نضر الله امْرَأً سمع منَّا شيئاً ، فبلغه كما سمعه ؛ فربَّ مبلَّغٍ أوعىٰ من سامع » .

« اتقِ الله فيما تعلمُ واعمل به ، إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولـٰكن يقبض العلم بقبض العلماء ؛ حتىٰ إذا لم يُبق عالماً . . اتخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً ، فسُئِلوا فأفتوا بغير علمٍ ، فضلوا وأضلوا » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « لولا أنكم تُذنبون . . لذهب الله تعالىٰ بكم ، وخلق خلقاً يذنبون فيغفر لهم ، والذي نفسي بيده ؛ لو لم تذنبوا . . لخشيت عليكم ما هو أشد منه ؛ وهو العُجْب ، يقول الله تعالىٰ : يا ابن آدم ؛ إنك ما دعوتني ورجوتني . . غفرتُ لك ولا أُبالي ، ياابن آدم ؛ إنك لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتني . . غفرتُ لك علىٰ ما كان منك ولا أُبالي ، يا ابن آدم ؛ إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً . . لأتيتك بقُرابها مغفرة » .

« كان في بني إسرائيل رجلان متواخيان : أحدهما مذنبٌ ، والآخر في العبادة يجتهد ، فكان المجتهد لا يزال يلقى الآخر علىٰ ذنبٍ ، فيقول : أقصر فوجده يوماً علىٰ ذنبٍ ، فقال : أقصر!! فقال : خَلِّني وربي ، أَبُعِثْتَ عليَّ رقيباً ؟ فقال له : والله ؛ لا يغفر الله لك ـ أو قال : لا يدخلك الجنة ـ فقبض الله أرواحهما ، فاجتمعا عند رب العالمين ، فقال الرب تعالىٰ للمجتهد : أكنتَ علىٰ ما في يدي قادراً وقال للمذنب : اذهب ، فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار » .

قال أبو هريرة : (تكلَّم ـ والله بكلمة ـ أوبقت دنياه وآخرته) .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « لا يدخل الجنة سيء الملكة ، حُسْنُ الملكة نماءٌ ـ أو قال : يمن ـ وسوء الخلق شؤمٌ » ، قيل :

يا رسول الله ؛ كم أعفو عن الخادم ؟ فقال : « اعف عنه في كل يوم سبعين مرة ، هم إخوانكم وخَوَلكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده . . فليطعمه ممَّا يأكل ، وليلبسه ممَّا يلبس ، ولا تُكلِّفوهم من العمل ما يغلبهم ؛ فإن كلفتموهم . . فأعينوهم عليه ، أيما رجلٍ أعتق امرَأً مسلماً . . استنقذ الله تعالىٰ بكل عضوٍ منه عضواً من النار » .

« إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله تعالىٰ . . فارفعوا أيديكم عنه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إن الله تعالىٰ يَغار ، وإن المؤمن يغار ، وإن غَيرة الله أن يأتيَ المؤمن ما حرَّم الله تعالىٰ عليه ، لا أحد أغير من الله ؛ من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

« لا أحد أحب إليه المدح من الله ؛ من أجل ذلك مدح نفسه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « ما تعدون الصُّرَعة فيكم ؟ » قالوا : الذي لا تصرعه الرجال ، قال : « لا ، ولـٰكنه الذي يملك نفسه عند الغضب » .

« إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم . . فليتوضأ ، إذا غضب أحدكم وهو قائم . . فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب ؛ وإلا . . فليضطجع » .

« من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه . . دعاه الله تعالىٰ علىٰ رؤوس الخلائق حتىٰ يخيره في أيِّ الحور شاء » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « من ظلم قِيد شبرٍ من الأرَضين . . طُوِّقَه من سبع أرضين » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « أتدرون ما الغيبة ؟ » ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « ذكر أحدكم أخاه بما يكره » فقال رجل : أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول . . فقدِ اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول . . فقد بَهَتَّه » .

« مررتُ ليلة المعراج بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يخمشون بها وجوههم ، فقلتُ : من هـٰؤلاء يا جبريلُ ؟ فقال : هـٰؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم » .

« إن أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق » .

« لا يدخل الجنة نمَّام » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة . . يُرفع لكل غادرٍ لواءٌ يعرف به ، فيقال : هـٰذه غدرة فلان » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشِّرهم إذا أيسوا ، ولواء الحمد يومئذٍ بيدي وأنا أكرم ولد آدم علىٰ ربي ولا فخر ، إذا كان يوم القيامة . . كنت أنا إمامَ النبيين وخطيبهَم وصاحبَ شفاعتهم غير فخر ، أُعطيت خمساً لم يعطَهنَّ أحدٌ قبلي : كان كل نبيٍّ يبعث إلىٰ قومه خاصة وبُعثتُ إلى الأحمر والأسود ، وأُحلتْ لي الغنائم ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلي ، وجُعلتْ لي الأرض طيبةً وطهوراً ومسجداً ، فأيما رجلٍ أدركته الصلاة . . صلَّىٰ حيث كان ، ونُصرتُ بالرعب على العدوِّ بين يدي مسيرة شهر ، وأُعطيتُ الشفاعة ، وبُعثت بجوامع الكلم » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدهم قوماً يَشهدون ولا يُستشهَدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

« أصحابي كالنجوم ؛ بأيهم اقتديتم . . اهتديتم » .

« لا تمس النار مسلماً رآني أو رأىٰ مَنْ رآني » .

« لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده ؛ لو أن أحداً أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » .

« ما من أحدٍ يموت من أصحابي بأرضٍ إلاَّ بُعث لهم نوراً وقائداً يوم القيامة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله صحبه وسلم : « وعدني ربي أن يُدْخِل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عقاب ، ومع كل ألفٍ سبعون ألفاً ، وثلاث حَثَيات من حَثَيات ربي » .

« باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه بسير الراكب المجدِّ المسرع المجوِّد ثلاثاً ، ثم إنهم يتضاغطون عليه حتىٰ تكاد مناكبهم تزول ، وهم شركاء الناس في سائر الأبواب » .

« أهل الجنة عشرون ومئةُ صفٍ ، ثمانون من هٰذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم » .

« كل أمتي يدخلون الجنة إلاَّ مَنْ أبىٰ » فقالوا : من يأبىٰ ، قال : « من أطاعني . . دخل الجنة ، ومن عصاني . . فقد أبىٰ » .

« أمتي أمةٌ مرحومةٌ ليس عليها عذاب في الآخرة ، عذابها في الدنيا : الفتن والزلازل والقتل » .

« أنزل الله عليَّ أمانين لأمتي : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فإذا مضيت . . تركت فيهم الاستغفار إلىٰ يوم القيامة » .

« إن من أمتي من يشفع في الفئام من الناس ، ومنهم من يشفع في القبيلة ، ومنهم من يشفع في العُصبة ، ومنهم من يشفع في الواحد حتىٰ يدخل الجنة ، وإنما شفاعتي في أهل الكبائر من أمتي ، وإنه ليؤمر برجلٍ إلى النار فيمر برجلٍ قد سقاه شربة ماء علىٰ ظمأٍ فيعرفه ، فيقول : ألا تشفع لي ؟ فيقول : من أنت ؟ فيقول : ألست أنا سقيتك الماء يوم كذا وكذا ؟ فيعرفه فيشفع له ، فيُرَد من النار إلى الجنة » .

« لا يزال ناسٌ من أمتي ظاهرين حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلىٰ رمضان . . كفاراتٌ لما بينهنَّ ما لم تغشُ الكبائر » .

« من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتىٰ يسبِّح ركعتي الضحىٰ لا يقول إلاَّ خيراً . . غفر الله له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر » .

« من توضأ فأحسن وضوءه ، ثم صلَّىٰ ركعتين لا يسهو فيهما . . غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه » .

« صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِّ بسبعٍ وعشرين درجة » .

« ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بدوٍ لا تقام فيهم الصلاة إلاَّ قدِ استحوذ عليهم الشيطان ؛ فعليكم بالجماعة » .

« من صلىٰ صلاة العشاء في جماعة . . فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعةٍ . . فكأنما قام الليلَ كله » .

« من صلَّىٰ أربعين يوماً في جماعة . . لم تفته تكبيرة الإحرام . . كتب الله له براءتين : براءة من النار ، وبراءة من النفاق » .

وعن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرٍ ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ؛ أخبرني بعملٍ يدخلني الجنة ويباعدني من النار ؟ فقال : « لقد سألتَ عن عظيمٍ وإنه ليسير علىٰ من يسَّره الله عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتُؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك علىٰ أبواب الخير ؟ » قلت : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « الصوم جُنَّة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل شعار الصالحين ، ثم تلاَ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ . . . ﴾ إلىٰ قوله :

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ، ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ » قلت : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبركم بملاك ذلك كلِّه ؟ » قلت : بلىٰ ، قال : « كفَّ عليك هٰذا » ، وأشار إلىٰ لسانه ، قلت : يا رسول الله ؛ وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟! قال : « ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكبُّ الناسَ في النار علىٰ وجوههم ـ أو قال : علىٰ مناخرهم ـ إلاَّ حصائدُ ألسنتهم » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالىٰ : من عادىٰ لي ولياً . . فقد آذنته بحربٍ ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبَّه ، فإذا أحببته . . كنت سمعَهُ الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني . . أعطيته ، وإن استعاذني . . أعذته » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إن في الجنة غُرَفاً يُرَىٰ ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها » ، فقام أعرابيٌّ فقال : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلَّىٰ بالليل والناس نيام » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « يقول الله عزوجل : أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإذا ذكرني في نفسه . . ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ . . ذكرته في ملأٍ خيرٍ منه ، فإن اقترب إليَّ شبراً . . اقتربتُ إليه ذراعاً ، وإن اقترب إليَّ ذراعاً . . اقتربتُ منه باعاً ، وإن أتاني ماشياً . . أتيتُهُ هرولة » .

« من جاء بالحسنة . . فله عشر أمثالها وأزيد ، ومن جاء بالسيئة . . فجزاء سيئةٍ مثلها وأغفر ، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشركُ بي شيئاً . . لقيته بمثلها مغفرة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « ثلاثٌ من كُنَّ فيه . . نشر الله عليه كنفه ، وأدخله الجنة : رفق بالضعيف ، والشفقة على الوالدين ، والإحسان إلى المملوك » .

« سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلاَّ ظله : إمامٌ عادلٌ ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله تعالىٰ ، ورجلٌ قلبه مُعلَّقٌ بالمسجد حتىٰ يعود إليه ، ورجلان تحابَّا في الله : اجتمعا علىٰ ذلك وتفرَّقا عليه ، ورجلٌ دعتْهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » .

« من دعا إلىٰ هدىً . . كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلىٰ ضلالةٍ . . كان عليه من الإثم مثل آثام مَنِ اتبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً ، الدالُّ على الخير كفاعله » .

« ما من مسلمٍ يغرس غرساً أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلاَّ كان له به صدقةٌ » .

« ما يصيب المؤمنَ من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ ، ولا سقمٍ ولا حزنٍ ، حتى الهم يهمه . . إلاّ كفر الله به من سيئاته » .

« إذا أراد الله بعبدٍ خيراً . . عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده شراً . . أمسك عنه حتىٰ يوافي به يوم القيامة » .

« إن عُظْم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالىٰ إذا أحبَّ قوماً . . ابتلاهُم ؛ فمن رضي . . فله الرضا ، ومن سخط . . فله السخط » .

« يودُّ أهل العافية في الدنيا يوم القيامة حين يُعطَىٰ أهل البلاء الثواب أن لو كانتْ جلودهم قُرضتْ في الدنيا بالمقاريض » .

« لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة : في نفسه وولده وماله حتىٰ يلقى الله وما عليه خطيئة » .

« إذا كان العبد يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرضٌ أو سفرٌ . . كتب الله له كصالح ما كان يعمل وهو صحيحٌ مقيم » .

« من كان له فَرَطان من أمتي . . دخل الجنة بهما » قالت عائشة رضي الله عنها : ومن كان له فَرَط ؟ قال : « ومن كان له فرط يا موفقة » قالت : فمن لم يكن له فرطٌ من أمتك ؟ قال : « أنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلي » .

« من أحبَّ لقاء الله . . أحبَّ الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله . . كره الله لقاءه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « لا يؤمن عبدٌ حتىٰ يؤمن بالقَدَر خيره وشره ، وحتىٰ يعلم أن ما أصابه . . لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه . . لم يكن ليصيبه » .

« إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : يا رب ؛ وما أكتب ؟ قال : اكْتُبْ مقادير كل شيءٍ حتىٰ يوم القيامة » .

« من مات علىٰ غير هٰذا . . فليس منِّي » .

« ما منكم من أحدٍ إلاَّ وقد كُتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة » . فقالوا : يا رسول الله ؛ أفلا نتكل علىٰ كتابنا ؟ فقال : « اعملوا ؛ فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له ، أما من كان من أهل السعادة . . فسيصير إلىٰ عمل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء . . فسيصير إلىٰ عمل الشقاء » .

« المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خيرٌ » .

« احرص علىٰ ما ينفعك ، واستعن بالله تعالىٰ ولا تعجز ، وإن أصابك شيءٌ . . فلا تقل : لو أني فعلتُ . . لكان كذا وكذا ، ولٰكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل ؛ فإنَّ (لو) تفتح عمل الشيطان » .

« من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله تعالىٰ ، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله تعالىٰ ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالىٰ » .

« لكل أمةٍ مجوسٌ ، ومجوس هٰذه الأمة الذين يقولون : أَنْ لا قدر » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « من أصبح آمناً في سِرْبه[1] ، معافىً في بدنه ، عنده قوت يومه .. فكأنَّما حيزت له الدنيا بحذافيرها[2] » .

« ليس لابن آدم حقٌّ في سوىٰ هـٰذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوبٌ يوارىٰ به عورته ، وجِلف الخبز[3] والماء » .

« طوبىٰ لمن هُدِي للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع ، ومن يستعفف .. يعفه الله ، ومن يستغنِ .. يغنِهِ الله تعالىٰ ، ومن يتصبر .. يصبِّره الله ، وما أُعطي أحدٌ عطاءً هو خيرٌ وأوسعُ من الصبر » .

« ابن آدم ؛ إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك ، وإن تُمسِكْه شرٌّ لك ، ولا تلام علىٰ كفافٍ ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلىٰ » .

« لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله .. لرزقكم كما يرزق الطير ؛ تغدو خماصاً وتروح بطاناً » .

« ليس الغني عن كثرة العرض ، ولـٰكن الغنىٰ غنى النفس » .

« ليس المسكين الذي تردُّه اللُّقمة واللُّقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولـٰكن المسكين الذي لا يجد غنىً يُغنيه ، ولا يُفطن به فيُتَصَدَّق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس » .

« إذا نظر أحدكم إلىٰ من فضلَ عليه في المال والخُلُق .. فلينظر إلىٰ مَنْ هو أسفل منه ؛ فذلك أجدر ألاَّ تزدروا نعمة الله عليكم » .

« لأن يأخذ أحدكم أَحْبُلَه ، ثم يأتي الجبل ، فيأتي بحزمةٍ من حطب علىٰ ظهره فيبيعها .. خيرٌ له من أن يسأل الناس : أعطوه أو منعوه » .

---

(١) أي: نفسه. اهـ من خط مؤلفه رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أي: بأسرها. اهـ بخط مؤلفه .

(٣) قوله: (جلف الخبز) أي: بغير إدام أو الغليظ منه، وهو بكسر الجيم «قاموس». كذا بخط المؤلف رحمه الله ونفعنا به آمين .

« من سأل الناس وله ما يغنيه . . جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « من جُعل قاضياً بين الناس . . فقد ذُبح بغير سكين » .

« من ابتغى القضاء وسأل فيه شفعاء . . وُكِلَ إلىٰ نفسه ، ومن أُكرِه عليه . . أنزل الله إليه ملكاً يسدده » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » .

« كل ذنبٍ عسى الله أن يغفره إلاَّ الرجل يقتل المؤمن متعمداً ، أو الرجل يموت كافراً » .

« قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا ، لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن . . لأكبهم الله تعالىٰ في النار » .

« لا يحلُّ دم امرىءٍ مسلمٍ إلاَّ بإحدىٰ ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إذا فعلتْ أُمتي خمس عشرة خصلة . . حلَّ بها البلاء » قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : « إذا كان المغنم دولاً ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، وأطاع الرجل زوجته ، وعقَّ أمه ، وبَرَّ صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرم الرجلُ مخافة شره ، وشُرب الخمر ، ولُبس الحرير ، واتُّخِذت القينات ، والمعازف ، ولعن آخِرُ هـٰذه الأمة أولها . . فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً وقذفاً » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن ، وحنىٰ جبهته ، وأصغىٰ سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ »

فقالوا : كيف نفعل ـ أو كيف نقول ـ ؟ قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، توكلنا على الله » .

« يا أيها الناس ؛ إنكم تحشرون إلى الله تعالىٰ حفاة عراة غُرْلاً ، ألا وإن أول الخلائق يُكسَىٰ يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ، ألا وإنه سيُجاء برجالٍ من أمتي فيُؤخَذُ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب ؛ أصحابي ؟ فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ . . . ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ قال : فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدِّين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول : سحقاً سحقاً » .

« يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنف مشاة ، وصنف ركبان ، وصنف علىٰ وجوههم ؛ إن الذي أمشاهم علىٰ أقدامهم قادرٌ أن يُمشِيَهم علىٰ وجوههم » .

« يعرق الناس يوم القيامة حتىٰ يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، وإنه يُلجمهم حتىٰ يبلغ آذانهم » .

« من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه من عرضه أو شيءٍ منه . . فليستحلله منه اليوم من قبل ألاَّ يكون دينارٌ ولا درهمٌ ؛ إن كان له عمل صالح . . أُخِذَ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات . . أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

« إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت . . فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت . . فقد خاب وخسر ، وإن انتقص من فريضته شيئاً . . قال الربُّ تبارك وتعالىٰ : انظروا هل لعبدي من تطوّعٍ فيكمَّل به ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله علىٰ ذلك » .

« لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن أربعٍ : عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه » .

« يؤتىٰ بالعبد يوم القيامة ، فيقول الله تعالىٰ له : ألم أجعل لك سمعاً

وبصراً ، ومالاً وولداً ، وسخرتُ لك الأنعام والحرث ، وتركتك ترأس وتَرْبَع ؟[1] أكنتَ تظنُّ أنك ملاقي يومك هـٰذا ؟ فيقول : لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني » .

« إذا كان يوم القيامة . . ماج الناس بعضهم إلىٰ بعض ، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون : اشفع لذرِّيتك ؟ فيقول : لستُ لها ، ولـٰكن عليكم بإبراهيم عليه السلام ؛ فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : لستُ لها ، ولـٰكن عليكم بموسىٰ ؛ فإنه كليم الله تعالىٰ ، فيُؤتَىٰ موسىٰ عليه السلام ، فيقول : لست لها ، ولـٰكن عليكم بعيسىٰ ؛ فإنه روح الله تعالىٰ وكلمته ، فيُؤتىٰ عيسىٰ عليه السلام ، فيقول : لستُ لها ، ولـٰكن عليكم بمحمدٍ صلَّى الله عليه وسلم ، فيأتوني ، فأقول : أنا لها ، فأنطلق فأستأذن علىٰ ربي ، فيؤذن لي ، فأقوم بين يديه ، فأحمَده بمحامد لا أقدِر عليها الآن ؛ يُلْهمنيها الله ، ثم أَخِرُّ لربي ساجداً ، فيقول : يا محمدُ ؛ ارفع رأسك ، وقل يُسمعْ لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ؛ أمتي أمتي ؟ فيقول : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من بُرةٍ أو شعيرة من إيمان . . فأخرجه منها ، فأنطلقُ فأفعل ثم أرجع إلىٰ ربي ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أَخِرُّ له ساجداً ، فيُقال لي مثل الأولىٰ ، فأقول : يا رب ؛ أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمانٍ . . فأَخرِجْه ، فأنطلقُ فأفعل ثم أعود إلىٰ ربي ، فأفعل كما فعلت ، فيقول لي : ارفع رأسك مثل الأُولىٰ ، فأقول : يا رب ؛ أمتي أمتي ، فيقال : انطلق ، فمن كان في قلبه أدنىٰ من مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان . . فأخرجه من النار ، فأنطلقُ فأفعلُ ثم أرجعُ إلىٰ ربي في الرابعة ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخرُّ له ساجداً ، فيقال لي : يا محمدُ ؛ ارفع رأسك ، وقُلْ يُسمعْ لك ، وسَلْ تُعطه ، واشفع تُشفَّع ، فأقول : يا رب ؛ ائذن لي فيمن قال : لا إلـٰه إلا الله ، قال : ليس ذلك لك ـ أو قال : ليس ذلك

---

(١) قوله : (تربع) أي : تأخذ المرباع وهو ربع الغنيمة ؛ كان الرئيس في الجاهلية يأخذه خالصاً له اهـ .

إليك ـ ولٰكن وعزتي وكبريائي وعظمتي ؛ لأخرجن منها من قال : لا إلٰه إلا الله » .

« يؤتىٰ بأنعم أهل الدُّنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيُصبغ في النار صبغة ثم يقال : يا ابنَ آدم ؛ هل رأيت نعيماً قط ؟ هل مرَّ بك خيرٌ قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ويُؤتىٰ بأشدِّ الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له : يا ابن آدم ؛ هل رأيتَ بؤساً قط ؟ هل مرَّ بك من شدةٍ قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ؛ ما مرَّ بي من بؤسٍ قط ، ولا رأيت شدة » .

« إذا صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار . . جيء بالموت حتىٰ يجعل بين الجنة والنار فيذبح ، ثم ينادي منادٍ : يا أهل الجنة ؛ خلوداً فلا موت ، ويا أهل النار ؛ خلوداً فلا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلىٰ فرحهم ، وأهل النار حزناً إلىٰ حزنهم » .

« إن في الجنة مئة درجة ، لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن . . لوسعتهم ، ما بين كل درجةٍ ودرجةٍ كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تفجَّر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها عرش الرحمـٰن ، فإذا سألتم الله . . فاسألوه الفردوس » .

« لما خلق الله تعالى الجنة . . قال لجبريل عليه السلام : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : وعزتِكَ ؛ لا يسمع بها أحدٌ إلاَّ دخلها ، فحَفَّها بالمكاره ، ثم قال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : وعزتك ؛ لقد خشيت ألاَّ يدخلها أحدٌ ، ولما خلق النار . . قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فقال : وعزتِكَ ؛ لا يسمع بها أحدٌ فيدخلها ، فحَفَّها بالشهوات ، ثم قال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فلما رجع . . قال : وعزتك ؛ لقد خشيت ألاَّ يبقىٰ أحدٌ إلاَّ دخلها » .

« إن أهل الجنة ليتراءَوْنَ أهل الغرف كما تتراءَوْن الكوكب الدري الغائر في الأفق من المشرق إلى المغرب ؛ لتفاضل ما بينهم » قالوا : يا رسول الله ؛

تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلىٰ . . والذي نفسي بيده . . رجالاً آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين » .

« إن أوَّل زمرةٍ يدخلون الجنة علىٰ صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم علىٰ أشد كوكبٍ دريٍّ في السماء إضاءةً ، لا يبولون ولا يتغوَّطون ، ولا يتفلون ولا يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ، ومجامرهم الأَلُوَّة ، أزواجهم الحور العين ، علىٰ خَلْق رجلٍ واحدٍ ، علىٰ صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « أهون أهل النار عذاباً مَنْ له نعلانِ وشِرَاكَانِ من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المِرْجَل ، ما يرىٰ أن أحداً أشدَّ منه عذاباً ، وإنه لأَهْوَنُهم عذاباً » .

« يُلقىٰ علىٰ أهل النار الجوعُ فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيغاثون بطعامٍ من ضريع ، لا يُسمن ولا يغني من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعامٍ ذي غُصَّة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغُصص في الدنيا بالشراب ، فيستغيثون بالشراب ، فيُدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فإذا أُدني من وجوههم . . شوىٰ وجوههم ، فإذا دخل بطونهم . . قَطَّع ما في بطونهم ، فيقولون : ادعوا خزنة جهنم عساهم يخفِّفون عنَّا ، فيدعونهم ، فيقولون : ألم تكُ تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا : بلىٰ ، قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلاَّ في ضلال ، فيقولون : ادعوا مالكاً ، فيقولون : يا مالك ؛ ليقض علينا ربك ، فيجيبهم : إنكم ماكثون ، فيقولون : ادعوا ربكم ؛ فلا تجدون خيراً منه ، فيقولون : ربنا غلبتْ علينا شِقْوتنا ، وكنا قوماً ضالين ، ربنا ؛ أخرجنا منها فإن عدنا . . فإنا ظالمون ، قال : فيجيبهم : اخسؤوا فيها ولا تكلِّمون ، فعند ذلك يئسوا من كل خير ، فيأخذون في الزفير والشهيق ، ويدعون بالويل والثبور » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إنكم سترون ربكم عِياناً كما ترون هـٰذا القمر لا تضامُّون في رؤيته ، فإن استطعتم ألاَّ تُغلبوا علىٰ

صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها . . فافعلوا » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « أيها الناس ؛ إن الله تعالىٰ طيّب لا يقبل إلاَّ طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ ثم ذكر الرجلَ يُطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب ، يا رب ؛ ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذي بالحرام ؛ فأنىٰ يستجاب لذلك ؟! » .

« إن الحلال بيِّنٌ ، وإنَّ الحرام بيِّنٌ ، وبينهما أمورٌ مشتبهاتٌ لا يعلمهنَّ كثير من الناس ، فمنِ اتقى الشبهات . . استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات . . وقع في الحرام ؛ كالراعي يرعىٰ حول الحِمَىٰ يوشِك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل مَلكٍ حمىٰ ، وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت . . صلح الجسد كله ، وإذا فسدتْ . . فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

« يأتي على الناس زمانٌ لا يبالي المرء ما أخذ منه : أَمِنَ الحلال أم من الحرام ؛ فإذ ذاك لا تُجاب لهم دعوةٌ » .

« إن أطيب ما أكلتم من كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من كِبْر » . فقال رجل : إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله ؟ فقال : « إن الله تعالىٰ جميلٌ يحب الجمال » .

« الكبر بَطَر الحق وغَمْص الناس ، يحشر المتكبرون أمثالَ الذرِّ يوم القيامة ، يغشاهم الذل من كل مكانٍ يُساقون إلىٰ سجنٍ في جهنم ، يقال له : بُولَس ، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار » .

« لا يزال الرجل يَذهَب بنفسه حتىٰ يكتب في الجبَّارين ، فيصيبه ما أصابهم » .

« لينتهينَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم ، ليكونُنَّ أهون على الله من الجعلان الذي يدهده الخراء بأنفه » .

« إن الله تعالىٰ قد أذهب عنكم عُبِّيّة[1] الجاهلية ، إنما هو مؤمنٌ تقي ، أو فاجرٌ شقيٌّ ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خُلِق من تراب » .

« لا ينظر الله يوم القيامة إلىٰ مَنْ جَرَّ إزاره بطراً ، من أسبل إزاره في صلاته خُيَلاء . . فليس من الله في حلٍّ ولا حرمٍ » .

« قال الله تعالىٰ : الكبرياء ردائي والعز إزاري ، فمن نازعني شيئاً منهما . . عذبته » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » ثلاثاً ، قلنا : بلىٰ ، قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النَّفْس ، وكان متكئاً فجلس ، فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور » . فما زال يكررها حتىٰ قلنا : « ليته سكت » .

« إن من أكبر الكبائر أن يَشتُم الرجل والديه » قالوا : وهل يَشتُم الرجل والديه ؟! قال : « نعم ؛ يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « من ترك اللِّباس تواضعاً وهو يقدر عليه . . دعاه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق ، حتىٰ يخيِّره من أيِّ حُلل الإيمان شاء يلبسها » .

« من لبس ثوب شُهرةٍ . . ألبسه الله ثوب مذلةٍ » .

« البسوا من ثيابكم البياض ؛ فإنه من خير ثيابكم ، وكفِّنوا فيها موتاكم » .

« إنما يلبس الحرير في الدنيا مَنْ لا خلاق له في الآخرة ، من لبس الحرير في الدنيا . . لم يلبسه في الآخرة » .

---

(١) قوله : (عبية) بضم وكسر العين المهملة وتشديد الموحدة والمثناة : هي الكبر . اهـ من خط المؤلف .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « لا تمثلوا بالبهائم ، لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً » .

ونهىٰ عن التحريش بين البهائم ، وقال : « من قتل عصفوراً عبثاً . . عجَّ إليه يوم القيامة ، يقول : يا ربِّ ؛ إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « ليس المؤمن بطعَّانٍ ولا لعَّانٍ ، ولا فاحشٍ ولا بذيءٍ » .

« لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ، لا تلاعنوا بلعنة الله ، ولا بغضب الله ، ولا بالنار » .

« لا تسبوا الأموات ؛ فإنهم قد أفضوا إلىٰ ما قدموا » .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « يا عبادي ؛ إني حرمتُ الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي ؛ كلكم ضالٌّ إلاَّ من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ؛ كلكم جائعٌ إلاَّ من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ؛ كلكم عارٍ إلاَّ من كسوته ، فاستكسوني أَكْسِكم ، يا عبادي ؛ إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي ؛ إنكم لم تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ؛ يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجلٍ واحدٍ منكم . . ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم . . ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ وسألوني فأعطيت كل إنسانٍ مسألته . . ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل في البحر ، يا عبادي ؛ إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ، ثم أوفِّيكم إياها ، فمن وجد خيراً . . فليحمدِ الله ، ومن وجد غير ذلك . . فلا يلومنَّ إلا نفسه » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « أيها الناس ؛

اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، إني فَرَطٌ لكم ، وأنا شهيدٌ عليكم ، وإني ـ والله ـ أنظر إلىٰ حوضي الآن ، وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، وإني ـ والله ـ ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولٰكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها » .

« ثلاثة أقسم عليهنَّ وأحدثكم حديثاً فاحفظوه : ما نقص مالٌ من صدقة ، ولا ظُلِم عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلاَّ زاده الله بها عزًّا ، ولا فتح عبدٌ باب مسألةٍ إلاَّ فتح الله عليه باب فقرٍ » .

زاد في حديثٍ : « ولا تواضع عبدٌ لله إلاَّ رفعه الله ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبدٌ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي في ماله ربَّه ، ويصل رَحِمَهُ ، ويعلم أن لله فيه حقاً ؛ فهٰذا بأفضل المنازل ، وعبدٌ رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية بعد ، يقول : لو أنَّ لي مالاً . . لعملتُ عمل فلانٍ ، فهو بنيَّته ، فأجرهما سواء ، وعبدٌ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً ، فهو مخبِّطٌ في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رَحِمه ، ولا يعلم لله فيه حقاً ، فهٰذا بأخبث المنازل ، وعبدٌ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً . . فهو يقول : لو أن لي مالاً . . لعملتُ فيه بعمل فلانٍ فهو بنيته ، ووزرهما سواء » .

« من كانتِ الآخرة همَّه . . جعل الله غناه في قلبه ، وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه . . جعل الله فقره بين عينيه ، وفرَّق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلاَّ ما قُدِّر له ، فلا يمسي إلاَّ فقيراً ولا يصبح إلاَّ فقيراً ، وما أقبل عبدٌ على الله بقلبه إلاَّ جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالودِّ والرحمة ، وكان الله بكل خيرٍ إليه أسرع » .

« الكيِّس مَنْ دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنَّىٰ على الله تعالىٰ » .

« بادروا بالأعمال سبعاً ؛ هل تنتظرون إلاَّ فقراً منسياً ، أو غنىً مطغياً ، أو

مرضاً مفسداً ، أو هرماً مُفْنِداً ، أو موتاً مُجهزاً ، أو الدجالَ فشر غائبٍ ينتظر ، أو الساعةَ فالساعة أدهىٰ وأمر » .

« يا معشر النساء ؛ تصدقْنَ ، وأَكثِرنَ من الاستغفار ؛ فإني رأيتكنَّ أكثر أهل النار » قلن : وما لنا أكثر أهل النار ؟! قال : « تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أغلب لذي لُبٍّ منكنَّ » .

« الخمر جماع الإثم ، والنساء حبائل الشيطان ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة » .

« لو تدومون علىٰ حالكم عندي لزارتكم الملائكة عليهم السلام في بيوتكم ولصافحتكم في طرقكم » .

يقول الله تعالىٰ : « يا ابن آدم ؛ تفرَّغ لعبادتي . . أملأْ صدرك غنىً ، وأسُدَّ فقرك ، وإلاَّ تفعل . . ملأتُ يديك شغلاً ، ولم أسدَّ فقرك » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « لقنوا موتاكم : لا إلـٰه إلاَّ الله » .

« اقرؤوا علىٰ موتاكم سورة (يس) » .

« إذا حضر المؤمن . . أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون : اخرجي راضيةً مرضياً عنك إلىٰ روح الله وريحان ، وربٍّ غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتىٰ إنه ليناوله بعضهم بعضاً ، حتىٰ يأتوا به أبواب السماء ، فيقولون : ما أطيبَ هـٰذه الريح التي جاءتكم من الأرض ، فيأتون به أرواح المؤمنين ، فَلَهُمْ أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه ، يقدم عليهم فيسألونه : ماذا فعل فلانٌ ، ماذا فعل فلان ؟ فيقولون : دَعُوه ؛ فإنه كان في غمِّ الدنيا ، فإذا قال : فلانٌ قد مات ، ما أتاكم ؟ قالوا : ذُهِب به إلىٰ أمه الهاوية ، وإن الكافر إذا حضر . . أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون : اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلىٰ عذاب الله ، فتخرج كأنتَنِ ريح جيفة ، حتىٰ يأتوا به باب الأرض ، فيقولون : ما أنتَنَ هـٰذه الريح ! حتىٰ يأتوا به أرواح الكفار » .

« ما من ميتٍ يموت ، فيقوم باكيهم ، فيقول : واجبلاه ، واسيداه ، ونحو ذلك . . إلاَّ وكَّل الله به ملكينِ يَلْهَزانه ، ويقولان : أهكذا كنت » .

« ليس منَّا من ضرب الخدود ، وشقَّ الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

« ألا تسمعون إن الله تعالىٰ لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولٰكن يعذب بهٰذا » وأشار إلىٰ لسانه .

« من عزَّىٰ ثكلىٰ . . كسي برداً في الجنة » .

« من عزىٰ مصاباً . . فله مثل أجره » .

« القبر أوّل منزلٍ من منازل الآخرة ، وإن نجا منه . . فما بعده أيسر ، وإن لم ينجُ منه . . فما بعده أشد منه » .

« ما رأيت منظراً قط إلاَّ والقبر أفظع منه » .

« إن عذاب القبر حقٌّ ، وإنهم يعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائم » .

« إذا مات أحدكم . . عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ؛ إن كان من أهل الجنة . . فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار . . فمن أهل النار ، فيقال : هٰذا مقعدك حتىٰ يبعثك الله يوم القيامة » .

« إن هٰذه الأمة تُبتلىٰ في قبورها ، فلولا ألاَّ تدافنوا ، لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ؛ إن العبد إذا وُضع في قبره ، وتولَّىٰ عنه أصحابه ـ إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا ـ . أتاه ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هٰذا الرجل محمد ؟ فأما المؤمن . . فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله ، فيقال له : انظر إلىٰ مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، فيراهما جميعاً ، ويفتح الله له من قبره إليه ، وأما الكافر والمنافق . . فيقول : لا أدري ، كنت أقول كما يقول الناس ، فيقال : لا دريتَ ولا تليتَ ، ثم يُضرب بمطرقةٍ من حديدٍ ضربةً بين أذنيه ، فيصيح صيحةً فيسمعها من يليه إلاَّ الثقلين » .

« ما من أحدٍ يموت إلاَّ ندم ؛ إن كان محسناً . . ندم ألاَّ يكون ازداد ، وإن كان مسيئاً . . ندم ألاَّ يكون نزع » .

« إذا مات الإنسان . . انقطع عمله إلاَّ من ثلاثة . . صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

« يتبع الميت ثلاثة : أهله ، وماله ، وعمله ، فيرجع اثنان ، ويبقىٰ واحدٌ : يرجع أهله وماله ، ويبقىٰ عمله » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « من بنىٰ مسجداً يبتغي به وجه الله . . بنى الله تعالىٰ له بيتاً في الجنة » .

ومن كلامه عليه الصلاة والسلام : « الدنيا متاعٌ وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » .

« إن المرأة تُقْبل في صورة شيطانٍ ، وتُدبر في صورة شيطان ، فإذا رأىٰ أحدكم من امرأةٍ ما يعجبه . . فليأت أهله ؛ فإن ذلك يرد ما في نفسه » .

« إذا تزوَّج أحدكم امرأةً أو اشترىٰ خادماً . . فليقل : اللهم ؛ إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ، وإن اشترىٰ بعيراً ، فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك » .

« أما لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : باسم الله ، اللهم ؛ جنبنا الشيطان ، وجنِّب الشيطان ما رزقتنا ، ثم قُدِّر بينهما في ذلك ولد . . لم يضرَّه الشيطان أبداً » .

« من كانت له امرأتان ولم يعدل بينهما . . جاء يوم القيامة وشِقُّه ساقط » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىءٍ ما نوىٰ ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله . . فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها . . فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه » .

« إذا أنزل الله بقومٍ عذاباً . . أصاب العذابُ من كان فيهم ، ثم بُعثوا علىٰ نياتهم » .

« من أخلص لله أربعين صباحاً . . ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه » .

« الدين النصيحة » قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » .

« من أفتىٰ بغير علم . . كان إثمه على الذي أفتاه » .

« ومن أشار علىٰ أخيه بأمرٍ يعلم أن الرشد في غيره . . فقد خانه » .

« المستشار مؤتمن » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « أربع من كُنَّ فيه . . كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه خصلةٌ منهنَّ . . كانت فيه خصلةً من النفاق حتىٰ يدعها : إذا اؤتمن . . خان ، وإذا حدث . . كذب ، وإذا عاهد . . غدر ، وإذا خاصم . . فجر » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « تهادَوا ؛ فإن الهدية تذهب وَحَر الصدر ، ولا تحقرنَّ جارةٌ لجارتها ولو شِقَّ فِرْسِنِ شاة ـ أي : ظلفها ـ لو أُهديَ إليّ كراع . . لقبلت ، ولو دُعيت إليه . . لأجبت » .

« من شفع لأحدٍ شفاعةً فأهدىٰ له هدية عليها فقبلها . . فقد أتىٰ باباً عظيماً من أبواب الربا » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً . . فليحلف بالله أو ليصمت » .

« من حلف بالأمانة . . فليس منا » .

« من حلف ، فقال : إني بريءٌ من الإسلام ؛ فإن كان كاذباً . . فهو كما قال ، وإن كان صادقاً . . فلن يرجع إلى الإسلام سالماً » .

« منِ اقتطع حقَّ امرىءٍ مسلمٍ بيمينه . . حرم الله تعالىٰ عليه الجنة ، وأوجب له النار » . قالوا : ولو شيئاً يسيراً ؟ قال : « ولو كان قضيباً من أراك » .

« من حلف علىٰ يمينٍ فرأىٰ غيرها خيراً منها . . فليكفر عن يمينه ، وليفعل الذي هو خير » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم وجزاه عنا خيراً : « يا غلام ؛ احفظ الله يحفظْك ، احفظ الله تجده تجاهك ـ أو قال : أمامك ـ تعرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت . . فاسأل الله تعالىٰ ، وإذا استعنت . . فاستعن بالله تعالىٰ ؛ فإن العباد لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ لم يكتبه الله تعالىٰ لك . . لم يقدروا علىٰ ذلك ، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيءٍ لم يكتبه الله تعالىٰ عليك . . لم يقدروا علىٰ ذلك ، جفت الأقلام وطُويت الصحف ، فإن استطعتَ أن تعمل لله تعالىٰ بالرضا في اليقين . . فافعل ، فإن لم تستطع . . فإن في الصبر علىٰ ما تكره خيراً كثيراً ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً ، ولن يغلب عسرٌ يسرين » .

« اتقِ المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلىٰ جارك تكن مؤمناً ، وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثرِ الضحك ؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

« أمرني ربي بتسع : خشية الله في السرِّ والعلانية ، وكلمة العدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنىٰ ، وأن أَصِلَ من قطعني ، وأُعطي من حرمني ، وأعفوَ عمَّن ظلمني ، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبرة ، وآمر بالمعروف ، والقصد والتؤدة وحسن السمت جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النبوّة » .

« أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والنكاح ، والسواك » .

« الأناة من الله تعالىٰ ، والعجلة من الشيطان ، التؤدة في كل شيء إلاَّ في عمل الآخرة » .

« من استعاذ بالله . . فأعيذوه ، ومن سأل بالله . . فأعطوه ، ومن دعاكم . . فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفا . . فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه » .

« لا يموتن أحدكم إلاَّ وهو يحسِّن الظنَّ بالله ، قال الله تعالىٰ : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني » .

« إن حسن الظن بالله تعالىٰ من حسن العبادة » .

« اتق الله حيثما كنت ، وأتبعِ السيئة حسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

« ألا أخبركم بخيركم من شركم ؟ » ثلاث مرات ، قالوا : بلىٰ ، قال : « خيركم من يرجىٰ خيره ويؤمَن شرُّه ، وشركم من لا يرجىٰ خيره ولا يؤمن شره » .

« أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابكِ علىٰ خطيئتك » .

« ألا أخبركم من يحرم على النار ومن تحرم عليه النار ؟ علىٰ كل قريبٍ هين سهل » .

« من مات وهو بريء من ثلاث : الكبر ، والغلول ، والدَّين . . دخل الجنة » .

« لا حليم إلاَّ ذو عَيرة ، ولا حكيم إلاَّ ذو تجربة » .

« لا يكن أحدكم إمَّعة ؛ يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس . . أحسنت ، وإن أساؤوا . . أسأت ، ولٰكن وطِّنوا أنفسكم : إن أحسن الناس . . أن تُحسنوا ، وإن أساؤوا . . أن تجتنبوا إساءتهم » .

« لا ينبغي للمؤمن أن يُذلَّ نفسه » ، قالوا : وكيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرَّض من البلاء لما لا يطيق » .

« المؤمن غِرٌّ كريم ، والفاجر خَبٌّ لئيم » .

« لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين » .

« رَغِم أنف رجلٍ دخل عليه رمضان ثم انسلخ ولم يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك أبويه أو أحدهما وهو حي ولم يدخلاه الجنة ، ورغم أنف رجلٍ ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « ثلاثة لا يكلمهم الله تعالىٰ يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : رجلٌ علىٰ فضل ماء بفلاةٍ منعه ابنَ السبيل ، يقول الله يوم القيامة له : اليوم أمنعك فضلي كما منعتَ فضل ما لم تعمل يداك ، ورجلٌ بايع رجلاً بسلعةٍ بعد العصر ، فحلف له بالله تعالىٰ ؛ لقد أخذها بكذا وكذا فصدَّقه وأخذها ، وهو علىٰ غير ذلك ، ورجلٌ بايع إماماً لا يبايعه إلاَّ لدنيا ؛ فإن أعطاه منها ما يريد . . وفَّىٰ له ، وإن لم يعطه . . لم يفِ له » .

« ثلاثة لا يكلمهم الله تعالىٰ ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » قالها ثلاثاً ، قيل : خابوا وخسروا ـ يا رسول الله ـ من هم ؟ قال : « المسبل ، والمنَّان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » .

« ثلاثةٌ لا يكلمهم الله تعالىٰ ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زانٍ ، ومَلِكٌ كذَّاب ، وعائلٌ مستكبر » .

« ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمرأة المترجِّلة ، والدُّيوث » .

« قال الله تعالىٰ : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجلٌ أعطَىٰ بي ثم غدر ، ورجلٌ باع حراً ثم أكل ثمنه ، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفىٰ منه العمل ولم يوفِّه أجره » .

ومن كلامه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم : « مَنْ يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه . . أضمن له الجنة » .

« إن أكثر ما أخاف عليكم شهوات الغنىٰ ، وبطونكم ، وفروجكم ، ومضلات الفتن » .

« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نُهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » .

« من سمَّع . . سمَّع الله به ، ومن يرائي . . يرائي الله به » .

« من لا يرحم الناس . . لا يرحمه الله تعالىٰ » .

« اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم : حملهم علىٰ أن يسفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم » .

« شر ما في الرجل شح هالع ، وجبن خالع » .

« ملعون من ضارَّ مؤمناً أو مكر به » .

« إن أوّل ما ينتن من الإنسان بطنه ، فمن استطاع ألاَّ يدخل بطنه إلاَّ طيباً . . فليفعل » .

« ما من ذنبٍ أجدر من أن تُعجَّل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدَّخَر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرَّحم » .

« إن الله أوحىٰ إليَّ : أن تواضعوا حتىٰ لا يبغي أحدٌ علىٰ أحدٍ ، ولا يفخر أحدٌ علىٰ أحدٍ » .

« من تحلَّم بحُلُمٍ لم يره . . كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل » .

« ومن استمع إلىٰ حديث قومٍ وهم له كارهون . . صُبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة » .

« ومن صوَّر صورةً . . عُذِّب وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » .

« إن الله تعالىٰ كره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » .

« لا تُظهِر الشماتة بأخيك ؛ فيعافيَه الله ويبتليَك » .

« إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » .

« حبُّك الشيءَ يُعمي ويُصم » .

« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

« إن العبد ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله تعالىٰ لا يلقي لها بالاً يرفعه الله تعالىٰ بها في الجنة ، وإنَّ العبد ليتكلَّم بالكلمة من سَخَط الله تعالىٰ لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً » .

« كل كلام ابن آدم عليه لا له إلاَّ أمر بمعروف ، أو نهي عن منكرٍ ، أو ذكر الله تعالىٰ » .

« لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالىٰ ؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالىٰ قسوة القلب ، وإن أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب » .

« إن من شرِّ الناس عند الله تعالىٰ منزلةً يوم القيامة مَنْ تركه الناس اتقاء فحشه » .

« إذا سمعتم الرجل يقول : هلك الناس . . فهو أهلَكُهم » .

« كل أمتي معافىٰ إلاَّ المجاهرون ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ، ثم يصبح وقد ستره الله تعالىٰ عليه ، فيقول : يا فلان ؛ عملتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه فيصبح فيكشف سِتر الله عليه » .

« إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلِفُكم فيها فناظرٌ كيف تعملون ؛ ألا فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء » .

« ألا لا يمنعنَّ رجلاً هيبةُ الناس أن يقول بحقٍّ إذا علمه » .

« إن بني آدم خُلِقوا علىٰ طبقاتٍ شتىٰ ؛ فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ، ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً

ويموت كافراً ، ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء ، والسريع الغضب سريع الفيء ، والبطيء الغضب بطيء الفيء ، فتلك بتلك ، ألا وإن منهم بطيء الفيء سريع الغضب ، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء ، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء ، ألا وإن منهم حَسَن القضاء حَسَن الطلب ، ومنهم سيء القضاء حسن الطلب ، ومنهم سيء الطلب حسن القضاء ، فتلك بتلك ، ألا وإن منهم سيء القضاء سيء الطلب ، ألا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب ، وشرهم سيء القضاء سيء الطلب ، ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ؛ أما رأيتم إلىٰ حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، فمن أحسَّ بشيءٍ من ذلك . . فلْيَلْصَق بالأرض » .

« إذا استجنح الليل . . فكفوا صبيانكم ؛ فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ ، فإذا ذهب ساعةٌ من العشاء . . فخلوهم ، وأغلق بابك واذكر اسم الله ، وأطفىء مصباحك واذكر اسم الله ، وأوكِ سقاءك واذكر اسم الله ، وخمِّر إناءك واذكر اسم الله ، ولو أن تعرض عليه شيئاً ؛ فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ، وأَطفئُوا المَصابيح ؛ فإن الفويسقة ربما جرَّتِ الفتيلة فأحرقت أهل البيت » .

« أقلُّوا الخروج بعد هدأة الرِّجل ؛ فإن لله دوابّاً يبثهنَّ في الأرض في تلك الساعة » .

« إذا سمعتم صياح الديكة . . فاسألوا الله من فضله ؛ فإنها رأت مَلَكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار . . فتعوَّذوا بالله من الشيطان ؛ فإنها رأت شيطاناً » .

« إذا كانت سنة ثمانين ومئة . . فقد أحللت لأمتي العزبة والترهب في رؤوس الجبال » .

« نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس : الصحة والفراغ » .

انتهىٰ ما يسَّر الله بفضله نقلَه من كتاب « تيسير الأصول من كلام سيدنا الرسول » صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .

فصل

ولما منَّ الله بنقل ما ذكرته من أقواله صلى الله عليه وسلم.. أحببتُ أن أذكر شيئاً من أخلاقه وخلاله، وأعماله وأفعاله؛ فإنها أبلغ وأنفع وأوقع للقلوب، وأحق وأجدر بالاهتداء والاقتداء به في ذلك الأسلوب.

كيف؟! وقد قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾.

فإذا كان الأمر بالمتابعة له في الجهاد الذي هو عرضة لبذل الروح.. فدخل الأمر بالمتابعة له في بقية أحواله من باب أَولىٰ؛ قال الله سبحانه فيه ـ وهي الكلمة الجامعة لأوصافه ومعانيه ـ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

وقالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها: (كان صلى الله عليه وسلم خُلُقه القرآن).

وقال الشيخ البوصيري في «الهمزية» رحمه الله تعالىٰ:

فتَنَـزَّهْ في ذاته ومعانيـ ـهِ استماعاً إنْ عَزَّ منهُ اجتلاءُ

أي: إذا فات عينَك رؤيتُه.. فلا تفوت أذنك سماع أوصافه؛ كما قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد رضي الله عنه:

إذا فاتني قرب الأحبة واللِّقا ففي ذِكْرِهم أُنسٌ لوحشةِ خاطري
فإن لم يصبها وابلٌ صيِّبُ الندى فطلٌّ به تحيا موات سرائري

والمقصود إنما هو الاتباع والاقتداء، ولٰكن أوّل ذلك إنما هو الذكر، ثم المحبة والميل، ثم الاتباع والعمل كما أشار إليه الحبيب بقوله: (تحيا موات سرائري).

قال سيدنا محمد بن محمد الغزالي : كان صلى الله عليه وسلم أحلمَ الناس ، وأشجع الناس ، وأعدل الناس ، وأعف الناس ، لم تمسَّ يدُه يدَ امرأةٍ لا يملك رِقَّها أو عصمة نكاحها ، أو تكون ذاتَ محرمٍ منه .

وكان أسخى الناس ، لا يبيت عنده دينار ولا درهم ؛ فإن فَضَلَ ولم يجد من يعطيه وجنَّه الليل . . لم يأوِ إلىٰ منزله حتىٰ يبرأ منه ، وكان يخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطِّع اللحم معهن .

وكان يعلف الناضح ، ويعقل البعير ، ويقمُّ البيت ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع خادمه ، ويطحن معه إذا أعيا ، ويشتري الشيء من السوق ، ولا يمنعه الحياء أن يعلِّقه بيده ، أو يجعله في طرف ثوبه فينقلبَ به إلىٰ أهله .

يصافح الغني والفقير ، والصغير والكبير ، يسلم مبتدئاً علىٰ كل من يستقبله : من صغيرٍ أو كبيرٍ ، أسودَ أو أحمرَ ، حُرٍّ أو عبد من أهل الصلاة .

وليستْ له حُلة لمدخله وحلة لمخرجه ، لا يستحيي من أن يجيب إذا دُعي وإن كان أشعثَ أغبر ، ولا يحقر ما دُعي إليه وإن لم يجد إلاَّ حَشَفَ الدَّقَل .

ولا يرفع غداء لعشاء ، ولا عشاء لغداء ، هيِّن المؤنة ، ليِّن الخلق ، كريم الطبيعة ، جميل المعاشرة ، طَلْق الوجه ، بسَّام من غير ضحكٍ ، محزون من غير عبوس ، شديد من غير عنف ، متواضع من غير مذلة ، جواد من غير سَرَف ، رقيق القلب ، دائم الإطراق .

لم يَبْشَم[1] قط من شِبَعٍ ، ولم يمدَّ يده إلىٰ طمعٍ ، ولم يبثَّ إلىٰ أحدٍ شكوىٰ ، وكانت الفاقة أحبَّ إليه من اليسار ، أشد الناس حياء ، يقبل الهدية ولو أنها جرعةُ لبن ، أو فخذ أرنب ، ويكافىء عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة .

يغضب لربه عزوجل ، ولا يغضب لنفسه ، وينفذ الحق وإن عاد بالضرر

(١) بشم الحيوان بشما من باب تعب : اتخم من كثرة الأكل فهو بشم اهـ «مصباح» .

عليه وعلىٰ أصحابه ، يعصب الحجر علىٰ بطنه من الجوع ، يأكل ما حضر ، ولا يتورع من مطعم حلال ؛ إن وجد تمراً دون خبز . . أكله ، وإن وجد شواء . . أكله ، وإن وجد خبزَ بُرٍّ أو شعيرٍ . . أكله ، وإن وجد لبناً دون خبزٍ . . اكتفىٰ به .

لا يأكل متكئاً ولا علىٰ خوان ، منديله باطن قدمه ، لم يشبع من خبز بُرٍّ ثلاثة أيام متوالية حتىٰ لقي الله تعالىٰ ؛ إيثاراً علىٰ نفسه لا فقراً ولا بخلاً .

يجيب الوليمة ، ويعود المرضىٰ ، ويشهد الجنائز ، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارسٍ ، أشدُّ الناس تواضعاً ، وأسْكَنُهم من غير كبرٍ ، وأبلغهم في غير تطويل ، وأحسنهم بِشْراً .

لا يهوله شيءٌ من أمور الدنيا ، يلبس ما وجده ، فمرةً شملةً ، ومرة بردة حِبَرَة يمانياً ، ومرة جبة صوف ، ما وجد من المباح . . لبسه .

يُردف خلفه عبده أو غيرَه ، يركب ما أمكنه فرساً أو بعيراً ، أو بغلةً أو حماراً ، ومرة يمشي راجلاً حافياً بلا رداءٍ ولا عمامةٍ ولا قلنسوةٍ .

يحب الطِّيب ، ويكره الرائحة الرديئة ، يجالس الفقراء ، ويؤاكل المساكين ، ويُكْرم أهل الفضل في أخلاقهم ، ويتألَّف أهل الشرف بالبِرِّ لهم .

يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم علىٰ من هو أفضل منهم ، لا يجفو علىٰ أحد ، يقبل معذرة المعتذر إليه ، يمزح ولا يقول إلاَّ حقاً .

يرى اللعب المباح فلا ينكره ، تُرفع الأصوات عليه فيصبر ، لا يرتفع علىٰ عبيده في مأكلٍ ولا ملبسٍ ، لا يمضي له وقتٌ في غير عملٍ لله تعالىٰ ، وفيما لا بد له من صلاح نفسه ، يخرج إلىٰ بساتين أصحابه .

لا يحقر مسكيناً لفقره وزمانته ، ولا يهاب مَلِكاً لِمُلْكه ، يدعو هـٰذا وهـٰذا إلى الله دعاءً مستوياً .

إذا سُئِل أن يدعو علىٰ أحدٍ مسلمٍ أو كافرٍ ، عام أو خاص . . عدل من الدعاء عليه ودعا له ، وما ضرب بيده أحداً قط إلاَّ أن يضرب بها في سبيل الله .

وما انتقم من شيءٍ صُنع إليه قط إلاَّ أن تنتهك حرمة الله تعالىٰ ، وما خُيِّر بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهما ، إلاَّ أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم ، فيكون أبعدَ الناس من ذلك .

وما كان يأتيه أحدٌ حرٌّ أو عبدٌ أو أمةٌ إلاَّ قام معه في حاجته ، وما قال لخادمه في شيءٍ كرهه : لم فعلته ؟ وما لام الخادمَ أحدٌ إلاَّ قال : دعوه ؛ إنما كان هٰذا بكتابٍ وقدرٍ .

وما عاب مضجعاً قط ، إن فرشوا له . . اضطجع ، وإن لم يفرشوا له . . اضطجع على الأرض لا فظ ولا غليظ ولا صخَّاب ، ولا يجزىء بالسيئة السيئة ، ولٰكن يعفو ويصفح ، من قاومه لحاجة . . صابَرَهُ حتىٰ يكون هو المنصرف .

وما أخذ أحدٌ بيده فيرسل يده حتىٰ يرسلها الآخر ، إذا لقيه أحدٌ من أصحابه . . بدأه بالمصافحة ، لا يقوم ولا يجلس إلاَّ علىٰ ذِكْرِ الله تعالىٰ ، لا يجلس أحدٌ إليه وهو يصلي إلاَّ خفَّف صلاته ، وأقبل عليه ، وقال : ألك حاجة ؟ فإذا فرغ من حاجته . . عاد إلىٰ صلاته .

لا يُعرف مجلسه من مجلس أصحابه ، حيثما انتهىٰ به المجلس . . جلس ، أكثر جلوسه مستقبل القبلة ، يكرم الداخل عليه ؛ حتىٰ ربما بسط له ثوبه ليجلس عليه ، ويكرمه بالوسادة التي تكون تحته ، فإن أبىٰ أن يقبل . . عزم عليه حتىٰ يفعل ، وما استصغاه أحدٌ إلاَّ ظن أنه أكرم الناس عليه ، يُعطِي كل مَنْ جلس إليه نصيبه من وجهه حتىٰ كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مجلسه وتوجهه للجالس إليه ، ومجلسه مع ذلك مجلس حياءٍ وتواضعٍ وأمانة .

يدعو أصحابه بكناهم ، ويكني النساء بأولادهنَّ ، ومن لم يكن له ولد . . ابتدأ له كنية ، ويكني الصبيان أيضاً ؛ إكراماً لهم ، واستمالة لقلوبهم .

وكان صلى الله عليه وسلم أبعدَ الناس غضباً ، وأسرعَهم رضاً ، وأرأف الناس بالناس ، وخير الناس للناس ، وأنفع الناس للناس .

ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه ، ولا يُتنازع عنده الحديث .

يتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول ولا تقصير ، يحفظ كلامَه سامِعُهُ ويعيه ، يطيل السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة ، ولا يقول المنكر ، ولا يقول في الرضا والغضب إلاَّ الحق ، يُعرض عمَّن تكلم بغير جميل .

يعظ بالجِدِّ والنصيحة ، يكثر التبسم في وجوه أصحابه ؛ تعجباً ممَّا تحدثوا به ، وخلطاً لنفسه بهم ، وإذا قام من مجلسه .. قال : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » .

إذا نزل به الأمر .. فوَّض الأمر إلى الله تعالىٰ ، وتبرأ من الحول والقوة ، واستنزل الهدىٰ ، فيقول : « اللهم ؛ أرني الحقَّ حقاً فأتبعه ، وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه ، وأعذني من أن يَشتَبِه عليَّ ؛ فأتبع هواي بغير هدىً منك ، واجعل هواي تبعاً لطاعتك » .

وإذا وضعت المائدة .. قال : « بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، اللهم ؛ اجعلها نعمةً مشكورةً ، تصل بها نعمة الجنة » .

وكان كثيراً إذا جلس للأكل .. يجمع بين ركبتيه وبين قدميه ؛ كما يجلس للصلاة إلاَّ أن الركبة فوق الركبة ، والقدم فوق القدم ، ويقول : « إنما أنا عبدٌ ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .

وكان لا يأكل الحار ، ويقول : « إنه غير ذي بركة » ويأكل ممَّا يليه ، وبأصابعه الثلاثة ، وربما استعان بالرابعة ، وإذا فرغ .. قال : « اللهم ؛ لك الحمد ، أطعمت وأشبعت ، وسقيت وأرويت ، لك الحمد ، غير مكفورٍ ولا مودع ، ولا مستغنىً عنه » .

وكان يشرب في ثلاث دفعاتٍ ، له فيها ثلاث تسميات ، وفي آخرها ثلاث تحميدات .

وكانت ثيابه كلها مشمَّرة فوق الكعبين ، ويكون الإزار فوق ذلك إلىٰ نصف

الساق ، وإذا لبس . . لبس من ميامنه ، وقال : « الحمد لله الذي كساني ما أُواري به عورتي ، وأتجمَّل به في الناس » .

وكان صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس كفاً ، وأوسعهم صدراً ، وأصدقهم لهجةً ، وأوفاهم ذِمَّةً ، وأَلْيَنَهم عريكةً ، وأكرمهم عشيرةً ، من رآه بديهة . . هابه ، ومن خالطه . . أحبه ، وإن غضب . . ليس يغضب إلاَّ للهِ ، لم يقم لغضبه شيء .

وكان لا يدعوه أحدٌ من أصحابه وغيرهم إلاَّ قال : « لبيك » .

يقول ناعِتُه : لم أرَ قبله ولا بعده مثله ، قد جمع الله له السيرة الفاضلة ، والسياسة التامة ، وهو أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، نشأ في بلاد الجهل ، يتيماً لا أب له ولا أم ، فعلمه الله تعالىٰ جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة ، وأخبار الأوَّلين والآخِرين ، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة ، والغبطة والخلاص في الدنيا ، ولزوم الواجب وترك الفضول ؛ فمن أراد كل خيرٍ في الدنيا والآخرة . . فليقتدِ به في كل أحواله ، ومن رأىٰ نفسه فوق محلِّه صلى الله عليه وسلم ، ولم يرضَ لنفسه بما رضي هو به صلى الله عليه وسلم . . فما أشد جهلَه .

كيف ؟! وهو صلى الله عليه وسلم أعظم خلق الله تعالىٰ منصباً في الدين والدنيا ، فلا عِزَّ ولا رفعة إلاَّ في الاقتداء به ، والاتباع له ، ولا هوان ولا خزي في الدنيا والآخرة إلاَّ في الابتداع ، ومخالفة هديه وسنته .

وفقنا الله لكمال متابعته في الظاهر والباطن ، وفي جميع المواطن ، وأماتنا علىٰ سنته ، وجمعنا به في دار كرامته ، في عافية وسلامة ، آمين اللهم ، آمين .

فَصْلٌ

نذكر فيه شيئاً من كلام سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه ، من كلامه الذي يتعلَّق بالزمان وأهله خاصة ؛ وفي ذكر ذلك جملة فوائد :

منها : أن نعلم أن سيرة السلف رضي الله عنهم مباينة لما عليه الخلف ؛ كما هو مفهومٌ من قوله : (أهلُ هـٰذا الزمان) بل قد صرَّح بذلك في بعض المواضع ؛ كما سنشير إلىٰ بعضها إن شاء الله تعالىٰ فيما يأتي .

ومنها : أن نعلم بذلك عيوبنا وأَنَّا ملابسون لما وصف الحبيب به أهل الزمان ؛ لأنَّا منهم إلاَّ أن الناس افترقوا عند سماع هـٰذه المعايب والقبائح ، والمثالب والفضائح :

فمنهم مَنْ بَرَّأ نفسه عنها ، وظنَّ بنفسه الخير ، وشهدها في غيره وألحقها به ، وهـٰذا غاية الحمق ؛ يشهد عليه قول الحبيب عبد الله الحداد :

وشاهدُ إفلاس الفتىٰ جهلُ عيبه ... وذكرُ عيوب العالمين من العقل

وليس لنا مع فاقد العقل كلام .

ومنهم مَنْ شهد تلك العيوب في نفسه ، واعترف بها وأقرَّ ، ثم شمَّر في إزالتها والتحلي بأضدادها ، وهـٰذا أعقلهم ؛ كما أن الذي قبله أجهلهم .

ومنهم مَنْ أقرَّ بها واعترف ، وشهدها في نفسه إلاَّ أنه لم ينتهض لإزالتها ولا للتنزُّه عنها ، إما مع أنه يلوم نفسه علىٰ ذلك ويتحسَّر علىٰ أضدادها ، وإما مع إصرارٍ عليها ، وعدم توجعٍ على الإقامة عليها ، فهـٰؤلاء سواء في الفعل إلاَّ أن اللائم لنفسه أحسن حالاً ، وأقرب للتوبة والإقلاع من المصرِّ الراضي بها ، والله يزكي من يشاء ، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ .

وهـٰذا أوان الشروع في كلام الحبيب عبد الله رضي الله تعالىٰ عنه ، ونفعنا به ، **فمنه قوله** :

لقد عزَّ في هـٰذا الزمان مساعدٌ ... يعينك في مجدٍ وينهاك عن سُفلِ

إذا قلتَ خيراً قال : لبيك مسرعاً ... وإن قلتَ شراً قال: أَقليك أو تَقلي

. . . **إلىٰ أن قال** :

أما إنَّ هـٰذا العصر قد ضلَّ أهله ... همومهمُ في لَذَّةِ الفَرْجِ والأكلِ

وفي جمع مالٍ خوف فقرٍ فأصبحوا ... وقد لبسوا قُمْصاً من الجُبن والبخلِ

ثم نزَّه السلف الصالح عن هـٰذه الأخلاق الرديَّة ، ومدحهم بما فيهم من الصفات المرضيَّة ؛ **فقال** :

وقد درج الأسلاف من قبل هؤلا ... وهِمَّتهـم نيـلُ المكـارمِ والفضـلِ

. . . إلىٰ آخر ما ذكرهم به من المكارم والمحاسن .

ومن قوله في أهل الزمان :

قـد كنـت يـا واديَ الأنـوارْ ... مشحـون بـالخيـر والأخيـارْ

خـالٍ عـن الشَّـوْش والأكـدار ... مـا تَحـوِي الشـرَّ والأشـرار

حتـىٰ دهـانـا زمـان العـار ... بخَلْـف سـوء مـن الأغمـار

مـن كـل مفتـون بـالأسبـاب ... خـالٍ عـن الحـق والصبـر

هـمْ شَـوَّشـوا عيـش وادينـا ... بـالظلـم والبغـي والعـدوانْ

وكـدَّروا صفـوَ نـادينـا ... بـالحـرص والشـحِّ والطغيـان

وقوله في القصيدة الأخرىٰ :

مضى الصدق وأهل الصدق يا سعد قد مضوا ... فلا تطلبَنَّ الصدق من أهل ذا الزمنْ

فليس لهم صدق ولا يعرفونه ... قد ارتبكوا في لُجة المَيْن والدرن

تَملَّكَهم حب الحظوظ وشهوة الـ ... ـنُّفُوس فقل : يا رب عافِ من الفتن

. . . **إلىٰ أن قال** :

ولم يبقَ خيرٌ في الزمانِ وأهلِهِ ... وقد هجروا القرآن والعلم والسُّنَنْ

فـآهٍ وآهٍ كـم بقلبـيَ مـن أسـىً ... وكم لي وكم بي من غليلٍ ومن شَجَنْ

وقال رضي الله عنه في القصيدة الأخرىٰ يستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم :

فـأتـاكـم هـاربـاً مـن ذنبـه ... ومـن الـدهـر الـذي قـد أجحفا
وزمـانٍ عكسـت أحـوالـه ... صار فيه الـوجه فـي حـدِّ القفا

وقال رضي الله عنه :

يـا سعـد راح الـوفـا ... وأهلـه وراح الجميـلْ
وراحَـوُا القـوم ذي ... كـانـوا هـداةَ السبيـل

. . . **إلىٰ أن قال :**

وإن نقـل كيـف حـا ... ل المنَـزِلَـهْ والنـزيـل
وكيـف حـال المَـرا ... بـعْ والـرُّبَـىٰ والمسيـل
بعـد الـذي قـد تفـا ... نَـوا جيـلْ مـن بعـد جيـل
فمـا بقـي شَـيْ ولـ ... ـكـنْ ستـر ربـك جميـل
وظنُّنـا فيـه سبـ ... ـحـانـهْ وأمَلنـا طـويـل

وقال في قصيدة أخرىٰ :

واحذر معاشرة الخَلْف المُضِيع فقد ... صاروا إلى الشرِّ والعصيان والزللِ
وأصبحـوا فـي زمـان كلُّـهُ فتـنٌ ... وبـاطـلٌ وفسـادٌ بَيِّـنٌ وجلـي
هو الزمان الذي قد كان يحذره ... أئمة الحق من حبر ومن بدل
هو الزمان الذي لا خير فيه ولا ... عُرْفٌ تراه على التفصيل والجُمَل
هو الزمان الذي عمَّ الحرام به ... والظلم من غير ما شك ولا جدل
أيـن القـران كتـاب الله حجتـه ... وأيـن سنـة طـه خـاتـم الـرسـل
وأين هديُ رجال الله من سلف ... كان الهدىٰ شأنهمْ في القول والعمل

. . . **إلىٰ آخر ما قال .**

وقال رضي الله عنه :

يا صاحبي إن كنت تسمع دعوتي ... فأجب وأسرع إن قومك ناموا
هٰذا الزمان زمان سوءٍ كله ... قد عمَّ فيه الظلم والإظلامُ
يا رب فاحفظ ديننا ومعاشنا ... واختم بخير إن ألمَّ حِمامُ

وقال رضي الله عنه في أثناء قصيدة أخرىٰ :

تسلَّ وما ثم من سلوة ... ولست بناسٍ عهود الوداد
ولا معشراً كان من أسرتي ... وقومي هم المبتغىٰ والمراد
تفانوا جميعاً وأُفْرِدْتُ في ... أناس وخَلْفٍ كثيرِ الفساد
قليل الرشاد جماهيرهم ... عبيد الحطام نُساةُ المعاد
فلا مرحباً لا وسهلاً بهم ... وأهلاً وسهلاً بحزب الرشاد

. . . إلىٰ أن قال :

وإن قد فقدنا فحال الزمان ... زمان البلايا كثير النكاد

وقال في أخرىٰ :

والزمان المبارك الحال أمسى ... أَسْودَ الوجه لا ترىٰ فيه خِلاًّ
ذهبوا ذهبوا وجاءت خلوف ... بعدهم خالفوا لمن قد تولى

وقال في أخرىٰ رضي الله عنه :

قبح الله ذا الزمانَ فكم قد ... هدَّ للأكرمين سوراً وركنا
وبنىٰ للئام دوراً وسوراً ... وأشاد لهم ربوعاً وحصنا
خذ يميناً عنهم وسِرْ في طريق ... مستقيم إلى النعيم المهنَّا

وقال رضي الله عنه :

إن قلبي الآنْ ... يا صاحبي في غربةٍ وكربهْ
من زمان قد خانْ ... ومعشر لا يحفظون صحبه

مـــا تـــراهـــم أعـــوان   إلاَّ علـىٰ بـاطـلْ وتـرك قـربـه
مـــا أولئـــك أخيـــار   كـلا ولا بـالمتقيـن الأبـرار

وقال رضي الله عنه في مكاتبةٍ إلىٰ بعض أصحابه : وما ذكرتم من الحوادث والعوارض.. فذلك طبع الزمان ، ومن آثار إقبال ظلمات الساعة ، والخلق مظاهر وأسباب ؛ مقهورون في عين اختيارهم لما يريد الله تعالىٰ منهم ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، وكلٌّ يعمل لمصيره ، فاستعن بالصبر والتغافل ، ولا تكلف نفسك هَمَّ غيرك من قريب ولا بعيد ، بعد ما تقوم بما يجب عليك من الحق فيهم حسب التفاصيل الشرعية ، ولتهمَّك نجاة نفسك ؛ فإن أهل الزمان صاروا بمنزلة أناس هجم عليهم سيل مغرق ، أو نار محرقة ، فيصير العاقل فيهم هو الذي لا يلوي علىٰ غيره ، ويعتني بنجاة نفسه ؛ إذ هي الأوجب والأهم .

ولا بدَّ من الأخذ أولاً بما ذكرنا فيهم حسب الاستطاعة ، من غير اهتمام ولا تكلفٍ ولا تعبٍ يزيد على الدعاء وسؤال الصلاح واللطف من الله تعالىٰ لهم ؛ فافهم هـٰذا الكلام ؛ فإنه دقيقٌ وفيه جُمل ، وتحتها أغوارٌ يعرفها أهل البصائر الفقهاء في دين الله تعالىٰ ، العاملون بالشريعة والحقيقة .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه ، في أثناء مكاتبةٍ أخرىٰ : وأما ما عرَّضتم به من ذكر أحوال هـٰذا الزمان المبارك.. فهو علىٰ مثل ما ذكرتم وأشد وأنكد ؛ لأنهم قد أعرضوا عن الآخرة ، وأقبلوا على الدنيا من غير مبالاة ولا مراقبة ، وتواطَؤوا علىٰ ذلك ، واصطلحوا عليه ، وتنافسوا في ذلك وافتخروا به علىٰ بعضهم بعضاً ، وصارت المثالب والقبائح والمفاسد فيما بينهم مناقبَ ومحاسنَ ومصالحَ ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ، ولا ملجأ من الله إلاَّ إليه ، هـٰذا ما وعد الرحمـٰن وصدق المرسلون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فاتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلاَّ وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ومن يعتصم بالله.. فقد هُدِيَ إلىٰ صراطٍ مستقيم ، ولا عاصم من أمر الله إلاَّ من رحم .

اللهم ؛ فارحمنا حتىٰ تعصمنا ، واجعلنا من عبادك المؤمنين ، الذين أنجيتهم مع أنبيائك والمرسلين ، كما أخبرت بذلك في كتابك المبين ؛ بقولك تعاليت من قائلٍ : ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وقال رضي الله عنه : هٰذا زمان قد رُفعت فيه الأمانة ، وقلَّتْ فيه الديانة ، وكثرت في أهله الخيانة ، وأصبح الناس في أمرٍ مريج ، مقصورات همومهم على البطون والفروج ، سيان عندهم الهبوط والعروج ، لا يبالي أحدهم إذا نال مشتهاه من دنياه : كيف كانت منزلته من مولاه ؟

فالله المستعان ، ما هٰذه ـ والله ـ أخلاق المؤمنين ، ولا سجايا الموقنين ، بل هي شيم الجاحدين ، وشمائل الشياطين ، ففِرَّ يا أخي ؛ من أهل هٰذا الزمان فرارَك من الأسد ، واجتهد في إصلاح المضغة التي إذا صلحت . . صلح سائر الجسد .

وقال رضي الله عنه : من خالط أهل الزمان . . ضاق صدره وفسد أمره ، وربما قامت عليه نفسه فغلبته ؛ لأن أقوالهم وأفعالهم خارجةٌ عنِ الصراط المستقيم ، فاستعن علىٰ أمرك بتدبر القرآن العظيم ، والتفكر في سِيَر السلف الصالحين ، واستشعار نزول الموت كل حين .

وقال رضي الله عنه : إن لأهل هٰذه الجهة خاصة ضراوة في إيذاء أهل المراتب ـ وخصوصاً الدينية ـ بذلك عرفهم ووصفهم سلفهم ، فالعاقل من أعرض عنهم ، ولم يحتفل بما يصدر منهم ، إنْ هم إلاَّ كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ، ومن أتعب نفسه بالمقابلة أو الدعوة لمن لا يميز ولا يعقل . . ذهب وقته في غير شيءٍ ، ولٰكن من ابتلي . . فليس يسعه إلاَّ الصبر والجبر كيفما كان ؛ بشرط ألاَّ يسمح بدينه ، ولا يأخذ الوهم بدلاً عن يقينه ، والله أعلم .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : إن البلد عندنا ـ أو قال : الجهة ـ لا يسلك فيها إلاَّ أحد ثلاثة : من له مالٌ يغنيه ، أو حرفة تكفيه ، أو ذل لا يبالي معه لمن

ذل ، ولا من أيِّ وجه أكل : طيباً كان أو خبيثاً .

والفقير في البلد أقل وأحقر من التراب ، وأذل وأهون من المستحِق للعقاب ، فرحم الله من عرف زمانه وأهله ، وعض بنواجذه علىٰ دينه حتىٰ يلقى الله ربه .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : الغالب علىٰ أهل حضرموت قلة التمييز ، وعدم التفرقة بين الغثِّ والسمين ، والصدق والكذب .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : من أحب من أهل هـٰذا الزمان أن يستقيم قلبه ، ويرضىٰ عنه ربه . . فليوطن نفسه على الصبر على الفقر ، وضيق المعيشة ، وقلة احتفال الناس به ؛ فإن الجنة حُفَّت بالمكاره ، كما أن النار حُفَّت بالشهوات ، والهدىٰ هدى الله ، والتوفيق بيد الله ، وما تشاؤون إلاَّ أن يشاء الله .

وقال رضي الله عنه : إعراض أهل الزمان اليوم مقصود كل عارف ؛ لأنه قد صار إقبالهم مقصوراً علىٰ ما ينفعهم في أمر دنياهم فحسب .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : الزمان مفتون ، وأهله عن سبيل الحق ناكبون ، والنفس جَموح ، والتزلزل من أخلاقها معروف ومشروح ، فلا حول ولا قوّة إلاَّ بالله .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : الصبر سُلَّم إلىٰ كل خير ، والصدق عصمةٌ من كل ضير ، وكل من تلقَّىٰ صوادر وبوادر الزمان الدالة علىٰ خبث الضمائر ، وإظلام السرائر ، بالاستنكار والاستبعاد : دلَّ ذلك منه علىٰ قلة المعرفة بأحوالهم وأحوال زمانهم ، والمعرفة بذلك أمرٌ مهمٌّ متعيِّن علىٰ أرباب المراتب الدينية والدنيوية خصوصاً ؛ وذلك أن العُرىٰ والروابط التي كانت في قلوب أهل الإيمان قد انفصمت وانحلَّت ـ أو كادت ـ يعرف ذلك من مارس أخلاقهم ، وشاهد تقلباتهم الخفية والجلية ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، تمسَّكوا بكتاب الله تعالىٰ ، واعتصموا بحبل الله تعالىٰ ، ومن يعتصم بالله تعالىٰ . . فقد هُدِي إلىٰ صراط مستقيم .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : أهل هـٰذا الزمان في جهتنا ـ بل وغيرها ـ مستيقظون للدنيا ، غافلون عن الآخرة ، مجتهدون في جمع الحطام ، واكتساب الآثام ، قد نبذوا الحق وراء ظهورهم ، ورفعوا الباطل فوق رؤوسهم ، وماج بعضهم في بعضٍ ، هـٰذا يظلم هـٰذا ، وهـٰذا يداهن هـٰذا ، وهـٰذا يوالي هـٰذا علىٰ ما لا يحبه الله تعالىٰ ولا يرضاه ، هـٰذه صفتهم إلاَّ من عصمه الله تعالىٰ ، وقليل ما هم ، فتحققوا بالتقوىٰ ، وتمسكوا بالعروة الوثقىٰ ، وخذوا حذركم منهم ، واحرصوا علىٰ ما ينفعكم عند ربكم ، وهـٰذه وصيتنا لأنفسنا ، وأنتم كالنفس .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : أهل هـٰذا الزمان مطبوعون على الضجر والسآمة وقلة الصبر ، وقد درج أهل الحق والواحد يبقىٰ طول الليل في تأمل الكلمة والكلمتين ، ولا يمله ذلك ولا يخرجه ، فالصبر الصبر ، والمرابطة المرابطة ؛ فإن الأمر كما قال الشاعر :

لولا المشقةُ ساد الناس كلهمُ ... الجود يفقر والإقدام قتال

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : إن دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب قد صار أظهر فوائد الأخوَّة في هـٰذا الزمان المبارك الحال ، الكثير المحال ، الذي علا فيه الباطل واستطال ، وصار الحق وأهله تحت النعال ؛ لترؤس الجهال ، وتصدر الأنذال ، هـٰذا ما وعد الرحمـٰن وصدق المرسلون .

فالعاقل مَنْ عرف زمانه ، وجدَّ في إصلاح شأنه ، وسداد دينه ، وغمض عينه ، وكف لسانه عن كل ما لا أصل له ولا طائل تحته ، وأعرض عن هـٰذه الدار المُرَّة المذاق ، الوشيكة[1] الانمحاق ، التي عزفت عنها نفوس الأكياس ، وتعلقت بها همم الأوباش .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : أهل الزمان أهل فتنة وشقاق ، وإضاعة للحقوق وتعدٍّ للحدود ، فإذا وَلِيَهم من لا يشبههم ويناسبهم . . وقع البلاء ، وتحركت

---

(١) أي السريعة .

عليه الأمور وعليهم ، والرجل الصالح كالجوهرة الثمينة ، وأهل الزمان كحاملي الأحجار والأقذار ؛ قصداً منهم لكسرها أو تلويثها .

وقال رضي الله عنه : إن التحفظ وأخذ الحذر في مظانه وعند ظهور أسبابه . . هو الأحْزَم والأحرىٰ ؛ وقد أمر سبحانه بالحذر في قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ .

ولا ينافي ذلك التوكل واعتقاد أن لا فاعل إلاَّ الله ؛ لأن التقدير الإلـٰهي قد يأتي العبد من حيث إضاعة الأسباب التي أمر بحفظها ، وترك الأمور التي أرشد إلى الأخذ بها ، فتحفظوا ما أمكنكم ؛ فإن التحفظ والحزم ـ خصوصاً في هـٰذا الزمان ، الذي كثر فيه الظلم والعدوان ، والجور والبهتان ـ . هو الذي يَحْسُن وينبغي ، والله هو الحافظ والوافي ، والحسيب والكافي ، والدافع للشرور والأذيّات ، والآخذ علىٰ أيدي أهل المكر والبليات ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : القليل من الخير في هـٰذا الزمان المبارك كثير ، والقليل من الله لا يسمىٰ قليلاً كما قال القائل :

قليـلٌ منـك يكفينـي ولـٰكـنْ   قليلـك لا يقـال لـه قليـلُ

وقال رضي الله عنه : العمل كله بعد سبق العناية من الله تعالىٰ علىٰ صدق التوجه وعلوّ الهمة في سلوك طريق الله ، وقطع كل عائق من التفرغ للإقبال على الله تعالىٰ من الموانع الباطنة والظاهرة علىٰ موافقة عزائم الشريعة دون ترخص ولا تأويل ولا ميل إلى الهوىٰ ولا إلىٰ لذة نفس وميل طبيعة ؛ فإن العبد مهما أحكم هـٰذين الأصلين اللذينِ ذكرناهما ـ أعني علوّ الهمة ، والتفرّغ لله تعالىٰ ـ . خرقت أنفاسه جميع الحجب ، وطردت عنه الشياطين المتوجهة إليه ؛ بقصد إفساد ما هو عليه ، ولـٰكن قد غلبت علينا أهلَ الزمان الأهوية النفسية ، ووهن العزائم القلبية ، وإيثار الشهوات والأخذ بالرُّخَص ، فصار الواحد منَّا لا هو سماوي فيرتفع ، ولا هو أرضي فيتضع ؛ فإن في كلا

الأمرين راحة وإن كانا غير متساويين في الشرف والمقدار ، وصار التعب بينهما الذي نحن فيه ، ومنه حصلت الحَيرة ، والحيرة لها معانٍ ، وهٰذه من معانيها : حيرة الإنسان في نفسه ، وحيرة الإنسان في أمره ، وفي معناها أنشد بعضهم فقال :

قد بقينا مذبذبين حيارى ... نطلب الوصل ما إليه سبيل

فدواعي الهوىٰ تخفُّ علينا ... وخلاف الهوىٰ علينا ثقيل

وقال رضي الله عنه : لعل الفقر في هٰذا الزمان أسلم للإنسان ، وأصلح له من الغنى الذي لا يتم لأهله إلاَّ بالتفريط والتخليط ، واقتحام الشبهات ، بل والمحرمات ؛ كما هو مشاهدٌ ومعروف من أحوالهم .

وقال رضي الله عنه : الزمان صار كله كالبحر العجاج ، وقد جاءت الأمواج فيه من كل مكانٍ واشتبهت فيه الأماكن ، وتماثلت المواطن ، فلا عاصم من أمر الله إلاَّ من رحم ، وتمسَّكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ؛ وهو قول : لا إلٰه إلا الله ؛ علماً واعتقاداً ونطقاً علىٰ دوام الأوقات وأكثرها .

وقال رضي الله عنه في أثناء مكاتبة إلى السيد الفاضل علي بن عبد الله العيدروس رضي الله تعالىٰ عنه إلىٰ سورت : وإن تسألوا عن أخيكم الفقير . . فالضعف والكبر قد استوليا عليه ، والاغتراب والاضطراب مع قلة المُشاكِل والمناسب ، وهٰذا كالذي لا بد منه لمن طالت به الحياة سيما في هٰذه الأزمنة المبتورة المنكورة ، التي قد ذهب فيها الأخيار والخير ، وعمَّ الأشرار والضير ، ولم يبقَ فيها داعٍ ولا مجيب ، ولا نسيب ولا صحيب ، ولا صورة ولا حقيقة ، كما تعلمونً وتشاهدون والحال كالحال ، والبال كالبال ، وإلى الله المنقلب والمآل ، علىٰ خير وإلىٰ خير ، إن شاء الله ، ببركات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلف الصالح رضي الله عنهم .

وفي مكاتبة أخرىٰ منه إلى السيد المذكور رضي الله عنهما : وقد وصل كتابكم وحصل به الأنس التام ، والسرور العام ؛ لإخباره عن عافيتكم وبقائكم

إلىٰ هـٰذا الحين في هـٰذه الأيام المكدِّرة المنكَرة من أكثر الوجوه ، واحترازاً عن كلها لعموم ألطاف الله تعالىٰ وشمول عناياته للخصوص من عباده الذين يحييهم في عافية ، ويتوفاهم كذلك ، وعسىٰ حسن الختام ، علىٰ كمال الإيمان والإسلام ، وحسن المصير إلىٰ دار السلام .

وفي مكاتبة أخرىٰ إلى الحبيب أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنهما :

واعلم : أن الخاطر من جهتك طيب ، والقلب مغتبط بوجودكم في مثل هـٰذا الزمان والمكان ، علىٰ ذلك الحال من الإقبال على الله تعالىٰ وعلىٰ طاعته ، وعلىٰ تدريس العلوم النافعة ، وما يجري ذلك المجرىٰ من القربات المرغَّب فيها ؛ التي هي طرق السماء ، وزاد العقبىٰ ، ومتاع الآخرة .

وفي مكاتبة أخرىٰ منه إلى السيد المذكور رضي الله تعالىٰ عنهما : وادعو لأهل الجهة ؛ فإنه حل بهم من البلاء ما يكاد ألاَّ يطاق ، وأكثر ذلك من ولاة السوء ، ومن وسائطهم وأعوانهم ـ أصلح الله الجميع ـ والتخليط واقعٌ في هـٰذا الزمان والثقة غير حاصلة بهم ، وحسن الظن أحسن ما أمكن ، والله غالب علىٰ أمره ولـٰكن أكثر الناس لا يعلمون .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : ونحن إن شاء الله علىٰ قدم ممَّا نشير به ونراه ، وقد مارسنا الأيام ، وجرَّبنا الأمور ، وعرفنا ما يصلح لكل أهل مرتبة في مرتبتهم وما يحسن منهم الأخذ به فيما يذَرون ، والتجربة عقل بل هي القسم الوافر منه بعد صحة الغريزية الأصلية ، فكن عاقلاً ، أو كن ممن يصدر عن رأي عاقل . . تسلم من الندامة ، وتسير علىٰ سبيل السلامة ، المفضية بمن سار عليها إلى الكرامة .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : الله الله يا أخي ؛ لا تنسانا من صالح دعواتك ؛ فإن فوائد الأخوَّة قد قلَّتْ في هـٰذا الزمان ، حتىٰ لم تبقَ منها إلاَّ هـٰذه ، وهي فائدةٌ جليلة ورد الشرع بالترغيب فيها ؛ من ذلك : قوله صلى الله عليه وسلم : « أَسْرَعُ الدعاءِ إجابة دعاء غائب لغائب » .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : التجارة فيها خطر سيما في هـٰذه الأزمنة ، والحرث والغرس أقل خطراً وأكثر نفعاً لصاحبه ولغيره ، وفيهما أخبار وآثار تدل على البركة ودوام المثوبة ، فخذوا في ذلك بالمتيسر والأقلِّ شغلاً لئلا يتفرق القلب وتكثر الأشغال بالأمور الدنيوية ، والشاهد يرىٰ ما لا يرى الغائب ، والسلامة إحدى الغنيمتين ، ومن كان لله.. كان الله له ، وهو الموفق سبحانه ، أدام الله توفيقكم ، وأخذ بنواصينا ونواصيكم إلىٰ ما يرضيه ويزلف لديه .

وقال رضي الله عنه : أكثرُ أهل الزمان همجٌ ورعاعٌ ، قد يستفزون بعض المتحفظين والمتوقين بشيءٍ من أقوالهم وأفعالهم ، فيوقعونه فيما لا يَحسُن ، وربما أنهم إذا خالطوا بعض المتحفظين ولم يظفروا منهم بشيءٍ.. كذبوا عليهم ، قاتلهم الله أنىٰ يؤفكون .

وقال رضي الله عنه : الزمان زمان فتن ومحنٍ حتىٰ إن بعض أموره أو كثيراً منها ما يجيء إلاَّ من غير مظانه ، ويظهر من غير مواضعه ، وما ثم إلاَّ التسليم والرجوع إلى العزيز العليم الذي بيده ملكوت كل شيءٍ وإليه ترجعون .

ثم قال نفع الله به :

اقبل ما جاء من زمان الانعكاس وقل : لا بأس ، وإن كنت في إلباس ، ووسع صدرك لنوائب الزمان ، الذي العامة من أهله كلهم قد شان ومان ، والله عليهم المستعان .

وقال رضي الله عنه : نوصيكم بالخشوع لله ، والتواضع لعباد الله ، والتحفُّظ من الرِّياء ، ومن الإعجاب بالنفس ، وبالزهد في الدنيا ؛ فإنه الذي عليه المدار في هـٰذا الشان ، وخصوصاً في هـٰذا الزمان ؛ الذي أكبَّ فيه الناس على الأمر الدُّنيويِّ من غير مبالاةٍ ولا احتشامٍ ولا مراقبة .

وقال رضي الله عنه : هـٰذا الزمان وأهله قد صاروا إلىٰ فسادٍ عظيمٍ ، وفتنٍ هائلةٍ ، وإعراضٍ عن الله وعن الدار الآخرة ، ولا يمكن مع ذلك الاحتراز عنهم

إلاَّ بالفرار منهم ، والبعد عن جمعياتهم إلاَّ ما صفا منها ولم يكن فيها شيءٌ من هـٰذه الشوائب التي يُخشىٰ منها في الدِّين ، أو يتوجَّه عليه أمرٌ أو نهيٌ لا يستطيع القيام به ، ولا يجد من يعين عليه ؛ فهـٰذا هو الذي يظهر لنا في أمثال هـٰذه الأمور والذي نأخذ به ونعمل ، فخذوا بذلك واحتاطوا لأنفسكم ، وخذوا ما صفا ، ودعوا ما تكدر .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : قد أسكتَ العلماءَ بالله وبدينه وألزمهم الصمتَ الإعراضُ عن الله ، وعن سلوك طريقه وقلَّة الرغبة في العلم ، وقلَّة الصبر علىٰ طلب الحق وطلب أهله ، وعدم الانقياد لهم ، والأخذ بما لديهم عند العثور عليه ؛ وهـٰذا قد غلب واستولىٰ علىٰ أهل الزمان إلاَّ من عصم الله ، وقليلٌ ما هم .

وقال رضي الله عنه : نوصيك بترك مجالسة أهل الزمان ، ومخالطتهم ومعاملتهم ، والتعرُّف إلىٰ مَنْ تُنكره منهم إلاَّ عند الحاجة مع غاية الاحتراز والحذر منهم ؛ ليسلموا من شرِّك وتسلم من شرِّهم ، وتكون هـٰذه نيتك في مجانبتهم ، فلا تجالس إلاَّ من تنفعك مجالسته في دينك ، فإن تعذَّر عليك . . فَفِرَّ من مجالسة مَنْ تضرُّك مجالسته في الدِّين فرارك من السَّبُع الضاري وأشد .

وقال رضي الله عنه : لا تُدخل قلبَك خوفَ الفقر ؛ فبئس القرين هو ، واحذرِ الاهتمام بأمر الرزق ؛ فليس له مستندٌ إلاَّ الشك في المقدور ، وما قُدِّر لك وعليك . . فلا بدَّ أن يصل إليك بسعيٍ وبدون سعيٍ حَسَبما جرىٰ به القلم في أمِّ الكتاب ، فاصرف همك إلى القيام بما فَرَض عليك من حقه ؛ فإنما ابتلي أهل الزمان ببلية الاهتمام بالرزق عقوبةً لهم علىٰ تضييع الأوامر وارتكاب المحارم .

وقال رضي الله عنه : عليك بصحبة الأخيار ، والتأدُّب بآدابهم ، والاستفادة من أفعالهم وأقوالهم ، وبزيارة الأحياء والأموات منهم ؛ مع التعظيم البالغ وحسن الظنِّ الصادق فيهم ؛ فبذلك يحصل الانتفاع للزائرين ، ويفيض المدد من جهتهم .

وإنما قَلَّ انتفاع أهل الزمان بالصالحين : من حيث قلة التعظيم لهم ، وضعف حسن الظن فيهم ، فَحُرِموا بسبب ذلك بركاتِهم ، ولم يشاهدوا كراماتِهم ، حتىٰ توهَّموا أن الزمان خالٍ عن الأولياء ، وهم بحمد الله كثيرون ظاهرون ومخفيون ، ولا يعرفهم إلاَّ مَنْ نوَّر الله قلبه بأنوار التعظيم وحسن الظنِّ فيهم ، وقد قيل : المدد في المشهد .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : ما أحسن حال من أقبل على الله وعلىٰ طاعته إقبالاً لا يشعر معه بشيءٍ ممَّا عليه أهل الزمان ؛ ممَّا يُخالف هَديَ السلف الصالح ، والمجانبة لسيرهم المحمودة .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : الغالب علىٰ زماننا هـٰذا وعلى الأزمنة القريبة منه الفسادُ والشرُّ والأشرارُ ، والخير والصلاح فيه نادرٌ ، والأخيار والصالحون قليلون مستورون ومغلوبون ومقهورون ، والله المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقال رضي الله عنه : لا ينبغي للعاقل في هـٰذا الزمان أن يكثر من مراقبة الناس ومداراتهم ، وترك بعض الأمور التي يرىٰ فيها صلاحاً لقلبه وراحة لنفسه ، أو أُنْسًا لخاطره من أجلهم ؛ فقد صارت مراقبة الناس ومحاذرتهم في هـٰذا الزمان تعباً مجرّدًا ليس تحته فائدة ؛ لاشتغال الناس بنفوسهم ، واستغراق ظواهرهم وبواطنهم بأمور دنياهم ، وعدم التمييز بين الأمور فيهم عموماً .

وقد كانت مراقبة الناس ومحاذرتهم ممَّا لا يستحسنه أرباب العزائم ؛ فينبغي للعاقل التقيِّ ألاَّ يُعوِّل إلاَّ علىٰ مرضاة الله تعالىٰ ، وما فيه صلاح نفسه وفلاحها في الدار الآخرة ، وعلىٰ ما فيه راحة قلبه وأنس نفسه في غير إثمٍ ولا دناءةٍ ، ولا يراقب في ذلك أحداً من الناس ألبتة ؛ فإن الناس قد اشتغلوا بأنفسهم فليشتغل هو بنفسه وبما يصلحه ويهمه في دينه ودنياه .

وقال رضي الله عنه : أهل البصائر وأهل النصيحة لأنفسهم قليلٌ ـ وخصوصاً في هـٰذا الزمان ـ وأهل الجهل والغرور كثيرٌ ، فليحذرِ المؤمن التقي

لربه الشفيق لدينه من كل ما يضرُّ به نفسه ، أو يضرُّ به غيره من المسلمين .

وقال رضي الله عنه : أمراض القلوب أضر وأخطر وأبشع وأشنع من أمراض الأجساد من جهات كثيرة ؛ ومن أظهر علاماتها : التكاسل عن الطاعات ، والتثاقل عن فعل الخيرات ، والحرص علىٰ شهوات الدنيا وشدة الميل إلىٰ لذَّاتها ، والرغبة في عماراتها ، وطولِ البقاء فيها وأشباه ذلك من أحوال أهل الغفلة ، وأوصاف المعرضين عن الله .

وأبلغ الطرق في معالجتها وأقربُها إلىٰ حصول القصد من ذلك : أن يطلب له شيخاً عالماً عارفاً من أهل القلوب والسرائر ، فإن لم يجده . . فأخاً صالحاً ناصحاً يستعين برأيه وإشارته في تعرُّف أمراض قلبه ومداواتها ، فإن لم يظفر به ـ كما هو الغالب من أحوال هـٰذا الزمان من قلة المعاونة على الحق والخير ـ . . فعليه بكتب أئمة هـٰذا الشأن التي ألَّفوها في وصف أمراض القلوب ، وتعريف الطرق إلىٰ مداواتها ، وأجمع الكتب في ذلك وأنفعها كتاب « إحياء علوم الدين » خصوصاً (ربع المهلكات) منه ؛ فإنه مؤلَّفٌ بالقصد في أمراض القلوب ، والطرق إلىٰ معالجتها ، وعلاماتها الدالة علىٰ وجودها ، وقوّتها وضعفها إلىٰ غير ذلك .

ولـٰكن ليستِ الكتب تُنزَّل في حصول المقصود منزلة الشيخ العارف والأخ الصالح ، ولـٰكنها حيلة الفاقد ، والله يعين الطالب علىٰ قدر همته وصدقه وحسن نيته ، وهو الولي المعين .

وقال رضي الله عنه : كان الأكثر من رجال الله علىٰ هـٰذا الوصف وهـٰذا السبيل الذي ذكرناه : من التفرُّغ للعمل والعبادة ، والاعتزال عن الناس ، والإقبال بكنه الهمة على الدار الآخرة ، وترك ما يشغلهم عن ربهم وعن طاعته ، والتجرُّد لعبادته كائنا ما كان والصادقون من أهل هـٰذا الطريق قد قلوا وعزوا حتىٰ صاروا أعز من الكبريت الأحمر .

وأهل هـٰذه الطريقة أحرص الناس على الاستتار والخمول ، والفرار من الناس ؛ خصوصاً عند فساد الزمان .

وقال رضي الله عنه : لا يزال في هٰذه الأمة من يدعو إلى الله تعالىٰ وإلىٰ سبيله وإقامة دينه وحفظ أمره في كل زمانٍ ومكانٍ ، وإن فسد الزمان ، وغلب الباطل ، وتظاهر أهل البغي والعدوان . . فإن الدِّين مؤيدٌ بتأييد الله تعالىٰ ، وظاهرٌ بإظهارٍ من الله عزوجل .

وقال رضي الله عنه : قد غلب الجهل واستولىٰ علىٰ أهل الزمان السيءِ الحال ، وذهب بهم كل مذهبٍ حتىٰ صار الكثير منهم ـ أو الأكثر ـ لا يعلم ولا يدري بالحق والدِّين : ما هو ؟ ولا بالآخرة والمصير إلى الله تعالىٰ كيف هو ؟ فصارت تلك بليَّةً عظيمةً عمَّ ضررُها الجاهلَ والعالم ، والعام والخاص .

وقال رضي الله عنه : إن أهل البلاء في هٰذا الزمان ينقسمون إلىٰ ثلاثة أقسامٍ : أهل الرضىٰ والسكون لهم رفع درجات ، وأهل الجزع من غير اعتراضٍ لهم تكفير سيئات ، وأهل الجزع والاعتراض لهم مقتٌ وعقوبات .

وقال رضي الله عنه : أهل حضرموت أيديهم أيبس من الحجارة ، وقلوبهم أشد ، وترى الرجل منهم قد يهمُّ بالفعل الجميل ـ أو قال : الحسن ـ مراتٍ عديدةً ولا يفعله .

وقال رضي الله تعالىٰ عنه : كنا كثيراً ما نجد من رجال سواد البلد أُناساً نذاكرهم في المناقب والسير والأنساب ، واليوم ما نجد من الخصوص إلاَّ القليل ؛ أو قال : الآحاد .

وقال رضي الله عنه : في هٰذا الزمان حوادث لا يمكن الأخيارَ إنكارُها ؛ لأن فيه من شياطين الإنس من يردُّ ويعترض عليه ، ويحتج بحجج داحضة ، أهل هٰذا الزمان علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ فتفرق أحوالهم ودينهم ، ومن لم يبال بدينه . . لم يبال الله به ، فاحفظوا هٰذه القاعدة .

وقال رضي الله عنه : لا يخلو الزمان من أفاضل آل أبي علوي حتىٰ يخرج المهدي الموعود به : إمَّا خاملٌ مستور ، أو ظاهرٌ مشهور .

وقال رضي الله عنه : ضعفت النيات والهمم والمروءات في هٰذا الزمان ؛ وذلك لضعف الدِّين .

وقال رضي الله عنه : إن أهل الكشوفات من الأولياء قَلَّ أن يظهروا منها بشيءٍ في هٰذا الزمان ؛ لفساده وتعلُّق أهله بالدنيا .

وقال رضي الله عنه : هٰذا زمانٌ العالمُ فيه أبكم ، والجاهل أصم عن الحق ، فلا العالم يتكلَّم ، ولا الجاهل يسمع ؛ لاستغراق الكل بالدنيا .

والعلم سيفٌ يقطع الجهل ، ولٰكن أهل الزمان اتخذوا السيف لقطع الطريق لا لأمانها .

وقال رضي الله عنه : طَلَبَ أهل الزمان الراحة في الدنيا وأسبابها بالتمتع بها فأخطؤوها بما تعجَّلوا من التعب والعناء الشديد ، والعذاب الأليم في يوم الوعيد .

وقال رضي الله عنه : لا يصلح تولي الأوقاف إلاَّ لذي مالٍ أو صاحب ورع ؛ والورع قد قلَّ في زماننا هٰذا .

وقال رضي الله عنه : لا يسمح بالثناء علىٰ أقرانه في هٰذا الزمان إلاَّ كامل العقل والدِّين ، وينبغي للإنسان ألاَّ يمتحن الناس ، بل يعاملهم بما يحترز به من شرِّهم .

كان مع الناس تِبْر ذهب فصار الآن تبناً ، والأمر كله لله .

ينبغي في هٰذا الزمان المواظبة بالخصوص علىٰ هٰذه الدعوات : اللهم ؛ استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واكفنا كل هولٍ دون الجنة .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان ليس لهم رغبةٌ في العلم ولا اهتمامٌ به ولا تعليق فوائده ، فقد وجدنا لبعض العلماء من التعاليق ما ينيف علىٰ مجلدات .

وقال رضي الله عنه : الأصلح للمؤمن في هٰذا الزمان أن يكون فريداً لا يُعرَف ؛ لأنه إن لم يقدر على اكتساب الخير . سلم من الإثم .

ما أهلك الناسَ إلاّ الناسُ ، والأخ الصالح في هـٰذا الزمان نعمةٌ من الله تعالىٰ ، وهو المصافي الذي تأمن جنابه ويأمن جنابك ، وهـٰذا وصف المتقين .

وقال رضي الله عنه : عجبت لأهل هـٰذا الزمان ؛ يكون الواحد منهم في البداية وتمنيه نفسه أنه من أهل النهاية ، وهـٰذا دليلٌ على انطماس البصيرة وقِلَّة العقل .

وقال رضي الله عنه : من طالع الكتب الغزالية . . كفته عن العمل ، ومن اشتغل بمطالعتها وقراءتها . . تمَّ أمره وعظم ظفره ، ومن طالع « إحياء علوم الدِّين » بالخصوص منها . . رُزِق الخوف من الله ، ومن رُزِق الخوف . . لم يَعْرض له ما يعرض للسالكين في سلوكهم ، ومن اشتغل بـ« الإحياء » قراءةً ومطالعةً . . فقد تحقَّق بالعلم ؛ لأن قراءته تكفي عن المعلم والشيخ ، ولا أنفع لأهل هـٰذا الزمان من قراءة « الإحياء » ؛ فهو حياةٌ وسعادةٌ في الدنيا والآخرة .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان متعلِّقون ومستكثرون لأمر المعاش الدنيوي ، ويرون ما يدخل ولا يرون ما يخرج .

وقال رضي الله عنه : إذا قلتَ لأحدٍ : أتصلي ؟ فقال : نعم . . فاقبل منه ولا تفتش عليه ؛ لأن الزمان مقتضاه ذلك ، وحسن الظن مُقدَّم علىٰ عكسه .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان لا يصلحون للاستعانة علىٰ فعل خيرٍ ولا علىٰ ترك شرٍ .

هـٰذا إجمال الأمور ، وتفصيلها يعرفه الإنسان من نفسه بالتجربة ، هـٰذا الزمان أهله كثيرو العجائب ، قليلو الغرائب ، كثيرو المثالب ، قليلو المناقب .

راحت أعمار الناس بلا شيءٍ ، وسيَّبوا كل شيءٍ ، وادَّعَوا كل شيءٍ ، وفاتهم كل شيءٍ .

وقال رضي الله عنه : لا تسأل عن أعمال أهل الزمان ، الزمان زمان مسايرة ومداراة وتغافل ، فمن فعل ذلك معهم . . تمَّتْ له أموره ، فإذا كان الإنسان منهم لا يحتمل التقصي من والده . . فما بالك بغيره ، لـٰكن ينبغي للإنسان أن يبذل وسعه في الطاعة ، وإذا رأيت الإنسان ما همَّه إلاَّ الدنيا . . فانفض يديك منه .

وقال رضي الله عنه : من سوء أحوال الزمان وأهله أن يقتدي الإنسان بالآخر في مثالبه وأحواله المذمومة ، ويترك الاقتداء به في محاسنه وآدابه ، وهـٰذا هو الغالب علىٰ أهل هـٰذا الزمان ، فترىٰ أحدهم لا يحسن صلاته وقراءته ويربي ؛ فإذا قيل له في ذلك . . قال : ورا فلان ، أو يؤخر الصلاة عن وقتها ويقول : العالم الفلاني كذا يفعل ، فمثل هـٰذا إنما تضرَّر ولم ينتفع باقتدائه ، فلا تقتدِ إلاَّ بالأحسن ، ولا تنقل إلاَّ الأحسن .

حسنُ الظنِّ بالمسلمين عموماً هو الأمر الواجب إلاَّ مَنْ رأيته علىٰ باطلٍ صريحٍ . . فلا ؛ لأنه قادحٌ في الشريعة ، وأنت سايرْ أهل زمانك ما لم يغلبك الجوازُ ، فإذا لم تجز المسايرة . . فلا تساير .

وقال رضي الله عنه : من أراد من الدنيا حاجته وما لا بدَّ له منها . . لا يقطعه ذلك من أمور دينه ، بل أمور الدِّين تيسره وتزيده ، فمن جعل الدنيا حذاءً . . منعته النجاسة والشوك والأذىٰ ونفعته ، وهو عزيز ، فإن جعلها علىٰ رأسه . . قذرته ووضعت من قدره وهو ذليل ، بل لو جلس وهي في رجليه . . ينبغي له أن ينزعها ، فكيف إن جعلها علىٰ رأسه ؟!

ونحن ما أنكرنا علىٰ أهل هـٰذا الزمان في أخذِ ما لا بدَّ منه وما يغنيهم عن التكفُّف للناس ، وإنما أنكرنا عليهم رِفعتَها وتعظيمَها والتهالكَ عليها حتىٰ ضيعوا بسببها حقوق الله ؛ كإخراج الصلوات عن أوقاتها ، أو عن أوائلها ، أو عن الجماعة .

وكان السلف لا يتركون شيئاً من أمور الدنيا يتمُّ في أيديهم ، بل إذا تمَّ من

جهةٍ . . بقي ناقصاً من الجهة الأخرىٰ ؛ لأنها إذا تمتْ . . لابد أن تذهب فتعظم حسرتها ، وإن كان مَن طلبها ليبرَّ بها ناقص عقل ودين ، فكيف بمن يطلبها لنيل الشهوات ، والتمتع باللذات ، وأمور الدنيا ؛ كرِجْلَي المحواك كلَّما ارتفعت واحدة . . هبطت الأخرى ؟!

وقال رضي الله عنه لرجلٍ من المتعلِّقين بعلم الظاهر : إحْيَ في قلبك ومت في نفسك ؛ فإن القلب له صفات ؛ كالزهد والتواضع ، والنفس لها صفات ؛ كالرغبة في الدنيا والرياء وحب الجاه ، فإذا اتصف القلب بصفات النفس . . اندرج فيها ، وإذا اتصفتِ النفس بصفات القلب . . اندرجت فيه ، والمتعلق بالفقه ـ أي : فقط ـ لا يُفتح عليه ، فطالع في « الأربعين الأصل » ، وخُذْ بما في كتب الإمام الغزالي ، ولا تطلب التدقيق ؛ فإن هـٰذه الأشياء في هـٰذا الزمان إلى الطي أقرب .

وقال رضي الله عنه : ينبغي لأهل الزمان أن يجتهدوا أن يكونوا من أصحاب اليمين ؛ بأن تغلب حسناتهم علىٰ سيئاتهم فيكونون إلىٰ داخل لا إلىٰ خارج ، ويسلمون من الكبائر ، ويعتقدون في أنفسهم أنهم لم يقوموا بشيءٍ ، فمن أحكم ذلك . . صار من المقربين ، وأهل الزمان يطلبون أن يكونوا صالحين مع جمع الدنيا ، ولا يصح من هـٰذا شيء .

وقال رضي الله عنه : ما أحسن في هـٰذا الزمان من الانقباض والصمت فإذا جلست مع نفرٍ منهم . . فقم وأظهر أن لك حاجةً دعتك إلى القيام ، وحاجتك حاجة صحيحة ، وهي الإعراض عنهم ؛ للسلامة مما يقعون فيه .

وقال رضي الله عنه : الحزم : ترك مجالسة أهل الزمان والحذر منهم ، وحدك ، إن مجالسة المغنِّي أحسن وأسلم من مجالستهم ، فإذا جالستهم وتكلمتَ معهم . . فأقلِلْ ولا تتكلَّم إلاَّ فيما لا بدَّ منه حق التنفس أو الاستذكار ولا تتعب نفسك معهم ؛ فإن أوعيتهم مخرَّقة .

وقال رضي الله عنه : كلام أهل الزمان كقشاش خُمَّ من الدار ومُلِيءَ به طبقاً

ليرمىٰ به لا ترىٰ فيه ما يُنتفع به ، وقد كان الأوَّلون لا بدَّ في كلامهم من فائدةٍ ، ثم هم لم ينظروا في الكلام بل ينظرون في السِّيَر ويتأمَّلون فيها ، وتظهر لهم فيها الكرامات ، وأما هٰؤلاء . . فمجالستهم فتنةٌ وإثمٌ ، وغِيبةٌ وفضولٌ ، وتضييعٌ للوقت ؛ فاعتزالهم أحسن .

هٰذا الزمان هو الذي قال الله فيه : ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ فعلى الإنسان فيه بخاصَّةِ نفسه : يمنعها من كبرٍ وحسدٍ ، وغِلٍّ وحِقْدٍ ، ولا عليه في ذلك من غيره .

وقال رضي الله عنه : كنَّا سابقاً نسأل عن العالم العامل بعلمه ، فإن لم يكن عاملاً . . لم نعبأ به ، وأما الآن . . فنحن نسأل عن العالم وإن لم يعمل ؛ لِمَا رأينا من غلبة الجهل والغفلة عن التعلُّم ، وعدم الهمة في طلب العلم ، والرضا بالجهل والعمل بمقتضاه ، فإن عمل به . . فهو الغاية ، وإن لم يعمل . . فيُعلِّم الناسَ ويهديهم إلى الصواب ، فينتفع به غيرُه وإن لم ينتفع هو به في نفسه .

وقال رضي الله عنه : لو مكَّنَنَا الناسُ من أموالهم . . أخرجنا منها ثلثها برضاهم ؛ لأنه لا يمكن دفع ما هم فيه عنهم من الشدائد والمصائب إلاَّ بذلك ؛ لأنها لم تحصل عليهم إلاَّ بسبب الأموال يتحاسدون عليها ، ويتنافسون فيها ، ونضعها في أرحامهم وأقاربهم ، إذ الإنسان منهم يبيت قريبه جائعاً وهو يقدر أن يشبعه فلا يفعل ، وإذا تأمَّلْتَ أفعال الفقراء . . رأيتها أحسن من أفعالهم ، وقد كان أهل الجاهلية إذا وقعوا في شدةٍ . . جمعوا أموالاً وقالوا : دعونا نرضي ربنا ؛ فإنه سخط علينا حيث أوقع بنا ما وقع ، ثم يُفرِّقونها على المحتاجين منهم والأقربين ، هٰذا وهم كفارٌ ، وأما هٰؤلاء أهل الزمان إذا وقعوا في شدةٍ . . تكالبوا على الدنيا ، وبخلوا بها ، وجعلوا يُقبِّحون الأولياء والصالحين الأحياء منهم ـ إن كان أحدٌ منهم ـ والأموات ، وقالوا : أصابنا ذلك فلم يحموننا منه .

وقال رضي الله عنه : إن أهل الزمان في قلوبهم شياطين ؛ ولهٰذا يَضِيقُون

من قراءة القرآن والجلوس في المساجد ، ولولا ذلك . . ما ضاقوا ؛ ألا ترىٰ أن المصروع الذي دخله شيطانٌ ـ أو قال : الذي فيه الجني ـ إذا قرأت عليه القرآن . . كيف يصيح ؟!

وقال رضي الله عنه : في وصف هـٰذا الزمان أنه لا صدق فيه ولا تقوىٰ ، فلا تصدِّق بوجود أحدٍ فيه صدق وتقوىٰ ؛ لعدم ذلك فيه ، وإقدامُهم على الحرام يُضاهي إعراض الأوَّلين على الحلال ؛ لأن الأوَّلين أعرضوا عن الحلال احتياطاً للسلامة ولا بالوا ، وهـٰؤلاء وقعوا بالقصد في الحرام ولا بالوا ، ومثلهم كالهرار في بعض الأماكن إذا شمَّتْ ريح اللحم . . هاجت ولم تمسك نفسها ما لم تأكل منه ؛ حتىٰ يدهنوا فمها بقليل سمنٍ فتسكن عند ذلك قليلاً .

ما عاد للناس هوىً[1] في الطاعة ولو أنك عَلَّمْتَ أحداً مقصراً في صلاته أو قراءته أو شيءٍ من دينه . . ترك المكان الذي أنت فيه ، وإن علَّمته في مسجدٍ . . ترك ذلك المسجد ، فما عاد معك ألاَّ تقيس فعله ذلك بتركه أيهما أحسن وأولىٰ ، فتطلب ذلك وتراعيه منه ، ولم يزل الناس يتناقصون حتىٰ يبلغ الكتاب أجله ، ولو بقوا علىٰ حالةٍ واحدةٍ . . لمَا قامت الساعة .

وقال رضي الله عنه : متىٰ فرحتَ بشيءٍ من أمور الدنيا واطمأنَنْتَ به . . فأنت ناقص عقلٍ ودينٍ ، وزيادة أحدهما أو نقصه يستلزم مثله في الآخر ، ولا أَحْسَنَ أهلُ الزمان تدبيرَ دينهم ولا دنياهم ، بل هم في أمر دنياهم كالعين العوراء ضعيفة النظر ، وفي دينهم كالعين العمياء لا تبصر .

وكلَّما دار الزمان . . تغيرَّ أهله ، فترى الإنسان يقصر عن مماثلة بنيه ، ويعجز في دينه ودنياه ؛ حتىٰ في القوَّة والهمَّة ، ويعرف مرض قلبه ، ونقص دينه وعقله ، وهو أعرف به من غيره ثم لا يهمُّه ذلك أن يقصد طبيباً من أطباء القلوب يداويه ويسلم الأمر إليه ، ولو وقع له أدنىٰ مرضٍ في بدنه . . لاهتمَّ له ، وطلب المداويَ ، ويقال : إن المريض أعرف بعلَّته من الطبيب .

---

(١) يعني : ميلاً .

وقال رضي الله عنه : الهلع مع الفقر عيبٌ كالبطر مع الغنىٰ ، وينبغي لفقير هٰذا الزمان أن يكون أخف من العُطُب[1] على الناس ، وإلاَّ . . أثم فيهم وأثموا فيه .

وقال رضي الله عنه : إن فتن آخر الزمان مثل النار تحت الرَّماد ، فليفرح الإنسان ما دامت مندفنةً تحته ، ولا يحركها فتظهر ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « الفتنة نائمةٌ لعن الله من أيقظها » ، والفتن موعودٌ بها في آخر الزمان وآخر ما تأتيه جزيرة العرب .

وقال رضي الله عنه : لا تفعل شيئاً من أمور الدنيا إلاَّ مع الحاجة الظاهرة ؛ فإن الاستكثار من أمور الدنيا ما هو شيءٌ أصلاً ، فلا تجعل لنفسك منها شيئاً ، ولا تقل : ربما تدعو إليه حاجةٌ ، فحاجة الآخرة والدِّين أهم إليك من هٰذا وكلَّما قَدَر الإنسان يضيِّق علىٰ نفسه في هٰذا الزمان لوجه الله لا لشيءٍ آخر . . فهو أحسن ؛ فإن ما عند الله خيرٌ وأبقىٰ .

وسُئِل رضي الله عنه عن التفضيل بين الفقر والغنىٰ ، فقال : ندع التفضيل حتىٰ نرىٰ فقيراً وغنياً متدينينِ متنسِّكَينِ فنرىٰ أحوالهما فنفضِّل أحدهما على الآخر ، وأما أهل الزمان . . فما فيهم حجة ، ولا بهم حجة ، فدعهم حتىٰ يجيئك من تحتج به ، فأوَّل ما نحتجُّ علىٰ أهل الزمان بترك الزكاة ، ويكفيك في تفضيل الفقر على الغنىٰ شأنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأن الغالب من أولياء الله تعالىٰ كانوا متجردين عن الدنيا ، ومَنْ في يده شيءٌ منها . . إنما يمسكه لينفقه ولا يبالي كيف كان .

وأما هٰؤلاء الذين أحدهم يبيع ويشتري ، ويقامر ويخون ، وأوقات لا يصلي ولا يبالي بالدِّين . . فهٰؤلاء لا تَفاضل بينهم ، ويُتركون فيما بينهم وبين الله تعالىٰ .

وقال رضي الله عنه : إنما تُستدفع الامتحانات بالصدقات سيما المحن المالية ؛ فإن الجزاء من جنس العمل ، وكان الأولون يزدادون بالبلايا والمحن

---

(١) العُطُب : القُطن . بلغة الحضارمة .

خضوعاً وذلةً وافتقاراً إلى الله تعالىٰ ، ويكثرون من الصدقات عند ذلك .

وأما هٰؤلاء ـ يعني أهل الزمان ـ . . لا يزيدهم ذلك إلاَّ بخلاً وافتجاعاً على الدنيا وحرصاً وما بهم إلاَّ أعمالهم السيئة ، فحيث لم ينصفوا ويؤدُّوا حق الله من أنفسهم بأنفسهم من أداء أوامره واجتناب نهيه كما ينبغي . . انتصف الله منهم بنفسه .

وقال رضي الله عنه : ما قطع أهلَ الزمان من معرفة العلم العجزُ إنما قطعهم الزمان ؛ لأن من عَلَّم شيئاً . . لم يُحفظ عنه ، ولو أملاه ليُكتَب فكُتِب . . لم يُحفظ أيضاً ، وإن حُفظ . . نُسي ، أي : لعدم مذاكرته به ، فلو ألقيتَ في الأرض دراهم فلم تجد من يلتقطها . . لم ترمِ بها مرةً أخرىٰ .

خذ من أهل الزمان بالرفق ما أمكنك، ولا تشدِّد عليهم ؛ فإن حبالهم رامَّة[1] ، وما كنت تُعلِّمه أحدهم في يوم . . اجعله في ثلاثة أيامٍ ؛ لأن قلوبهم مائلةٌ ؛ وخصوصاً الصغار ، ومثال أهل الزمان كالبعير الشارد فلاً تضربه فتزيده شروداً .

وقال رضي الله عنه : إن أهل الزمان ما صححوا إيمانهم بالنظر والسؤال حتىٰ إن عامتهم إيمانهم قاصرٌ عن إيمان المقلِّدين ؛ لقلة بصائرهم ، وقد أدركنا الناس يعلمون الصغار : (قل : رضيت بالله ربّاً ، بالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، ولد بمكة ، وبُعث بها ، وهاجر إلى المدينة ومات بها) فما زال الأمر ينقص حتىٰ لم يبق لأمثال هٰذه الأشياء أثر .

فإذا كان في أمور الإيمان ـ وهو الأصل ـ : فماذا يكون غيره ، ورجعت فراستهم في أمور الدنيا .

الناس اليوم كمن يشل المَخْفَر[2] بأحد أذنيه لا عذر له من أن يتطاير منه شيء ؛ لأنهم لم يأخذوا الأمور بأطرافها .

وقال رضي الله عنه : ينبغي في هٰذا الزمان أن المطلوب منه هو الذي يدوِّر

---

(١) رامَّة : بالية .

(٢) المَخْفَر : سلة تصنع من الخُوص وجريد النخل . متفاوت في الكُبْر والصُّغْر .

للطالب ولو هو علىٰ خلاف ما عليه السلف ؛ لضعف الهمم في الطالبين ، ولأجل الثواب ، وليحصل له التذكر ؛ لأنه لولا المذاكرة . . لنسي .

وقال رضي الله عنه : ما لنا في الشعر رغبة ألبتة ، وإلاَّ . . فنحن قادرون علىٰ ذلك ، لو أردنا . . لفعلنا منه ثلاث مجلدات ، ولـٰكنَّا لما رأينا ـ خصوصاً في هـٰذا الزمان ـ الناس في غفلة جداً . . حثَّنا ذلك علىٰ شيءٍ منه ؛ لأنه يشيع في العامة وغيرهم ؛ فعسىٰ أن ينشط عاملاً أو يوقظ غافلاً ، وفيه الوعظ والتذكير وغير ذلك .

وقال رضي الله عنه : الشاهد العدل الذي تُقبل شهادته لا بدَّ فيه من المعرفة لما شهد به كما هو ؛ فلو حضر مجلس بيعٍ مثلاً ولـٰكن ما عرف البائع أو المشتري أو المبيع ونحو ذلك . . لا تصح شهادته وإن صدق في حضور العقد وفيما رآه كشهادة الهلال حتىٰ يكون مع العدالة عارفاً بالمطالع والمنازل ، وأكثر شهود الزمان ما هم عارفون بما شهدوا به ، ولا فيهم عدالة ، الواحد منهم تمرُّ عليه ثلاث صلوات وأكثر في مجلسٍ واحدٍ إما حائك أو حراث أو غير ذلك .

وإذا لم يقع الاحتياط في صيامٍ . . ففي ماذا يكون : في بيع دارٍ أو في حساب قرشٍ ؟!

وإذا ما عرفوا فينقلون كلام عارفين وعلماء ، فإذا لم يتأدَّبوا مع الله تعالىٰ ورسوله والأكابر . . فمع مَن يتأدبون ؟!

ثم قال نفع الله به : كلُّ مَنْ تهاون بأصول الدِّين وبالتوحيد : من الإيمان بالله ورسوله ، واليوم الآخر ، وفعل الواجبات من صلاته وزكاته ، ويرتكب المحرمات . . فلا يؤمَن ، احفظوا هـٰذا الكلام .

وقال رضي الله عنه : تمضي ثلاثة أشهر ما يخرجون للرؤية فإذا كان شهرٌ لهم فيه أَكْلٌ . . خرجوا لرؤيته ، والناس ما هم فيما يتعلَّق بذلك ، فلا فرق في أكلةٍ تقدَّمت أو تأخَّرت إنما الحرج فيما يتعلَّق به الأحكام من الأشهر كمدخل

رمضان وخروجه ، وشهر يوم الحج ، وكذا العقود والأنكحة والعُدَد وغير ذلك .

كيف يشهدون به ولا يُرىٰ ثاني ليلة ، وقد لا يُرىٰ ثالث ليلة ؟! ورؤيته تحتاج معها إلىٰ معرفة حسابٍ وهندسةٍ ؛ ليعرف محل النظر إليه ، ويعرف إمكان رؤيته ولٰكن الكلام مع أهل الزمان كالذي يضرب بالفأس علىٰ حجرٍ ، وما معك من أهل الزمان اليوم إلاَّ كما يُحكَىٰ عن رجلٍ كان ينظر إلىٰ أمردٍ حسن وهو في الطواف ، فما أحسَّ إلاَّ بضربةٍ جاءته في وجهه ، فقال : آه ، فقيل له : اسكت وإلاَّ . . جاءتك أخرىٰ . فما لهم إلاَّ مثل هٰذا ولا يكون ذلك إلا من سلطان قاهر .

وقال رضي الله عنه : من علامة فساد الزمان أن الإنسان إذا ظُلِم . . صاح واستغاث وتنصف ، وقال : ما أظلم الناسَ! ما يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، وأبطلوا الحقوق ، وتركوا الدِّين ونحو ذلك ، وإذا وقع الظلم علىٰ غيره . . تراه باردَ الخاطر ، ولا يقول كقوله إذا ظُلم في نفسه .

ونحن من طبعنا مَنْ ظَلَمَنَا . . تركنا حقنا له ، ونتظلم لأهل الزمان وإن كانوا هم الظالمين لنا ، ونظهر لهم أنهم مستحقون ؛ أي : لما ادَّعوه ، ونحن نَقْدِر مع ذلك أن نظهر الحق الذي لنا ونأخذه منهم بالحق لا بالباطل .

وقال رضي الله عنه : إن الإنسان من أهل الزمان لا يقيس إلاَّ علىٰ نفسه ، فإذا رأىٰ صالحاً في وقته . . ظنَّه مثله ؛ لوجود بشريته وإن كان فيه خصوصية ، ومن مات إنما يسمع بخصوصياتهم دون بشرياتهم فيعتقد فيهم لا محالة ، وترك من يطوي البشرية وينظر إلىٰ مجرد الخصوصية ، وأهل الزمان ما يريدون لأجل التعلُّم منهم والاقتداء بهم إنما يريدون منهم أن يبرهنوا لهم فيما يزيد في دنياهم ، ويريدون الفقهاءَ لأجل يعلمونهم الحيل والرُّخص في أمور الدنيا ، ويريدون لو مات الفقراء كلهم . . حتىٰ لا يبقىٰ فقيرٌ يسألهم ، أو يقف عند بابهم ؛ ليتفرغوا منهم ، ويستقلوا بدنياهم ، فجميع مطالبهم الدنيا فقط ، لا عناية لهم بأمر الدِّين ألبتة .

وقال رضي الله عنه : الزمان زمان أثقالٍ وأشغالٍ فينبغي للإنسان أن يخفِّف عن نفسه ولا يثقل عليها فيهلكها ولا يتكلفَّ ما يشقُّ عليه كالبعير المحمَّل إذا ثَقَّل عليه.. يخفَّف عنه ، والمركب المشحون إذا احتاج إلى التخفيف.. يرمون ثقله في البحر ؛ خوفاً عليه من التَّلَف ، ولا يجوز أن يُلقي نفسَه في التَّهْلُكة ويغرقها ؛ لأنه لا يملكها بالتصرُّف فيها ، ومن رمىٰ نفسه في البحر مختاراً وإن كان يمكن أن يُسبِّب الله تعالىٰ له سبباً ينجيه لـٰكنه ملومٌ متعدٍّ بذلك.. فلا يجوز له ؛ لأن نفسه ليست له ، إنما هي لله تعالىٰ ، فلا يجوز له إتلافها .

وقال رضي الله عنه : العمل القليل مع الإحسان خيرٌ من الكثير بلا إحسان ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ أي : حال العمل ، فينظر كيف عملكم له للمطالبة بالإحسان ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ . . . ﴾ إلىٰ آخر الآية ؛ للمجازاة عليه بما وعدكم به إن أحسنتم فيه ، ولا تكتب الملائكة إلاَّ ما كان مصحوباً بالإحسان .

والقراءة مع العجلة وعدم الحضور لا تُكتب ، وكذا الصلاة والدُّعاء ، ولو خاطبت مخلوقاً واستعجلتَ في الكلام.. أعرض عنك ؛ فكيف بالخالق ؟!

والملائكة في هـٰذا الزمان ـ من حيث النظر لا من حيث العلم ـ يحيرون في طاعة أهل الزمان ؛ إذ لا إحسان فيها فيكتبوها حسنة ، ولا هم لم يفعلوا شيئاً منها فلا يكتبون شيئاً إلاَّ ما كان فيه داعية رياء فيكتبونها سيئة .

ويقال : إن فاعل الطاعة مع عدم الإحسان أحبُّ إلى الشيطان من التارك لها أصلاً ؛ لأن التارك لها أمره ظاهرٌ وسَلِم من التعب فيها ، والفاعل بلا إحسانٍ أتعب نفسه وأُعجب ؛ لظنه أنه فعل طاعة .

وصدور أهل الزمان تضيق عن الحق ؛ لأنهم لم يألفوا إلاَّ الغفلة ، لأن مجالسهم مع بعضهم بعضاً ولو تذكر متذكر منهم ومال قلبه إلى الخير.. رأىٰ أنه زاد علىٰ أقرانه ، فأعجب بنفسه ورجع من حيث أتىٰ ، فعلىٰ قلوبهم شياطين

تمنع من دخول الخير إليها، والموعظة لا تصل إلى القلب إلاَّ بيد ملك، فإذا أراد أن يدخلها إليه.. صادف الشيطان قاعداً عليها. فأَحسِنْ؛ فالقليل مع الإحسان خيرٌ من الكثير بلا إحسان، فدرَّةٌ واحدةٌ خيرٌ من عشرين حِملاً من الوَدْع.

وقال رضي الله عنه: ما عاد مجالستنا لأهل الزمان ومداراتنا لهم إلاَّ كمداوي الجرحىٰ، والمداراة هي المراعاة ولـٰكنها إذا كانت بالدِّين.. فهي مداهنة فتَحرُم ولـٰكن التودُّد إلى الناس بحسن الخلق من المداراة والتؤدة: التثبت في الأمر حتىٰ يتبين رشده فإذا تبين.. فالتأخر توانٍ، وهو مذمومٌ، والمحمود التأني فيه حتىٰ يأتي به على الوجه المطلوب.

وقال رضي الله عنه: كلامنا ما عاد نُسَيِّبُه[1] لأهل الزمان؛ لقلة امتثالهم، وماذا ينفع الكلام مع قِلَّة الاستماع له والعمل به؟! كالذي يعجن الطحين بلا ماءٍ، كيف يمكنه عجنه بلا ماءٍ؟! لأن فيهم مباهتة وكذباً، إن ذكرتَ له حال نفسه وما فيه من مذموم الخصال لأجل نصحه وتبيين عيوب نفسه.. حقد عليك وربما أقرَّ علىٰ نفسه بذلك، وقال مثلاً: نحن إلاَّ كذا وكذا، فإذا وصفته بما وصف به نفسه.. ثقل عليه ذلك، وأضمر لك الحقد، وما يحسن في هـٰذا الزمان إلاَّ الانفراد إن أمكن، وإلاَّ المجاملة معهم؛ وهي المداراة المطلوبة في الشرع، وأنشد بيتاً للإمام الزمخشري رضي الله عنه وهو:

قد كان لي كنز صبر فاضطررت إلى ... إنفاقه في مداراتي لهم فَفَنِيْ

وقال رضي الله عنه:[2] لا يخلو الزمان من الأفاضل من آل باعلوي حتىٰ يخرج المهدي، إما خامل مستور، أو ظاهر مشهور.

وقال رضي الله عنه: ينبغي للإنسان أن يقتصر من الملبوس والمأكول والنوم والكلام علىٰ ما لا بُدَّ منه؛ لأنه علىٰ هـٰذا درج السلف والأخيار، وخصوصاً في هـٰذا الزمان الذي كثر فيه الحرام وقَلَّ فيه الحلال والنيات

(١) نُسَيِّبُه: نضيعُه.

(٢) قد تقدم له نقل مثل هـٰذه العبارة.

الصالحة ، فإن كان ممَّن وُسِّع عليه . . فينفق منه إن وفقه الله تعالىٰ في كل الأوقات ، وإلاَّ . . ففي بعضها ، وإن كان ممَّن قتر عليه . . فما معه إلاَّ ذلك ؛ أي : ما أمكنه .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان يطالبون الإنسان بالحظوظ لا بالحقوق ، وفرقٌ بين الأمرين فإن طالب الحق يطلب الشيء لله ، وطالب الحظِّ يطلب الشيء لنفسه ، وما عاد لهم إلاَّ المسامحة ، نسامحهم لعل الله يسامح الجميع ؛ كما في قصة الذي كان يعامل الناس ويأمر غلمانه بالتجاوز عن المعسر .

وقال رضي الله عنه : قد نزل الناس اليوم نزولاً كثيراً ، نزلوا إلى الأرض وما هي أرض ظاهرة ، لـٰكن من تخلَّق بخلقٍ مذمومٍ ، أو عمل عملاً مذموماً . . فقد نزل . ولم نَرَ في الزمان إلاَّ رجلاً له نفسٌ غير مطمئنة ، أو قلبٌ مضطربٌ ، أو روحٌ منزعجٌ .

ومن استقام منهم . . كان في درجة أصحاب اليمين ، فهو شأن من صلح من أهل هـٰذا الزمان .

وأما السابقون . . فقد تقدَّم زمانهم ، ولو خرج اليوم منهم واحدٌ . . لأنكروه ولم يعرفوا حتىٰ كلامه ، وأصحاب اليمين ليسوا كالسابقين ولو كانوا سواء ما فاوت في ثوابهم في سورة (الواقعة) .

وقال رضي الله عنه : هـٰذا الزمان، الصَّالحُ فيه مَنْ لم يحصل منه أذىٰ ، فمن كان كذلك . . فهو من صالحي الوقت ، وأما حصول النفع . . فقَلَّ أن يكون .

وقال رضي الله عنه : لا تطلب من زمانك غير طبعه ؛ فإنك إن طلبت منه غير ذلك . . فقد طلبت محالاً ثم أنشد :

ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلبٌ في الماء جذوة نارِ

فرحم الله امرأً عرف زمانه وسالم أقرانه ، وقد قال سيدنا عليّ رضي الله عنه : (الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم) .

ولا عاد إلاَّ تغافَلْ ما أمكن التغافل من غير مداهنة ، والخير في الزمان وأهله قليل ، ولـٰكن إذا وُجِد . . يرجىٰ أن يدفع الله به عن الناس البلاء ؛ لأن السراج الواحد يضيء في أماكن متعددةٍ ، وقد كان الرجل من أهل الزمان الأوَّل يقرأ الآية من القرآن فيمرض حتىٰ يُعاد ؛ لعُظْم ما يظهر له من معانيها ، لأن قلوبهم وأبدانهم متعلِّقةٌ بالآخرة ، وهـٰؤلاء على العكس قلوبهم وأبدانهم متعلِّقةٌ بالدنيا ، وتركوا قلوبهم مفتوحةً للدنيا ، فدخلت فيها وأغلقتها وبقيت من داخلها .

ومن يحتاج إلىٰ سعيٍ وكسبٍ وعبادةٍ . . فليجعل الكسب في بعض الأوقات والعبادة في الباقي ، والليل فيه البركة ؛ فليجعل معظم اجتهاده فيه ، وكل هـٰذه الأشياء ما تنال إلاَّ بالصبر .

وقال رضي الله عنه : لا ينبغي الظهور في هـٰذا الزمان إلاَّ إنْ كان معك نجمٌ وقَّادٌ أو شمسٌ مشرقةٌ ، وإلاَّ : فإن كان معك سُرَيِّج . . فاترك الظهور ؛ لئلا تطفئه الرياح ، ولا تشعله في النهار فلا يكون له أثر ؛ لأن الخاملين فيه علىٰ خطر ، فكيف بأهل الظهور ؟! لأن فيه رياحاً شديدةً وظلمةً شديدةً ، وقد كان في الأزمنة الماضية إذا كثر الفساد فيها . . إما ظلمة شديدة ، وإما الرياح ، وأما اليوم . . فقد اجتمعا فيه .

كان السابقون إذا عملوا شيئاً للدنيا . . جعلوا بعضه للدِّين وقالوا : لا نجعل هـٰذا كله للدنيا ، وهـٰؤلاء عميت بصائرهم فلا تنفعهم مع ذلك رؤية أبصارهم ، فتراهم يعملون للدنيا جهدهم ولا يهتمون بشيءٍ لدين الله .

وقال رضي الله عنه : قلوب أهل الزمان انقلبت في وجوههم ؛ فلذلك يحصل للإنسان بسببهم خواطر ، ولـٰكن هـٰذا أهون من أن يتعطَّلوا من الأمرينِ جميعاً فيبقون بلا وجوهٍ ولا قلوبٍ .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان ما يراعي أحدهم إلاَّ نفسه فقط ؛ أعني نفسه الدنيوية ، لأن النفس نفسان : نفسٌ غذاؤها في لقاء الله ومحبته وذكره

ومعرفته ، ونفسٌ غذاؤها في الأكل والشرب ، فهـٰذه هي التي أفرط أهل الزمان في مراعاتها .

وقال رضي الله عنه : دعاء أهل الزمان إلى الخير كمَثَل نائم غلب عليه النوم ، فتنبهه ليقوم للصلاة وتجرُّ برِجْله ثم يخالفك فينام ، فإن كان نومه إلىٰ مدةٍ قليلةٍ أهون ممَّن نومه إلى الموت ثم ينتبه حينئذٍ ، وكلٌّ ينتبه إذ ذاك .

وقال رضي الله عنه : إذا اجتمع باعثٌ دينيٌّ وباعثٌ طبيعيٌّ في أمرٍ . . كان العبد أقوىٰ ما يكون في فعل ذلك ، وأكثر ما ينبعث لأهل الزمان الباعث الطبيعي ، وأما القوّة المجردة في فعلِ ما انبعث له في فعل الدِّين . . فلا يكون إلاَّ لنبيٍّ أو قطبٍ ؛ فإن رأس القطب تحت قدم النبي يستمد منه ، فهمَّة العوام في الأمور الدينية هي طبيعة القطب .

وإذا رأيتَ إنساناً يعمل شيئاً من أعمال الدِّين . . فاتركه عليه ، ولا تذكر له النية وإخلاصها ؛ فإن فِعْله ذلك نيةٌ ، ولعله لا يعرف معنىٰ إخلاص النية فتكدَّر عليه الحال .

وقيل له رضي الله عنه : إن فلاناً كُفَّ بصره ، وإنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال له : « اكتحل بالعظة » وإنه سأل عنها فقيل له : هي كل شجرةٍ ذات شوك ، ويريد منكم تأويل ذلك ، وكيف الكحل بذلك ؟

فقال نفع الله به : قل له : يقول لك : العظة إنما هي الاتعاظ والصبر ، فليصبر علىٰ ما أصابه ، ولا عاد يسأل ، ولا عليك من أهل الزمان ؛ فإن مطالبهم كلها دنيوية ، وإنما يتسترون بأمور الدِّين كمن لا مال له ، فيقول : لو أعطاني الله مالاً . . تصدقت منه وفعلت وفعلت ، فانظر لو حصل له مالٌ ، واجلس له عند داره .

وقال رضي الله عنه : المنشد بقولنا إذا مات . . يستنشدونه أهل البرزخ ؛ لأنه لا يعرف ما قلناه إلاَّ هم ، لأنَّا صادفنا زمان جهلٍ ، وسلفنا صادفوا زمان علمٍ .

وقال رضي الله عنه : ضعفتْ في هـٰذا الزمان العبادات والطاعات ، وقويتْ فيه العادات والشهوات ، كان الأولون إذا أقبلت هـٰذه الأيام الفاضلة والأشهر الحرم ـ سيما رجب ـ يفرحون ويتأهَّبون بالصدقات وفعل الخيرات ، وأهل هـٰذا الزمان يتأهَّبون للأعياد ويفرحون لأجل نيل أهوائهم وشهواتهم المعروفة فيها .

وقال رضي الله عنه : لا تستقلَّ شيئاً طرح الله فيه البركة كائناً ما كان ؛ كقصة صاحب الدِّينار الذي سأل : هل فيه بركة ؟ فقيل له : نعم ، فأخذه واشترىٰ به سمكةً وجد في جوفها جوهرتينِ كل واحدةٍ تساوي مئة ألف ، فرزقه الله ذلك بسبب البركة من غير مظنة ؛ إذ من أين للصيد أن يبتلع الجواهر ؟!

وأموال أهل الزمان ليس فيها بركة ؛ لعدم إخراجهم الزكاة ، فخالطت أموالهم ولمعاملاتهم الفاسدة وغير ذلك ، وفي بعض ما أوحى الله به إلىٰ من يوحىٰ إليه أنه قال سبحانه : (إني أنا الله لا إلـٰه إلاَّ أنا ، إذا باركت . . أدركت بركتي السابعَ من الولد ، وإذا محقت . . أدركت محقتي السابعَ من الولد) .

ولم يذكر الله تعالىٰ في القرآن شيئاً من الخير إلاَّ ذكر البركة معه ، وإني تأمَّلتُ في القرآن . . فرأيتُ كثيراً ما يصف القرآن بالبركة ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ ﴾ و﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ ﴾ وعلىٰ هـٰذا .

وقال رضي الله عنه : لرجلٍ يريد السفر : الله الله في الطاعة وعلو الهمة وطلب الدِّين والآخرة ؛ فإن مَنْ سعىٰ في طلبهما . . يسَّر الله له دنياه ، ومن سعىٰ في طلب الدنيا وترك دينه وآخرته . . فاتته الدنيا والآخرة ، وقد انقلبتِ اليوم همم الناس إلىٰ ما لا يُهتم به ، واستغرقوا فيما لا يُستغرق فيه ؛ لأن كل أحدٍ إنما يستغرق فيما يهمه خاصة ، وكلٌّ يهمه ما لا يهمّ غيره علىٰ مقتضىٰ غرضه ، قلَّ ذلك أو كثر ، وقد جعلوا الآن هممهم همّاً واحداً ؛ وهو طلب الدنيا ؛ حتى استغرقوا بذلك عن أمر دينهم وآخرتهم ، ولولا أن الله مَنَّ على

الناس بالحزب ـ أي : حزب الأسبوع ـ . . لذهب بهم استغراقهم حتىٰ لا يعرفوا يوم الجمعة .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان حييتْ نفوسهم ، وماتتْ قلوبهم ؛ لأنهم لا همة لهم في الدِّين ، كيف يصلُّون ويزكون ؟!

إنما همة أحدهم ما يأكل أو يلبس ، وكان الأوَّلون نفوسهم ميتةً وقلوبهم حية ؛ لأنهم لا يهمهم ما يهم هـٰؤلاء ، إنما يهمهم الحياء والدِّين ، وفي هـٰذا الزمان ترىٰ أُناساً أخياراً أولاد أخيار لا يتفرَّغون لقراءة المختصر ، بل استغرقتهم أمور الدنيا ، فانظر في حال الأولين وهـٰؤلاء تعلمْ فرق ما بين ذاك الزمان وهـٰذا الزمان ، وهـٰذا هو الذي كان موعوداً به ؛ إذ لولاه . . لما ضعف الدِّين ، وظهرت علامات الساعة .

وقال رضي الله عنه : ليس مع الإنسان في هـٰذا الزمان عن المعاصي مانعٌ من الحق من نحو خوف ، ولا من الخلق من سلطانٍ عادلٍ ، آمرٍ بالمعروف ناهٍ عن المنكر ، وإلاَّ . . لملئت منهم المساجد والسجون ، لـٰكن عُدِم ذلك فاجترؤوا علىٰ تضييع حقوق الله تعالىٰ ؛ لَمَّا اجترأ وجوه الناس . . اجترأ بسببهم أدناء الناس ، لما رأوا الأمور مفلَّتةً ولا زاجر يزجرهم . . فأكبَّ كلٌّ علىٰ ما يهواه ، طالب الدنيا في دنياه ، والظالم في ظلمه ، ثم هم في تفريطهم يحتجون لأنفسهم علىٰ ربهم ويقولون مع ذلك : مقدَّرٌ علينا ، فأحدهم يكدح في أمر دنياه بغاية ما يمكنه ؛ خوفاً من جوعه أو فوت عشاء ، وإذا جئنا عند حقوق الله تعالىٰ . . قال : مقدَّرٌ عليَّ ، أفلا ترك أحدهم حرفته أو صنعته ، وقال : الرِّزق مقدَّرٌ ، مع أنه كذلك ، وخذ ثوبه وقل له : مقدَّرٌ عليك ، فانظر كيف يطالبك إلى القاضي .

وحضر عنده رضي الله عنه جماعةٌ فبقوا سكوتاً ، فقال رضي الله عنه : السكوت مع الاجتماع ما له معنىٰ ، فلأي شيءٍ الاجتماع ؟ فليسبح كل إنسانٍ وحده ، ولا نرىٰ مع الجمعية أحسن من قراءة كتاب ؛ ليسلم الإنسان خصوصاً

في هـٰذا الزمان حيث لا يخلو كلامهم عن كذبٍ أو غيبةٍ ، وهـٰذه هي عادتنا من قديمٍ ، وقد قيل :

أعز مكانٍ في الدُّنا سرجُ سابحٍ   وخير جليسٍ في الزمان كتابُ

ومَدَح عنده رضي الله عنه رجلٌ رجلاً آخر ، فقال نفع الله به : حتىٰ نسأله عنك ، فإن مدحك هو . . فإن مدحك له معلولٌ غير صحيح ؛ فإن المدح في هـٰذا الزمان مسالفةٌ .

وقال رضي الله عنه : عزَّ اليوم الصدق جداً ، حتىٰ لو ذُكر رجلٌ صاحب صدقٍ بأرض . . لم يصدَّق ؛ لعدم إلف الناس لذلك ، إذ لا يصدق الإنسان إلاَّ بما يألفه ويفعله ، فلو قيل : إن أحداً أُعطيَ عشرة قروشٍ فردَّها ، أو أخذ حاجته منها وردَّ الباقي . . لم يصدقوا .

ثم إن الإنسان اليوم ربما تمنيه نفسه : أن لو كان معه مالٌ . . لفعل به كذا ، وتصدَّق منه ، فإذا تمكَّن . . لم يصح من ذلك شيءٌ .

وكذا يكون قبل حصوله قانعاً بثوبٍ وقوتِ يوم ، وإذا حصل . . انبعثتْ دواعي أخرىٰ ، ولـٰكن : اللهم ؛ ارزقنا ما يكفينا ، وامنع عنا ما يطغينا .

وطلب منه رضي الله عنه رجلٌ شيئاً من لباسه ، فقال نفع الله به : لا عاد تطالبون إلاَّ بالجزاء الذي لا ينفد (الفاتحة) والدعاء ، ولو تعلَّق بنا عشرة أنفس مثلاً ، كل واحدٍ يطلب من ثيابنا شيئاً . . لبقينا بلا ثيابٍ ، ومن أراد البركة . . يكفيه أن يجيء بثوبٍ أو كوفيةٍ نَلبسها ثم نُلبسها له ، وقد ذكر الشيخ عبد الله بن شيخ : أن جميع أهل الجهات إذا أرادوا يتباركون بالصالحين جاؤوهم بشيءٍ يعطونهم إياه إلاَّ أهل حضرموت فإنهم إذا أرادوا البركة . . طلبوا منهم أن يعطوهم .

وقال رضي الله عنه : التجربة قسم من العقل ، ولا بعد اثنتين وعشرين سنة زيادة في العقل ، إنما هي التجربة فقط ، وإذا أردت أن تصحب أحداً أو تخالطَه . . لا عليك أن تجربه خصوصاً في هـٰذا الزمان الذي قلَّتْ فيه الأمانة .

ولو أن عاد طرف من الحياء. . لخرجت في هٰذا الزمان أمورٌ عجيبة ؛ وقد قال سيدنا علي رضي الله عنه : (الحزم سوء الظن) أي : الحذر والتجربة من غير ما تسيء الظن به ، ولا عاد يسع الإنسان في هٰذا الزمان إلاَّ الصبر والتحفظ ؛ لأنهم ضباع إذا أطرفت لهم. . أكلوك ، وأنشد هٰذا البيت :

ومن يفعل المعروف في غير أهله   يجازىٰ كما جُوزيْ مجير أمِّ عامر

وقال رضي الله عنه : ليس في الإنفاق في الصدقة إسراف ، فإن أجحف بعياله فلم يُبقِ لهم شيئاً. . جاء النهيُ من حيثيةٍ أخرىٰ ، ولا تحدِّث أهل الزمان بالإمساك رأساً ؛ فلعلَّهم لم يخرجوا الزكاة ، ومنهم من يأخذ مال محتاجٍ بنصف القيمة ، فهٰؤلاء هم أعداء الشريعة ، والأشياء تحتاج إلى البصائر لا الأبصار ؛ لأن البصائر هي التي تعرف طريق الدِّين لا الأبصار ، لأن الطريق مظلمةٌ لا يسلكها إلاَّ أهل البصيرة ، ومن ليست له بصيرة. . يقلِّد صاحب البصيرة ، ولا تحسِّن لأهل الزمان ما هم فيه إلاَّ إن كان حسناً ، والناس درجات أحدهم يجيء باللطف والرفق ، وأحدهم يجيء بالقهر والعنف ، وكنَّا أردنا أن نجلس للناس علىٰ كرسيٍّ للوعظ ؛ لٰكن مَنَعَنا منه أن سلفنا لم يفعلوا ذلك ، بل مشوا على المنهاج العدل الذي سلكه أناس قبلهم .

وقال له رضي الله عنه رجلٌ : متع الله بحياتكم ، فقال نفع الله به : ما عاد نرغب في الحياة في هٰذا الزمان ؛ لأنه زمن إدبار ، فلو أن رجلاً من أهل هٰذا الزمان خُيِّر بين المغفرة وبين مئة قرشٍ. . لاختار الدراهم على المغفرة ؛ لفَرْط غفلتهم عن الدِّين ورغبتهم في الدنيا ولو كان في صاحب الأمر رغبة في الدِّين. . لحصل من الرغبة أمور الدِّين ؛ لأن معهم منه بعض رهبة ، فلو قال : من صلىٰ أو طلب العلم أو فعل كذا من أمور الدين لرفع عنه أو خُفِّف عليه ممَّا يؤخذ منه ـ أي : عوائد الدولة ـ. . لفعلوا ، ولٰكن الدولة ما يهمهم إلاَّ ظلمهم بغير حقٍّ ، ووضعه في غير مستحق ؛ كما قال فلان : اطلبوا الزكاة وبالغوا كأخذ عمر بن الخطاب ، وفرِّقوها كتفريق الحَجَّاج .

وممَّا كان يشير به ويأمر به في آخر الزمان :

اللهم ؛ استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا مَنْ لا يرحمنا .

وبدعاء سيدنا علي بن أبي طالبٍ كرم الله وجهه ؛ الذي دعا به يوم صفين :

(يا كهيعص ؛ نعوذ بك من الذنوب التي توجب النقم ، ونعوذ بك من الذنوب التي تغير النعم ، ونعوذ بك من الذنوب التي تهتك العُصُم ، نعوذ بك من الذنوب التي تمنع غيث السماء ، ونعوذ بك من الذنوب التي تذل الأعزاء ، وتديل الأعداء) .

انتهىٰ ما تيسَّر نقله من كلام سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد المتعلِّق بالزمان ، رضي الله عنه ونفعنا به .

خاتمة الرسالة في ذكر آدابٍ وفضائلَ وأذكار تتعلَّق بالمرض وخصوصاً مرض الموت

قال الشيخ محمد بن عمر بحرق في « مختصر الأذكار » : يستحب الإكثار من ذكر الموت ، ويتأكَّد في حق المريض ، ويستحب للمريض أن يقرأ (المعوذات) وينفث في كفيه ويمسح بهما ما استطاع من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات ، وإن عسر عليه ذلك . . أمر من يفعل ذلك به ، ويستحب له أن يضع يده على الذي يألم من جسده ويقول : باسم الله (ثلاثا) أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأُحاذر (سبعاً) .

وأن يكثر في مرضه من قول : لا إلـه إلاَّ الله ، والله أكبر ، لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، لا إلـه إلاّ الله ، له الملك وله الحمد ، لا إلـه إلاَّ الله ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله .

وأن يكثر من التلاوة والذكر ، وأن يكون شاكراً لله تعالىٰ بقلبه ولسانه ، وليحذر من الجزع وكثرة الأنين وسوء الخُلُق ، والشتم والمخاصمة والمنازعة في غير الأمور الدينية .

ويبادر إلىٰ أداء الحقوق إلىٰ أهلها من ردِّ المظالم والودائع والعواري ، واستحلال أهله وجيرانه وأصحابه وكل مَنْ كانت بينه وبينه معاملة وتعلق في شيءٍ من الأمور .

وينبغي أن يوصيَ بأولاده إن لم يكن لهم جَدٌّ يصلح للولاية ، ويوصي بما لم يتمكَّن من فعله في الحال من قضاء بعض الدُّيون ونحو ذلك ، فإذا غلب علىٰ ظنه أنه يموت من مرضه ذلك . . فليستحضر في ذهنه أن ذلك آخر أوقاته من الدنيا ، فيجتهد علىٰ ختمها بأفعال الخير ما استطاع ، ويكون مع ذلك حَسَنَ الظن بالله تعالىٰ أنه يرحمه ، ويستحضر في ذهنه أنه حقيرٌ في مخلوقات الله تعالىٰ ، وأن الله تعالىٰ غنيٌّ عن عذابه وعن طاعته ، وأن العفو والصفح والإحسان لا يُطلب إلاَّ منه سبحانه وتعالىٰ .

ويستحب أن يقرأ آيات الرجاء وأحاديث الرجاء ، أو تُقرأ له ، وليحافظ على الصلاة ، واجتناب النجاسة وغير ذلك من الأمور الدينية ، وليصبر على احتمال المشقة في ذلك ، وليحذر من التساهل في مثل ذلك ، فيختم له بالتفريط فيما وجب عليه ، ولا يقبل قول من يسهِّل عليه أمر ذلك ، فكثيراً ما يبتلى الإنسان بمثل ذلك ، ومثل هـٰذا هو الصديق في الظاهر العدوُّ في الباطن ؛ كما قيل :

أرىٰ كل مَنْ ألهاك عن كسب طاعةٍ   عدوّاً وَإنْ كانَ الصديقَ المصافيا

بل يجتهد في ختم عمره بأكمل الأحوال ، وليجتهد في وصية أهله بترك النِّياحة عليه ؛ ففي « الصحيحين » : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « الميت يُعذَّب في قبره بما نِيحَ عليه » .

وفيهما أيضاً : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منَّا مَنْ ضرب الخدود ، وشَقَّ الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

فيحذرهم من السعي في أسباب العذاب عليه وعليهم ، وقد اجتمعت الأمة علىٰ تحريم النياحة ، وأما البكاء على الميت من غير نياحةٍ . . فليس بحرامٍ

ولـٰكن الصبر أَولىٰ ، ويوصيهم أيضاً باجتناب ما جرت به العادة القبيحة من اتباع النساء الجنائز ، وإظهار الجزِع وعدم الصبر ، وكراهة المقدور ، ويحثهم علىٰ ما فيه نجاة الجميع ؛ وهو اتِّباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الأحوال .

وإذا حضر النزع . . فليلزم قول : لا إلـٰه إلاَّ الله ؛ ليكون آخر كلامه ؛ ففي الحديث المشهور : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من كان آخر كلامه لا إلـٰه إلاَّ الله . . دخل الجنة » رواه أبو داوود ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وفي « صحيح مسلم » وغيره : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لقِّنوا موتاكم لا إلـٰه إلاَّ الله » فإن لم يقلها . . استُحِبَّ لمن حضر أن يُذكِّره إياها برفقٍ ، فإذا قالها مرةً . . فلا يعيدها عليه إلاَّ أن يتكلَّم بغيرها .

ويستحبُّ عيادة المرضى استحباباً مؤكداً ؛ فعنه صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « من عاد مريضاً . . ناداه منادٍ من السماء : طبتَ وطاب ممشاك ، وتبوَّأتَ من الجنة منزلاً » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

ويستحبُّ للعائد أن يسأل المريض عن حاله ، وأن يضع يده علىٰ رأسه ويقول : أشفى الله سقمك ، وغفر ذنبك ، وعافاك في دينك وجسمك إلىٰ مدة أجلك ، كفارة وطهور إن شاء الله تعالىٰ .

اللهم ؛ ربَّ الناس أذهبِ الباس ، اشفِ أنت الشافي ، لا شفاء إلاَّ شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً (ثلاث مرات) .

أسأل الله العظيم ، ربَّ العرش العظيم أن يشفيك (سبعاً) .

ويستحبُّ للعائد أن يطيِّب نفس المريض برجاء الصحة إنْ رأىٰ حاله يحتمل ذلك ، وإلاَّ . . رغبه في التوبة والوصية ، ويوَلِّي المحتضر القبلة علىٰ جنبه الأيمن أو علىٰ قفاه ووجهه إلى القبلة ، ويقرأ عنده سورة (يس) .

فإذا مات . . استحبَّ لمن حضره أن يغمض عينيه ، ويقول : باسم الله ، وعلىٰ ملَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللهم ؛ اغفر لعبدك فلانٍ ، وارفع درجته في المهديين ، وٱخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا ربَّ العالمين ، وافسح له في قبره ونوِّر له فيه .

ويقرأ أيضاً عنده (يس) ويستحب لأهل الميت ولمن بلغه موت صاحبه أن يحمد الله سبحانه وتعالىٰ ، ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

اللهم ؛ أجرني في مصيبتي بفلانٍ ، واخلف لي خيراً منه .

اللهم ؛ اكتبه عندك من المحسنين ، واجعل كتابه في عليين ، واخلفه في الغابرين ، ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده . انتهىٰ .

وقال في « مختصر مجمع الأحباب » في ترجمته لأبي هريرة رضي الله عنه : رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه : « يا أبا هريرة ؛ ألا أُخبرك بأمرٍ من تكلَّم به في أول مضجعه من مرضه . . نجاه الله من النار ؟ » قلتُ : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « تقول : لا إلـٰه إلاَّ الله يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت ، سبحان الله ربِّ العباد والبلاد ، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه علىٰ كل حالٍ ، الله أكبر كبيراً ، إن كبرياء ربنا وجلالَه وقدرتَه بكل مكان ، اللهم ؛ إن أنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هـٰذا . . فاجعل روحي في مرضي هـٰذا في أرواح من سبقت لهم منك الحسنىٰ ، وباعدني من النار كما باعدتَ أولـٰئك الذين سبقت لهم منك الحسنىٰ » انتهىٰ .

وقال صاحب « فتح المعين » في آخر فصل الجنائز :

فَائِدَةٌ

ورد : « أن مَنْ مات يوم الجمعة أو ليلتها . . أمن من عذاب القبر وفتنته » .

وورد أيضاً : « من قرأ (قل هو الله أحد) في مرض موته مئة مرةٍ . . لم يفتن في قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وجاوز الصراط علىٰ كفِّ الملائكة » .

وورد أيضاً : « من قال : لا إلـٰه إلاَّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

أربعين مرة في مرضه فمات فيه . . أُعْطِي أجر شهيد ، وإن برئ . . برئ مغفوراً له » غفر الله لنا وأعاذنا من عذاب القبر وفتنته . انتهىٰ .

فائدة

يجب على المريض أن يؤدي فريضة الصلوات الخمس مع إكمال شروطها وأركانها ، واجتناب مبطلاتها حسب قدرته وإمكانه كالصحيح وإن لحقته بذلك مشقة شديدة ، وأما الجلوس فيها ثم الاضطجاع ثم الاستلقاء والإيماء وما بعده . . فيجوز إذا وجد ما يبيحه علىٰ ما هو مقرَّرٌ في المذهب ، فإن كثر عليه الضرر واشتد به المرض وخشينا أن يترك الصلاة ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ رأساً . . فلا بأس أن يقلِّد الإمام أبا حنيفة ، أو الإمام مالكاً رحمهما الله تعالىٰ ، ويؤدِّيها كذلك وإن فقدت بعض الشروط ؛ وحينئذٍ : فلننقل حاصل ما ذكره الشيخ محمد بن خاتم عنهما في ذلك ، قال الشيخ محمد بن خاتم متَّع الله بحياته في طاعته ومرضاته ، وكان له في محياه ومماته في « رسالته المعروفة المتعلِّقة بصلاة المريض » :

(**خاتمة نسأل الله حسنها** في بيان الحاصل ممَّا تقدَّم من النصوص التي نقلناها في هٰذه الرسالة : فمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ أن المريض إذا عجز عن الإيماء برأسه . . جاز له ترك الصلاة ، فلا يؤمر بها ، فإن صحَّ بعد أن ترك أكثر من خمس صلوات . . فلا قضاء عليه ؛ لسقوطها عنه حينئذٍ في ظاهر الرواية وعليه الفتوىٰ ، وإن كانت أقل من صلاة يومٍ وليلةٍ . . فيجب عليه القضاء ، وإن مات قبل القدرة على الصلاة بالإيماء . . سقطت عنه مطلقاً ، وأما إذا عجز عن فعل شرائط الصلاة بنفسه وقدر عليها بغيره . . فظاهر المذهب ـ وهو قول الصاحبين ـ : أنه يفترض عليه ذلك ، وقال أبو حنيفة : لا يفترض عليه ذلك ؛ لأن عنده المكلف لا يعد قادراً بقدرة غيره ؛ كما أوضحه صاحب « البحر » رحمه الله تعالىٰ في الحاصل المتقدم .

وعليه : لو تيمم العاجز عن الوضوء بنفسه أو صلىٰ بالنجاسة أو إلىٰ غير

القبلة مع وجود من يوضيه أو يزيل النجاسة أو يحوِّله للقبلة ولم يأمره بذلك. . صحَّتْ صلاته ، وعند الصاحبين ـ وهو ظاهر المذهب ـ لا تصح صلاته ؛ لأن آلة غيره صارت كآلته ، وهٰذا إذا لم تلحقه مشقة بفعل غيره ، فإن لحقته بفعل الغير عنه أو كانت النجاسة تخرج منه دائماً. . صحتْ صلاته مطلقاً ؛ كما في عبارتي « البحر » و« الدرِّ » المتقدمتين .

وأما مذهب الإمام مالكٍ رحمه الله تعالىٰ إذا عجز المريض عن الإيماء بالرأس وصار بحالةٍ لا يقدر معها إلاَّ على الإيماء بالطرف ونحوه أو بإجراء الأركان على القلب. . فلا نص صريح في وجوب الصلاة ولا عدمه ، ولٰكن مقتضىٰ مذهبه الوجوب ؛ كما قاله الإمامان المازري وابن بشير رحمهما الله تعالىٰ ، وهو أحوط .

وأما حكم الشروط عنده رحمه الله تعالىٰ. . فالمعتمد من مذهبه : أن طهارة الخبث عن ثوب المصلي وبدنه ومكانه سنةٌ ، فيعيد من صلىٰ بها عالماً قادراً علىٰ إزالتها ؛ استحباباً لا وجوباً ، ومقابل المعتمد الوجوب إذا كان ذاكراً لها قادراً علىٰ إزالتها بالمطلق ؛ وعليه : فإن صلىٰ بها مع الذكر والقدرة. . فصلاته باطلة ، أو ناسياً أوعاجزاً. . فيعيد استحباباً ما دام الوقت باقياً ، فإذا خرج. . فلا يعيد .

وأما طهارة الحدث ؛ فإن عجز عن استعمال الماء من خوف حدوث مرض أو زيادة أو تأخر برءٍ. . جاز له التيمم ، وكذا إن لم يخف شيئاً ممَّا ذكر ، لٰكن عُدِم من يناوله إياه ولو بأجرة فيباح له التيمم على التفصيل المتقدم ولا قضاء عليه ، وكذا إذا عجز عن الاستقبال بنفسه وبغيره. . فيصلي علىٰ حالته ولا قضاء عليه ، وإذا عجز عن الماء والصعيد إما لعدمهما ؛ أو لعدم القدرة على استعمالهما بنفسه وبغيره. . سقطت الصلاة عنه ، وسقط عنه قضاؤها) انتهى

واعلم يرحمك الله : أن الله سبحانه وتعالىٰ مُطَّلعٌ وعالمٌ بمن ترخص لضرورةٍ وعَجْز وبمن هو متهاونٌ ومتساهلٌ بأمر ربه وبدينه ؛ حتىٰ قيل : ينبغي

للإنسان أن لا يأتي الرخصة حتىٰ يغلب علىٰ ظنه أن الله يحب منه أن يأتيها ؛ لما يعلم ما لديه من الضرورة والعجز والمشقة ، والله يعلم المعذور من المغرور ، وإليه تصير الأمور ، وهو عليم بذات الصدور .

اللهم ؛ مغفرتك أوسع من ذنوبنا ، ورحمتك أرجىٰ عندنا من أعمالنا .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

تمَّتْ الرسالة بعون الله الملك الوهاب ، ونسأله أن يغفر لنا ويتوب علينا ؛ فإنه الكريم التوّاب ، وأن يختم لنا بالحسنىٰ في خيرٍ وعافيةٍ .

قال سيدنا وشيخنا المؤلف مولانا الحبيب : عبد الله بن حسين بن طاهر : وكان الفراغ من إملائها منتصف شهر ذي القعدة سنة (١٢٤٤) أربع وأربعين ومئتين وألف .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الرسالة الثانية
تذكرة النفس والإخوان
بآياتٍ من القرآن وأَحاديث سيد ولد عدنان
ومقالة بعض الأعيان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه .

قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

قوله سبحانه : ﴿ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ أي : من كل خيرٍ من الأموال والعلوم ، والجاه والعافية ، والأمن والفراغ ، وابدأ بنفسك ثم بمن تعول ، ثم الأقرب فالأقرب ، ثم هـٰكذا وهـٰكذا .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ .

وفي الحديث القدسي : (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني)

وفي الحديث : « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعِها في درجاتكم ، وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق ، وخير لكم من أن تَلْقَوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلىٰ ، قال : « ذكر الله ، ما عمل آدمي عملاً أنجىٰ له من عذاب الله من ذكر الله ، ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين ، ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم ، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم ، وذاكر الله في الغافلين يُعرِّفه الله مقعده من الجنة ، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجم » .

« مَثَلُ الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مَثَلُ الحي والميت »

« إن الذين لا تزال ألسنتهم رطبةً من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون » .

« أحبُّ الأعمال إلى الله تعالىٰ أن تموت ولسانك رطبٌ من ذكر الله » .

« أصبِحْ وأمسِ ولسانك رطبٌ من ذكر الله ، تصبح وتُمس وليس عليك خطيئة » .

« لَذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ، ومن إعطاء المال سَحّاً » .

« لو أن رجلاً في حجره دارهم يقسمها ، وآخر يذكر الله . . لكان الذاكر الله أفضل » .

« ليس يتحسَّر أهل الجنة إلاَّ علىٰ ساعةٍ مرَّتْ بهم ولم يذكروا الله فيها » .

« أكثروا ذكر الله حتىٰ يقولوا مجنون » .

« أكثروا ذكر الله حتىٰ يقول المنافقون : إنكم مراؤون » .

« جدِّدوا إيمانكم ، أكثروا من قول لا إلـٰه إلاَّ الله ؛ لأن العبد إذا قال : لا إلـٰه إلاَّ الله . . أتتْ علىٰ صحيفته فلا تمر علىٰ خطيئةٍ إلاَّ محتها ، حتىٰ تجد حسنة مثلها فتجلس إلىٰ جنبها ، فأكثروا من قول : لا إلـٰه إلاَّ الله ، قبل أن يحال بينكم وبينها » .

« إنما فُرضتِ الصلاةُ وأُمِر بالحج وأُشعرت المناسك ؛ لإقامة ذكر الله ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « أكثروا الصلاة عليَّ يومَ الجمعة ؛ فإنه يومٌ مشهودٌ تشهده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلّي عليَّ إلاَّ عُرِضتْ عليَّ صلاته حين يفرغ منها ، فمن كان أكثرَهم عليَّ صلاةً . . كان أقربَهم مني منزلة » .

« من عسرت عليه حاجةٌ . . فليكثر من الصلاة عليَّ ؛ فإنها تكشف الهموم والغموم والكروب ، وتكثِّر الأرزاق ، وتقضي الحوائج » .

وفي الحديث : « أَكثِرْ من الدعاء ؛ فإن الدعاء يرد القضاء المبرم » .

« أَكثِرِ الدعاء بالعافية » .

« الدعاء مخُّ العبادة ، الدعاء مفتاح الرحمة ، الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السماوات والأرض » .

« الدعاء لا يُرَدُّ بين الأذان والإقامة » .

« الدعاء يردُّ القضاء بعد أن يبرم ، الدعاء ينفع ممَّا نزل وممَّا لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء » .

« الدعاء محجوبٌ عن الله تعالىٰ حتىٰ يُصَلَّىٰ علىٰ محمدٍ وأهل بيتهِ » .

« يأتي على الناس زمانٌ لا ينجو فيه إلاَّ مَنْ دعا كدعاء الغريق » .

وفي الحديث : « إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » .

« من لزم الاستغفار . . جعل الله له من كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل همٍّ فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

قال الله تعالىٰ : « يا ٱبن آدم ؛ إنك ما دعوتني ورجوتني . . غفرت لك ما كان منك ولا أبالي ، يا ٱبن آدم ؛ لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني . . غفرتُ لك ، يا ٱبن آدم ؛ لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً . . لأتيتك بقرابها مغفرة » .

وفي الحديث : « إن الرجل ليتكلَّم بالكلمة في رضوان الله تعالىٰ ما كان يظنُّ أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها رضوانه إلىٰ يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلَّم بالكلمة من سخط الله ما كان يظنُّ أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله تعالىٰ له بها سخطه إلىٰ يوم يلقاه » .

« وهل يَكُب الناسَ في النار علىٰ مناخرهم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم » .

« أمسك عليك لسانك ، وليسعْكَ بيتك ، وابكِ علىٰ خطيئتك » .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليقل خيراً أو ليصمت » .

« المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده » .

« كل المسلم على المسلم حرامٌ : دمه ، وعرضه ، وماله » .

« أيُّها الناس ؛ اتقوا الله ، فوالله ؛ لا يظلم مؤمنٌ مؤمناً إلاَّ انتقم الله تعالىٰ منه يوم القيامة » .

« لا تَقاطعوا ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثٍ » .

« إن الله لا ينظر إلىٰ أجسادكم ولا إلىٰ صوركم ، ولـٰكن ينظر إلىٰ قلوبكم » .

« ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت . . صلح لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب » .

« إنما الأعمال بالنيَّات ، وإنما لكل امرىءٍ ما نوىٰ » .

« أما بعد : فإن أصدقَ الحديث كتاب الله تعالىٰ ، وأوثق العُرىٰ كلمة التقوىٰ ، وخيرَ المِلل ملَّةُ إبراهيم ، وخير السنن سنة محمدٍ ، وأشرف الحديث ذكرالله تعالىٰ ، وأحسن القصص هـٰذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسنَ الهدىٰ هدى الأنبياء ، وأشرف الموت موت الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدىٰ ، وخير العلم ما نفع ، وخير الهدىٰ ما اتبع ، وشر العمىٰ عمى القلب ، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلىٰ » .

« وما قلَّ وكفىٰ خيرٌ ممَّا كثر وألهىٰ ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنىٰ غِنى النفس ، وخير الزاد التقوىٰ ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما وَقَر في القلوب اليقين ، والارتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول مِن جُثى جهنم(١) ، والكنز كيٌّ من النار ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حبالة الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وُعِظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلىٰ موضع أربعة أذرع » .

« والأمر بآخره ، ومِلاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ، وكل ما هو آتٍ قريب » .

« وسباب المؤمن فسوقٌ ، وقتال المؤمن كفرٌ ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألَّ على الله . . يكذبه ، ومن يغفرْ . . يغفرِ الله له ، ومن يعفُ . . يعفُ الله عنه ، ومن يكظم الغيظ . .

---

(١) الجُثى جمع جثوة : وهو الشيء المجموع .

يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية . . يعوضه الله ، ومن يصبر . . يضعف الله له ، ومن يعصِ الله . . يعذبه الله » .

« كن ورعاً تكن أعبد الناس ، وكن قنعاً تكن أشكر الناس » .

« وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً » .

« وأقِلَّ الضحك ؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

« كن في الدنيا كأنك غريب أو عابرُ سبيل ، وعُدَّ نفسك من أهل القبور » .

« واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن النصر مع الصبر ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ . . لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيءٍ . . لم يضروك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله عليك » .

« إذا أصبحت . . فلا تنتظرِ المساء ، وإذا أمسيت . . فلا تنتظر الصباح ، وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن غناك لفقرك » .

البـدارَ البـدارَ قبـل الفـوات إنمـا أنـت عـرضـة الآفـات

« بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أحدهم دينه بعَرَض من الدنيا قليل » .

بـادرِ الفـوت قبـل أن تقطعَنْـكَ دون مـا تبتغـي حتـوفُ الممـات

« هل تنتظرون إلاَّ فقراً منسياً ، أو غنىً مُطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أوموتاً مجهزاً ، أو الدجال شر غائبٍ ينتظر ، أو الساعة أدهىٰ وأمر » .

« أو إمارة السفهاء ، وكثرة الشُّرَط ، وبيع الحكم ، واستخفافاً بالدم ، وقطيعة الرحم » .

مـا أراك مشمـراً والليـالـي سوف تـدني إليك ما هـو آتـي

« كأن الموت علىٰ غيرنا كتب ، وكأن الحق علىٰ غيرنا وجب ، وكأن الموتىٰ سَفْر عن قليلٍ راجعون ، نبوِّئُهم أجداثهم ، ونقسم تراثهم » .

« ابن آدم ؛ أطع ربك تُسَمَّىٰ عاقلاً ، ولا تعصه فتسمَّىٰ جاهلاً » .

« ابن آدم ؛ عندك ما يكفيك ، وأنت تطلب ما يطغيك ، ابن آدم ؛ لا بقليلٍ تقنع ، ولا من كثيرٍ تشبع » .

« ابن آدم ؛ إذا أصبحت معافىً في جسدك ، آمناً في سربك ، عندك قوت يومك . . فعلى الدنيا العفاء » .

« إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي » .

« أفضل الناس مؤمنٌ يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، ثم رجلٌ معتزل في شِعْب من الشعاب يعبد الله ، ويدَع الناس من شره » .

« يوشك أن يكون خيرُ مال المسلم غنماً يتتبع بها شَعَف الجبال ومواقع القطر ؛ يفرُّ بدينه من الفتن ، يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعبد ربه حتىٰ يأتيه الموت ليس من الناس إلاَّ في خير» .

« إذا رأيت شُحّاً مطاعاً ، وهوىً متبعاً ، وإعجاب ذي رأيٍ برأيه . . فعليك بخاصَّة نفسك ، وخُذْ ما تعرف ، ودع ما تُنكر ، وفِرَّ من الناس فرارك من الأسد » .

« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

« وإذا أردتَ أمراً . . فتدبَّرْ عاقبته ؛ فإن كان خيراً . . فأَمضِهِ ، وإن كان شراً . . فٱنتَهِ » .

« وإذا أردت أن تذكر عيوب غيرك . . فاذكر عيوب نفسك ، وإذا أردتَ أن يحبك الله . . فأَبغِض الدنيا ، وإذا أردتَ أن يحبك الناس . . فما كان عندك من فضولها فانبذه إليهم » .

« من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه . . أخذ حتفه وهو لا يشعر » .

« حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

« الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلاَّ ذكر الله وما والاه ، وعالماً أو متعلماً » .

« الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » .

« الدنيا لا تصفو لمؤمنٍ ، كيف وهي سجنه وبلاؤه ؟! »

« من اكتسب فيها مالاً من حلِّه وأنفقه في حقه . . أثابه الله عليه ، وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه . . أحله الله دار الهوان ، ورب متخوضٍ في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة » .

« دع ما يَريبُك إلىٰ ما لا يَريبُك ، والبرُّ ما اطمأنَّ إليه القلب ، الإثم ما حاك في النفس وتردَّد في الصدر ، وكرهتَ أن يطَّلع الناس عليه وإن أفتوك وأفتوك » .

« اتق الله حيثما كنت ، وأتبعِ السيئة الحسنة تمحها ، وخالقِ الناس بخلُقٍ حسنٍ » .

« واعبدِ الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه . . فإنه يراك ، واحسب نفسك مع الموتىٰ » .

« واتقِ دعوة المظلوم ؛ فإنها مستجابةٌ ، ولا تشرك بالله شيئاً » .

« وزل مع القرآن أينما زال ، واقبل الحق ممَّن جاء به من صغيرٍ أو كبيرٍ وإن كان بغيضاً بعيداً ، واردُدِ الباطل علىٰ من جاء به من صغيرٍ أو كبيرٍ وإن كان حبيباً قريباً » .

« وأطعم الطعام ، وأفشِ السلام ، وصل الأرحام ، وأدمِ الصيام ، وصلِّ بالليل والناس نيام » .

« وصل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمَّن ظلمك » .

« وإذا عملت سيئةً . . فاعمل بجنبها حسنة » .

« رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس » .

« بحَسْب المرء من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم » .

« بحسب المرء إذا رأىٰ منكراً لا يستطيع له تغييراً أن يعلَم الله تعالىٰ أنه له منكر » .

« بَرِىءَ من الشُّحِّ من أدَّى الزكاة ، وقرى الضيف ، وأعطىٰ في النائبة » .

« بئس العبدُ عبدٌ تخيَّل واختال ، ونسي الكبير المتعال ، بئس العبد عبدٌ تجبَّر واعتدىٰ ونسي الجبار والأعلىٰ ، بئس العبد عبدٌ سها ولها ونسي المقابر والبِلىٰ ، بئس العبد عبد عتا وطغىٰ ونسي المبتدا والمنتهىٰ ، بئس العبد عبدٌ يختل الدنيا بالدين ، بئس العبد عبدٌ يختل الدين بالشبهات ، بئس العبد عبدُ طمعٍ يقوده ، بئس العبد عبدُ هوىٰ يُضِله ، بئس العبد عبد رعب يذله » .

« خُصَّ بالبلاء من عرف الناس ، وعاش فيهم من لم يعرفهم » .

« الخلق كلهم يصلُّون علىٰ معلم الخير ، الخُلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد ، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » .

« إنكم لا تَسَعُون الناس بأموالكم ، ولـٰكن ليسعهم منكم بسط الوجه ، وحسن الخلق » .

« الخير كثير ومن يعمل به قليل » .

و« من يرد الله به خيراً . . يفقهه في الدين » .

« سيأتي عليكم زمانٌ لا يكون فيه شيءٌ أعز من ثلاثةٍ دراهم حلال ، أو أخ يستأنس به ، أو سنة يعمل بها ، ويكثر الهرج ، ويقبض العلم » .

« يأتي على الناس زمانٌ يكون المؤمن فيه أذل من شاته » .

« يأتي على الناس زمان الصابر فيه علىٰ دينه كالقابض على الجمر » .

« سيأتيكم أقوام يطلبون العلم ، فإذا رأيتموهم . . فقولوا لهم : مرحباً بوصية رسول الله ، وأفتوهم » .

« طوبىٰ للغرباء ، أناس صالحون في أناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » .

« طوبىٰ لمن أسلم وكان عيشه كفافاً ، وقنع به ، طوبىٰ لمن تواضع في غير منقصةٍ ، وذلَّ في نفسه من غير مسكنةٍ ، وأنفق من مال جمعه في غير معصيةٍ ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحم أهل الذل والمسكنة » .

« طوبىٰ لمن ذل نفسه ، وطاب كسبه ، وحسنت سريرته ، وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره » .

« طوبىٰ لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، وشغله عيبه عن عيوب الناس ، ووسعته السُّنة ، ولم يعدل عنها إلى البدعة ، وملك لسانه ، ووسعه بيته ، وبكَىٰ علىٰ خطيئته » .

« طوبىٰ لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً ، خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله ، وحسن الظن بعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما شيءٌ من الشر : سوء الظن بالله ، وسوء الظن بعباد الله » .

« عليك باليأس مما في أيدي الناس ، وإياك والطمع ؛ فإنه الفقر الحاضر ، وصل صلاة مودعٍ ، وإياك وما يعتذر منه » .

« عليك بالعلم ؛ فإن العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قَيِّمه ، والرفق أبوه ، واللين أخوه ، والصبر أمير جنوده ، عليك بأوّل السوم ؛ فإن الربح مع السماح » .

« عليك بتقوى الله ؛ فإنها جماع كل خيرٍ ، وعليك بالجهاد ؛ فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالىٰ وتلاوة كتاب الله تعالىٰ ؛ فإنه نورٌ لك في الأرض ، وذكرٌ لك في السماء » .

« واخزن لسانك إلاَّ من خيرٍ ؛ فإنك بذلك تغلب الشيطان ، وإذا عملت سيئة . . فأحدثْ عندها توبة » .

« السر بالسر ، والعلانية بالعلانية ، عليك بحسن الخلق ، وطول

الصمت ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلاَّ الله ، والله أكبر ؛ فإنهنّ يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها » .

« عليك بالرفق ، وإياك والعنف والفحش ، واهجر المعاصيَ ؛ فإنها أفضل الهجرة ، عليك بالصلاة ؛ فإنها أفضل الجهاد ، وإنها عماد الدين ، من جحدها . . كفر » .

« الصلاة في جماعة تعدل خمساً وعشرين صلاة » .

اللهم ؛ وفقنا لما تحب وترضىٰ من القول والعمل ، في عافية وسلامة ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالين ، هـٰذه النبذة جمعها عبد الله بن حسين بن طاهر .

قال المؤلف : وكان الفراغ منها بكرة الثلاثاء (٢٧) عاشوراء سنة (١٢٤٠) ألف ومئتين وأربعين .

* * *

الرسالة الثالثة
في العهود التي عهد بها المؤَلف
إلىٰ زوجاته وذريته الذكور والإناث
وكل من يسمعه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فهٰذا ما عهده الفقير إلىٰ ربه عبد الله بن حسين بن طاهر إلىٰ زوجاته وذريته الذكور والإناث أبداً ما تناسلوا ، وهو لهم ولمن يسمعه وهو : أن يستنوا بسنة سيد المرسلين والخلفاء الراشدين ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾ .

ولقوله صلى الله عليه وسلم ورزقنا اتباعه في عافية : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » .

ومن عجز عن ذلك . . فلا يخرج عن هدي السلف الصالح المشهود لهم بالولاية ، ومن لم يوفَّق لذلك . . فلا أقل من السير بسيرتي في عبادتي وخلوتي واعتزالي عن الخلق ، مع أخذي بخاطر الصغير والكبير ، والذكر والأنثىٰ ، والقريب والبعيد ، من غير ممازجة ومخالطة ، ولا مجافاة ولا مباغضة ، فالحذر كل الحذر من المنازعة والمخاصمة مع من كان ، وفيما كان ، وكيف ما كان .

وبالجملة : فقد عاصرني بعضكم العشرين السنة ، وبعضكم الثلاثين ،

وبعضكم الأربعين وأكثر ، فلا أقل من السير بسيرتي ـ أي : فيما يُحمد ـ لا أقل من ذلك ، لا أقل من ذلك ، لا أقل من ذلك .

وأوصيهم بالترحم عليَّ والاستغفار حسب الاستطاعة في كل الأوقات ، وزيادة في عاشوراء ورجب ورمضان والحجة والشهر الذي يقدّر الله فيه الوفاة ، ومن وسَّع الله عليه وسهلت عليه الصدقة عنِّي . . فليتصدَّق بما يسهل عليه من قليلٍ أو كثيرٍ ، وخصوصاً في هٰذه الأوقات الخمسة .

وأذنت لمن أراد أن يحج أو يعتمر عني بنفسه أو بأجيرٍ . . فليفعل وله بعشرة أمثاله ؛ لأن الحسنة بعشرة أمثالها ، والله الموفِّق لكل خير ، وفقنا الله وإياكم لذلك .

ثم إني أوصيكم بما أوصىٰ به الأخ طاهر رحمه الله بقوله في خطبته : (وعلىٰ صلة الرحم فإنها مَثراة في الأموال ، مَنسأة في الآجال ، دالة على التحلي بمكارم الخلال ، وأمارة قاطعة بحسن المآل ، فاحذروا القطيعة ؛ فإنها فاحشة فظيعة ، عذابها أليم ، ومرعاها وخيم ، القاطع ملعونٌ بنص القرآن ، القاطع ضعيف الإيمان ، القاطع لا يجد رائحة الجنان ، القاطع يتعدَّىٰ شؤمه إلى الجيران ، فصلوا أرحامكم أيها الإخوان ؛ فإن الرحم معلقة بقائمة من قوائم عرش الرحمـٰن ، تدعو علىٰ قاطعها بالحرمان) انتهىٰ .

وليس الواصل بالمكافِىء ، إنما الواصل من إذا قَطَع رحمُه . . وصلها ، سأل رجلٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق ؟ فتلا قوله عزوجل : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ثم قال عليه الصلاة والسلام : « هو أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمَّن ظلمك » . زاد في حديث آخر : « وتحسن إلىٰ من أساء إليك » .

وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ؛ من لا يأمن جاره بوائقه » . فكيف إذا كان جاراً ورحماً ؟!

وفقنا الله وإياكم لكل خيرٍ .

وأوصي نفسي والمذكورين أيضاً بكثرة الاستخارة والاستشارة والتأنِّي والتثبت في جميع الأمور دخولاً وخروجاً ، والأخذ بالحزم والأحوط وإن كان القضاء والقدر لا ينجي منه الحذر ؛ فالأسباب ما تُترك ، قال الله تعالىٰ : ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ وفي الحديث : « اعقلها وتوكل » .

قال الشاعر :

على المرء أن يسعىٰ لما فيه نفعه ... وليس عليه أن يساعده الدهر

ولو كان الأمر كذلك . . لما كانت الوصايا والنصائح محبوبة ومطلوبة ومندوبة ؛ لأنها من قبيل الأسباب في الدعوة إلى الله ، وإلى السعادة وإلى السلامة من الشرور في الدنيا والآخرة ، ومن ظهر له الخير في شيءٍ من غير ترددٍ . . فليلزمه ، وإلاَّ . . فليتوقف ، قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (من التوفيق التوقف عند الحَيرة) وأكثر حوادث أهل الزمان أو كلها مما يَحِير فيه العاقل ؛ ففي الحديث بعد أن ذكر السكوت عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتىٰ قال في آخره : « يقول الله عز وجل : بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيراناً » .

وفي حديثٍ آخر : « يا أيها الناس ؛ إن الله يقول : لتأمرُنَّ بالمعروف ، ولتنتهُنَّ عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » .

وفي حديثٍ آخر : « وتستغفرونه فلا يغفر لكم » .

وإنما ذكرنا ذلك . . لأنا خفنا أن بعض الناس لا ينكرون المنكر حتىٰ بقلوبهم ، وذلك أضعف الإيمان ، ليس وراء ذلك مثقال حبةٍ من خردل من إيمان ، نسأل الله العافية ، فعلى الإنسان أن يغير المنكر بيده ، فإن لم يستطع . . فبلسانه ، فإن لم يستطع . . فبقلبه لا أقل من ذلك ـ أي : الإنكار بالقلب ـ خوفاً من أن يُسلبَ إيمانهُ من حيث لا يشعر ، ويصير إلىٰ فتنةٍ يَحِير فيها الحليم ، ثم يدعو فلا يستجاب له ، ويستغفر ولا يغفر له .

فيجب على الإنسان أن يتعلَّم العلم لأجل أن يعرف المنكر فينكره ولو بقلبه ، ولا يبقىٰ جاهلاً فيلقي نفسه إلى التهلكة ، قال الإمام الغزالي رحمه الله في « الإحياء » : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حضر معصيةً فكرهها . . فكأنه غاب عنها ، ومن غاب عنها فأحبها . . فكأنه حضرها » ومعنى الحديث : أن يحضر لحاجةٍ ، أو يتفق جريان ذلك بين يديه ، فأما الحضور قصداً . . فممنوع بدليل الحديث الأوّل .

ثم قال : قال ابن مسعود : « كان أهل قرية يعملون بالمعاصي ، وكان فيهم أربعة نفرٍ ينكرون ما يفعلون فقام أحدهم فقال : إنكم تعملون كذا وكذا ، فكان ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فكانوا يردُّون عليه ولا يرعوون عن أعمالهم ، فسبهم فسبوه ، وقاتلهم فغلبوه ، فاعتزل وقال : اللهم ؛ إني نهيتهم فعصوني ، وسببتهم فسبوني ، وقاتلتهم فغلبوني ، ثم ذهب ، ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه ، وسبهم فسبوه ، فاعتزل ، ثم قال : اللهم ؛ إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ، وسببتهم فسبوني ، ولو قاتلتهم . . لغلبوني ، ثم قام الثالث ، فنهاهم فلم يطيعوه ، فاعتزل ، ثم قال : اللهم ؛ إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ، ولو سببتهم . . لسبوني ، ولو قاتلتهم . . لغلبوني ، ثم قام الرابع ، وقال : اللهم ؛ إني لو نهيتهم . . لم يطيعوني ، ولو سببتهم . . لسبوني ، ولو قاتلتهم . . لغلبوني ، ثم ذهب ، قال ابن مسعود : كان الرابع أدناهم منزلة ، وقليل فيكم مثله » .

وقال أبو الدرداء : « لتأمُرُنَّ بالمعروف ، ولتنهُنَّ عن المنكر ، أو ليسلطنَّ الله عليكم سلطاناً جائراً ظالماً ، لا يبجل كبيركم ، ولا يرحم صغيركم ، ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم ، ويستنصرون فلا ينصرون ، ويستغفرون فلا يغفر لهم » .

وقال سهل بن عبد الله : أيُّما عبدٍ عمل بشيءٍ من دينه بما أُمِرَ به أو نُهِيَ عنه وتعلّق به عند فساد الأمور وتنكُّرِها وتشوُّشِ الزمان . . فهو كمن قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، معناه : أنه إذا لم يقدر إلاَّ علىٰ نفسه

فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه . . فقد جاء بما هو الغاية في حقه) . انتهىٰ من « الإحياء »

والسبب في حوادث الزمان كثرة الذنوب ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ، ولا رافع لهٰذه النوازل مثل التوبة بشروطها ، وخصوصاً فيما يتعلَّق بالخلق من ردِّ المظالم وغيرها .

قال البغوي في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ أي : لا يهلكهم بشركهم ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ أي : فيما بينهم يتعاطون الإنصاف ، ولا يظلم بعضهم بعضاً ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا . انتهى

وممَّا يدفع النوازل أيضاً : كثرة الصدقة ، وصلة الرحم ، والتراحم والتوادد ، ونزع الغل والإحَن والبغض من الصدور .

ومنها أيضاً : كثرة الاستغفار آناء الليل والنهار ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أكثر الاستغفار . . جعل الله له من كل هَمٍّ فرجاً ، ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » ذكره في « الإحياء » .

ومنها : الاعتراف بكثرة الاقتراف ، والإقرار بالذنوب والأوزار ، مع التضرُّع والانكسار ، والرجوع إلى الكريم الغفار ، آناء الليل والنهار .

ومنها : الدعاء ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ ﴾ ، ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ .

وفي الحديث : « الدعاء يرد القضاء ممَّا نزل وممَّا لم ينزل ، فعليكم بالدعاء » .

وفي خبر أو أثر : « يأتي على الناس زمانٌ لا ينجو فيه إلاَّ من دعا كدعاء الغريق » .

فليكن دعاء الإنسان من هـٰذا الزمان كذلك ، وعسىٰ ينجو .

ومنها : كثرة الذكر لله تعالىٰ ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما عمل ابن آدم من عملٍ أنجىٰ له من عذاب الله من ذكر الله تعالىٰ » قالوا : يا رسول الله ؛ ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « ولا الجهاد في سبيل الله إلاَّ أن تضرب بسيفك حتىٰ ينقطع ، ثم تضرب به حتىٰ ينقطع ، ثم تضرب به حتىٰ ينقطع » ذكره في « الإحياء » .

ومنها : الصلاة ، كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمرٌ . . فزع إلى الصلاة ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾ الآية .

قال في « المختصر » : ويصلون لنحو الصواعق والزلازل فرادىٰ ، وصلاة التسبيح أبلغ ؛ لأنها مكفرة للذنوب التي هي سبب البلايا .

ومنها : الإكثار من الحسنات من كل خير ؛ لأنه تعالىٰ يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الآية .

ومنها : العزلة وترك الفضول ، وملازمةُ الصمت ، ولزومُ البيوت ، وعدم سماع كلام أكثر الناس .

ولننقل شيئاً مما أوصىٰ به الرسول صلى الله عليه وسلم عند ظهور الفتن ، فعن أبي أمية الشعباني قال : قلت : يا أبا ثعلبة ؛ كيف تقول في هـٰذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ فقال : أما والله ؛ لقد سألتَ خبيراً ، سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ائتمروا بالمعروف ، وانهَوا عن المنكر حتىٰ إذا رأيتم شحاً مطاعاً ، وهوىً متبعاً ، ودنيا مؤثَرةً ، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه . . فعليك نفسك ، ودع عنك أمر العوام ؛ فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهنَّ كالقبض على الجمر ، للعامل فيهنَّ مثل أجور خمسين رجلاً ، يعملون مثل عملكم » . أخرجه أبو داوود ، والترمذي .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : شبَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه وقال : « كيف أنت يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة ، مَرِجت عهودهم ، واختلفوا فصاروا هـٰكذا ؟ » . قال : فكيف

يا رسول الله ؟ قال : « تأخذ ما تعرف ، وتدع ما تنكره ، وتقبل علىٰ خاصتك ، وتدعهم وعوامهم » .

وفي حديث أبي ذرٍّ : لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة القتل قال : قلت : فما تأمرني ؟ قال : « تلزم بيتك » قلت : فإن دُخل عليَّ بيتي ؟ قال : « إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف . . فألْوِ ثوبك علىٰ وجهك ، يَبُؤْ بإثمك وإثمه » .

وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والماشي فيها خيرٌ من الساعي ، فكسِّروا قِسِيَّكم ، وقطعوا أوتاركم ، واضربوا سيوفكم بالحجارة ، فإن دُخِل علىٰ أحدكم . . فليكن كخير ابني آدم » . وفي رواية : وما تأمرني ؟ قال : « كونوا أحلاس بيوتكم » . انتهىٰ من « تيسير الأصول » .

وقد ذكر الإمام بحرق في آخر الباب التاسع من « الحديقة » كلاماً في التحذير من المعاصي وما فيها من آفات الدِّين والدنيا والآخرة ما يكفي بعضُه الجاهلَ الغافلَ ، فضلاً عن المؤمن العاقل ـ جعلنا الله ممن يتذكر ويخشىٰ وتنفعه الذكرىٰ ـ قال رضي الله عنه ونفعنا به : (واعلم أن للمعاصي من الآثار القبيحة بمقدار ما للتقوىٰ من الأوصاف الحسنة ، وقد سبق في أول الكتاب من التنبيه علىٰ فضيلة التقوىٰ ، وبالجملة : فكما أنه لا خير في الدنيا والآخرة إلا وسببه التقوىٰ . . فكذلك ليس في الدنيا والآخرة شرٌّ ولا بلاءٌ ولا محنةٌ إلاَّ وسببه المعاصي ، فهي سبب كل فسادٍ في البرِّ والبحر : من هلاك الأديان والأبدان ، والأمراض والأسقام ، وفساد الثمار والزروع ، والقحط والخوف ، والغرق في البحر ، وهلاك الأموال والأنفس وغير ذلك ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

وهي سبب زوال النعم وحلول النقم والندم حيث لا ينفع الندم قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ .

وهي سبب سلب الإيمان ـ والعياذ بالله ـ وسبب اللعنة ، وغضب الرحمٰن ، والذلة والمسكنة والهوان ، نسأل الله العافية من ذلك كله ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ثم قال : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ .

وهي سبب لعن أهل الكتاب وامتحانهم بما أخبر الله عنهم : مرة بالقتل والسبي وجور الملوك يسومونهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، وأخرىٰ بخراب الديار ونهب الأموال ، قال تعالىٰ : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ .

وتارة بمسخهم قردة وخنازير ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ .

بل هي سبب هلاك الأمم الماضية والقرون الخالية ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

ثم حذَّرنا الله تعالىٰ أن يحل بنا ما حلَّ بهم بقوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ .

وبقوله : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ .

وبقوله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وبقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۞ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ .

عظمت مصيبة من عصىٰ مولاهُ ... وخلا بذاك الذنب وهو يراهُ

كيف استقرَّ قراره لما عصى ... أم كيف لا تجري دماً عيناه

يا مذنباً لم تجرِ منه دموعه ... أسفاً علىٰ ما كان من بلواه

إني أظنك مبتلىً بقساوةٍ ... يا من يقِلُّ دموعه وبكاه

انتهىٰ ما قاله الإمام بحرق رحمه الله ، وجعلنا ممن نفعه التذكير ، ويحصل له به التأثير الكثير ، ولا نكون ممن قال فيهم القائل :

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً ... ولٰكن لا حياة لمن تنادي

ونارٍ لو نفخت بها أضاءت ... ولٰكن ضاع نفخك في الرماد

وقال الشيخ بحرق في أول كتابه « الحديقة » أيضاً : (ولا شك أن العبد في هٰذه الدار مسافر تاجر ، وبضاعته أعماله من خير أو شر ، وربحه سعادة الأبد في الجنة التي أعدت للمتقين ، وخسرانه شقاوة الأبد وذلك هو الخسران المبين ، وأصل رأس ماله عمْره ، وكل ساعة من ساعاته كنز من الكنوز يمكنه أن يشتري به سعادة الأبد ، فإذا فني العمر . . انقطعتِ التجارة ، وحصل كلٌّ علىٰ ما أسلفه في يوم التغابن ، ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ ، ولٰكن الغفلة وطول الأمل أعمى البصائر عن الحق ، قال الله تعالىٰ : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۞ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : إذا أمسيت . . فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحتَ . . فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك ، رواه

البخاري هٰكذا ، ورواه
إلىٰ آخره من قول النبي صـ

قال الغزالي رحمه الله
غفلة دائمة وفتورٍ مستمرٍ
الفوت) انتهىٰ من « الحد

وقال الحبيب عبد الر

فيا ضيعةَ الأعمار تمض

فمن أشغل الأيام بالـ

ومن كان في أُولاه لـ

وقال رضي الله عنه فـ
حجمها ، قال : فمن لم
يقينه . . فليعلم أن ذلك إ
وصدق نيته ، أو لعلَّةٍ من
العلل كرضاه عن نفسه ،
والتعلق بهم ، والملاحظة
وتمكن الشيطان ووسوسته
هٰذه الكبائر الموبقات ، و
ويشمر في علاجه وصلاحه
صلح الجسد والأمر كله ،
أمراض الجسد وبقيةِ الأعضـ

فالعَجَبُ كلُّ العَجَبِ مـ
بكل وجهٍ ، وإذا اعتلَّ قلبه
طبه ، ويهمل أمره حتىٰ يمـ
فلا يفلح سرمداً .

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ .

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ، ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

فكيف يغفل العاقل عن عقله وقلبه الذي ما امتاز على الحيوانات إلاَّ به ، وعن دينه الذي ما فَضَل على الكفار إلاَّ بسببه ؟!

فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ ﴾ الآية .

فكيف من ميزه الله بالعقل ودعاه إلى الرشد والفلاح : أن يغفل عن عاقبة أمره وحال قلبه في الفساد والصلاح ، ويصرف ذراتِ عمره التي لا قيمة لها في شهوات البهائم والأكل والشرب والنكاح ، فيقنع بحالة البهائم في الغدوِّ والرواح ؟! بل هو أضل من الأنعام ؛ لما عليه من الوزر والجناح .

فلينظر الإنسان فيما هو به إنسان ، وما به يرتفع من حضيض النقصان إلىٰ أوج المعالي والإحسان ، وما ذاك إلاَّ العقل والدِّين ، وامتلاء القلب بالنور واليقين ، فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ، ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

فكم من إنسانٍ ليس بإنسان ، وليس له من الإنسانية إلاَّ الصورة ، وهو في الحقيقة دابة أو سبع أو كلب أو شيطان علىٰ ما فيه من صفاته هـٰذه المذكورة ، فلا تغرك صورته الظاهرة ؛ فالعبرة بحقيقته ، وإنما تظهر الحقيقة في الآخرة ،

فمن أراد الله سعادته وصلاحه . . طهَّر قلبه وجسده من المعاصي والخبائث المهلكات ، ووفَّقه لدوام ذكره وملازمة الطاعات ، وأشهده أنه له المِنَّة عليه في جميع الأمور والأحوال والأوقات ، بنعمة الإيجاد والإبقاء والإمداد والسلامة من الآفات ؛ فهو الذي أعطاه ما أعطاه وهداه إليه وألهمه الطاعات ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۞ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ .

فعنوان القلوب الصالحة الفرحُ بالرشد والإيمان ، وكراهة الكفر والفسوق والعصيان ، ومحبة الخير وأهل الخير والانتفاع بالذكر والتذكير وقراءة القرآن ، ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ .

فكل من لم ينتفع بالذكر والقرآن ، ولم يخشع للتذكير والبيان . . فذلك لضعف الإيمان ، واعتلال الجنان ، حيث ران عليه ما ران ، فليتدارك ما بقي من عمره ، وما فرَّط من أمره ، وليجتهد في صدقه مع الله وإخلاصه ، وتطهير قلبه من الخبائث وخلاصه ، وملازمة ذكر الله ، والاستهتار به على الدوام ، واغتنام الأعمال الصالحة والمراقبة لله ، والحضور في كل حالٍ ومقام ؛ ليمتلىء قلبه من اليقين ، فيرى الحق حقاً كالعِيان ؛ لمثل هٰذا فليعمل العاملون ، فالعمل الصالح هدية من الله لعبده ، جعله لمن قرَّبه سِمَةً وأظهرَ عنوانٍ ، ومفتاحاً لقبوله ، وباباً لرضوانه والنعيم في الجنان .

فالمُعْرِض عن العمل الصالح لا يُفتح له ، كالمعرض عن الباب ، والعامل يقرع باب الجود تحت عطايا المنعم الوهاب ، فالمستغرق بعبادة ربه ، المستهتَر بذكره عاجزٌ عن أداء شكره ؛ لأن ذلك عليه نعمة كبرىٰ ؛ إذ وفقه لطاعته ، وجعله من أهل حضرته ، ولو اجتهد وبذل جهده ليشكر . . فما قصد به الشكر نعمة أخرىٰ ، وهلم جراً .

فإذا عرفت ذلك . . علمت أن العامل الكامل قد يخاف من وجود عمله ؛ خوفاً من نظره إليه وتعويله عليه .

ومن ازداد علماً ولم يزدد تواضعاً وافتقاراً إلى الله وخشية له . . فما ازداد إلاَّ جهلاً ، والعلم إذا لم يَعُدْ بنفعه علىٰ صاحبه . . فالجهل منه أَعْوَد ، ومثله في ذلك العمل ، فما هما إلاَّ وسيلتان إلى العبودية ، وهو الخشوع لله . نعوذ بالله من علمٍ لا ينفع ، وعملٍ لا يقبل .

فما موجب القرب إلاَّ الحضور مع الله ، وما علَّة البعد إلاَّ الغفلة عن الله ، فليغتنم العاقل جوهرة عمره العزيز ؛ فإن ذرَّةً منه رخيصةٌ بألف درة ، فمن لم يشغل ساعاته بالخير ، ويصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، وإلاَّ . . أشغلته بالشر) .

انتهىٰ من « الدوائر » من كلام الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه مع اختصار وتنقل .

وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به :

البـدار البـدار قبـل الفـوات ... إنمـا أنـت عـرضـة الآفـات
بـادر الفـوت قبـل أن تقطعَنْـكَ ... دون مـا تبتغـي حتـوف الممـات
مـا أراك مشمـراً والليـالـي ... سـوف تـدني إليـك مـا هـو آت

إلىٰ آخر ما قال .

وقال الإمام الغزالي في خطبة كتاب ترتيب الأوراد من « الإحياء » : (فالناس في هـٰذا العالم سَفْرٌ ، وأوّل منازلهم المهد وآخرها اللحد ، والوطن هو الجنة أو النار ، والعمر مسافة السفر ، وطاعته بضاعته ، وربحه الفوز بلقاء الله مع النعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله مع الأَنكال والعذاب الأليم ، فالغافل عن نَفَسٍ من أنفاسه حتىٰ ينقضي في غير طاعة تقرِّبه إلى الله متعرض لغبينة وحسرة ما لهما منتهىٰ) انتهىٰ مع اختصار .

وقال في « بداية الهداية » : (واعلم أن العبد في حق نفسه إما سالم ؛ وهو المقتصر علىٰ أداء الفرائض وترك المعاصي ، أو رابحٌ ؛ وهو المتطوّع بالنوافل ، أو خاسر ؛ وهو المقصر عن اللوازم ، فإن لم تقدر أن تكون رابحاً . . فاجتهد أن تكون سالماً ، وإياك ثم إياك أن تكون خاسراً ، فإن رضيت لنفسك بالنزول من أعلىٰ عليين . . فلا ترضىٰ لها بالنزول إلىٰ أسفل السافلين ؛ فلعلك تنجو كفافاً لا لك ولا عليك) انتهىٰ مع اختصار .

فرحم الله الناصحين ، وجزاهم عنا خيراً كثيراً كبيراً جزيلاً ، وفقنا الله للعمل بما قالوه بمحض فضله ومنّه ، وجوده وكرمه ، ولا جعله الله حجة علينا .

سبحانك اللهم ؛ وبحمدك ، أشهد أن لا إلـٰه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

تمت الوصية المباركة ، وهي لسيدنا وبركتنا الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر علوي نفعنا الله به ، آمين .

❊ ❊ ❊

الرسالة الرابعة

فيما يجب على الإنسان اعتقاده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ونعتقد أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ، وبُعث بها ، وهاجر إلى المدينة ، ودُفن فيها ، أشهد أن لا إلـه إلاَّ الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، آمنت بالله ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خير وشره ، آمنت بالشريعة وصدّقت بالشريعة ، وتبرأت من كل دين خالف دين الإسلام ، آمنت بالله وبما جاء عن الله علىٰ مراد الله ، آمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله ، أستغفر الله من كل ذنبٍ وأتوب إليه .

ونعتقد أن خير الدنيا والآخرة في تقوى الله وطاعته ، وأن شر الدنيا والآخرة في معصية الله ومخالفته ، وأن الموت حقٌّ ، وأن عذاب القبر ونعيمه ، والقيامةَ والحسابَ ، والميزان والصراط والحوض ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار حقٌّ ، وأن رسل الله وأنبياءه وكتبه المنزلة حق .

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ : أن أصدق الحديث كلام الله تعالىٰ ، وأحسن الهدي هَدْيُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ الآيتين .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » أو كما قال .

وسيرتُهُ صلى الله عليه وسلم في عباداته وعاداته وأحواله ، وأقواله وأفعاله ، وأخلاقه معلومةٌ مشهورةٌ غير مجهولةٍ ولا مستورةٍ ؛ فقد تركنا على المحجة البيضاء والحنيفية السمحاء ، ليلها كنهارها ، فاتبعوا ولا تبتدعوا ؛ فالخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ .

وقد سار بسيرته واستن بسنته وسلك علىٰ سبيله صلى الله عليه وسلم جميعُ أصحابه رضي الله عنهم ؛ مثل ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، والحسن والحسين ، وفاطمة الزهراء ، وأزواجه الطاهرات ، وباقي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، فكلهم عدول أبرار ، حكماء أخيار ، شهد لهم بذلك كتاب الله ومَدَحَهُم وأثنىٰ عليهم ، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد لهم بذلك ومدحهم وأثنىٰ عليهم ، وحذَّر من ذمِّهم والوقوع فيهم ، وزجر عن ذلك وشدَّد وهدَّد .

ثم إنه سار بسَيْر الصحابة رضي الله عنهم أكثر التابعين وتابعيهم بالإحسان ؛ مثل إمامنا الشافعي رضي الله عنه وأحمد ومالك وأبي حنيفة ، ومن سار بسيرهم ، وسلك مسلكهم ونَهَجَ منهجهم ، ومثل ساداتنا الصوفية رضي الله عنهم أجمعين ، فهٰؤلاء هم السواد الأعظم ، والفرقة الناجية ؛ إذ هم السالكون علىٰ ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ؛ من حسن الاعتقاد ، والسلوك علىٰ سبيل السداد والرشاد ، من غير طعن علىٰ أحدٍ من ساداتنا الصحابة رضي الله عنهم ولا انتقاد ، مع أنه خرج من هٰذا السواد من الأقطاب والأولياء والأبدال والأوتاد ما لا يُحصَون بحدٍّ

ولا تعداد ، أهل التقوىٰ والاستقامة والسنة والجماعة ، والعلم والعمل مع الخشوع ، والسكينة والتواضع ، وعدم الرعونة وعدم الطمع ، وكثرة الورع مع الصدق والإخلاص .

فكم لهم من محاسن الخلال ، وكم لهم من صفات الكمال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ بال ؟!

فهم أولياء الله بشهادة رسول الله بقوله : « الذين إذا رُؤوا . . ذكر الله » ، فعند ذكرهم تنزل الرحمة ، وهم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم ، والنور ظاهر في كلامهم ، فكل كلامٍ يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز .

ولم تزل بحمد الله سيرتنا وسيرة آبائنا وأجدادنا وسلفنا العلويين على المنهج القويم والصراط المستقيم ، منذ تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدُنا علي بن أبي طالب ، وسيدتنا خديجة بنت خويلد ، وسيدتنا فاطمة الزهراء البتول ، وابناها سيدنا الحسن والحسين رضي الله عنهم ؛ فهـٰؤلاء أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سار بسيرتهم وسلك طريقتهم ، ونهج منهجهم ، وأخذ عنهم ، وتلقَّىٰ منهم سيدُنا علي بن الحسين الملقب بزين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، ثم ابنه علي الرضا العريضي، ثم ابنه محمد بن علي ، ثم ابنه عيسى بن محمد ، ثم ابنه أحمد بن عيسىٰ ، ثم ابنه عبيد الله بن أحمد ، ثم ابنه علوي بن عبيد الله ، ثم ابنه محمد بن علوي ، ثم ابنه علوي بن محمد ، ثم ابنه علي بن علوي ، ثم ابنه محمد بن علي ، ثم ابنه علي ومن في طبقته ، ثم سيدنا محمد بن علي بن محمد بن علي الملقب بالفقيه المقدَّم ومن في طبقته ، ثم ابنه علوي ومن في طبقته ، ثم ابنه علي بن علوي ومن في طبقته ، ثم ابنه محمد بن علي مولى الدويلة ومن في طبقته ، ثم ابنه عبد الرحمـٰن السقاف ومن في طبقته ، ثم ابنه أبو بكر السكران ومن في طبقته ، ثم ابنه عبد الله العيدروس ومن في طبقته ، ثم ابنه أبو بكر العدني والسيد عبد الرحمـٰن بن علي ومن في طبقتهما ، ثم السيد عمر بن محمد باشيبان علوي ومن في طبقته ، ثم السيد أبو بكر بن سالم

علوي ومن في طبقته ، ثم ابنه الحسين بن أبي بكر ومن في طبقته ثم السيد عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس علوي ومن في طبقته ثم السيد عبد الله بن علوي الحداد علوي ومن في طبقته ، ثم ابنه الحسن بن عبد الله ومن في طبقته ، ثم السيد الحامد بن عمر علوي ومن في طبقته ، ثم السيد عمر بن سقاف ومن في طبقته .

ثم تلقَّاها منهم من هو الآن موجود من السادة العلويين ، فلم يدخل علىٰ سيرتهم واعتقادهم شيء من التبديل والتحويل ، بَقُوا على البيضاء النقية ، والطريقة القوية ، والمحجة السوية ؛ فلهـٰذا ترىٰ من أدَّىٰ منهم الفرائضَ الواجباتِ ، وَتَرَكَ المحرماتِ ، ثم تقرب إلى الله بنوافل العبادات ، وتجنب المكروهات والمشتهيات ، والمنتهيات والمباحات ، وتحلَّىٰ بمحاسن الأخلاق والصفات ، وتخلَّىٰ عن رذائل الأخلاق الرديئات . . تظهر عليه من الكرامات الباهرات ، والإخبار بالمغيَّبات وخوارق العادات ما لا تحويه المجلدات .

هـٰذا وإن كانت الكرامة إنما هي الاستقامة وليس لهم مطلب سواها ، ولا مقصد وراها ، وإنما ظهرت لهم تلك الآيات ؛ ليُتحقق أنهم الوارثون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الكمال في جميع الأحوال ، وإنهم المقتفون له فيما فعل وقال ، فهم خزائن اللطائف والأسرار ، ومعدن الحِكَم والأنوار ، فهم المحبون لله العارفون به المستهتَرون بذكره ، فوالله ؛ لا يحبهم إلاّ مؤمنٌ ولا يبغضهم إلاّ منافقٌ .

ثم إن ممن أدركناهم ورأيناهم من علماء ساداتنا العلويين وعُبَّادهم : الحبيب حامد بن عمر علوي وولده عبد الرحمـٰن ، والحبيب أحمد بن حسن الحداد علوي وولداه الحبيب عمر والحبيب علوي ، والحبيب حسين بن عبد الله بن سهل علوي ، والحبيب محمد بن أبي بكر العيدروس علوي ، والحبيب علوي بن محمد المشهور علوي ، والحبيب عبد الرحمـٰن بن علوي ابن شيخ صاحب البطيحاء علوي ، والحبيب زين البيتي علوي ، والحبيب

عمر بن سقاف بن محمد السقاف علوي وإخوته حسن وعلوي ومحمد ، والحبيب عبد الرحمٰن بن محمد بن سميط علوي ، والحبيب أحمد بن جعفر الحبشي علوي ، والحبيب حسين بن محمد الحبشي علوي ، والحبيب شيخ بن عبد الرحمٰن بن سقاف السقاف علوي ، والحبيب علي بن عبد الرحمٰن بن سميط علوي ، والحبيب أحمد بن عبد الله الهندوان علوي ، والحبيب أبو بكر بن عبد الله باحسن علوي ، والحبيب محمد بن سالم الجفري والحبيب عبد الرحمٰن بافرج باعلوي والحبيب عيدروس البار باعلوي والحبيب عبد الله بن علوي بركوان علوي ، والحبيب علوي بن عبد الله السقاف علوي ، والحبيب محمد بن جعفر العطاس علوي ، والحبيب زين بن محمد بن عبد الرحمٰن باعبود علوي ، هٰذا ما حضرني الآن ممن رأيتهم وجالستهم ، وبعضهم أخذت عنه وقد توفوا الآن رحمهم الله تعالىٰ ، وبقي الآن منهم جمعٌ كثيرٌ ينتفع بهم الطالبون ، ويهتدي بهم السالكون .

فالله يحفظهم ويخلف منهم ... أمثالهمْ في حَيِّنا والمربع
فهم الكثير الطيب المدعو لهم ... من جدهم حين الزفاف ألا تعي
بيت النبوّة والفتوّة والهدى ... والعلم في الماضي وفي المتوقَّع
محبتهم ديني وفرضي وسنتي ... وعروتي الوثقىٰ وأفضل ما عندي
أنا الهائم المفتون في حب سادة ... تهتكت فيهم بين بادٍ وحاضر
أما أنا يا صاح ما بقلبي ... ولا بأسراري ولا بِلُبِّي
من جملة الأحباب غير حبي ... أولٰئك الأقوام هم مرادي
ومطلبي من جملة العُبَّاد ... وحبهم قد حلَّ في فؤادي
أهل المعارف والصفا والآدابْ

ثم اعلموا رحمكم الله : أن أساس الطاعات ورأس القربات ، وأصل الخير ومنبع الحسنات الإيمان واليقين اللذان هما عبارة عن التصديق والاستيلاء على القلب ، والتصميم والاعتراف الذي لا يمازجه شكٌّ ولا ريب بأن كلام الله

سبحانه وتعالىٰ حقٌّ ، وبأن جميع ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، مع غلبة الخوف والخشية والرهبة والإشفاق والوجل والانزجار والاتعاظ ، وكثرة الرجاء والرغبة ، والشوق والمحبة ، والفرح والرضا ، والشكر والجدّ والاجتهاد في الأعمال الصالحات ، واكتساب الحسنات ، وكثرة الأذكار والدعوات ، والتخلق بالأخلاق الحسنة الجليلة المحمودة ، واجتناب المحرمات والمكروهات ، والأقوال المذمومات الرديئات ؛ من الغيبة والنميمة ، والكذب والزور وغيرها من كل ما لا يعني ، وترك مجالسة كل من لا يُذكِّرك بالله حالهُ ، ولا يدلك على الله مقالهُ ، واجتناب جميع الأخلاق السيئات المنكرات .

اللهم ؛ اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلاَّ أنت ، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلاَّ أنت .

ولْنُشِرْ إلىٰ بعض أبواب اليقين الذي هو رأس الحسنات ، فمن أبوابه أن تعلم وتؤمن ، وتصدّق وتُحقِّقَ ، وتجزم وتعزم وتصمم ، ويستوليَ علىٰ قلبك ويغلبَ عليه بأن ما أصابكَ . . لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك . . لم يكن ليصيبك ، وأن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك . . لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت علىٰ أن يضروك . . لم يضروك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله عليك .

وجد بهامش الأصل ما نصه : إلىٰ هنا الموجود من هـٰذه الرسالة ، ولعل المؤلف لم يكملها ، وهي نفيسة في بابها ، نفعنا الله بمؤلفها . اهـ

* * *

الرسالة الخامسة

العهد المعهود في نصيحة الجنود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أوجب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر علىٰ كافة المكلفين القادرين : باليد ، ثم باللسان ، ثم بالقلب وذلك أضعف الإيمان ؛ كما ورد ذلك عن سيد ولد عدنان .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّمْ علىٰ سيدنا محمدٍ الذي جاهد في الله حق جهاده بالسنان واللسان والجنان ، وعلىٰ آله وصحبه الباذلين أرواحهم وأموالهم في نصرة دينه بغاية الإمكان ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم ولا شان .

أما بعد :

فإن الله عزوجل يقول : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ .

وقال تبارك وتعالىٰ : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ * كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلاَّ أمرٌ بمعروفٍ ، أو نهيٌ عن منكرٍ ، أو ذكر الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا يعذِّب الخاصة بذنوب العامة حتىٰ يرى المُنكَر بين أظهرهم وهم قادرون علىٰ أن ينكروه فلم ينكروه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تقفنَّ عند رجلٍ يُقتل مظلوماً ؛ فإن اللعنة تنزل علىٰ من حضره حين لم يدفعوا عنه ، ولا تقفنَّ عند رجلٍ يضرب مظلوماً ؛ فإن اللعنة تنزل علىٰ من حضره حين لم يدفعوا عنه » .

فعُلم بهـٰذا أنه يجب علىٰ كل مسلمٍ أن يبذل طاقته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : صاحب الشوكة والقوّة بالفعل والقهر ، والذي لا يقدر إلاَّ على الكلام فبالتعريف والوعظ والزجر ، والذي لا يقدر علىٰ شيءٍ من ذلك فبالكراهة والإنكار بالقلب ؛ وذلك أضعف الإيمان ، والله يعلم الصادق في عذره من الكاذب .

وهـٰذه التذكرة الباعث لها تذكيرُ الجند بالخصوص والنصيحةُ لهم ؛ لأني رأيت في هـٰذا الزمان من الجنود ما لا يسع مؤمناً السكوتُ عليه من التعدِّي والظلم والعدوان ، والنهب والسرقة وغيرها من المظالم المآلية والحالية لكل من لا ناصر له إلاَّ الله ، مع عدم مبالاةٍ بما ورد في ذلك من الوعيد الشديد عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا رحمة بالمظلوم وإن شكا وإن بكىٰ ؛ فهـٰذا الذي أوجب عليَّ الكلام بالنصيحة .

ثم إني رأيت بقية جند الجهة ممَّن لا يباشر هـٰذه الأفعال القبيحة الخبيثة ـ وإنما يفعل هـٰذه الأشياء غير قبيلته أو أطراف قبيلته وحاشيتها وأراذلها ـ يظن أنه بريءٌ من نارها وعارها ، وشرها وشررها ، حاشا وكلا ؛ إن سهمهم الأوفرُ من ذلك دنيا وأخرىٰ ؛ لأنهم كهفهم وعضدهم ، وإليهم مفزعهم وملجؤهم ، وبهم قوَّتهم وشوكتهم ، وهم الثائرون في دمهم إذا صالوا علىٰ إنسانٍ فقتلهم .

وأما قولهم : لا نقدر ننهاهم . . فهو عذرٌ باطلٌ مردودٌ لا ينجيهم لا في الدنيا ممَّا يعاقبهم الله به من الفتن والفقر والقحط والأمراض ، ولا في الآخرة ممَّا هو أعظم وأدوم ؛ لأنهم لو أخذوا علىٰ واحدٍ منهم شيئاً يسيراً ممَّا يخصه أو يُنسب إليه . . ثار عليهم وقهرهم ، وردَّه منهم وعاقبهم علىٰ ذلك ، ولم يبالِ

بهم ، وإذا ظلموا غيره . . سكت وقال : لا أقدر ، فحسبهم الله ، واستعنا عليهم بالله الحي القيوم .

ولو غضبوا لله كما يغضبون لأنفسهم . . لسعدوا جميعاً ، وفازوا كلهم ، ونجوا من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

وقد كلَّم سيدي الأخ طاهر رحمه الله تعالىٰ رؤساء الجهة في بعض هـٰذه الأمور ، فقال له واحدٌ منهم : حبيب طاهر ؛ هل أحدٌ قد شكا مني ؟ فقال له الأخ طاهر رحمه الله : وزوجتك أيضاً ما أحدٌ قد شكا منها ، وإذا كان الخَيِّر والرئيس منكم ما هو إلاَّ مثل زوجته . . فموته أحسن من حياته ، فما مرادنا منك كفاية شرك فقط ، بل مرادنا منك أن تجيء بخير ونفع . انتهىٰ بمعناه .

كيف ، ونحن نراهم إذا دخلهم الحظ والهوىٰ . . يهلكون أنفسهم وأموالهم في تمشية الباطل ؟! فهلا كان مثل ذلك في نصرة الدِّين وإعانة الضعفاء والمظلومين وتفريج كرب الملهوفين .

ثُمَّ اعلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن القائمين في نصرة الحق وكف الباطل علىٰ مراتب :

أوّلها وأعلاها : أن يقوم قاصداً وجه الله وامتثالاً لأمر الله ، راغباً في ثوابه خائفاً من عقابه ، لا يريد بذلك جزاء من الخلق ولا شكوراً .

الثانية : أن يقوم في ذلك طالباً للعزِّ والصيت والشرف والرياسة ، وخوفاً من المذمة والمهانة والعار الذي يلحقه بسبب إهماله لهـٰذه المهمات .

الثالثة : أن يقوم في ذلك طالباً لشيءٍ من مدخول الجهة ومحصولها مع مراعاة الإنصاف والعدل وينفق منه علىٰ نفسه وعلىٰ من يعينه علىٰ نصرة الحق ، ويكون بالرفق والاقتصاد في مقابلة ما أزاح عنهم من الظلم ، وما أتاح لهم من العدل وأمان السُّبُل واستمرار الأسباب بسببه .

الرابعة : ألاَّ يتيسَّر له واحدةٌ من هـٰذه الثلاث ولـٰكنه كفَّ شره وشر كل من ينسب إليه عن المسلمين، وصار لا يأتي من خيرٍ ولا شرٍّ، وهـٰذه أقل الدرجات.

الخامسة ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ : أن يسعىٰ في الفساد ، وتخريب البلاد ، وإهلاك العباد ، وتعطيل السبل والمحارث وأسباب المعاش ، فيأخذ من أموالهم ويستعين بها علىٰ قطع أسبابهم وعلىٰ تخويفهم ، فما هـٰذه أفعال من معه أدنىٰ مُسكة من عقلٍ وإن كان لا يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يفعل ذلك لأجل معيشته ؛ لأنها إذا هلكت الجهة . . هلك بهلاكها ؛ فإنها لا تعمى الأبصار ولـٰكن تعمى القلوب التي في الصدور .

فيسَّر الله هـٰذا التذكير ، ونرجو من الله أن يحصل به التأثير ، ومن عمل صالحاً . . فلنفسه ، ومن أساء . . فعليها ، فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً . . يره ، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً . . يره ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الراحمون يرحمهم الرحمـٰن ، من لا يرحم لا يرحم » .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ ونصرة الله : هي نصر الحق والشريعة ، والأمر بالمعروف مثل الصلاة وكل خير ، والنهي عن المنكر مثل الظلم وكل محرم .

فمن أراد الله له الخير والعز والتمكين ، والسعادة دنيا وأخرىٰ ، والرزق الهني الواسع الحلال وكثرة العيال . . فليقم بنصر الحق والدِّين ، فمن كان مع الله . . كان الله معه ، والله وليُّ التوفيق ، والدنيا فانية ، ومن عليها فانٍ ، ولا يبقىٰ مع الإنسان إلاَّ الجزاء بالإحسان أو بالعصيان .

فنسأل الله أن يتوب علينا توبةً نصوحاً تُغفر لنا بها الذنوب السالفة ، ونعمل عملاً صالحاً فيما بقي من أعمارنا ، وأن يختم لنا بالحسنىٰ بمحض فضله وكرمه، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ : فرغ من تبييضها (١١) شعبان سنة (١٢٦١) ألف وإحدى وستين.

* * *

الرسالة السادسة
في تقبيح المنكرات والتنفير عنها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين .

أما بعد :

فإني رأيتُ جملةً من المنكرات فاشيةً بين الناس ظاهرةً ولا تُغير ولا تنكرُ ، بل ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ كاد أن يكون المنكِر لها منكوراً ، والفاعل لها بين الناس مشكوراً ، فرأيت أن أنبِّه علىٰ تقبيح تلك المنكرات أو بعضها ؛ فإنه ربما يتعذَّر حصرها ، فعسىٰ أن يكون هـٰذا التذكير سببَ التغيير والتحذير عنها والتنفير ؛ فمن ذلك عدم الإصغاء إلى الذِّكر والتذكر ، وعدم التعلم والتعليم ، وترك الإنكار والنكير من الصغير والكبير ، فترى العالِمَ العارف ساكتاً لم ينكر ولم يعلم ، وترى الجاهل تاركاً معرضاً عن العلم والتعلُّم ، فيجب على العلماء أن يبتدِئُوهم ويُعْلِموهم بأنه يجب عليهم أن يتعلَّموا ما يجب عليهم علمه من أداء الواجبات وترك المحرمات ، وعند ذلك يجب عليهم أن يتبعوا لأقوال العلماء ويتعلَّموا منهم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من دعا إلىٰ هدىً . . كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الدالُّ على الخير كفاعله » .

قال الحبيب عبد الله الحداد رضي الله تعالىٰ عنه : (فمن جعل الدعاء إلى الخير دأبه وشغله.. فقد أخذ بحَظٍّ وافرٍ من ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسار علىٰ سبيله التي قال فيها تعالىٰ : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ ، فلم يكن شغله عليه الصلاة والسلام في جميع أوقاته غيرَ الدعوة إلى الله تعالىٰ بقوله وفعله ، وبذلك بعثه الله وبه أمره ، فأقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم به في الدنيا والآخرة أحرصهم علىٰ هـٰذا الأمر وأكثرهم شغلاً به وأتمهم دخولاً فيه ؛ أعني به : الدعوةَ إلى الخير ، أي : الإيمان والطاعة ، والنهيَ عن ضديهما ؛ أي : الكفر والمعصية .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الدِّين ، وأقوىٰ دعائم الإسلام، وأهم الوظائف على المسلمين ، وبهما قوام الأمر وصلاح الشأن كله، وبإهمالهما تتعطَّل الحقوق وتتعدى الحدود، ويخمد الحق ويظهر الباطل.

والمعروف : عبارة عن كل شيءٍ أمر الله تعالىٰ بفعله وأوجب من عباده القيام به ، والمنكر : كل شيءٍ كره الله فعله وأوجب من عباده تركه .

والقيام بالأمر والنهي لا بدَّ منه ولا رخصة في تركه ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : « من رأىٰ منكم منكراً.. فليغيره بيده ، فإن لم يستطع.. فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ، وفي رواية : « ليس وراء ذلك ـ يعني : الإنكار بالقلب ـ من الإيمان مثقال ذرة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس منَّا من لا يرحم صغيرنا ولا يوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده ؛ لتأمرُنَّ بالمعروف ، ولتنهَوُنَّ عن المنكر ، ولتأخذنَّ علىٰ يد الظالم.. أو ليبعثنَّ الله عليكم عقاباً من عنده » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا هابت أمتي أن تقول للظالم : يا ظالم ؛ فقد تُوُدِّع منها» . ومعنىٰ ذلك : فقد ذهب خيرها ودنا هلاكها .

ولا يقبل الله الأعذار الباردة ، والتعللاتِ الكاذبةَ التي يتعلَّل بها أبناء الزمان في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك كقولهم : إنه لا يُقبل منَّا مهما أمرنا أو نهينا ، أو إنه يحصل علينا بواسطة الأمر والنهي أذىً لا نطيقه ، وأشباه ذلك من توهمات من لا بصيرة له ولا غَيرة له علىٰ دين الله تعالىٰ .

وإنما يجوز السكوت عند تحقُّق وقوع الأذى الكثير ، أو تيقن عدم القَبول ، ومع وجود ذلك فالأمر والنهي أفضل وأولىٰ ؛ غير أنه يسقط الوجوب .

والعجب أن أحدهم إذا شُتم أو أُخذ من ماله ولو شيئاً يسيراً . . تضيق عليه الدنيا ولا يمكنه السكوت ، ولا يتعلَّل بشيءٍ من تلك التعللات التي يتعلل بها في السكوت على المنكر ، فهل لهـٰذا محملٌ أو وجهٌ سوىٰ أن أعراضهم وأموالهم أعز عليهم من دينهم ؟!

وإذا سلَّمنا لهم أنه لا يسمع منهم إذا أمروا وأنكروا . . فما الذي يحملهم علىٰ مخالطة أهل المنكر ومعاشرتهم وقد أوجب الله عليهم تركَهم والإعراضَ عنهم مهما لم يستجيبوا لله ورسوله ؟!

وقد ثبت أن الذي يشاهد المنكرات ولا ينكرها مع القدرة شريكٌ لأصحابها في الإثم ، وكذلك الذي يرضىٰ بها وإن لم يكن حاضراً ، بل وإن كان بينه وبين الموضع الذي تُعمل فيه ما بين المشرق والمغرب .

والذي يخالط أهل المنكر ويعاشرهم وإن لم يعمل بعملهم معدودٌ عند الله منهم ، وإن نزلت بهم عقوبةٌ . . أصابته معهم ، ولا ينجو ولا يسلم إلاَّ بالنهي ثم بالمجانبة والمفارقة لهم إن لم يقبلوا وينقادوا للحق .

والحب في الله لأهل طاعته والبغض في الله لأهل معصيته من أوثق عرى الإيمان ، ولتكنِ المجانبة لأهل المعاصي عند الإياس من قَبولهم الحق .

واعلم : أنه ليس بواجبٍ علىٰ أحدٍ أن يبحث عن المنكرات المستورة حتىٰ ينكرها إذا رآها ، بل ذلك محرَّمٌ ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ ولقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه من تتبَّعَ عورة أخيه . . تتبَّع الله عورته . . . » الحديث ، وإنما الواجب هو الأمر بالمعروف عند ما يرى التاركين له في حال تركهم والإنكار للمنكر كذلك ، فاعلم هـٰذه الجملة ؛ فإنَّا رأينا كثيراً من الناس يغلطون فيها .

ومن المهم ألاَّ تصدق ولا تقبل ما ينقل إليك من أفعال الناس وأقوالهم المنكرة حتىٰ تشاهد ذلك بنفسك ، أو ينقل إليك من مؤمنٍ تقيٍّ لا يجازف ولا يقول إلاَّ الحق ؛ وذلك أن حسن الظن بالمسلمين أمرٌ لازمٌ ، وقد كثرت ملاغاة الناس بعضهم علىٰ بعضٍ ، وعمَّ التساهل في ذلك ، وقلَّتِ المبالاة ، وارتفعتِ الأمانة ، وصار المشكور عند الناس من وافقهم علىٰ هوىٰ نفوسهم وإن كان غير مستقيم لله ، والمذموم عندهم من خالفهم وإن كان عبداً صالحاً ، فتراهم يمدحون من لا يستأهل المدح لموافقته إياهم وسكوته علىٰ باطلهم ، ويذمُّون من يخالفهم وينصحهم في دينهم ، هـٰذا حال الأكثر إلاَّ من عصمه الله .

واعلم : أن الرفق واللطف ، ومجانبة الغفلة والعنفِ أصلٌ كبيرٌ في قَبول الحق والانقياد له ، فعليك بذلك مع من أمرتَه أو نهيتَه أو نصحتَه من المسلمين ، وأحسنِ السياسة في ذلك ، وكلِّمه خالياً ، ولِنْ له جانباً ، واخفض له جناحاً ؛ فإن الرفق ما كان في شيءٍ إلاَّ زانه ، ولا نُزِع من شيءٍ إلاَّ شانه) انتهىٰ كلام الحبيب عبد الله الحداد من كتابه مع تلخيص ، وله في ذلك الكلام الطويل والتحريض التام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وله الحث البالغ على الدعوة إلى الخير والتعلُّم والتعليم في كتبه ومراسلاته رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به ، يعرف ذلك من قرأ كتبه .

وقال سيدنا الإمام محمد بن محمد الغزالي رضي الله عنه ونفعنا به في « الإحياء » في أوَّل كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ([فإن الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر] هو القطب الأعظم في الدِّين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طُوِي بساطه وأهمل علمه وعمله . . تعطلتِ النبوّة واضمحلت الديانة ، وعمَّتِ الفترة وفشتِ الضلالة ، وشاعتِ الجهالة وانتشر الفساد ، واتسع الخرق وخرب البلاد وهلك العباد وإن لم يشعروا بالهلاك إلىٰ يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا أن يكون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ إذ قد اندرس من هـٰذا القطب علمه وعمله ، وانمحىٰ بالكلية حقيقته ورسمه ، واستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحىٰ عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الهوىٰ والشهوات استرسال البهائم ، وعزَّ علىٰ بسيط الأرض مؤمنٌ صادقٌ لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعىٰ في تلافي هـٰذه الفترة وسدَّ هـٰذه الثلمة : إما متكفلاً بعلمها ، أو متقلِّلاً لتنفذها ، مجدداً لهـٰذه السُّنة الدائرة ، ناهضاً بأعبائها ، ومشمراً في إحيائها . . كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلىٰ إماطتها ، ومستبداً بقُربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها ، ثم قال بعد ذلك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا يعذِّب الخاصة بذنوب العامة حتىٰ يرى المنكَر بين أظهرهم وهم قادرون علىٰ أن ينكروه فلا ينكرونه » .

وروىٰ أبو أُمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كيف أنتم إذا طغىٰ نساؤكم ، وفسق شبابكم ، وتركتم جهادكم ؟ » قالوا : وإن ذلك لكائنٌ يا رسول الله ؟! قال : « نعم ؛ والذي نفسي بيده ، وأشد منه سيكون » قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : « كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ، ولم تنهوا عن المنكر ؟ » قالوا : وكائن ذلك ؟! قال : « نعم ؛ والذي نفسي بيده ، وأشد منه سيكون » قالوا : وما أشد منه ؟ قال : « كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً ورأيتم المنكر معروفاً؟ » قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟! قال : « نعم ؛ والذي نفسي بيده ، وأشد منه سيكون » قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : « كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ » قالوا : أوكائن ذلك يا رسول الله ؟! قال : « نعم ؛ والذي

نفسي بيده ، وأشد منه سيكون ، يقول الله تعالىٰ : حلفتُ ؛ لأتيحنَّ لهم فتنةً يصير الحليم فيها حيراناً » .

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقفنَّ عند رجلٍ يُقتل مظلوماً ؛ فإن اللعنة تنزل علىٰ من لم يدفعها عنه ، ولا تقفنَّ عند رجل يضرب مظلوماً ؛ فإن اللعنة تنزل علىٰ من حضره » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغي لامرىءٍ شهد مقاماً فيه حق إلاَّ تكلم به ؛ فإنه لم يقدم ذلك أجله ، ولن يحرمه رزقاً هوله » ، وهٰذا الحديث يدل علىٰ أنه لا يجوز دخول دار الظَّلَمةِ والفَسَقَة ، ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر علىٰ تغييره ؛ فإنه قال : « اللعنة تنزل علىٰ من حضره » ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجةٍ اعتذاراً بأنه عاجز ؛ ولهٰذا اختار جماعةٌ من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير ، وهٰذا يقتضي لزوم الهجرة ؛ ولهٰذا قال عمر بن عبد العزيز : ما ساح السياحون وخَلَّوا دورهم وأولادهم إلاَّ بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشرَّ قد ظهر ، والخير قد اندرس ، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم ، ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تغتر بهم ، وأن ينزل العقاب بأولـٰئك القوم فلا يسلمون منه ، فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خيرٌ من مجاورة هـٰؤلاء في نعيمهم ، وقرأ : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ قال : ففر قومٌ ، فلولا ما جعل الله في النبوّة من السر . . فقلنا : ما هم بأفضل من هـٰؤلاء فيما بلغنا أن الملائكة تتلقاهم وتصافحهم ، والسحاب والسباع تمرّ بأحدهم فيناديها فتجيبه ، ويسألها : أين أُمِرَتْ فتخبره ، وليس بنبيٍّ .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حضر معصيةً فكرهها . . فكأنه غاب عنها ، ومن غاب عنها فأحبها . . فكأنه حضرها » ومعنى الحديث : أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه ، فأما الحضور قصداً . . فممنوع بدليل الحديث الأول) انتهىٰ .

ثم قال بعد ذلك : (اعلم : أن كل قاعدٍ في بيته أينما كان فليس خالياً في هـٰذا الزمان عن منكرٍ من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد ، فكيف في القرىٰ والبوادي ، ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق ، وواجبٌ علىٰ كل فقيهٍ فرغ من فرض عينه وتفرَّغ لفرض الكفاية أن يخرج إلىٰ من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ، ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ، ويستصحب مع نفسه زاداً يأكله ولا يأكل من أطعمتهم ؛ فإن أكثرها يكون شبهة ، فإن قام بها واحدٌ . . سقط الحرج عن الباقين ، وإلاَّ . . عمَّ الحرج الكافَّة أجمعين ، أما العالِم . . فلتقصيره في الخروج ، وأما الجاهل . . فلتقصيره في التعلُّم ، وكل عامي عرف شروط الصلاة . . فعليه أن يُعَرِّفَ غيره ، وإلاَّ . . فهو شريكٌ في الإثم .

ومعلومٌ أن الإنسان لا يولد عالماً بالشرع ، وإنما يجب التبليغ علىٰ أهل العلم ، وكل مَنْ تعلَّم مسألةً واحدةً . . فهو من أهل العلم بها ؛ أي : فيجب عليه تبليغها لمن يجهلها .

ولعمري ؛ الإثم على الفقهاء أشد ؛ لأن قدرتهم فيه أظهر ، وهو ببضاعتهم أليق ؛ لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم . . لتعطلت المعايش ، فهم قد تقلَّدوا أمراً لا بدَّ منه في صلاح الخلق ، وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن العلماء ورثة الأنبياء ، وليس للإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد ؛ لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة ، بل إذا علم ذلك . . وجب عليه الخروج للتعليم والنهي .

وكذلك كل من تيقَّن أن في السوق منكراً يجري على الدوام أو في وقتٍ بعينه وهو قادرٌ علىٰ تغييره . . فلا يجوز أن يُسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت ، بل يلزمه الخروج ، فإن كان لا يقدر علىٰ تغيير الكل وهو يحترز عن مشاهدته ويقدر على البعض . . لزمه الخروج ؛ لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا تضره مشاهدة ما لا يقدر عليه ، وإنما يمتنع الحضور لمشاهدة

المنكر من غير غرضٍ صحيح . . فحقٌّ علىٰ كل مسلمٍ أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ، ثم يعلِّم أهل بيته ، ثم يتعدَّىٰ عند الفراغ منهم إلىٰ جيرانه ، ثم إلىٰ أهل محِلته ، ثم إلىٰ أهل بلده ، ثم إلىٰ أهل السواد المكتنف لبلده ، ثم إلىٰ أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم وهٰكذا إلىٰ أقصى العالم .

فإن قام به الأدنىٰ . . سقط عن الأبعد ، وإلا . . حَرِجَ به كل قادرٍ عليه قريباً كان أو بعيداً ، ولا يسقط الحرج ما دام يبقىٰ علىٰ وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر علىٰ أن يسعىٰ إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه ، وهٰذا شغلٌ شاغلٌ لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تزجية الأوقات في التفريعات النادرة ، والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ، ولا يتقدم علىٰ هٰذا إلاَّ فرض عينٍ أو فرض كفايةٍ هو أهم منه) انتهىٰ كلام سيدنا الغزالي رحمه الله ونفعنا به .

ومن المنكرات الفاشية ترك بعض المسلمين بعضَ فروض الصلاة أو الجمعة أو الجماعات مع وجوب ذلك عليهم ، أو أداء ذلك مع إهمال بعض الأركان والشروط .

قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد في كتاب « النصائح » : (ومن المحافظة على الصلوات الخمس والإقامة لها المداومة والمواظبة علىٰ فعلها في الجماعة ؛ وذلك لأن الصلاة في الجماعة تفضل علىٰ صلاته وحده بسبعٍ وعشرين درجة كما ورد به الحديث الصحيح ، فمن تساهل بهٰذا الربح الديني الأخروي الذي لا تعب في تحصيله ولا مشقة في نيله . . فقد عظمت عن مصالح الدين غفلته ، وقَلَّت في أمر الآخرة رغبته، لا سيما وهو يعلم من نفسه كثرة ما يتحمله من التعب ، ويقاسي من المشاق في طلب ربح الدنيا اليسير الحقير ، وإذا حصل له منه شيءٌ تافهٌ بتعبٍ كثيرٍ . . نسيَ وعَدَّ ما ناله من ربح الدنيا غنماً جسيماً ، أفلا يخشىٰ من يعرف من نفسه هٰذه الأوصاف أن يكون عند الله من المنافقين ، وفيما وعد الله من المتشككين ؟! ولم يبلغنا في جملة

ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلىٰ منفرداً ولا صلاةً واحدةً .

وقال ابن مسعود : لقد رأيتُنا وما يتخلَّف عنها ـ يعني : صلاة الجماعة ـ إلاَّ منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يُؤتَىٰ به علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يُهادىٰ بين الرجلين من الكِبَر حتىٰ يقام في الصف .

ولمَّا شكا ابن أم مكتوم الأعمىٰ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا قائد له وذكر له ما بالمدينة يومئذٍ من الآبار والهوام وبُعْدَ منزله عن المسجد عن المجيء لصلاة الجماعة فعذره بعد ذكره لهٰذه الأشياء كلها ، فلما قام وذهب . . دعاه عليه الصلاة والسلام ، فلما رجع إليه . . قال له : « هل تسمع : حيَّ على الصلاة ، حي على الفلاح ؟ » فقال : نعم ، فقال له عليه الصلاة والسلام : « فهلم هَلاً » معنىٰ ذلك : تعال إلى الصلاة فلا عذر لك .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سمع النداء فارغاً صحيحاً فلم يُجب . . فلا صلاة له » .

وقد همَّ عليه الصلاة والسلام بإحراق بيوت أقوام بالنار كانوا يتخلَّفون عن الصلاة في الجماعة ؛ كذلك ورد في الحديث وهو الغاية في التشديد والتهديد لمن ترك الصلاة في الجماعة من غير عذرٍ صحيحٍ ، والعذر الصحيح : هو الذي لا يمكن الحضور معه بوجهٍ ، وإن أمكن . . فبمشقةٍ ظاهرةٍ يعسر على الناس تحملها ، ومع ذلك فالحضور أفضل والثواب فيه أكثر ، فإياك أن تتخلف عن صلاة الجماعة لغير عذرٍ ناجزٍ يمكنك أن تعتذر به بين يدي الله علام الغيوب ، ومع ذلك فخذ من يصلي معك في بيتك ولو واحداً حتىٰ تسلم من الحرج وتفوز بثواب الجماعة .

وأما الجمعة . . فلا يتخلَّف عنها إلاَّ منافقٌ مرتابٌ ، قد أخطأ الطريق والصواب ، وخرجت من قلبه أنوار التعظيم لله العظيم ، ولحقوق ربوبيته التي لا عز للعبد ولا شرف ولا سعادة ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلاَّ في القيام بها والملازمة لها والمداومة عليها ، بل لا نجاة ولا سلامة له من عذاب الله

وسخطه إلاَّ في القيام بها والمحافظة عليها ، فانظر كيف يزهد العبد السوء في سعادة نفسه وفلاحها ، ثم لا يبالي بخسرانها وهلاكها حتىٰ يترك حقوق الله وما أوجبه عليه من فرائضه ، نسأل الله تعالى العافية والسلامة ، ونعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء .

ثم إن من البدع المنكرات تأخرَ بعض أهل الأسواق والحِرف من الذين تجب عليهم الجمعة عن المجيء إليها ، فيجب علىٰ ولاة الأمور وأهل الشوكة أن يحملوهم علىٰ ذلك ، ويعاقبوا من تخلَّف منهم عن الجمعة بعد التعريف والإنذار ، فلا رخصة لولاة الأمور في ترك ذلك ، ولا ما يجري مجراه، وما ولاَّهم الله تعالىٰ أمر عباده إلاَّ ليقيموا فيهم شعائر دينه ، ويحملوهم علىٰ إقامة فرائضه واجتناب محارمه ، وما ترتَّب من المصالح الدنيوية علىٰ وجود الولاة . . فهو تابعٌ لذلك ولاحقٌ به .

ثُمَّ اعْلَمْ : أنَّ مِنْ أنكر المنكرات وأكبر الكبائر وأفحش المحرمات ترك بعض المسلمين الصلوات المكتوبات ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحاديث الكثيرة الصحيحة بكفر تارك الصلاة ، قال عليه الصلاة والسلام : « من ترك الصلاة متعمداً . . فقد كفر جهاراً » .

وفي الحديث الآخر : « من ترك الصلاة . . فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من حافظ على الصلاة . . كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها . . لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاةً ، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأُبيٍّ بن خلف » .

فقد وقع التصريح من رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفر تارك الصلاة ، وكذلك ورد عن الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم حتىٰ قال بعضهم : ما سمعتُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون في شيءٍ من الأعمال تركه كفرٌ إلاَّ الصلاة ، فإياك وإياك وترك الصلاة أو ترك شيءٍ منها ؛

فإن فعلت ذلك . . فقد هلكت مع الهالكين ، وخسرت الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

وكما يجب عليك أن تحافظ على الصلاة ، ويحرم عليك أن تضيعها . . كذلك يجب عليك أن تشدِّد علىٰ أهلك وأولادك وكل مَنْ لك عليه وِلاية في إقامة الصلاة ، ولا تدع لهم عذراً في تركها ، ومن لم يسمع منهم ويطع . . فهدِّده وعاقبه واغضب عليه أشد وأعظم مما تغضب عليه لو أتلف مالك ، فإن لم تفعل . . كنت من المستهينين بحقوق الله وبدينه ، ومَن عاقَبتَه وغضبت عليه ولم يمتثل وينزجر . . فأبعده عنك واطرده منك فإنه شيطانٌ لا خير فيه ولا بركة ، تَحرُم موالاته ومعاشرته ، وتجب معاداته ومقاطعته ، وهو من المحادِّين لله ورسوله ، قال الله تعالىٰ : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ الآية . فنفى الإيمان عن الموادِّين للمحادِّين له ولرسوله ولو كانوا من أقرب الأقربين .

وعلى المسلم في إخراج الصلاة عن وقتها إثمٌ عظيمٌ وإن بادر بقضائها ، وليس بعذرٍ الاشتغال بالدنيا ولا بغيرها عن الصلاة حتىٰ تفوت ، ولا عذر إلاَّ النوم والنسيان فقط .

وعلىٰ ولاة الأمور أن يحملوا العامة علىٰ فعل الصلاة المكتوبة ، وعليهم أن يعاقبوا من تركها كسلاً بالقتل وذلك بعد الاستتابة إن لم يتب .

وعلى الولاة إثمٌ وحَرَجٌ إذا سكتوا عن ذلك مع العلم وقصروا في القيام به ، فلا رخصة لهم في ترك ذلك وما يجري مجراه من أمور الدِّين ، والحمد لله رب العالمين) . انتهىٰ كلام الحبيب عبد الله الحداد مع تنقل وتلخيص .

وقال الإمام الشعراني : (أُخِذ علينا العهد . . . إلخ) .

وقال السيد الشريف طاهر بن حسين في خطبته : (وأحثكم علىٰ . . . إلخ) .

وقال سيدنا الإمام الغزالي : (حق علىٰ من حضر الصلاة إذا رأىٰ مِنْ غيره إساءةً في صلاته أن يغيره وينكر عليه ، وإن صدر عن جهلٍ . . رَفَقَ بالجاهل وعلَّمه ، فمن ذلك : الأمر بتسوية الصفوف ، ومنع المنفرد عن الوقوف خارج الصف ، والإنكار علىٰ من يرفع رأسه قبل الإمام إلىٰ غير ذلك من الأمور ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ويلٌ للعالم من الجاهل حيث لم يعلمه » ، وقال ابن مسعود : من رأىٰ من يسيء صلاته فلم ينهه . . فهو شريكه في وزرها .

وعن بلال بن سعد أنه قال : الخطيئة إذا خفيت . . لم تضر إلاَّ صاحبها ، وإذا ظهرت فلم تغيَّر . . أضرت بالعامة .

وجاء في الحديث أن بلالاً كان يسوِّي الصفوف ، ويضرب عراقيبهم بالدِّرَّة .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : تفقدوا إخوانكم في الصلاة ، فإذا فقدتموهم : فإن كانوا مرضىٰ . . فعودوهم ، وإن كانوا أصحاء . . فعاتبوهم .

والعتاب : إنكار علىٰ ترك الجماعة ، فلا ينبغي أن يتساهل فيه ؛ فقد كان الأوَّلون يبالغون فيه حتىٰ كان بعضهم يحمل الجنازة إلىٰ باب من تخلَّف عن الجماعة إشارة إلىٰ أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي) . انتهى

ومن المنكرات القبيحة الفاحشة الموحشة : الظلم والعدوان ، والإيذاء للمسلمين بغصب أموالهم واستحقارهم وترويعهم ، والاستهانة بهم وكسر قلوبهم ، ولا يخفىٰ ما في ذلك من الحرج والإثم ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

قال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد : (وإياك أن تؤذي مسلماً أو تسبَّه بغير حقٍّ ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : « من آذىٰ مسلماً . . فقد آذاني ، ومن آذاني . . فقد آذى الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « سباب المؤمن فسوقٌ ، وقتاله كفرٌ » ، ثم

وقال سيدنا الإمام الغزالي : (حق علىٰ من حضر الصلاة إذا رأىٰ مِنْ غيره إساءةً في صلاته أن يغيره وينكر عليه ، وإن صدر عن جهلٍ . . رَفَقَ بالجاهل وعلَّمه ، فمن ذلك : الأمر بتسوية الصفوف ، ومنع المنفرد عن الوقوف خارج الصف ، والإنكار علىٰ من يرفع رأسه قبل الإمام إلىٰ غير ذلك من الأمور ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ويلٌ للعالم من الجاهل حيث لم يعلمه » ، وقال ابن مسعود : من رأىٰ من يسيء صلاته فلم ينهه . . فهو شريكه في وزرها .

وعن بلال بن سعد أنه قال : الخطيئة إذا خفيت . . لم تضر إلاَّ صاحبها ، وإذا ظهرت فلم تغيَّر . . أضرت بالعامة .

وجاء في الحديث أن بلالاً كان يسوِّي الصفوف ، ويضرب عراقيبهم بالدِّرَّة .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : تفقدوا إخوانكم في الصلاة ، فإذا فقدتموهم : فإن كانوا مرضىٰ . . فعودوهم ، وإن كانوا أصحاء . . فعاتبوهم .

والعتاب : إنكار علىٰ ترك الجماعة ، فلا ينبغي أن يتساهل فيه ؛ فقد كان الأوَّلون يبالغون فيه حتىٰ كان بعضهم يحمل الجنازة إلىٰ باب من تخلَّف عن الجماعة إشارة إلىٰ أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي) . انتهى

ومن المنكرات القبيحة الفاحشة الموحشة : الظلم والعدوان ، والإيذاء للمسلمين بغصب أموالهم واستحقارهم وترويعهم ، والاستهانة بهم وكسر قلوبهم ، ولا يخفىٰ ما في ذلك من الحرج والإثم ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

قال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد : (وإياك أن تؤذي مسلماً أو تسبَّه بغير حقٍّ ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : « من آذىٰ مسلماً . . فقد آذاني ، ومن آذاني . . فقد آذى الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « سباب المؤمن فسوقٌ ، وقتاله كفرٌ » ، ثم

ويذمهم ، ومن لم يقدر أن يَصِلَهم خيره . . فليكفَّ عنهم شره ؛ فإن له بذلك صدقةً تصدَّق بها علىٰ نفسه ؛ إذ حفظها من إثم عظيمٍ ، كما ورد في الخبر .

وَاعْلَمْ : أنَّ كَفَّ الإنسان شرَّه عن المسلمين أقلُّ الدرجات وأدنى الرتب ليس دونها رتبة إلاَّ الشر والإثم .

قال سيدنا الإمام الغزالي في « بداية الهداية » : (والعبد في حق سائر العباد له ثلاث درجات : الأولىٰ : أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة ؛ وهو أن يسعىٰ في أغراضهم رفقاً بهم .

والثانية : أن ينزل منزلة البهائم والجمادات في حقهم ، فلا ينالهم خيره ، ولـٰكن يكف عنهم شره .

والثالثة : أن ينزل منزلة الحيات والعقارب والسباع الضاريات لا يرجىٰ خيره ولا يتقىٰ شره ، فإن لم تقدر أن تلحق بأفق الملائكة . . فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلىٰ مراتب العقارب والحيات ، فإن رضيت لنفسك بالنزول من أعلىٰ عليين . . فلا ترضَ لها بالنزول إلىٰ أسفل السافلين ؛ فعلك تنجو كفافاً لا لك ولا عليك) . انتهى

وقال عليه الصلاة والسلام : « المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسلمه » .

وقال صلى الله عليه وسلم في آخر حديث طويل يأمر فيه بالفضائل : « فإن لم تقدر فتدع الناس من الشر . . فإنها صدقة تصدق بها عن نفسك » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أتدرون من المسلم ؟ » فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » قالوا : فمن المؤمن ؟

قال : « من أمنه المؤمنون علىٰ أموالهم وأنفسهم » قالوا : فمن المهاجر ؟قال : « من هجر السوء واجتنبه » .

وقال رجلٌ : يا رسول الله ؛ ما الإسلام ؟ فقال : « أن يُسْلم قلبك لله ، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك » .

وقال مجاهد رضي الله عنه : يسلط الله علىٰ أهل النار الجَرَب فيحكون حتىٰ يبدو عظم أحدهم من جلده ، فينادىٰ : يا فلان ؛ هل [يؤذيك] هـٰذا ؟ فيقول : نعم ، فيقال : [ذلك] بما كنت تؤذي المؤمنين .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « خصلتان ليس فوقهما شيءٌ من البِرِّ : الإيمان بالله ، والنفع لعباد الله » .

فعلى المسلم أن يكفَّ أذاه عن المسلمين ، وعليه أن يذبَّ عمَّن قدر أن يذب عنه أذى المؤذين ، ويكافح عنه ويدافع عنه بيده إن قدر ، وإلاَّ . . فبلسانه ، وإلاَّ . . فبقلبه ، وعليه أن يُبغِض العاصيَ ويقطعه ويعرض عنه ، ولا يخالطه ولا يجالسه وينقبض عن معاملته ؛ لأن المعصية شديدةٌ فيما يرجع إلى الخلق) هـٰكذا ذكره سيدنا الغزالي رحمه الله .

وقال رضي الله عنه في كتاب آداب الصحبة من « الإحياء » : (والعفو عمَّن ظلم ، والإحسان إلىٰ من أساء من أخلاق الصديقين ، وإنما يَحسُن الإحسان إلىٰ من ظلمك ، وأما من ظلم غيرك وعصى الله تعالىٰ به . . فلا يحسن الإحسان إليه ؛ لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم ، وحق المظلوم أولىٰ بالمراعاة ، وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله تعالىٰ من تقوية قلب الظالم ، فأما إذا كنت أنت المظلوم . . فالأحسن في حقك العفو والصفح .

وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي ، وكلهم

اتفقوا علىٰ إظهار البغض على الظَّلَمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصيةٍ متعديةٍ إلىٰ غيره فأما من عصى الله تعالىٰ في نفسه . . فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ، ومنهم من شدَّد الإنكار ، وهـٰذا أمرٌ يختلف باختلاف النية ، وتختلف النية باختلاف الحال ، فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم وأنهم مسخَّرون لما قُدِّروا له . . أورث هـٰذا تساهلاً في المعاداة والبغض وله وجه ، ولـٰكن تلتبس به المداهنة ، فأكثر البواعث على الإغضاء على المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب ، والخوف من وحشتها ونفارها ، وقد يلبِّس الشيطان ذلك على الغبي الأحمق بأنه ينظر بعين الرحمة إن جنىٰ علىٰ خالص حقه ، ويقول : إنه قد سخر له ، والقدر لا ينفع منه الحذر ، وكيف لا يفعله وقد كتب عليه ؟! فمثل هـٰذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية علىٰ حق الله تعالىٰ ، وأنه مداهنٌ مغرورٌ بمكيدةٍ من مكائد الشيطان فليتنبه له) انتهى

ويلحق بظلم المسلمين في الشدة ظلم البهائم ، وربما يكون ظلم البهائم أشدَّ من حيث كونها لا يمكنها الهرب ولا الشكاية ، ولا يمكنها دفع الظلم عن نفسها بحال ، وظلمُها من ثلاثة أوجه : تجويعها وعدم القيام بكفايتها ، وتكليفها من العمل ما لا تطيق ، وضربها بغير حقٍّ ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله في البهائم ؛ فإنَّ امرأةً دخلتِ النار في هرةٍ ربطتها حتىٰ ماتت ، لا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل خشاش الأرض » الحديث أو ما في معناه ، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في سيء المَلَكة ، فهو داخلٌ فيه .

ومن المنكرات الفاحشة : كشف العوارت عند من يحرم نظره إليها ، وقد تساهل الناس بذلك جداً حتىٰ إنه صار بحيث لا يُنكَر ولا يُستقبَح ، فترىٰ جملةً من الرجال يتماشَون ويتجالسون ، ويتحدَّثون ويحترفون وشيءٌ ممَّا بين السرة والركبة مكشوفٌ ظاهرٌ بارزٌ عمداً ، ولا يُنكِر بعضهم علىٰ بعض ، ولا ينكر عليهم غيرهم ممَّن هو عالمٌ بحرمة ذلك ، وكذلك النساء يمشين في الطُّرقات

ويجلسن مع الرجال الأجانب في حرفةٍ أو غيرها وشيءٌ ممَّا يجب ستره عنهم مكشوفٌ عمداً للرجال ، ولا يرون ذلك حراماً ولا قبيحاً ولا عاراً ولا فضيحةً .

ومعلومٌ أن عورة الرجل ما بين سرته وركبته في الصلاة وخارجها ، وعورة الأنثىٰ عند الأجانب جميع بدنها .

ولا يجوز للرجل أن يصافح أجنبيةً أو تصافحه ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ الآيتين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النظرة سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس ، فمن تركها خوفاً من الله . . أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه » .

وقال داوود لابنه عليهما الصلاة والسلام : (يا بني ؛ امشِ خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة) .

وقال عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : (إياكم والنظرة ؛ فإنها تزل في شهوة وكفىٰ بها فتنة) .

ومن المنكرات الفاشية : عدم التفرقة بين المال الحرام والحلال ، والحرص على اكتساب المال من حلِّه أو من غير حلِّه ، وعدم النكير علىٰ أخذ الحرام أو أكله ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « طلب الحلال فريضةٌ علىٰ كل مسلمٍ » .

وقال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ﴾ قدَّم الأكل من الطَّيِّب ـ أي : الحلال ـ على العمل الصالح .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سعىٰ علىٰ عياله من حِلِّه . . فهو كالمجاهد في سبيل الله تعالىٰ ، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف . . كان في درجة الشهداء » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من أكل الحلال أربعين يوماً . . نوَّر الله قلبه ، وأجرىٰ ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أطب طعمتك تستجب دعوتك » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « رُبَّ أشعثَ أغبرَ مشرَّدٍ في الأسفار ، مطعما حرامٌ وملبسه ، وغذي بالحرام ، يرفع يديه إلى السماء فيقول : يا رب يا رب فأنَّىٰ يُستجاب لذلك ؟! » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن لله ملكاً علىٰ بيت المقدس ينادي كل ليلةٍ : من أكل حراماً . . لم يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ » أي : لا نافلة ولا فريضة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من اشترىٰ ثوباً بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام . . لم يقبل الله تعالىٰ صلاته ما دام عليه منه شيءٌ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « كل لحمٍ نبت من حرامٍ . . فالنار أولىٰ به » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من لم يبالِ من أين اكتسب المال . . لم يبالِ الله من أين أدخله النار » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من أصاب مالاً من مأثمٍ فوصل به رحماً ، أو تصدَّق به ، أو أنفقه في سبيل الله . . جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « خير دينكم الورع » .

وقال : « من لقي الله وَرِعاً . . أعطاه الله ثواب الإسلام كله » .

وقال : « من أمسىٰ وانياً في طلب الحلال . . بات مغفوراً له ، وأصبح والله عنه راضٍ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « درهمٌ من ربا أشد عند الله من ثلاثين زنية في الإسلام » .

وفي حديث أبي هريرة : « المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة ، فإذا صحت المعدة . . صدرت العروق بالصحة ، وإذا سَقِمت . . صدرت بالسقم ، ومَثَل الطعمة مَثَل الأساس من البنيان ، فإذا ثبت الأساس وقوي . . استقام البنيان وارتفع ، وإذا ضعف الأساس واعوجَّ . . انهار البنيان ، ووقع » .

فقد عرفت يا أخي ؛ ما في الحلال من الفضل والنفع عاجلاً ، وما في الحرام من الإثم والمعاطب دنيا وأخرىٰ .

قال عبد الله بن عمر : (لو صليتم حتىٰ تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتىٰ تكونوا كالأوتار . . ما تُقبِّل ذلك منكم إلاَّ بورعٍ حاجزٍ) .

وقال الثوري : من أنفق من الحرام في طاعة الله تعالىٰ : كان كمن طهر الثوب بالبول لا يُطَهِّر إلاَّ بالماء ، والذنب لا يُكَفَّر إلاَّ بالحلال .

وقال ابن عباس : (لا يقبل الله صلاة امرىءٍ في جوفه حرام) .

وقال سهل التستري : من أكل الحرام . . عصت جوارحه شاء أم أبىٰ ، علم أم لم يعلم ، ومن كانت طعمته حلالاً . . أطاعت جوارحه ، ووفقت للخيرات .

والأخبار والآثار في الحث علىٰ طلب الحلال والتحذير عن الحرام كثيرةٌ شهيرة .

واعلم رحمك الله : أنك لست تقدر على اكتساب الحلال وتجنب الحرام إلاَّ بالتفقُّه في الدِّين ، والأخذ بطرفٍ صالحٍ من العلم يرشدك إلى الحق المبين ، والله الموفق والمعين ، يهدي من يشاء إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ ، ويضل من يشاء إلىٰ سواء الجحيم .

قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد في « النصائح » : (واعلموا معاشر الإخوان ـ مَنَّ الله علينا وعليكم بالعافية واليقين ، وسلك بنا وبكم مسالك المتقين ـ : أنه لا بدَّ لكل مسلمٍ ومسلمةٍ من معرفة العلم ، ولا رخصة لأحدٍ من المسلمين في تركه أبداً ؛ أعني العلم ، الذي لا يتم الإيمان والإسلام بدون معرفته .

وجملته : العلم بالله ورسوله واليوم الآخر ، والعلم بما أوجب الله فعله من الفرائض ، وبما أوجب الله تركه من المحارم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضةٌ علىٰ كل مسلم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، والصين : إقليمٌ بعيدٌ من أبعد المواضع ، وقليلٌ من الناس من يصل إليه لبعده ، فإذا وجب على المسلم أن يطلب العلم وإن كان في هـٰذا المحل البعيد . . فكيف لا يجب عليه إذا كان بين العلماء ، ولا يلحقه في طلبه كثير مؤونة ، ولا كبير مشقة ؟!

والواجب من ذلك هو القدر الذي لا يسع المسلمَ أن يَجهله ؛ كالعلم بوجوب الصلوات الخمس ، وكيفية فعلها ، وشرائطها ومواقيتها ، والطهارة وما في معنىٰ ذلك ، وكالعلم بوجوب الزكاة ، والقدر الواجب منها ، والوقت الذي تجب فيه ، والعلم بوجوب صوم شهر رمضان ، وشرائط الصوم ومبطلاته ، والعلم بوجوب الحج على المستطيع ، وشرطه الاستطاعة .

وبالجملة : فيجب على المسلم أن يعلم بوجوب جميع الواجبات العينية ، وبتحريم جميع المحرمات التي هو متهدف للوقوع فيها ؛ كالزنا واللواط وشرب المسكر ، وظلم الناس والسرقة ، والخيانة والكذب والغِيبة ، وأشباه ذلك .

وأما العلم بشروط البيع والشراء والمعاملات . . فيجب علىٰ من أراد الدخول في شيءٍ منها أن يعلم حكم الله فيها ، وما تصح به وما تفسد به في ابتدائها وفي الدوام عليها لا بدَّ له ، وإلاَّ . . وقع فيما يُسخِط اللهَ عليه ، شاء أم أبىٰ ؛ فإن الجاهل متعرِّضٌ بجهله للسخط والوقوع في الهلاك علىٰ كل حالٍ ، وكيف لا يكون كذلك ، وربما يعتقد في بعض الواجبات أنها من المحرَّمات مع أنها من الواجبات ، وأنها ليست محرمةً ، وفي ذلك غاية الخطر ونهاية الضرر علىٰ أهل الجهل ، وربما وقعوا في أمورٍ تشبه الكفر أو هي بعينه كما يعرف ذلك كلُّ من تأمَّل واعتبر أفعالهم وأقوالهم ، وليس يعذرهم الله في شيءٍ من ذلك ، وأنه سبحانه قد فرض عليهم طلب العلم ويسَّر لهم الأسباب ، وأوجب على العلماء تعليمهم ، فتقصيرهم بعد ذلك كله اشتغالاً بالدنيا واتباعاً للهوىٰ . . يزيدهم عن الله بُعداً ، ويوجب لهم عنده مقتاً وطرداً ، وهـٰذا كله في العلم

الواجب الذي لا يسع أحداً من المسلمين أن يجهله .

والعجب أنك ترى الجاهل المغرور لا يَفْتُر عن طلب الدنيا ليلاً ونهاراً ، ولا يزال متكالباً عليها شديد العناية بجمعها ومنعها والتمتع بها ، ويقيم لنفسه الأعذار الكثيرة علىٰ ذلك ، ثم تجده جاهلاً بأمر دينه لم يطلب علماً ولم يجالس عالماً ليتعلم منه قط ، فإن قيل له في ذلك . . احتجَّ لنفسه بما يسقط به من عين الله تعالىٰ من عدم الفراغ وكثرة الاشتغال ، مع أن الله ـ وله الحمد ـ قد يسَّر له طلب العلم بوجود العلماء وبقلَّة المؤونة في تعلُّم القدر الواجب من العلم ، وأمر الدنيا على الضدِّ من ذلك ، فلا يكاد ينال منها شيئاً يسيراً إلاَّ بعسرٍ ومشقةٍ وتعبٍ كثيرٍ ، فليس ذلك إلاَّ من موت القلب ، وهوان أمر الدِّين على الإنسان ، وقلة الاشتغال بأمر الآخرة ؛ فإنه يرىٰ حاجته إلىٰ متاع الدنيا ظاهرةً وحاضرةً ، ويرىٰ حاجته إلى العلم بعيدة غائبة ؛ لأنه لا يحتاج إليه ، ولا يعرف منفعته إلاَّ بعد الموت ، وهو قد نسي الموت ونسي ما بعده ؛ لغلبة الجهل عليه ، وفَقْد العلم عنده ، وصاحب هـٰذا الوصف من الذين قال الله تعالىٰ فيهم : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ .

قال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ : يأخذ أحدهم الدرهم علىٰ ظُفره فيخبرك بزنته ، يعني من شدة معرفته بأمور الدنيا ، قال : ولو سألته عن شروط الطهارة والصلاة . . لم يعرف شيئاً منها . انتهى

وعلى الجملة : فالجهل رأس الشرور والبلايا كلها في الدنيا والآخرة ، ولو اجتمع على الجاهل أعداؤه ليضروه . . لم يقدروا أن يضروه بمثل ما قد ضرَّ به نفسه ؛ كما قال القائل :

ما يبلغ الأعداء من جاهلٍ ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

وكما قال الآخر :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسادهم قبل القبور قبور

ثمرات العلم : أن الجهل المذموم على الإطلاق هو أن يجهل الإنسان من العلم ما فرض الله عليه علمه ، فاحذر أيها الأخ من ذلك ، واخرج من ظلمات جهلك إلىٰ نور العلم ، وليس بواجبٍ أن تتسع في العلم بل الواجب عليك تعلُّم القدر الذي لا بدَّ لك منه ، ولا غنىٰ بك عنه .

وكما يجب عليك أن تتعلم في نفسك يجب عليك أن تعلم أهلك وأولادك وكل من لك ولاية عليه ؛ فإن لم تقدر أن تعلمهم . . كان عليك أن تأمرهم بالخروج إلىٰ أهل العلم حتىٰ يتعلَّموا منهم القَدْر المفروض منه ، وإلاَّ . . أثمت وأثموا ؛ يعني من كان مكلفاً منهم) انتهىٰ كلام سيدنا الحبيب عبد الله الحداد رضي الله عنه من « النصائح » .

وقال رضي الله عنه في غيره : (من أراد من الدنيا حاجته وما لا بد له منها . . لا يقطعه ذلك عن أمور دينه ، بل أمور الدِّين تيسِّره وتزيده ، فمن جعل الدنيا حذاءً . . منعته النجاسة والشوك والأذىٰ ، ونفعته وهو عزيز ، فإن جعلها فوق رأسه . . قَذَّرَتْه ووضعت من قدره وهو ذليلٌ ، بل لو جلس وهي في رِجْله ينبغي أن ينزعها . . فكيف إن جعلها علىٰ رأسه ؟!

ونحن ما أنكرنا علىٰ أهل هـٰذا الزمان في أخذ ما لا بدَّ منه وما يغنيهم عن التكفف للناس إذا كان من حِلِّه ، وإنما أنكرنا عليهم رفعها وتعظيمها والتهالك عليها حتىٰ ضيَّعوا بسببها حقوق الله ؛ كإخراج الصلاة عن وقتها ، أو عن أوائلها ، أو عن الجماعة ، وإقدام أهل هـٰذا الزمان على الحرام يضاهي إعراض الأوَّلين عن الحلال ؛ لأن الأوَّلين أعرضوا عن الحلال احتياطاً ولا بالوا ، وهـٰؤلاء وقعوا بالقصد في الحرام ولا بالوا) انتهى

فرحم الله امرأً رحم نفسه ، وأصلح قلبه ، وسعىٰ في طلب نجاة نفسه ، ثم من يعول ثم الأقرب فالأقرب ، ثم هـٰكذا وهـٰكذا ، والحمد لله رب العالمين .

ومن المنكرات الفاشية : كثرة القيل والقال ، والخوض فيما لا يعني والتحدث بالباطل ، والتمضمض بأعراض المسلمين وغِيبتهم وثَلْبهم ، وغيرها

من آفات اللسان التي لا يسلم منها إلاَّ مَنْ صمت واعتزل ، أو لا يتكلَّم إلاَّ بعد تأمُّلٍ دقيقٍ ، قال الله سبحانه : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صمت . . نجا » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الصمت حكم وقليلٌ فاعله » .

وقيل : يا رسول الله ؛ ما النجاة ؟ قال : « املك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك علىٰ خطيئتك » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « وهل يكب الناسَ علىٰ مناخرهم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم » .

وقيل : يا رسول الله ؛ ما أخوف ما تخاف عليَّ ؟ قال : فأخذ بلسانه ثم قال : « هـٰذا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من سرَّه أن يسلم . . فليلزم الصمت » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أكثر خطايا بني آدم في اللسان » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « رحم الله عبداً تكلَّم بخيرٍ فغنم ، أو سكت عن شرٍّ فسلم » .

وجاء أعرابي إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني علىٰ عملٍ يدخلني الجنة ، قال : « أطعم الجائع ، واسقِ الظمآن ، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ؛ فإن لم تطق . . فكفَّ لسانك إلاَّ من خيرٍ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الرجل ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت . . يكتب الله له بها رضوانه إلىٰ يوم يلقاه ، وإن الرجل

ليتكلَّم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت. . يكتب الله عليه بها سخطه إلىٰ يوم يلقاه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يُضحِك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أعظم الناس خطايا أكثرُهم خوضاً في الباطل » .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً .

وقال سيدنا الغزالي رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به : (فمن أطلق عذبة اللسان ، وأهمله مرخىٰ العنان ، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلىٰ شفا جُرُفٍ هارٍ إلىٰ أن يضطره إلى البوار) انتهىٰ ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

تمت الرسالة العجيبة ، وهي في فنها غريبة ، وهي لقطب الزمان سيدنا الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر علوي نفعنا الله به ، وأعاد علينا من أسراره وعلومه في الدارين ، آمين .

❊ ❊ ❊

الرسالة السابعة

فرائد الفوائد من فتح جميل العوائد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه والتابعين .

أما بعد :

فهـٰذه فوائد بحسب الوارد من فتح جميل العوائد ، علىٰ عبده القاصر عبد الله بن حسين بن طاهر .

فائدة

قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » .

اعلم - وفقني الله وإياك لرضاه وأهَّلنا لكمال عطاه - : أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أُعطيَ جوامع الكلم ، ولكل كلمةٍ من كلامه معانٍ كثيرةٌ ، وفهومٌ غزيرةٌ ، وكلٌّ يأخذ منها علىٰ قدر ما أعطاه الله من الفهم والنور ، فمن معاني هـٰذا الحديث ؛ وهو قوله : « المؤمن مرآة المؤمن » يعني أن المؤمن يرىٰ في أخيه المؤمن أخلاقاً حسنة فيقتدي به فيها ، ويرىٰ فيه أخلاقاً سيئةً فيعلم أن في نفسه أمثالَها ، فيطالب نفسه بإماطتها والتخلِّي عنها .

معنىٰ قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » يعني أن المؤمن يرىٰ في أخيه المؤمن عيباً ، فيأمره بإماطته ، ويطالبه بإزالته ، فيكون له كالمرآة

يرىٰ بتعليم أخيه له عيب نفسه ؛ كما تحكي المرآة عيب نفسه .

معنىً ثالث : قوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » يعني أن المؤمن يرى المؤمنين فيتجَلَّون له بحسب ما في باطنه من خيرٍ أو شرٍّ ؛ فإن كان باطنه سليماً صافياً ، نقياً تقياً ، صادقاً عارياً من الأخلاق الخبيثة . . رأى المؤمنين كذلك ، وظنَّ بهم الظنَّ الحسن ، ولم يجوّز غيره ألبتة ، فتراه ينخدع لكل من خدعه ، ويُصدِّق بكل ما يقال له ؛ لأنه يرىٰ ما عنده فيظنه بهم ، ويراهم كأنهم متخلِّقون بالأخلاق السليمة التي جُبل عليها ، وهـٰذه فضيلةٌ ومزيةٌ حسنةٌ يطبع الله عليها كثيراً من المؤمنين وإن كان أعلىٰ منهم وأكمل من يرى الأشياء علىٰ ما هي عليه صحةً وفساداً ، وصلاحاً وفسقاً .

وإن كان الإنسان الناظر إلى المؤمنين خبيث الطوية سيء الأخلاق شريراً ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ . . تجلَّتْ له صورته في كل من رآه من المؤمنين ، فلا يرىٰ أحداً إلاَّ ويظن به السوء ؛ لما تحقَّق عنده من أخلاق نفسه ، فلم يجوِّز عليهم خلاف ما عنده وقاسهم علىٰ نفسه ، قال صلى الله عليه وسلم : « إذا قال الإنسان : هلك الناس . . فهو أهلَكُهم » .

وقال الشاعر :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وحَقَّق ما يعتاده من توهمِ

وعادىٰ محبيه بقول عِداته ... وأصبح في شكٍّ من الليل مظلمِ

جاء رجلٌ إلىٰ بعض الصالحين المشهورين بالولاية ، فقال ما معناه : يا سيدي ؛ رأيتك في المنام كأنك في صورة خنزير ؟! فقال له الشيخ رحمه الله تعالىٰ : تلك صورتك لا صورتي ؛ لأنك لمَّا قابلتني . . تجلَّتْ صورتك فيّ ، فرأيتَها فظننتَها صورتي ، وإنما هو صورتك تجلَّت فيَّ ، ولو كانت صورتك حسنة . . لتجلَّتْ فيَّ بصورةٍ حسنةٍ لَمَّا رأيتني ؛ ولذلك نقول : كل مَنْ رأى النبي صلى الله عليه وسلم بصورةٍ حسنةٍ . . فهو دليلٌ علىٰ حُسْنِ حال الرائي ، وإن رآه بغير ذلك . . فهو دليل علىٰ نقصٍ في الرائي .

ولا نقول : إن هـٰذا الكلام على الإطلاق ، وإنما هو مقيَّدٌ بحال الناقص للكامل أو المماثل أو المجهول ، في اليقظة أو في المنام ، فما رآه الإنسان في المؤمنين . . فهو في الغالب عينُ حاله ؛ إن خيراً . . فخيرٌ ، وإن شراً . . فشر .

وأما أهل الكمال كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكل ورثتهم ؛ فكل ما رأوه في إنسان في يقظةٍ أو منامٍ من صلاحٍ أو فسادٍ . . فهو عين حال ذلك الإنسان ؛ لأن صورهم لا تتجلَّىٰ في الغير لكثافة الغير ، وإنما الغير يتجلَّىٰ فيهم ؛ لصفائهم فيرونه علىٰ ما هو عليه من حقيقة الحال ، قال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله » .

وهـٰذا خاصٌّ بأهل الله ، فالحذرَ كلَّ الحذرِ من الغرور ؛ فإنه رأس الشرور .

معنىً رابع : قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » يعني أن المؤمن الكامل الإيمان مرآة ، يعني : موضع تجلي جلية المؤمن ؛ أي : الله سبحانه وتعالىٰ ؛ لأن من أسمائه تعالى المؤمن ، وقلب المؤمن محل معرفة الله ؛ قال الله سبحانه وتعالىٰ : (لن تسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن) .

وفي الحديث : « القلب بيت الرب » يعني : موضع معرفته ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

اللهم ؛ إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، ونعوذ بك ممَّا استعاذ منه عبدك ونبيك محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرى

اعلم رحمك الله : أن السابقة الحسنة ، والسعادة الأزلية ، والهداية وسائر الأخلاق الحسنة المرضية مثل البذور في القلوب ، والدعوة إلى الله تعالىٰ والمواعظ والدعاة والمذكِّرين مثل الأمطار والرحمات ، والقلوب مثل

الأراضي ، فإذا وقعتِ الدعوة والمواعظ من الدعاة والمذكِّرين على القلوب ؛ فإن وقعت على القلوب التي سبقت لها من الله الحسنىٰ وآن أوان إنابتها ورجوعها إلى الله . . أصغت وأقبلت ، وأطاعت وانقادت ، واتَّبعتْ واهتدتْ مثل الأمطار إذا وقعت وقت الربيع على الأراضي الطيبة النقية المبذرة بالبذر النافع الطيب . . فلا يخفىٰ ما تأتي به تلك الأرض من المنافع ، وإن وقعت الدعوة علىٰ قلوبٍ خليةٍ من الأخلاق الحسنة والخبيثة . . لم تتأثر بها كالأمطار إذا وقعت على الأحجار .

وإن وقعت الدعوة علىٰ قلوبٍ مُلئت من الأخلاق الخبيثة ، وحقَّت عليها الشقاوة ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ . . قابلت الدعوة إلى الله والداعين والمذكرين بالتكذيب والاستهزاء والعناد ، والتَّأَبِّي والإيذاء والعداوة ؛ كالأرض الخبيثة المَلأىٰ ببذر الأشجار الخبيثة المؤذية بالشوك وغيره ، وإفساد الأرض ، وعدم النفع ؛ فإنها إذا وقعت عليها الأمطار . . أنبتت ما فيها من كل شجرةٍ مؤذيةٍ ، وكلما زادت عليها الأمطار . . كثر شوكها ، وعظم وزاد ضررها ، وصار لا دواء لها إلاَّ قلعها أو إحراقها .

اللهم ؛ اجعلنا من الذين سبقت لهم منك الحسنىٰ يا أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اعْلَمْ رَحِمَكَ ٱللَّهُ : أن الفرح والأُنْس والسرور والرضا وانشراحَ الصدر . . ليس هو بحسب مواتاة الأسباب وموافقتها للإنسان ، ولا ضدَّ هـٰذه الأشياء بحسب تشويش الأسباب ومخالفتها عليه ، بل هو أمرٌ معنويٌّ يخلقه الله سبحانه وتعالىٰ في قلب من يشاء من عباده ، فربَّ شخصٍ في ضنكٍ في معاشه أو بلاءٍ في جسمه أو غير ذلك من المكدِّرات والمنغصات وهو مع ذلك منبسطٌ فرِحٌ مسرورٌ مستبشرٌ حتىٰ إنه يسري ذلك الانبساط والأنس إلىٰ من جالسه أو رآه أو ذكره .

وربّ شخصٍ آخر في رفاهية من العيش ، وعافية في الجسم ، وأمن من المخاوف ، وفراغ من الشواغل ، وهو مع ذلك ضيِّق الصدر ، متكدِّر البال والقلب ، مهمومٌ محزونٌ ، مكروبٌ مشوَّشٌ ، تكثف القلوب من ذكره فضلاً من رؤيته أو مجالسته .

اللهم ؛ اهدنا لأحسن الأخلاق ؛ فإنه لا يهدي لأحسنها إلاَّ أنت ، واصرف عنَّا سيئها ؛ فإنه لا يصرف عنا سيئها إلاَّ أنت ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرىٰ

اعلم رحمك الله أن الأخلاق الحسنة ، والأحوال المرضية ، والأفعال الجميلة لذيذةٌ في الحال ، وهي سبب اللذة في المآل ؛ فهو من الآن يجتني ثمرتها ، والأخلاق السيئة نكال في الحال ؛ ولعذاب الآخرة أشد وأخزىٰ ، مثال ذلك : الراضي عن الله ، والقانع بما أعطاه ، والزاهد في الدنيا والآنس بذكر الله تعالىٰ ، فترىٰ صاحب هـٰذه الأحوال في راحةٍ قد تعجلها الآن في الدنيا لا مزيد عليها ، وله مع ذلك الثواب الجزيل والوعد الجميل في الآخرة ، وبضدِّ ذلك الساخط عن الله الحريص الطامع الغافل العاصي ، فتراه ضيِّق الصدر حَرِجاً معذباً بذلك في الدنيا ، ولَمَا توعده الله به في الآخرة من العذاب الأليم والخزي العظيم أشدّ وأعظم ، قال سيدنا أبو بكر بن عبد الله العدني :

وأفقر الناس في الدنيا وضَرَّتِها ... قلب من الذوق من حب الإلـٰه خَلِيْ
وعكسه إن أغنى الناس قاطبة ... قلبٌ من الشوق من حب الإلـٰه مُلِي

وقال أيضاً في قصيدةٍ أُخرىٰ :

ألـــــذ العيـــــش كلـــــهْ ... مَـــعَ أربـــاب البصـــائـــرْ
ولا الأســــــــــرار إلاَّ ... لمـــن صَفَّـــى الســـرائـــر

اللهم ؛ إنا نسألك بحق الصالحين أن ترزقنا ما رزقتهم ، وأن توفقنا لما وفقتهم ، وأن تمنحنا ما منحتهم ، وأن تهب لنا ما وهبتهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرىٰ

اعلم رحمك الله : أن مثال الدنيا مَثَلُ الدَّجال ؛ فإنه جاء في الحديث ما معناه : (أن الدجال يجيء ومعه جنةٌ ونارٌ ، فالذي يظنه الناس جنة . . فنارٌ تحرق ، والذي يظنه الناس ناراً . . فماءٌ عذبٌ ، كذلك الدنيا معها جنةٌ ونار ، فالذي يراه الناس جنة . . فهو عذاب في الدنيا ، وهو سبب العذاب في الآخرة ، والذي يراه الناس ناراً . . فهو نعيم في الدنيا ، وهو سبب النعيم في الآخرة .

ألا ترىٰ أن الناس يَرون كثرة الأولاد ، وبريق الذهب والفضة ، وفاخر الملابس ، وزينة المساكن والمراكب ، ولذيذ المآكل والمشارب والمناكح ، وزهرة البساتين والعقارات ، وكثرة الجاه والأتباع ، والرياسة والمظهر ، فيظنون أن ذلك غاية النعيم واللذة والسرور ، وهو إذا تأمله المتأمل . . وجده منبعَ كل أذىً وتعبٍ ونصبٍ ، وسببَ كل همٍّ وغمٍّ ، ورأسَ كل بلاءٍ وفتنة ، ووبالٍ ونكال في الدنيا عاجلاً فضلاً عن الآخرة ، فلا تجد حزناً ولا كدراً ولا ذنباً إلاَّ وهو إلىٰ أحد هـٰذه الخصال راجعٌ ، ومنه نابعٌ وله تابعٌ ، فصارت جنتها ناراً .

ويرى الناس قلَّة الشيء من الدنيا ، والقناعة بالقليل منها ، والزهد فيها ، وقلة الأولاد والاجتزاء بأدنى الملابس والمساكن ، وعدم الضِّياع والعقارات ، وقلة الجائي والرائح ، والخمول وقلة الظهور ، والاعتزال عن الناس فيظنونه عذاباً ، ويرون أن صاحب هـٰذه الأشياء مكروبٌ ، ولا يدرون أنه بلا شك أرْوَحُ قلباً وأشرح صدراً من الذي قبله بكثيرٍ .

هـٰذا عاجلاً في الدنيا وهو أرجىٰ وأقرب إلى السلامة في الآخرة من الذي قبله ، فصارت الدنيا من هـٰذا القبيل إن نارها جنة وإن كانت الدنيا لا راحة فيها ؛ لـٰكن إذا تأمّلت حال الرجلين . . وجدت بينهما بوناً كبيراً .

اللهم ؛ اجعل لنا من لدنك ولياً ، واجعل لنا من لدنك نصيراً ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرىٰ

اعلم ـ وفقني الله وإياك للزهد والورع ، وجنَّبنا الحرص والطمع ـ : أن الأموال التي يأخذها الإنسان بالغصب ، والربا والغش والخداع ، ومن الصدقات والأوقاف علىٰ غير شرط الواقف والمتصدق ، وسائر الأموال المحرمة في الشرع . . مثالها لسائر أمواله المأخوذة بالحِلِّ مثال مَنْ يُدخِل علىٰ بطنه الصحيح شربة حادةً أو سُماً ، فكلَّما أدخل بطنه منه شيئاً يسيراً . . أخرج منه عشرة أضعافه وأكثر ، فيصبح ذلك الإنسان ويرىٰ كثرة ما خرج من بطنه ، ويرىٰ بدنه قد وهن وضعف بسبب الخارج فيغدو بهمَّةٍ ثانيةٍ قويةٍ في أخذ تلك الأموال المحرمة ، والمعاملات الفاسدة الباطلة القبيحة ، ويأخذ أضعاف ما أخذه بالأمس راجياً بذلك صلاح بطنه ، وقوام بدنه ، وجبر ضعفه .

وهـٰذا من الحُمْق الجلي والخسران الظاهر والخذلان الذي لا مزيد عليه ، ألم يدرِ ذلك الإنسان أنَّ ما وقع عليه من فوات ماله وقلَّة البركة في سعيه ، وشتات صنعته ، وكثرة الفتن والمحن ، والمطالبات والمكدرات . . سببها ترك الواجبات ، وارتكاب المخالفات ، وتعدِّي الحدود ، وعدم إخراج الحقوق ، وترك الصدق في معاملاته مع ربه ومع الخلق ؛ فإن الله سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ .

فينبغي للإنسان إذا أصابته مصيبة . . أن يرجع إلى الله ويتوب إليه ، ويتأمل الكوة التي دُخِل عليه منها فيسدّها ، ويتأمل عباداته ومعاملاته ، فيصلح ما فسد عليه منها ولا يتمادىٰ على الطغيان والعصيان ؛ فإن الأشياء لا تعالج إلاَّ

بضدِّها ، *ولا تندفع المفاسد إلاَّ بحسمها وردّها* .

اللهم ؛ أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرىٰ

اعلم رحمك الله : أنك إذا تأمّلت حال نفسك ـ وكذا حال غيرك ـ . . وجدتَ أكثر ما يأتيك الهم والغم ، وكثرة الخواطر ، والشواغل والتعلُّقات ، والعوائق عن الخيرات ، بل وعن كل راحة دنيا وأخرىٰ قلباً وقالباً من أمور ترهات ، وأشياء مستهجنات ، ليس لها تعلق بالدين ، ولا بالذي عليه يعين ، بل ولا لها تعلُّق بنفسك ولا براحة خاطرك وبدنك ، وإنما هي أمور وأشياء تتعلق بمقالات الأسافل ، والنساء والأراذل ، ومَنْ لا خير فيه من غوغاء الناس وعوامهم ، فترى الإنسان من حين يصبح إلىٰ حين يمسي ، بل يقضي شهوره وسِنِيَّه وعمره كله في أسفارٍ وأخطارٍ ، ويدخل في شبهاتٍ ومحرماتٍ ، ويضيع لأنفاسه وساعاته ، ويخاطر بروحه ، ويفوت صفاء وقته في طلب مزايا وزوائد ليست من ضروريات القوام ، بل ولا من متمماته ، وإنما هي أشياء تتعلَّق بالغير ، ولا يجتني منها مدة حياته إلاَّ كل تعبٍ وكدرٍ وضيرٍ ، مع ما فوّتته عليه من التفرغ للدين والخير ، ومن الأنس بالله والذهاب إليه والسير .

ومن كلام سيدنا الحبيب أحمد بن عمر بن سميط : شجرة العوائد تُسقىٰ بماء التكلف ، وتثمر البعد عن الأوطان ، ومفارقة الأهل والإخوان ؛ مع هٰذا تراه لائماً نفسه على ارتكاب هٰذه الأشياء ، ومالاً لهٰذه العادات ، ومبغضاً لهٰذه المثقلات ؛ لما قد جرَّعته في الحال من المنغصات ، ولما لحقه بسببها من المقالات المشوّشات ؛ فإن رضا الناس غايةٌ لا تدرك :

ولا بدَّ من مثنٍ عليك وشامتٍ ... وإن كنت مَرضِيّاً قويم الطريقة

فإنك إن أرضيت واحداً . . سخط عليك عشرة ، وإن أرضيت عشرة . . سخط عليك مئة ، وإن أرضيت مئة . . سخط عليك ألف ، وهٰكذا .

وإن تركتهم جميعاً وأرضيت ربك . . كفاك مؤونتهم ، واسترحت من معاناتهم ومعاناة تلك الأشياء الشاقة المتعسرة ، بل المتعذرة مع ما ترجوه من سلامة الآخرة من عدم الدخول في تلك الأمور التي لا يسلم الداخل فيها من المحظور ، فانظر بعين قلبك ؛ فإنها لا تعمى الأبصار ولٰكن تعمى القلوب التي في الصدور :

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ... ولٰكن لا حياة لمن تنادي
ونارٍ لو نفختَ بها أضاءتْ ... ولٰكن ضاع نفخك في الرمادِ

اللهم ؛ اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولَّنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا شرَّ ما قضيت ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرى

اعلم رحمك الله : أنه إذا عُرف أحدٌ بالعلم والولاية والعبادة ، والصلاح والكرم والزهادة . . أحبه الناس ، واعتقدوه ، وتودَّدوا إليه ، وتردّدوا عليه ، ولجؤوا إليه في دفع ما يقع عليهم من الظلم من الأجناد وغيرهم ، فيبذل ذلك الرجل الصالح جاهه ، ويذب عنهم بلسانه بحسب نفوذ جاهه وقبول كلمته ، ويرىٰ ذلك فرضاً لازماً عليه نصرة للشرع ، وقياماً بحق الإسلام والأخوة ، والصحبة والمودّة ، وشكراً لِمَا خوَّله الله ، وأنعم به عليه من سعة الجاه وقبول الكلمة ، ولا يرىٰ له مِنَّةً إذا قُبلت كلمته ، ولا يأخذ علىٰ ذلك أجراً ، بل يبذل ماله في ذلك ، ويجتهد في دفع الظلم عن غيره أشدّ من الدفع عن نفسه ؛ فإن قبل كلامه . . فذاك ، وإلاّ . . وكَل أمره إلى الله ولم يدافع بغير ذلك .

فهٰذه سيرة الصالحين ، ثم إنه إذا مات ذلك الصالح . . قام في مقامه إنسان من أولاده أو من غيرهم ، ولم يسلك سبيل ذلك الرجل الصالح ولا طريقته ، ولا أخذ ما أخذ فيه من العلم والزهادة والعبادة ، وعدم الطمع في الناس والميل إليهم ، بل ظهرت منه الرغبة فيهم والطمع فيما في أيديهم ، فأخذ

الناس في الفرار منه ، والنفرة عنه ، فجعل يطالبهم بما كانوا يتودَّدون به إلىٰ صاحب ذلك المقام الأوَّل ، وبالتردد عليه ؛ كما كانوا يتردَّدون هم وآباؤهم علىٰ ذلك الولي ، ويرىٰ في نفسه أن ذلك حق لازمٌ عليهم ، وأنهم مقصرون في حقِّه . هـٰذه والله مصيبة ؛ وبلية عظيمةٌ تدل علىٰ قلة دينِ مدَّعيها وعقله ، أيكون جزاء إحسانهم ، أو إحسان آبائهم إلىٰ أبيه أو جده ، وترددهم وتوددهم إليه لصلاحه وولايته سببَ استعبادهم واسترقاقهم وإذلالهم أبداً ما تناسلوا ؟!

فلعمري ؛ لا تصدر هـٰذه الأخلاق إلا من إنسانٍ دنت همته ، وقلَّت مروءته ، ومال طبعه إلىٰ غوغاء الناس وسَفِلتهم وأنذالهم ، ولم تنظر نفسه إلىٰ مكارم أخلاقِ مَنْ جلس في مجلسه ، ولم تجنح همته إلىٰ خلاله السنية ، وصفاته العليَّة ؛ التي أقلها الزهد في الدنيا ووجاهاتها ، والتواضع وعدم النظر إلى الناس جاؤوا أم ذهبوا ، والإنصاف من النفس وعدم الانتصاف لها ، وغيرها من الخصال الحميدة ، والأفعال السديدة .

سارتْ مشرِّقةً وسرتُ مُغرِّباً شتَّانَ بين مُشرِّقٍ ومغرِّبِ

فينبغي لمن أُقيم في مقام أحدٍ من الصالحين أن يجتهد في سلوك طريقته ، والتشبُّه به في ظاهره وطويته ، ثم يعترف بالخلوِّ عن أذواقه وحقيقته ، ولا يدَّعي شيئاً من أحواله ومواجيده ، ولا يطالب أحداً بأن يحترمه أو يعظمه ، فضلاً عن أن يتردَّد عليه أو يتودَّد إليه .

ومن أكرمه أو أحسن إليه . . كافأه بالعطاء أو بالدُّعاء والثناء ، ومن لم يأته . . رأىٰ ذلك من النِّعم التي يجب عليه شكرها ، ورأىٰ له مِنَّةً وفضلاً من أن يراه جفاءً ، أو يتكدَّر عليه خاطره .

ومَنْ عاداه أو آذاه ، أو آذىٰ من يلوذ به . . وَكَلَ أمره إلى الله ؛ كما كان مَن كان قبله ، ولا يأخذ في مدافعته بالمقاتلة والمعاندة لأن هـٰذا يخرجه عن سبيل مَنْ هو مدعٍ مقامه ، فتكون أفعاله أوَّل شاهدٍ عليه بالتكذيب ؛ لأن المعاندة والمقابلة بمثل فعل الظالم شأن الأجناد والظَّلَمة ، فيدعوه ذلك إلى التشبُّه

بهم ، بل إلىٰ أن يكون منهم كما هو مشاهَدٌ ومجرَّبٌ .

فتكلَّمنا بهـٰذه الكلمات قضاءً لبعض حقوق من مضىٰ من الصالحين ، ورجاء أن يقف عليها أحدٌ ممَّن يحب الناصحين ، فينتفع بها ، فأكون على الخير من الدَّالين .

اللهم ؛ وفِّقنا لكل خيرٍ ، واحفظنا من كل شرٍّ وضير يا أرحم الراحمين ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرىٰ

اعلم رحمك الله : أن سبب ما حدث من هـٰذه الفِتن والمحن والأخواف وغيرها من المكدِّرات . . عدمُ الاستقامة علىٰ ما أمر الله به ؛ من امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وكثرة الغفلة عن الله وعمَّا خَلَقَنا له ، وسببُ زيادتِها وتكاثرِها ودوامِها عدمُ الانتباه بهـٰذه المذكرات ، وعدم الرجوع إلى الله والتوبة والندم علىٰ ما صدر منَّا ، فحالنا مع هـٰذه المذكرات مثال رجلٍ يسوق دابةً ليسلك بها جادة الطريق ، فجمحت عنها ، فزجرها لترجع فلم ترجع ، فضربها ، فكلَّما ضربها لترجع . . زادت نفاراً ، فلم يتركها من الضرب ولم تترك ما هي عليه من التأبي والنفار ، وكلَّما زاد في قودها وردِّها إلى الطريق . . زادت في النفار وعدم الانقياد ، فهي في عذابٍ دائمٍ من المشي في الحفا والكلال اللازم لمن يمشي في غير الطريق ، وفي تعذيبٍ بالضرب والوخز والزجر ، وهي مع ذلك مذمومةٌ ومعيوبةٌ عند مالكها وغيره ، وهي أيضاً غير مرحومةٍ ممَّا لاقته من هـٰذه المشاق ؛ لأنها هي الملقية بنفسها في ذلك .

مثال آخر لما نحن فيه من هـٰذه البلايا : وذلك كرجلٍ ثارت عليه أمراض وأوجاع في بطنه ، وتنكَّرت عليه طباعه بسبب أشياء مضرة يأخذها ، فجعل يشكو وجعه لكل مَنْ رآه ، فقال له الأطباء : إن هـٰذه الأوجاع لا تزول عنك ما لم تترك هـٰذه الأشياء المضرة التي تأخذها ، وتحتمي عنها بالكلية حتىٰ يطهر بطنك عنها ، ثم تأخذ أشياء أخر مضادة لهـٰذه الأشياء ؛ فإنك تصح وتبرأ ،

ولا تطمع في الشفاء وأنت باقٍ علىٰ حالتك هـٰذه ، فاستبعد مقالتهم ، وشقَّ عليه مفارقة ما هو فيه ، وغلبت عليه شهوته فلم يفعل شيئاً ممَّا وصف له ، بل بقي يُدخل بطنه من الذي وجد منه الألم ويزيد عليه أمثاله ، ويجتنب ما ينفعه ، والمرض يزيد كل يومٍ عليه ، وهو يُكثر من الأنين والتأوّه والشكوىٰ ، ويذم بطنه ويقبحه .

مثال آخر لذلك : وذلك كرجلٍ رأىٰ أناساً قبله زرعوا أرضاً ببذور طيبة ؛ مثل النخل والعنب والبُر وغيرها من الأشجار النافعة ، فأتت لهم بكل ثمرةٍ طيبةٍ ، فجعل يغرس في تلك الأرض بذوراً خبيثةً مضرةً ، وظن بحمقه أن يجني منها ما جناه السابقون ، فأتت بما لا يخفىٰ من ثمارها كما هي سنة الله سبحانه ، فجعل يتعجَّب من ذلك ويلومها ؛ إذ لم تأتِ بأثمار طيبة ، فقيل له : إن هـٰذه البذور لا تثمر إلاَّ ما رأيت ، فإن أردتَ ثمراً مثل ثمر السابقين . . فابذر مثل بذورهم ، وإلاَّ . . فلا تطمع أن تجني إلاَّ ثمر ما غرست ، فلم يسمع لأحدٍ ، وجعل كلَّما حصد شراً . . بذر أشرَّ منه ، وبقي يذم الأرض ويتوجع ممَّا يلاقيه ويعانيه ، وهـٰذا من الحمق الجلي الذي لا مزيد عليه .

ولا أرىٰ لما وقع وجرىٰ من هـٰذه الأمور المهلكة للدِّين والحال والمال دواءً نافعاً إلاَّ بأن يولِّي الله على الجهة والياً عادلاً قاهراً يحملهم على امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وخصوصاً فيما يتعلَّق بالحلال والحرام ، والمظالم والتبعات يبحث عن ذلك أشدَّ البحث ؛ فإن الحرام بهـٰذه الجهة عمَّ وكثر ، وكاد أن يكون الحلال بها نادراً ؛ لكثرة الظَّلَمة ، وعدم الرادع ، وغلبة الجهل ، وقلة الحياء والورع ، وظهور التجري الذي لا مزيد عليه ؛ فإنه صار لا يمنعهم من الحرام إلاَّ عدم القدرة عليه والتمكن منه ، ومن قدر على شيءٍ منه . . أخذه ولا يفرق بين الحلال والحرام ، ولا ما يصحُّ وما لا يصح ، ولا يبالي من أي جهةٍ أخذ المال ، ومَن هـٰذا وصفه : « لم يبالِ الله به في أيِّ وادٍ أهلكه » .

ولا يخفىٰ ما يترتب علىٰ أكل الحرام من الشرور والمفاسد ، وأنه

لا يقبل الله له طاعة ولا يسمع له دعاء ، وأن النار أولىٰ به ، فلو صليتم حتىٰ تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتىٰ تكونوا كالأوتار من غير ورعٍ حاجزٍ. . لم يتقبَّلِ الله ذلك منكم .

فعُلم من هـٰذا أن أكل الحلال أساسٌ للطاعة ، ولا تصح بدونه ، وأن العبادة مع أكل الحرام هباءٌ منثورٌ ، لا تفيد صاحبها إلاَّ مجرد الغرور ، ولا يجني من أكله إلاَّ أنواع الشرور .

اللهم ؛ هَبْ لنا من رزقك الحلال الطيب المبارك ما تصون به وجوهنا عن التعرض إلىٰ خلقك ، واجعل لنا إليه طريقاً سهلاً من غير تعبٍ ولا نصبٍ ، ولا مِنَّةٍ ولا تبعةٍ لأحد ، وجنِّبنا الحرام حيث كان وعند من كان ، وحل بيننا وبين أهله ، واقبض عنَّا أيديهم ، واصرف عنَّا وجوههم حتىٰ لا نتقلَّب إلاَّ فيما يرضيك ، ولا نستعين بنعمتك إلاَّ فيما تحب وترضاه يا أرحم الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرىٰ

اعلم ـ وفقني الله وإياك لذكره ، وحمده وشكره ـ : أن أفضل العبادات وأقرب الطرقات وأكمل السعادات المداومةُ علىٰ ذكر الله وملازمته في جميع الحالات ، أعني مع الحضور والإخلاص ، والأدب والتعظيم له سبحانه وتعالىٰ ، فمن لازم ذلك. . فلا بد أن يفتح الله عليه في أقرب زمن .

هـٰذا إذا رتَّب الأعمال ؛ بأن كان قد أتىٰ بما عليه من أداء الواجبات وتجنُّب المحرمات ، وإلاَّ. . فقد ورد في الحديث القدسي ما معناه : « قل للظالمين لا يذكروني ؛ فإني أذكرهم باللعنة ؛ لأني آليت علىٰ نفسي أن أذكر من ذكرني » .

ولا يخفىٰ ما ذكره الفقهاء من أنه من ترك فرضاً عمداً. . لا يجوز له التنفل وغيره من كل ما يشغل عن أدائه حتىٰ يؤديه ، بل قد ذكر سيدنا الغزالي

رضي الله عنه ، ونفعنا به ما معناه : أن كل من توجَّه عليه أداءُ فرضٍ فوراً ؛ مثل رد غصب أو وديعةٍ أو دَينٍ وتشاغل عنه بأداء فرض الصلاة الذي هو أقرب القربات . . حرم عليه ذلك ، بل صرَّح بمثل ذلك الفقهاء ؛ فقالوا : يجب أداء ما فات بغير عذرٍ فوراً ، ولا يجوز تقديم الحاضرة عليه وإن فاتت الجماعة ما لم يخش فوت وقت الحاضرة .

وقد ذكر سيدنا الغزالي في موضع آخر من « الإحياء » : من تشاغل بعد الأذان الثاني يوم الجمعة ببيعٍ عن السعي لها ، واستبعد مقالة القائلين ببطلان العقد ، وقال : إن هـٰذا يستدعي فساد بيع كل من عليه زكاة درهم ، أو صلاة فائتة وجوبها على الفور ، أو في ذمته مظلمة دانق ؛ فإن الاشتغال بالبيع مانعٌ عن القيام بالواجبات ، وليس للجمعة إلاَّ الوجوب بعد النداء ، وينجرُّ ذلك إلىٰ أنه لا يصح نكاح الظلمة ، وكل من في ذمته درهم ؛ لأنه اشتغل بقبوله عن الفعل الواجب عليه وضعف القول بالبطلان ، لـٰكن لا يخفىٰ من هـٰذا الكلام أن ترتيب الأعمال مهمٌّ جدّاً ، وهب أنه غير باطلٍ ، أليس الفعل بحرامٍ ؟! فيكفي الإنسانَ خسراناً أنه يعمل أعمالاً يظنها حسنات وهي سيئات ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ الآية .

فإذا كان الأمر كذلك ؛ فإن كان الإنسان قد أقام الواجبات وتجنَّب المحرمات . . فليلزم ما شاء من الأذكار بعد الإتيان بما تيسَّر من الوارد ، وإن كان مخلِّطاً ومقصراً ـ كما هو الأكثر والغالب ـ . . فينبغي أن يكون همه تلافي ما فرط من أمره ، ويكون ذِكرُه الاستغفارَ وكثرةَ التضرع والدعاء والابتهال بالانكسار والافتقار والاضطرار إلى الله سبحانه وتعالىٰ أن يغفر له ، ويتوب عليه ، ويوفقه لإقامة أوامره ، واجتناب مناهيه على الوجه الأتم الأكمل المَرضي المقبول عنده سبحانه وتعالىٰ .

ولا يرىٰ دعاءه أهلاً للقبول ؛ لما عنده من فقد الشروط الموجبة للاستجابة التي منها أكْلُ الحلال ، وحضور القلب وغيرهما ، ولـٰكن يرجو ذلك من محض فضل الله وكرمه ، ويخاف الرد وإن كان القبول له وللكامل من محض

الفضل ، لـكن ينبغي أن يكون خوف العاصي أكثر من رجائه ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرىٰ

اعلم رحمك الله : أنه لا ينبغي للإنسان أن ينكر كرامات الصالحين ، ولا مواجيدهم وأحوالهم وأذواقهم وإن خرجت عن مقتضىٰ عقله ، وبعدت عن دَرَك فهمه ولا يستبعد ذلك ولا يستحيله ؛ لكونه خلا عنه وفقده في نفسه ، فإن الله سبحانه وتعالىٰ يختص برحمته من يشاء ، ويؤتي الحكمة من يشاء ، ويؤتي الملك من يشاء ، وينزل الروح من أمره علىٰ من يشاء ، ولا حَجْر عليه سبحانه وهو علىٰ كل شيءٍ قدير ، وكما أنه سبحانه يَهَبُ لأوليائه في الآخرة ما لا عينٌ رأت ، ولا أُذنٌ سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ، وقال سبحانه : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ . فكذلك فَضْلُه عليهم في الدنيا لا يدخل تحت الحصر ، فالإيمان بذلك ولاية صغرىٰ ، وما مَثَلُ المكذِّب لهم معهم إلاَّ كمَثَل رجلينِ قال أحدهما للآخر : إني سافرتُ ووصلتُ إلىٰ مكة المشرفة ، فدخلت المسجد الحرام ، ورأيت الكعبة ، ورأيت من الطائفين والعاكفين حولها والمصلين والتالين لكتاب الله والذاكرين الله ما يبهر العقول من تعظيم شعائر الله ومشاعره ؛ لأن المسجد لا يخلو منهم لا ليلاً ولا نهاراً ، دائماً أبداً لا يَفْتُرون عن ذلك قط ؛ وذلك من غير قهرٍ لهم من إنسان ، ولا ترتيب ولا تدبير ، إنما هو تقدير العزيز العليم .

فقال له الآخر : كذبتَ ، فقيل له : ما لك كذبت صاحبك ولم تصدقه فيما أخبرك به مما رآه وعاينه ؟ فقال : لأني دخلت قرىٰ هـٰذه البوادي وجالست أهلها ، ولم أرَ بها شيئاً مما ذكره ، بل رأيت بها أشياء قبيحة من الغفلة وغيرها ، فقيل له : لا ينبغي لك أن تكذب صاحبك ؛ لأنه إنما يخبرك بما رأىٰ لا بما رأيت ، فكن أحد رجلين :

إما سالكاً مثل ما سلك لترىٰ ما رأىٰ ، وإما مصدِّقاً له ومعترفاً بالقصور ،

ولا تكن الثالث فتهلك ، ولا تجمع فوق ما أنت فيه من الغفلة ومجالسة أهلها ومخالطتهم عدمَ التصديق لأهل الحضور ، وعدم الاعتراف لهم بالفضل ولنفسك بالنقص والقصور ، فتجمع علىٰ نفسك خسارتين وتسوق إليها الشر من الجانبين ، فتجمع بين زورٍ وغرورٍ ، وإنكارٍ وفجورٍ ، فلا أقل من الاعتراف عند الاقتراف ، ومن الإنصاف عند عدم الاتصاف ، ومن الانكسار والاستغفار عند وجود الزلل والأوزار ، بل ينبغي أن يكون هـٰذا حالُك في حال الكمال ، فكيف وأنت عين النقص علىٰ كل حال ؟!

اللهم ؛ ارزقنا حُبَّك وحبَّ مَن يحبك ، وحبَّ كلِّ عملٍ يقربنا إلىٰ حبك ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرىٰ

اعلم رحمك الله : أن من مكايد الشيطان العظيمة لأبناء الأخيار أن يزين لهم التزيي بزي الجند والأشرار ؛ من لبس السلاح ، وتقصير الثياب ، وتبقية الشعر .

ومن تشبه بقومٍ . . فهو منهم ، وشِبْهُ الشيء منجذبٌ إليه ، قال سيدنا الإمام محمد بن محمد الغزالي رحمه الله ونفعنا به في آخر كتاب الحلال والحرام من « الإحياء » عند ذكره الظَّلَمَة والتحذير من مجالستهم : (فمن عُرف بذلك . . فقد عُرف ، ومن لم يعرَف . . فعلامته القَباءُ وطول الشارب وسائر الهيئات المشهورة ، فمن رُئي علىٰ تلك الهيئة . . يجب اجتنابه ، ولا يكون ذلك من سوء الظن ؛ لأنه الذي جنىٰ علىٰ نفسه إذ تزيَّا بزيهم ، ومساواة الزي تدل علىٰ مساواة القلب ، فلا يتجانن إلا مجنون ، ولا يتشبَّه بالفُسَّاق إلا فاسق .

نعم ؛ الفاسق قد يلبِّس فيتشبه بأهل الصلاح ؛ وأما الصالح . . فليس له أن يتشبَّه بأهل الفساد ؛ لأن ذلك تكثير لسوادهم) انتهى

ولعمري ؛ ما ترىٰ أحداً تزيَّا بذلك الزي إلاَّ وهو قد استحسن سيرة الجند ، وزينها الشيطان في عينه ، ومال طبعه إلىٰ مجانستهم ومجالستهم ، فقلَّما ترىٰ

أحداً فعل ذلك إلاَّ ونفر طبعه عن طلب العلم ومجالسة أهله ومذاكرتهم ، ولا يميل طبعه إلى العبادة وسيرة السلف الصالحين ، بل تراه متباعداً عن أهل الفضل ، ونافراً منهم .

وإن اتفق له مجالستهم من غير اختيارٍ . استثقل ذلك المجلس ، وضاق صدره به وهم كذلك ؛ وذلك لأنه لم تكن بينه وبينهم مجانسة ولا مؤالفة ولا موافقة ، بخلاف ما إذا جلس مع الجند وأهل السلاح والشر والغفلة . . فتراه بينهم منبسطاً منشرحاً بذلك ، فهـٰذه واللهِ بليةٌ عظيمةٌ ، ومصيبةٌ وخيمة تدعو إلىٰ كثيرٍ من الشرِّ والفساد التي لا يحصرها تعداد ، بل قد تجر إلى القتل بغير حق ، وترويع العباد والتأبي عن قبول الحق ، وعدم الانقياد ، وقد ابتلي بهـٰذه الخصلة بعض إخواننا العلويين وغيرهم من أبناء الصالحين ، فتراهم مثل الجند في زيهم ولباسهم حتىٰ إنهم يلبسون الفضة والحرير ، ويظهرون بعض عورتهم من كَثرة كَفْتِهم الإزار ؛ حرصاً منهم على التشبه الكلي بالجند والأشرار ، وتركاً وفراراً من سيرة سلفهم الصالحين الأخيار .

ثم إنهم لا يزالون يربون أطفالهم من حين صغرهم علىٰ ذلك ، فيكون عليهم وزرهم ووزر أولادهم ؛ لعدم إرشادهم إلىٰ سبيل الصلاح والرشاد ، وعدم منعهم وردعهم عن التشبه بأهل الفساد ، وقد ورد في الحديث أن : « كل مولودٍ يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه ، أو يمجسانه » . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله ، فلا أقل إذا عُدِمت الحقيقة من سيرة السلف الصالحين ، وأخلاقهم الباطنة والظاهرة ، من إبقاء الصورة الظاهرة والرسم مع الاعتراف بالتقصير وعدم الدعوىٰ ، ويبقى الحال كما قال القائل :

أمَّا الخيام فإنها كخيامهم ... وأرىٰ نساءَ الحي غيرَ نسائها

وكيف لنا بذلك بل صار الأمر ؛ كما قال الآخر :

حتى الخيام فليس هيْ كخيامهم　　أما نساء الحي غير نسائها

فنرجو مولانا الكريم أن ينبهنا على العيوب ، ويصلح منَّا القوالب والقلوب ، ويغفر لنا الأوزار والذنوب ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرىٰ

اعلم رحمك الله : أن أهل هٰذا الزمان لا يرون الفتنة والمصيبة إلاَّ كل ما يشوِّش عليهم دنياهم العاجلة أو يقطع عليهم أسبابها أو يضعفها ، وكل ما يكثف خواطرهم وأنسهم وراحتهم لا غير ؛ مثل الحروب والقتل ، والنهب والأسر والتخويف ، ومثل الأمراض والأوجاع ، والجدب والغلاء ، والقحط والفقر ونحوها ، وهٰذه واللهِ فتنٌ ومصائب ولٰكن إنما هي كذلك ؛ لِمَا تَعدَّىٰ منها إلى الدِّين من كون فاعل القتل ونحوه عاصياً ، وكونها شائعة بين الناس ولم تغير ، وكون المظلوم لا يُنصر ، وكونها شاغلة عن الدِّين ، ومشوشة للقلوب عن أن تحضر في صلاةٍ أو نحوها من أمور الدِّين ، فصارت بهٰذا الاعتبار فتناً وأي فتن ، وإلاَّ فالمفعول به ذلك والمصاب به إذا لم يأته . . مثابٌ عليه ومأجورٌ به ، وخصوصاً إذا رضي بذلك وسلَّم وصبر ، بل هي في حقِّه نعمة ورحمة لذلك ، ولكونها مزهدة له في الدنيا ومنغصة لها ومذكِّرة له ذنوبه وأهوال الآخرة وسائقة للإنسان إلى الالتجاء إلى الله والاضطرار والانكسار والافتقار . . فإن الإنسان في حال مواتاة الأسباب في كل أشيائه يغلب عليه الأشر والبطر كما هو الغالب إلاَّ الموفقين وقليل ما هم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ .

ثم إني أرى الفتنة أعم من ذلك ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ ، ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ ، ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ .

وفي الخبر ما معناه : « إني لأرى الفتن في خلالكم كمواقع القطر » .

وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم لمَّا سها في صلاته وهو في بستانه ؛ لشغله به : (فذكرت ما وقعتُ فيه من الفتنة) .

وكذا قول الصحابي الآخر : (ابتُلينا بفتنة الضراء فصبرنا ، وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر) .

فعُلم بهٰذا : أن كل ما يلاقيه الإنسان في جميع أحواله من خيرٍ أو شرٍّ . . فهو عليه فتنةٌ وابتلاءٌ ومحنةٌ ؛ فإن قام بحق الله فيه . . فقد سلم من الفتنة وكان من الشاكرين المأجورين ، وإن لم يقم بحقِّ الله فيه . . فقد وقع في الفتنة وكان من الغافلين المذمومين أو الآثمين الخاسرين .

اللهم ؛ إنا نعوذ بك من مضلاَّت الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وتوفَّنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن سبب ما أوقع الناس في الجهل وفي إجراء العقود علىٰ غير شروطها المعتبرة في الشرع وأوقعهم في إهمال تعلُّم أحكام الله والتهاون في التفقه في دين الله . . هو ردُّ جملةٍ من الأحكام إذا تنازعوا فيها إلىٰ غير ما قال الله ورسوله .

فلمَّا رأى الناس العلوم والأحكام معطلةً غير معمولٍ بها ، ولا يُحكَم بمقتضاها ، ورأوها فضلة لا فائدة لها ، وأن مَنْ تعلَّمها لم يحصِّل غير التعب والنصب في تعلُّمها وتفهمها فقط ولا يرجع إليه في شيءٍ قط . . زهدوا فيها وتهاونوا بها ، وأهملوها وتعاملوا كيف شاؤوا ، ولا يفرقون بين الصحيح وغيره ، ويرون من أراد تقويمهم على المحجة البيضاء والحنيفية السمحاء التي لا حرج فيها ولا إصر ولا ضيق . . طَلَبَ مُحالاً ورام متعذَّراً وأراد فساداً ، ورموه بالجنون وقلة العقل ، وهٰذه والله مصيبةٌ في الدِّين ، ومكيدةٌ عظيمةٌ من مكايد الشيطان ، تُوُصِّل بها إلىٰ إبطال الشريعة المطهرة وتعطيلها وإهمالها ،

فتراهم يحكمون بالعادة والباطل عمداً وظلماً وعدواناً ، وهم يعلمون أنه خلاف حكم الله ورسوله ، ويُلزمون الإنسان أشياء غير لازمة عليه في الشرع ، ويجبرونه ويقهرونه علىٰ ذلك ، ويُبرِّئُون إنساناً من أشياء هي لازمة عليه شرعاً ، وواجبٌ عليه أداؤها ومأثومٌ بتركها ؛ وهـٰذا قدحٌ في الدِّين عظيم ، واختراع دين مناقض لدين الإسلام ، ومباين له في الأحكام ، فترىٰ أحدهم يُدعَىٰ إلىٰ حكم الله ورسوله فيقول : لا أُعطي إلاَّ العادة ، أو يقال له : أعطيك ما قال الله ورسوله ، فيقول : لا أريد إلاَّ العادة ، وبعضهم يسمي هـٰذه الأحكام الباطلة الحقَ ، وهـٰذه كلمةٌ شنيعةٌ تدل علىٰ تزلزل عقيدة قائلها .

ولننقل هـٰهنا كلاماً وجدتهُ مكتوباً بخط سيدي العلامة الجد طاهر بن محمد بن هاشم رحمه الله تعالىٰ ، يتعلَّق بما ذكرته ، ولننقله برمته تتميماً للفائدة ، وتنفيراً عن هـٰذه الخصلة الفاحشة الفاسدة ؛ وهو هـٰذا : (الحمد لله ، هـٰذا ما وجدتُه في تأليفٍ للشيخ عبد الله باشعيب المعروف بابن قدري ، سببه منازعةٌ جرتْ بينه وبين الفقيه عبد الله بن أبي بكر الخطيب في بعض الأحكام ، فمنه وقفتُ علىٰ كلام شافٍ لبعض مشايخي ذوي الغَيرة والإنصاف ، قال فيه : ولو اتبعنا العادات . . لأبطلنا قوانين الدعاوي والشهادات ، ورجعنا إلى العُرّاف ، ووقعنا في الانحراف ، وحلنا عن الاتصاف بأحكام الشريعة ، وحوينا كل رذيلة ، وحقَّ علينا قوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ ، والطاغوت إنما كان عُرفاً وعادة أشبه شيءٍ بأحكام البادية ، بل هي عينها ، وهي عامة بجهتنا غير ممتزجة بشرعنا . . . إلىٰ أن قال رحمه الله تعالىٰ : ولقد أجاد شيخ مشايخنا شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في قوله : وددت أنَّ لي مالاً ورجالاً وجاهدت القائلين بالعادة ؛ لقولهم بحكم الطاغوت المعبَّر عنه بالعوائد ، وما احتوت عليه من المفاسد . انتهىٰ ما نقلته من كلام شيخنا من خطه .

ثم ظفرت أيضاً بسؤالٍ عليه أجوبة كثيرة من أئمتنا من أهل اليمن رضي الله عنهم ؛ ولفظه :

أصلح الله السادة العلماء أئمة المسلمين ، ونفع بهم وقمع بهم أحكام الملحدين ؛ عمَّا اعتمده أهل الجبال واعتقدوه ، وأشاعوه وأظهروه من حكم الجاهلية الذي يسمونه بحكم المنع ، وعَدَلوا إليه عن حكم الشرع ، فصاروا يقضون به ويفتون ، ويُقدِّمونه علىٰ أحكام الشريعة المطهرة ، فهل يفسقون بذلك ، وتسقط عدالتهم أو يكفرون ـ والعياذ بالله ـ وهل يجب على المسلم إنكاره وإبطاله وإعدامه ؛ لكونه من المنكرات العِظام ، المنابذة لأحكام الإسلام ؛ ولكونهم يبطلون به الحق ويقيمون به الباطل ، ويعقدون لذلك محاضر ومحافل ، ولا يصدهم عن ذلك جواب مجيب ، ولا سؤال سائل ، أم لا ؟ أفتونا فتوىٰ شافية ، لا زلتم للأنام ذخراً ، وللإسلام ركناً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

اللهم ؛ إنا نسألك العافية الشافية ، من هـٰذه الواقعة العظيمة ، والمظلمة الجسيمة ، ثم نقول :

الجواب ـ والله الموفق للصواب ـ : إن هـٰذا الحكم الجاهلي الذي يسميه أهل الجهل والطغيان بحكم المنع ؛ وهو كاسمه مانعٌ للحق المبين ، ومنافٍ لشريعة سيد المرسلين ، ومن حكم به وأَلزمَ واعتقده حقاً أو اعتقده غيره بسببه . . فهو كافرٌ خارجٌ عن الدِّين ، متورِّط في جهنم مع الظالمين المضلِّين ، ويجب قتله إن لم يرجع عن هـٰذا ويُسْلم ويتوب ، وإن لم يعتقده . . فهو فاسقٌ لا ولاية له ولا عدالة ، ولا يحل لأحدٍ من المسلمين السكوت علىٰ ذلك ، بل يجب الإنكار علىٰ من تعاطىٰ ذلك أو تكلَّم به ، ولا يحل التحاكم إليه ؛ لقوله تعالىٰ لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هـٰذا ما ليس فيه . . فهو رَدٌّ » .

فنفى الله سبحانه وتعالىٰ عمَّن لم يحكم بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان ، فكيف بمن ينابذه والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بمصالح العباد .

وأهل الجهل إنما شرعوا ذلك الحكم الشيطاني منابذة لحكم شريعة الإسلام ؛ ليستعينوا به على الضلالة ويزعمون أنهم يريدون به صلاح العباد كما أخرج الشيطان أهل الشرك بعبادة الأوثان بحيلة صور أنبيائهم وكان بعد ذلك أن عبدوا تلك الصور ، فما عدا شريعة الإسلام . . فهو كفرٌ وضلالٌ ، نسأل الله العافية والسلامة والله سبحانه وتعالىٰ أعلم . قاله الفقيه يوسف بن يونس المقري .

وبمثله قال الفقيه عمر بن محمد الفتى ، والقاضي محمد بن الطيب بن أحمد الناشري ، والقاضي عبد الله بن محمد الناشري ، والفقيه محمد بن الحسين القماط .

وأجاب قبلهم بنحو جوابهم الفقيه الإمام أحمد بن موسى بن عجيل نفع الله به ، وقال : إنه من بقية أحكام الجاهلية ، فلا يجوز الدخول فيه ولا حضوره ولا سماعه ، ويجب علىٰ من قدر علىٰ إزالتِهِ إزالتُهُ ، ومعتَقِد جوازه لا شك في كفره، والعياذ بالله تعالىٰ ، وغير معتَقِدِه لـٰكنْ يعمل به يفسق نسأل الله العافية. انتهىٰ .

وفي هـٰذا الجواب كفاية لمن أراد الله به الاهتداء ، وأما من أراد الله غوايته . . فلن تجد له ولياً مرشداً ، ومع هـٰذا لم أزددْ إلاَّ يقيناً في هـٰذا الحكم بموجب فتوىٰ هـٰؤلاء الأئمة الأعلام ؛ لاستناد يقيني إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

تغيرتِ الدنيا وأصبح أهلها ... يرون فعال الخير نكراً مزَيَّفا
وأصبح أَولى الناس بالفضل مَنْ لَهُ ... مقالٌ بلا صدقٍ ، وعهدٌ بلا وفا
ولم يبقَ إلاَّ الإسمُ من كل طيِّبٍ ... وذكر من المعروف يمشي على القفا)

انتهىٰ ما أردتُ نقله من خط سيدي الجد طاهر بن محمد بن هاشم معزواً لكتاب الشيخ عبد الله باشعيب رحمهما الله ، ولقد طال بهـٰذا النقل الكلامُ ؛ ولـٰكنا نرجو بنقل هـٰذا الكلام أن يكون به نفع للخاص والعام ، وأن يمحو الله الباطل ويظهر الإسلام ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اعْلَمْ رَحِمَكَ ٱللَّهُ : أن أنفع شيءٍ لصلاح القلوب ، وأقرب شيءٍ لغفران الذنوب ، وأذهب شيء للكروب ، وأجدىٰ شيء لجلب كل محبوب . . مجالسة أولياء الله الصالحين ، والعلماء العاملين الخاشعين ، والعُبَّاد الزاهدين الذائقين الذين إذا رُؤوا . . ذكر الله ، ينهضك إلى الله حالهم ، ويدلُّك على الله مقالهم ، وتغشىٰ مجالسَهم أنوارُهم ، وتبعثه علىٰ مكارم الأخلاق أخلاقهم ، وتحقِّر إليه نفسَه أعمالُهم ، وتعود عليه في الحال والمآل بركاتهم ؛ فمجالستهم زيادة ، والنظر إليهم عبادة ، ومحبتهم سعادة ، مُجالسُهم في أنوار السُّرور راتع ، ومن شراب رحيق المحبة كارع .

متىٰ أراهـمْ وأنَّـىٰ لـي بـرؤيتهـم ... أو تسمع الأذن منِّي عنهم خَبَراً

فمن رزقه الله مجالستهم ورؤيتهم . . فليعُدَّ ذلك من أكبر نِعَمِ الله عليه ، وليغتنمهم وليجالسهم مع المحبة والتعظيم والإكرام ، وحسن الظن وكمال الأدب ظاهراً وباطناً ، مع طلب الانتفاع والتبرك بهم ، والاقتداء والاهتداء بهديهم ؛ فالمرء مع من أحب ، والمرء من جليسه ، والمرء علىٰ دين خليله .

هداة الورىٰ طوبىٰ لعبدٍ رآهمُ ... وجالَسَهُم لو مرةً منه في العمر

أولئـك الأقـوام هـم مـرادي ... ومطلبـي مـن جملـة العبـادِ

وحبهـم قـد حـلَّ فـي فـؤادي ... أهـل المعـارف والصفـا والآدابْ

وانظر إلىٰ كلب أهل الكهف لمَّا صاحب أولياء الرحمـٰن . . ذُكر معهم في القرآن ، وسيدخل معهم غداً الجنان ، وكذا جلد المصحف لمَّا جاور المصحف . . لم يَجُزْ مسُّه إلاَّ مع الطهارة ، تعرف بذلك فضيلة المصاحبة والمجالسة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك ؛ إما أن يحذيك ، أو تبتاع منه ، أو تجد منه رائحة طيبة . . . » الحديث أو ما في معناه .

وقال الشيخ فضل رحمه الله : (من صلىٰ وراء مغفورٍ . . غُفر له ، ومن واكل مغفوراً . . غفر له ، ومن جلس مع الصالحين . . زاد رغبة في الخير) .

وقال سيدي أحمد بن زين الحبشي رحمه الله ونفعنا به : (الفهم نورٌ يُشرِق في القلب ، ولا يعطاه إلاَّ من جالس الصالحين وطالع كتبهم) اهـ

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أن هـٰذه الفوائد وغيرها تحصل لمن جالس الصالحين وتأدَّب بظاهره وباطنه معهم ؛ فالشأن كل الشأن في الأدب ، وإلاَّ . . فقد قيل : ليس الحرمان ألاَّ ترزق مجالسة الصالحين ، ولـٰكن الحرمان كل الحرمان أن ترزق الصالحين ثم لا ترزق الأدب معهم .

ثُمَّ اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أنه إذا لم تتفق لك مجالسة الصالحين ، أو لم تقدر عليها كل حين . . فالحذرَ كلَّ الحذرِ من النزول إلىٰ أسفل السافلين ؛ وذلك بأن تجلس مع الغافلين والفاسقين ، وارجع إلىٰ ذكر سِيَر الصالحين وأحوالهم وأعمالهم ، وقراءة كتبهم وأقوالهم ، وقصائدهم وحكاياتهم في زهدهم وورعهم ، وقناعتهم وخمولهم ، وعباداتهم وأخلاقهم ؛ فعند ذكرهم تنزل الرحمة ، قال بعضهم : إذا فاتك لقاؤهم . . ففي كلامهم حياة القلب والبصيرة .

قال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه ونفعنا به :

فـإن أحـاديـث الأحبـة مـرهـمٌ لقلبي من الدَّاء العضال المخامرِ

إذا فاتني قرب الأحبة واللقا ففي ذكرهم أُنسٌ لوحشة خاطري
فتذكارهم راحي وروحي وراحتي يطيب به قلبي وتصفو ضمائري
إذا لم يصبها وابل صَيِّب الندى فطَلٌّ به تحيا موات سرائري

وقال سيدنا أحمد بن زين الحبشي : (اعلم : أن من أعظم العلوم نفعاً ، وأشدّها في حياة القلوب وقعاً معرفةَ سير الأولياء العارفين ؛ الذين هم بأفعالهم وأقوالهم على الله دالين ، فيحصل بذلك حسن الظن بهم ومحبتهم الموصلة إلىٰ أعلى الرتب ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « المرء مع من أحب ») .

وقال سيدنا الحبيب عمر بن سقاف رحمه الله : (اعلم : أن أنفع شيءٍ للسالك الذاكر ، وأولىٰ ما يَتنبه ويَتيقظ به الغافل القاصر . . ذكر سير الصالحين من المتقدمين والمتأخرين ، خصوصاً صلحاء الأعصار القريبة ؛ لكونهم أقبلوا على الله في زمان الإدبار ، وبصَّرهم الله حين عميت الأبصار ، وزهدوا وقنعوا باليسير لمَّا عمَّ الحرص والطمع في هـٰذه الدار) اهـ

قال سيدنا الغزالي رحمه الله ونفعنا به في كتاب العزلة من « الإحياء » : (ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلاً عن مشاهدته ، وبهـٰذه الدقيقة يُعرَف سر قوله صلى الله عليه وسلم : « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » ، فإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله ، وليس ينزل عند الذِّكر عينها ولـٰكن سببها ؛ وهو انبعاث الرغبة من القلب ، وحركة الحرص على الاقتداء بهم ، والاستنكاف عمَّا هو ملابس له من القصور والتقصير ، ومبدأ الرحمة فعل الخير ، ومبدأ فعل الخير الرغبة ، ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين ، فهـٰذا معنىٰ نزول الرحمة .

والمفهوم من فحوىٰ هـٰذا الكلام عند الفَطِن كالمفهوم من ضده ؛ وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة ؛ لأن كثرة ذكرهم يُهوِّن على القلب أمر المعاصي ، واللعنة هي البعد ، ومبدأ البعد من الله هو المعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه

المشروع ، ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ، ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأُنس بها بكثرة السماع .

وإذا كان هٰذا تأثير ذكر الصالحين والفاسقين . . فما ظنك بمشاهدتهم ، بل قد صرَّح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يحرقك بشرره . . علق بك من ريحه » ، فكما أن الريح يعبق بالثوب ولا يشعر به . . فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به .

وقال : « مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك إن لم يهب لك منه . . تجد رائحة طيبة ») انتهىٰ كلام سيدنا الغزالي .

أقول : وقد كثر في زماننا هٰذا ذكر الشر والأشرار ، وكثرة الخوض والكلام ، والقيل والقال في الفضول وفيما لا يعني ، وفي الغيبة والنميمة ، وذكر معاصي وقبائح تجري ، وتركوا ذكر الصالحين ومذاكرة العلوم التي تنفعهم ، والسؤال عمَّا يعنيهم .

قال سيدنا الحبيب عمر بن سقاف : (وممَّا يشرح الصدر ، ويُذهِب الهم . . تركُ مجالس العامة المشتملة على اللغو والسخرية بالناس وذكر عيوبهم ، وتضييع الوقت في البطالة والجهالة ، وكثرة القال في حوادث الزمان بغير اعتبار ، وكثرة القال في حوادث الظلم وفعله ، وكثرة الخوض في ذلك كله باعتراضٍ وإنكارٍ ، فكل ذلك ممَّا يكدر صفاء أهل الإيمان ، ويشوّش قلوبهم المنيرة ، فليبادر إلى العزلة والعبادة ، ويأخذ كتاباً يهديه ، ويُسلِّيه ويصفِّيه ، وينظر سِيَرَ السلف الصالح وما ابتُلوا به أو صبروا عليه ، ورجوعهم إلى الله ، ويتحقَّق أن ذلك كله ـ أعني البلاء والامتحان ـ للخاص والعام ، تقريب لهم إلى الله تعالىٰ وإلىٰ رضاه ، ومكفر لسيئاتهم وموفِّر لحسناتهم ، وموجب للتوبة والندم ، وفي الحديث : « الكلام في الفتنة دم يقطر ») اهـ

ومن كلام الحبيب عمر بن سقاف رحمه الله أيضاً : (ومن الأسباب الجالبة

للسرور ، والمتممة للنور والحضور : العزلةُ عن أهل هٰذا الزمان الفاسد الذي غلب فيه الشر والأشرار ، وقلَّ فيه الصالحون والأخيار ، وغلب علىٰ أهله طلب الدنيا وجمعها ، والسعي لها بالقلوب والقوالب ؛ كما قال سيدنا الحداد :

تنافَسُوها وأعطَوْها قوالبهم مع القلوب فيالله من عجب

وصار المنظور إليهم بالصلاح ، والمطلوب منهم الهداية والفلاح ، في غفلةٍ وغواية ، وضلالةٍ وعماية ، قد كسفت قلوبهم بالأهواء وكل خُلُقٍ مذموم ، فلا يُستفاد من مجالسهم إلاَّ همومٌ وغمومٌ ، وسوء ظنون ، واعتراض علىٰ ما كان أو يكون ؛ فالعزلة حينئذٍ فرضٌ لازم ، وخير الغنائم) اهـ

فتعيَّن من هٰذا الكلام أنه لا يحضر مع الناس إلاَّ في الجمعة والجماعات ، أو مجلس تعلُّم أو تعليم ، أو ذكر الله تعالىٰ ، ولأجل معاشه الذي لا بدَّ له منه مع التحفظ التام ؛ من النظر والسماع والكلام ، إلىٰ كل ما فيه ملام أو حرام ، ومع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن رأىٰ فيه مخايل القبول ، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفِّر عنا سيآتنا ، وتوفنا مع الأبرار ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرىٰ

اعلم رحمك الله : أن الإنسان يحب أشياء ويودها ، ويشتهيها ويتمناها ؛ وهي كل ما يلائمه ويوافقه ، وفيه راحته ولذته ، ويكره أشياء ؛ وهي كل ما هو ضدٌّ لذلك ممَّا يؤذيه ويؤلمه ، ويشوِّش عليه ، وهو مع ذلك لا يعلم الأصلح له في دينه ودنياه من ذلك .

ثم إن الأمور كلها بيد الله سبحانه ، وجارية علىٰ ما تقدم في سابق علمه ، وعلىٰ ما أراده وقضاه وقَدَّره ، فإذا أراد الإنسان أن تجيء الأشياء علىٰ حَسَب ما يلائمه . لم يُعطَ ما أراد إلاَّ إن كان قد كتبه الله له ، وجرت الأشياء علىٰ

ما سبق في الأزل ، وكان ذلك الإنسان مذموماً من جملة وجوهٍ :

منها : عدم رضاه بقضاء الله وقدره ، وأن الأمر جرىٰ وهو متألمٌ به .

ومنها : فوات ثواب المصيبة .

ومنها : سوء الأدب مع الله ؛ إذ لله أن يفعل في ملكه ما يريد ، وإن وفَّق الله العبدَ وأعطاه الرضا والتسليم ، وفوَّض الأمر لله الحكيم العليم. . جرتِ الأشياء علىٰ ما سبق في الأزل ، وكان ذلك الإنسان محموداً ومأجوراً ، ومحسناً ومشكوراً ، ولم يتعب بما جرىٰ ، وهـٰذا في غير المعاصي والمنكرات ، فأما المعاصي والمنكرات. . فيجب إنكارها وكراهتها ، وبغض فاعلها من حيث كونها منكراً ومنسوبة إلىٰ فاعلها ، لا من كونها بقضاء الله وقدره ، والدعاء لا يناقض الرضا .

اللهم ؛ إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدةٌ أخرىٰ

اعلم رحمك الله : أن أكثر ما يسمعه الإنسان ، وينظره في هـٰذا الزمان ممَّا يشوّش الجنان ، ويوقعك في العصيان ، ويكسف البال ويكشف الحال ، ويُدخل عليك الهموم والغموم ، فلا تكاد تسمع ولا تنظر إلاَّ ما تكره .

فينبغي لطالب سلامةِ دينه ، وصفاء باله ، وحفظ حاله : أن يصون سمعه ونظره عن أخبارِ وأحوالِ أهل هـٰذا الزمان جهدَه وطاقته ؛ لأن أكثرها ممَّا لا يرضاها الله ورسوله ، فلا ينبغي أن يستدعيهَا بالسؤال والتطلُّع عنها ، ويكفيه إثماً ومشوِّشاً ما يدخل عليه كرهاً وغصباً من غير اختيارٍ ولا طلب ، ولْيُكثِرْ من سؤال العافية والسلامة في الدنيا والآخرة ، له ولأهله وللمسلمين .

اللهم ؛ أحينا سالمين ، وتوفَّنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين في عافيةٍ وسلامةٍ ، آمين ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فَائِدَةٌ أُخْرَىٰ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ : أنه قد قَلَّ في هـٰذا الزمان الصفاء والأُنْس ، وكثرت فيه الهموم والغموم والمشوشات ، فعلى الإنسان أن يقابل ذلك بالرضا والسكون ، والتسليم وعدم التبرم ، ولا يطلب الخلاص منها بحوله وقوَّته ؛ فإنك لا تكاد تخرج في طلب الخلاص منها والسعي في إزالتها إلاَّ وترجع بهموم وغموم أخرىٰ فوق ما أنت فيه قبل الطلب ؛ وذلك لسوء أدبك مع ربك حيث أردت إيجاد شيءٍ لم يردِ الله إيجاده .

قال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رحمه الله تعالىٰ :

وإذا الحوادث أظلمت وتنكَّرتْ فاسكن وإياك التحركَ والحذَرْ

فمن حق العبد إذا رأى الأشياء تكدرت وتنكرت ، وتشوشت وتغيرت . . أن يسكت ويسكن ويتأدب ولا يتحرَّك لا بظاهره ولا بباطنه ؛ لا بظاهره بطلب التفرُّج والمضحكات والتنزهات ، ولا بباطنه بالإنكار على الله وعلىٰ قضائه وقدره لا بلسانه ولا بقلبه ، ولـٰكن ينظر في ذلك المكدر والمشوش ؛ فإن كان من الأشياء التي تأتي بواسطة بني آدم مثل النهب والضرب والتخويف والإيذاء ونحوها . . لزم إنكارها بقلبه ولسانه ويده إن قدر علىٰ ذلك ـ كما هو مقرَّرٌ ومحرَّرٌ في بابه ـ وعليه الرضا والتسليم من حيث كونها بإرادة الله تعالىٰ ومشيئته ، وعليه أن يكثر من الاستغفار وكثرة الدعاء واللجأ إلى الله سبحانه بالافتقار والاضطرار والانكسار ، ويتوب إلى الله سبحانه من جميع الذنوب والأوزار .

وإن كانت المكدِّرات واصلة من غير واسطة آدمي مثل الجرب والأمراض ، والعاهات والآفات . . فلا فيها إلاَّ الرضا والتسليم وما ذكرناه من الاستغفار والدعاء ، والتوبة وإكثار الصدقة ، والتوادد والتراحم .

اللهم ؛ عافنا من بلائك ، والطف بنا في قضائك ، وهب لنا ما وهبته لأوليائك ، في عافية وسلامة ؛ إنك علىٰ كل شيءٍ قدير ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

فائدة أخرى

اعلم رحمك الله : أن السلامة والعافية في الدِّين والدنيا والآخرة عزيزةٌ ، وهي في هٰذه الأزمنة أعز ، فينبغي لطالب السلامة أو القرب منها إذا تعذَّرتِ السلامة الكاملة من أمورٍ يتحصَّن بها من الآفات المهلكة للدين والدنيا وتشوّش البال . . فأوَّلها بعد إقامة الواجبات وترك المحرمات : الخمول وترك الفضول ؛ فإنِ ابتُلي بشيءٍ من الظهور . . فلا يُبقي جهداً في تخميل الأشياء المؤدية إلى الظهور وقطع أسبابها ، وإن لم يقدر على الكل . . فليقطع ما قدر عليه منها .

والثاني : الاعتزال عن الناس ، وترك ما هم فيه من هٰذه العوائد والقيل والقال بالكلية بالمرة .

والثالث : إذا ابتلي بأحدٍ منهم وأتاه إلىٰ محله أو اتفق . . فليداره وليجامله إلىٰ أن يتخلَّص منه ، والحذرَ كل الحذر من العنف والغلظة والفظاظة معه ؛ فإن تحت ذلك الشرَّ الهائل الذي لا يُطاق ، وربما يدوم باقيَ العمر ، أو يبقىٰ بعده لأولاده ، وفي صبر ساعة وتجرُّع مرارتها سلامة من ذلك كله .

قال سيدنا الغزالي رحمه الله في « البداية » : (والناس ثلاثة : أحدهم مَثَلُه مَثَلُ الغذاء لا يستغنىٰ عنه ، والثاني : مثله مثل الدواء لا يحتاج إليه إلاَّ في وقتٍ دون وقت ، والثالث : مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ، ولٰكن العبد قد يبتلىٰ به فتجب مداراته إلى الخلاص من شره) اهـ

فانظر لقوله : (فتجب مداراته إلى الخلاص من شره) ، ولله درُّ الشاعر حيث قال :

ما دمتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهم ... فـإنمـا أنـت فـي دار المـداراةِ
مَن يَدْرِ دارىٰ ومن لم يَدْرِ سوف يُرى ... عمَّـا قـريـب نـديمـاً للنـدامـاتِ

كيف ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « رأس العقل المداراة » ، وفي

حديثٍ آخر : « رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس » ؟!

فعُلم بهـٰذا : أن تركهم أسلم وأولىٰ ، وإن لم يقع . . فالمداراة أهون الشرين .

والرابع : أن يقتصر في مداراة أهل الشر على القدر الذي يراه دفعاً لشرهم بأقل مجزىء ؛ لأنه إنما أبيح للضرورة ، فإن زادت مداراته لهم حتىٰ مالت إلى التحبُّب والتودد لهم . . تولدت منها شرور كثيرة وآفات عظيمة تقارب أو تزيد علىٰ مقابلتهم بالفظاظة والغلظة ، فكن كالطبيب الماهر يَضع الدواء بقدر العلة ، والحمية رأس الطب ؛ فعليك بها ما لم تُغلَب .

والخامس : أن تواظب علىٰ أوراد الصباح والمساء وبقية الأذكار والتعوّذات ، والاشتغال بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة ؛ بحيث لا تجد متسعاً لخطاب الناس وكلامهم ؛ فعساك إذا استعملت هـٰذه الخصال . . أن تسلم من فتن هـٰذا الزمان وشره ، ولا عاصم من أمر الله إلاَّ من رحم الله .

اللهم ؛ ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم ؛ سلِّم سلِّم يا سلام سلِّم ، رب سلِّم سلِّم ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين ، باسم الله والحمد لله ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم .

فائدةٌ أخرىٰ

اعلم رحمك الله : أن المنازعة والمخاصمة مع الناس الأجانب ـ فضلاً عن الأقارب ـ من أضر شيءٍ على الإنسان في دينه وحاله ، وباله وماله ، ومشوِّشٌ له في صلاته وقراءته ، وذكره وأوراده ، ويقظته ومنامه ، وجميع حالاته ومُحْوَج إلىٰ مكالمة الأراذل والأنذال ، والأضداد ومن لا خير فيه ؛ المشائين بالنميمة المفرقين بين الأحبة ؛ فهـٰذه الآفات ممَّا توجب تركها ـ وإن كانت لأجل مالٍ جزيلٍ ـ فكيف وهي أيضاً مِن لازِمِها الغِيبةُ والكذب ، والكبر

والعُجب وسوء الخلق ، والمباغضة والمحاسدة وغيرها من الفواحش ، بل ما من رذيلةٍ إلاَّ وهي مشتملة عليها ، قال صلى الله عليه وسلم : « إن أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِمُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من جادل في خصومةٍ بغير علمٍ . . لم يزل في سخط الله حتىٰ ينزِع » .

وقال بعض العلماء : إياكم والخصومة ؛ فإنها تمحق الدِّين ، ويقال : ما خاصم قَطُّ وَرِعٌ في الدين .

قال في « الإحياء » : (قال ابن قتيبة : مرَّ بي بشر بن عبد الله بن أبي بكر ، فقال : ما يجلسك ؟ فقلتُ : خصومة بيني وبين ابن عم لي ، فقال : إن لأبيك عندي يداً وإني أريد أن أكافئك بها ، والله ؛ إني ما رأيتُ شيئاً أذهَبَ للدين ، ولا أنقصَ للمروءة ، ولا أضيع للذة ، ولا أشغل للقلب من خصومة ، قال : فقمتُ لأرجع ، فقال خصمي : ما لك ؟ فقلت : لا أخاصمك ، قال : عرفتَ أنه حقي ، قلتُ : لا ، ولـٰكني أكرم نفسي من هـٰذا ، قال : فإني لا أطلب منه شيئاً هو لك .

فالعجب كل العجب ممَّن يعلم ما في الخصام من هـٰذه الرذائل والمتاعب ، بل قد وجدها وذاقها وجربها ولا يُكْرِم نفسه عنها ؛ فإنها إذا تمادت وطالت ربما أدّت إلى القتل والكفر والعياذ بالله .

اللهم ؛ اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلاَّ أنت ، واصرف عنَّا سيئها لا يصرف سيئها إلاَّ أنت ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

تمت الفوائد السنية المسماة « بفرائد الفوائد من فتح جميل العوائد » لسيدنا الإمام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به .

فائدة

وجد بخط المؤلف لهـٰذه الفوائد ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إلـه إلاَّ الله الموجود في كل زمان ، لا إلـه إلاَّ الله المعبود في كل مكان ، لا إلـه إلاَّ الله المذكور بكل لسان ، لا إلـه إلا الله المعروف بالإحسان ، لا إلـه إلا الله كلَّ يوم هو في شَأْن ، لا إلـه إلا الله الأمان الأمان من زوال الإيمان ، ومن فتنة الشيطان ، يا قديم الإحسان ؛ كم لك علينا من إحسان، إحسانك القديم ، يا حنان يا منان ، يا رحيم يا رحمـٰن ، يا غفور يا غفار ؛ اغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تمت من خط من قال : نقلت من خط المؤلف

* * *

الرسالة الثامنة

في وصية المؤلف لابنه علوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الفتاح العليم ، ذي الفضل العظيم ، والجود العميم ، وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله الهادي إلى الصراط المستقيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ذو الخلق العظيم ، صلى الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه أفضل صلاة وأشرف تسليم ؛ من الفقير إلىٰ ربه عبد الله بن حسين بن طاهر إلى ابنه علوي أصلح الله باطنه وظاهره ، وكان له بكل خيرٍ في الدنيا والآخرة . آمين اللهم آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، صدرت ونحن والقرابة بعافية جعلكم الله كذلك ، ونرجو أنكم وصلتم إلى البندر من غير مكثِّف ، وما طلبتم من الوصية . . فهي كمال المتابعة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ في أفعاله وأقواله وجميع أحواله مع الله ، ومع خلقه من عباداته وعاداته ، وسائر حركاته وسكناته ؛ فهي الطريق المثلَى التي لا عوج فيها ولا أمتاً ، والمحجة البيضاء التي لا حرج فيها ولا إصر ، فلا تظنن أنا دللناك علىٰ تعبك ونصبك ، وإنما دللناك علىٰ كل اليسر والراحة ، والسهولة والاستراحة ، والخير والسرور ، والفرح والحبور ؛ في الدنيا والآخرة ؛ لأنك إذا تأملت ما عليه سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابُه رضي الله عنهم ، وتأمَّلت ضده . . رأيت حالتهم أروح وأفرح ، وأَهْنَأَ وأسنىٰ ، وأحسن وأفضل ، وأَمْرَأَ وأشفىٰ ، وأحلىٰ وأسرّ ، وأسهل وأيسر ، وآمن وأحفظ ، وعاجلاً وآجلاً ، حالاً ومآلاً .

ورأيتَ ضدَّها أغمَّ وأترح ، وأهم وأنزح ، وأشد وأتعب ، وأعسر وأصعب ، وأخوف وأظلم ، وأوحش وأشتم ، وأنتن وأوخم ، عاجلاً وآجلاً ، حالاً ومآلاً . مثال ذلك : حُسن الخلق وسوء الخلق ، فصاحب حسن الخلق أراح نفسه وأراح غيره ، واستفاد فضلاً وسلامةً وأجراً عاجلاً وآجلاً .

وصاحب سوء الخلق أتعب نفسه وأهمها وأغمها ، وشوَّش علىٰ غيره وكدَّر عليه ، وأثم وخسر عاجلاً وآجلاً ، وكذلك مَن حاله الرضا فاز بالراحة عاجلاً وآجلاً ، وضده الساخط وكذلك القانع والزاهد أراح قلبه وبدنه ، وضده الحريص والطامع والراغب أتعب قلبه وبدنه ، وكذلك كل خيرٍ وتقوىٰ وطاعة ، ففيه خير الدنيا والآخرة ، وكل معصيةٍ وإثمٍ ، ففيه شر الدنيا والآخرة .

فما أمر الله العباد بطاعته وعبادته وتقواه إلاَّ ليفوزوا ويَسعدوا في الدنيا والآخرة ، وما نهاهم وحذَّرهم من معصيته ومخالفته إلاَّ لما في ذلك من الشقاوة والخسران عليهم في الدنيا والآخرة .

من عمل صالحاً . . فلنفسه ، ومن أساء . . فعليها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وقال سيدنا أبو بكر بن عبد الله العيدروس شعراً :

ألذ العيش كلهْ مَعَ أرباب البصائرْ ولا الأسرار إلاَّ لمن صفَّى السرائرْ

وقال في قصيدةٍ أخرىٰ :

وأفقرُ الناس في الدنيا وضَرَّتِها قلب من الذوق من حبِّ الإلـٰه خَلِيْ
وعكسُهُ إن أغنى الناس قاطبة قلب من الشوق من حبِّ الإلـٰه مُلِيْ

فإن قلت : فإني أرىٰ نفسي وغيري أروحَ لقلوبنا هـٰذه البطالة واتباع الهوىٰ والنفس وما نحن فيه ، وضد ذلك شاقٌّ علينا ومتعبٌ لنا جداً . . فاعلم أن هـٰذا سببه الإلف والعادة والهوىٰ يصير النكال والعذاب لذيذاً كما يُشاهَدُ ذلك من الجنود وأهل البوادي والصيَّادين والبحرية وأهل الحرف الشاقة والمجالسين للأرذال والفسقة والغافلين ، فانظر كيف رضوا بهـٰذه الأشياء وصبروا عليها ؟!

ولو كَلَّفْتَهم على الخير ساعة أو يجالسوا أهل الخير ساعة . . لشقَّ عليهم ، وانظر إلىٰ أهل الخير الذين قد ألفوه وذاقوا من أسراره شيئاً لو كلفتهم تركه أو يجالسوا أهل الشر . . كيف يشق عليهم ذلك مع أن الدنيا ما فيها راحة صافية مطلقاً ، قال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه شعراً :

هٰذه الدار ما فيها سرورْ قط يخلو عن اخلاط الكدرْ

إلاَّ أن أهل الخير معهم لذة بخيرهم ، وأكدارهم وتعبهم أقل من غيرهم ، وهم مع ذلك سالكون طريق الراحة المخلدة المؤبدة ، وأهل الشر ومتابعة الهوىٰ معهم لذة للإلف كذلك ، ومعهم متاعب وأكدار كثيرة كبيرة يكابدونها في ذلك مع أنهم سالكون بذلك طريق البعد عن الله تعالىٰ وعن النعيم الدائم المخلد ، فتأمَّل ذلك .

وإذا كان لا بدَّ للإنسان من الأكدار ما دام في هٰذه الدار ، ولا بدَّ له من الصبر والمكابدة علىٰ كل تقدير . . فليكن تعبه في متابعة سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ ، سلَّىٰ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ونفعنا بهم ورزقنا حبهم بذلك ؛ لئلاَّ يظنوا أنَّ الألم خاصٌّ بهم فقط .

وعليك حفظك الله بترك الغضب بالكلية رأساً ألبتة بالمرة ؛ لأنه أصلٌ لجملةٍ من الفواحش العظيمة اللازمة والمتعدية قلبية وقالبية :

منها : إيذاء المسلم ومن الكلام القبيح والسبِّ والغيبة والنميمة ، بل يجرُّ إلى الضرب والمقاتلة والمعاداة والمقاطعة والمهاجرة .

ومنها : الكبر ؛ لأنه ما غضب علىٰ ذلك الإنسان إلاَّ وهو يرىٰ أنه أعظم منه .

ومنها : الدَّعوىٰ بالعقل والمعرفة ؛ لأنه ما غضب عليه إلاَّ لأنه رأىٰ نفسه أعقل منه وأعرف .

ومنها : وهي عظيمة كبيرة أنه مراده أن الأشياء تمشي علىٰ مراده لا علىٰ مراد الله وقضائه وقدره .

فانظر رحمك الله تعالىٰ ما في ذلك من الخطر مع ما في ذلك من التعب في الحال من تكثُّف البال وتغيُّر الصورة ، فهـٰذه الوصية لي ولك وللإخوان والمحبين وكافة المؤمنين .

وفَّقنا الله وإياكم لمتابعة الرسول ، صلى الله عليه وسلم في كل ما نعتقده ونعقله ونقول ، والدعاء والحِلُّ لكم مبذول ومنكم مسؤول .

والسلام عليكم وعلى الولد عبد الله بن عمر ، والأولاد عمر وهاشم ومحمد وطاهر ، والحبايب آل أبي عبود ، وعمر بن سعيد الهيج ، والمحبين آل عثمان : عوض وعبد الله وأولادهم ، والبنت شيخة وابنها ومن شئتم منَّا والأولاد والأهل والأخوان والمحبين ، والحمد لله رب العالمين .

حُرِّر لثلاثٍ وعشرين خلت من جمادى الآخرة سنة (١٢٥٤هـ) تمت

* * *

الرسالة التاسعة
تذكرة ونصيحة ووصية لنفسه وغيره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين ؛ في كل حين ، آمين .

أما بعد :

فهـٰذه تذكرةٌ ونصيحةٌ ووصيةٌ لنفسي ، وللطالب لها ، ولكل من يحب الناصحين :

عليك رحمك الله بتقوى الله الشاملة لكل الدِّين ؛ وهي العلم والعمل به علىٰ متابعة سيد المرسلين ؛ فقد ورد أنه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم ، ورزقنا اتباعه قال : « تعلَّموا ما شئتم أن تعلَّموا فلن يأجركم الله حتىٰ تعملوا » ، فعُلم بذلك أن ثمرة العلم العمل به ، فعليك بذلك ، عَض عليه بالنواجذ .

وعليك رحمك الله بعدم الخلطة لأهل هـٰذا الزمان ، عليك بالاعتزال عنهم ، عليك بالانفراد ، عليك بالتوحش والفرار منهم ، لا تنظر إليهم ولا تتطلع لأخبارهم ؛ فلا شيء أقسىٰ للقلوب ، ولا جالب للكروب ، ولا مكَثِّر للذنوب : مثل القيل والقال ، وكثرة الكلام في الباطل ، وفيما لا يعني ، والغِيبة والنميمة وغيرها ممَّا تشتمل عليه مجالس الناس .

فعليك يرحمك الله بالوحدة ، لا تخالط إلاَّ بقدر الضرورة مع التحفُّظ الكامل التام .

وعليك رحمك الله بالصمت والسكوت ؛ فعن النبي ـ صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم ورزقنا اتباعه ـ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليقل خيراً أو ليسكت » .

« وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظنُّ أن تبلغ به ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه إلىٰ يوم يلقاه » .

وفي آخر : « إن الرجل ليتكلَّم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا » .

وفي خبرٍ آخر : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً . . . » الحديث .

والأحاديث في ذمِّ الكلام كثيرةٌ ، وقد عدَّ سيدنا الغزالي رحمه الله تعالىٰ للسان عشرين آفة ، ولا ينجي منها على القطع إلا الاعتزال وعدم مجالسة الناس .

فلا شيء أذهب للحسنات ، ولا مكَثِّر للسيئات ، ولا موجب للحسرات ، ولا مضيع للأوقات من هـٰذه المجالس المعقودة للفضول والترهات ، وتزجية الوقت في الغفلات ، لا علىٰ ذكر الله ، ولا علىٰ مذاكرة علم ، ولا لقضاء حاجة ، فترى المجلس من أوله إلىٰ آخره ينقضي ولا تحصل منه فائدة ؛ لا في الدِّين ولا في الدنيا ، بل خسارةٌ في الدِّين والدنيا ، ويعود علىٰ كل من حضره بغفلةٍ وقسوةٍ وظلمةٍ وكثافةٍ ووحشةٍ ، يعرف ذلك كل من معه نورٌ أو شيءٌ من الحضور ، فيرىٰ قلبه بعد المجلس ليس هو كقبله ، بل يعود عليه بعض آثار ذلك المجلس بعد أيام فيوسوس له ويشوش عليه .

والمُوقِع للإنسان في هـٰذه البلايا الصحة والفراغ ـ أعني البطالة ـ فتراه يزَجِّي وقته بما يوجب عذابه ، فكن جليس بيتك ، واشغل نفسك بالعلم

والعبادة ، ولا تخرج إلاَّ لمهمٍّ من دينك أو دنياك .

وعليك بترك العادات التي عظَّمها الناس ، وجعلوا لها شعاراً ومناراً ، وصيَّروها معلومة بينهم بالضرورة ، يتكلمون فيها أهل العمائم واللحىٰ فضلاً عن الأراذل والنساء ، أهلكوا فيها الأموال وارتكبوا لأجلها الأهوال ، ودخلوا لأجلها المداخل ، وخلط معهم الجاهل والغافل ؛ لأجل رضا امرأةٍ ومسخرةٍ ، وضيَّعوا في معاناة هـٰذه العاداتِ الدارَ الآخرة والمنازل الفاخرة ، وألهتهم عن ذكر الله وعن الأُنْسِ بالله ، وعن نعيم أهل الله في الدنيا والآخرة ، ولا حازوا رضا الناس أيضاً ، فتراهم دائماً في هموم تارة من عدم تأَتِّيها ، وتارة من الكثافات التي تتولد منها ، فعليك رحمك الله بقطعها بالمرة بالكلية ألبتة ، ولا تبالِ ولا تعوِّل بمن عتب أو لام ولا عاد تُناظِرْ معاونة أو مساعدة من قريبٍ أو بعيدٍ . ما تراهم أعواناً إلاَّ علىٰ باطلٍ وترك قربة ، فرحم الله امرأً عرف الحق فاتبعه ، ورأى الباطل باطلاً فاجتنبه .

وعليك ـ رحمك الله ـ بالخمول والمحو والقناعة ، والرضا بما كُتب لك وقُسم لك ، لا تتطلع إلىٰ غيره ولا تتشوف إلىٰ سواه فتتعب وتهتم وتأثم ، ولا يقع لك غير ما كتب لك .

واحذر كل الحذر من الظهور وأسباب الظهور من العوائد والرسوم ؛ فإنها السموم ، ولا تجعل علىٰ نفسك عادة أو شيئاً معلوماً ، أو قانوناً تُعرف به وتبقىٰ عليه من هـٰذه المباحات والعادات ، بل أَجْرِ الأشياء علىٰ حَسَب تأتِّي الأسباب ، وانشراح القلب وعدم التكلف ، وشَوِّشْها بالتغيير علىٰ كل تقدير ؛ لأجل التنفير من رسوخها عند صغيرٍ وكبيرٍ ، ولنقتصر أوّلاً من الوصية علىٰ هـٰذه ؛ فإن هـٰذه الأمور إذا عمل بها الإنسان ، وتنزه عن هـٰذه الأخلاق ، وسدَّ هـٰذه الخوخات . كان بمنزلة من أخذ شربةً واحتمىٰ عن الأشياء المضرة ؛ فكل غذاءٍ ينفعه بعد ذلك ، ويكون له طعمٌ ولذةٌ ويكون أيضاً كمن تطهر وتنزه عن القاذورات فتصح منه الصلاة .

وأما من أهمل هـٰذه الأشياء وغيرها من الأخلاق المذمومة من معاصي

القلب والجوارح ؛ مثل الرياء والعجب ، وأكل الحرام وإيذاء المسلمين . . فمثاله كمن يكسب عشرة دراهم ويخرج مئة ، وكمن يحفر ذراعاً ويطرح فوقه قامة تراباً ، وكمن يأكل رطلاً سُمّاً ويأخذ قَفْلةً غذاءً ، وكمن يطرح في كفة ميزانٍ عشرة أرطال وفي الأخرىٰ نصف رطل ، وكمن يسير إلىٰ مقصده ساعة ويمشي باقيَ نهاره راجعاً ، وظن مع هٰذه الأشياء أنه مصيب ورأيه سديد ، وأنه مع ذلك سيظفر بالمطلوب .

فنسأل الله تعالىٰ أن يمنَّ علينا بتوبة نصوح ، وأن يتوفانا مسلمين ؛ فإنه سبحانه يحب إغاثة الملهوف ، وفعل المعروف ، ومكارم الأخلاق وإنقاذ الغريق ، وقد وقعنا فيما وقعنا فيه ، ودعوناه ولا عاصم لنا ممَّا نحن فيه إلاَّ إياه .

يا حي يا قيوم ؛ بك أستغيث ، أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

وجد في النسخة المنقول منها : تمت بتاريخ يوم الإثنين (٢٢) شهر الحجة سنة (١٢٧٣هـ) .

* * *

الرسالة العاشرة
في وصية المؤلف لنفسه ولكافة إخوانه المؤمنين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه والتابعين .

أما بعد :

فالذي أُوصي به نفسي وولدي وكافة إخواني المؤمنين تقوى الله رب العالمين ، في السر والعلن ، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا يصل الإنسان إلىٰ ذلك إلاَّ بتعلُّم العلم الواجب عليه ؛ بأن يتعلَّم الواجبات عليه وأركانَها وشروطها ومبطلاتها ، ويؤدّيها كما أمر الله ، ويعرف المحرمات عليه ويجتنبها كلها ، وشرح ذلك يطول .

ومن أهمَّه أمر دينه . . طلبه وكان عند ربه مشكوراً ، ومن استهان بدينه . . فسوف يدعو ثبوراً ويصلىٰ سعيراً .

فعليك يا أخي بطلب العلم والعمل ، ومذاكرته ومطالعته ، ومدارسته ومجالسة أهله ، وسؤالهم ومشاورتهم ، والأخذ برأيهم ، ومحبتهم ومحبة أهل الخير والصالحين ، وذكر سيرتهم وطريقتهم ، وزيارة مشاهدهم وقبورهم ، والتشبه بهم مع الاعتراف بالنقص والقصور في جميع الأمور .

والحذر كل الحذر من مجالسة أهل اللغو والغفلة والبطالة ، وكثرة القيل والقال ، ومشاهدة المعاصي ومجالسة أهلها ، ومَن ذَكَرَها من غير إنكار وفائدة ، لا تحبهم ولا تجالسهم ، ولا تسمع كلامهم ، وفِرَّ منهم فرارك من

الأسد ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ . . لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك ، ولو أرادوا أن يضروك . . لم يضروك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله عليك .

وعليك بالإكثار من ذكر الله في جميع الأوقات والحالات ، تغانم عمرك تغانم وقتك ؛ فكل نَفَس من أنفاسك جوهرة لا قيمة لها إن صرفته في طاعة الله ، أو حسرة عظيمة لا آخر لها إن صرفته في معصية الله .

فالسعيد من استيقظ قبل حلول الندامة ، وإتيان يوم القيامة ، فلازِم الذكر لله بجميع أنواعه ، وخصوصاً الاستغفار ، والصلاة على النبي المختار ، وكثرة الدعاء والتضرع بالافتقار ، والانكسار والاضطرار بالدعوات الجامعة الشاملة ، لخيرات الدنيا والآخرة ، واجمع الدعاء لك ولأهلك ولأهل مودّتك وللمؤمنين .

وعليك بأداء الصلوات في أوّل الأوقات ، وفي الجماعات مع الإخلاص ، والحضور والخشوع ، والأدب والاعتراف والرضا ، وإتمام أركانها وشروطها وسننها ، وتجنب مبطلاتها ومكروهاتها .

وعليك في معاملتك في أمور دنياك بالصدق والنصيحة ، والإحسان وعدم الغش والخيانة والكذب .

واجتنب العقود الباطلة والمعاملات الفاسدة ، وأدِّ زكاة مالك على الوجه الأكمل الأتم المرضيِّ عند الله ؛ طيبة بها نفسك .

وإذا استطعت علىٰ أداء فريضة الحج . . فبادر بها ، وأَحِبَّ للناس ما تحب لنفسك ، وأحسن الظن بجميع المسلمين ، وأكثر في سفرك من قراءة (لإيلاف قريش) و(آية الكرسي) و(المعوّذات) ودعاء الكرب .

ولعله يتأتَّىٰ لك أن ترتب بعد كل مكتوبةٍ مئتين من لا إلـٰه إلاَّ الله ، ومئتين من ياألله ؛ فيكون من كلٍّ في اليوم والليلة ألف ، وإن لا تَأَتَّىٰ بعد كل فرض . . يكون بعد بعضها واستحضر عند قولك : (ياألله) طلب قضاء كل حاجة دنيا

وأخرىٰ لك ولأهل مودَّتك وللمؤمنين الأحياء والميتين الماضين والموجودين والآتين .

واحفظ لسانك من الغيبة والنميمة وسائر الألفاظ المحرمة ، بل ومن الفضول والخوض فيما لا يعني ، وأذنك عن استماع ذلك ، واحفظ العين عن جميع المحرمات ، والبطن كذلك وجميع أعضائك ، وتجنَّب لبس الحرير وافتراشه ، وأوانيَ الذهب والفضة ، الحذر من التساهل في ذلك وتَتَبُّعِ الرخص والتأويلات ؛ فإنها ندامةٌ ، ولا تنجيك يوم القيامة ، وعلق همك بربكَ .

والحذر من النظر إلى المخلوقين والمطمع فيهم ، وأن تداهنهم لأجل دنياهم ، أو تتذلل لهم لذلك .

وعليك بالقناعة وبالزهد في الدنيا ؛ كما قال سيدنا عبد الله الحداد رضي الله عنه ونفعنا به :

وازهد بقلبك في الدنيا التي فتنت ... طوائفاً فرأوها غاية الطلبِ
تنافَسُوها وأعطَوْها قوالبهم ... مع القلوب فيالله من عجبِ
وهي التي صَغُرت قدراً فما وَزَنَت ... عند الإلـٰه جناحاً فالحريص غبي

وقال أيضاً :

وهـٰذه الدار دار لا بقاء لها ... لا يفتننَّكَ منها الوَرْق والذهب

وقال أيضاً :

وما هـٰذه الدنيا بدار إقامة ... وما هي إلاَّ كالطريق إلى الوطنْ
وما الدار إلاَّ جنة لمنِ اتقى ... ونارٌ لمن لم يتقِ الله فاسمعنْ

وما المقصود بالسماع الأذن ولـٰكن سماع القلوب :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولـٰكن لا حياة لمن تنادي
ونارٍ لو نفخت بها أضاءت ... ولـٰكن ضاع نفخك في الرماد

وقال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد في ذم الدنيا والتحذير منها :

كيف ترضون بدنيا لا تدومْ حشيت شغلاً وبؤساً وهمومْ

وعنـــاء وبـــلاء وغمـــوم فارفضوها إنها النزر الحقير

وقال أيضاً :

وذه دنيا دنيه حوادثها كثيرهْ وعيشتها حقيره ومدتها قصيرهْ

ولا يحرص عليها سوىٰ أعمى البصيرة عديم العقل لو كان يعقل كان أفكر

يفكِّر في فناها

وفي كثرة عناها

وفي قلة غَناها

فطوبىٰ ثم طوبىٰ لمن منها تحذر وطلقها وفي طاعة الرحمٰن شمَّر

اللهم ؛ حققنا بما نقول ، ووفقنا لمتابعة سيدنا الرسول ، وزهدنا في الدنيا ورغبنا في الآخرة ، وبصرنا بعيوب أنفسنا ، ووفقنا لإصلاحها ، آمين يا رب العالمين .

وعليك يا أخي بالنصيحة لكل مسلم بالرفق واللطف ، وخصوصاً إذا رأيت مخايل القَبول ؛ فإن قبل وعمل بها . . عادت ثمراتها عليه ، ولك ثواب الدلالة على الخير كفاعله ، وإن ردها ولم يقبل منك . . كنت قد أديت ما عليك ، وخرجت عن العهدة والحرج .

والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

قال ذلك وأملاه : عبد الله بن حسين بن طاهر ، وذلك في شهر المحرم عاشوراء سنة (١٢٤٢هـ) .

* * *

الرسالة الحادية عشرة
فيما عهد به المؤلف إلىٰ أهله
عند سفره
من بلده إلىٰ بعض الجهات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فهٰذا ما عهده فلان بن فلان إلىٰ أهله ؛ وهم : فلان وفلان ، وفلانة وفلانة ، وذلك عند توجهه من بلده إلى الجهة الفلانية ، وهو : أن يعفوا عنه ويسامحوه ، ويُحِلُّوه فيما جرىٰ منه من تقصير في حقٍّ من حقوقهم وفيما لهم عليه من مظلمةٍ وتبعةٍ في عِرْضٍ أو مالٍ ، وأن يذكروه بالدعاء حياً وميتاً ، وأن يطلبوهُ له من أهله ومعارفه وأهل الخير ، وأن يستقيموا على البيضاء النقية والسمحاء الحنيفية ، والحجة الواضحة الجلية ، والسيرة السوية ، والطريقة المَرضية ، هٰذا بالإجمال الجامع لكل كمال .

وأحثهم بالخصوص علىٰ تعلُّم ما يجب عليهم في كل حالٍ ، وأداء الصلوات الخمس في أوّل أوقاتها مع توفية شروطها وأركانها وسننها ، وتجنب مبطلاتها ومكروهاتها ، وكل واجب .

وأحثهم بالخصوص أيضاً على التحفظ والصيانة ، وترك التبرج والفضول ، وما لا يعني من الأقوال والأفعال ، وأن يتوادوا ويتناصحوا ،

ويتحابوا ويتراحموا ويتعاطفوا ، ويتواصلوا ولا يتقاطعوا ، ولا يتدابروا ولا يتنافروا ، ولا يتباغضوا ولا يتحاسدوا .

وأوصيهم أن يبذلوا جهدهم في حفظ اللسان : من الغيبة والنميمة ، والكذب والشتم ونحوها ، وكذا السمع من الاستماع إلىٰ هـٰذه الأشياء ، وكذا النظر إلىٰ ما حرَّم الله .

فمن فعل شيئاً ممَّا نهيتُه عنه ، أو ترك شيئاً ممَّا أمرته ، أو آذىٰ جاره أو جليسه ، أو خرج إلىٰ ما لا يندب الشرع الخروج له ، أو تبرج ، أو جلس في محل ريبة . . فأنا منه بريءٌ ، وذنبه علىٰ جنبه ، ولست عنه راضياً ، وحسبه الله ، وقد خان وغش .

وأذنت لهم في تفرقة ما يفضل من الطعام ، وما يصرف إلى السُّؤَّال من المعروف المعروف .

وجعلتُ فلان بن فلانٍ وكيلاً علىٰ أموالي يخرج منها الحقوق الواجبة ؛ كالزكاة ، فهو وكيلٌ في إخراجها ، وفي نيتها ، وفي تفرقتها علىٰ مستحقيها ، ووكيلاً أيضاً في الإنفاق علىٰ أهله ومن عليه نفقته ، وفي قضاء ديونه ، وهي كذا وكذا ، وكل ما لزمه بحجة شرعية .

وكذا آذَنُ له في إخراج ما يراه من المعروف والصِّلة ، والإحسان إلى الجيران ، والتوسعة على الأهل والعيال في بعض الأحيان علىٰ حسب ما يراه لائقاً بالحال والمال والمكان ، وهو أيضاً وكيل بإخراج الفطرة عمَّن عليَّ نفقته ، ونيتها وتعجيلها إن رآه ، وتفريقها على المستحقين .

وأذنت له في الاستدانة عليَّ إذا لم يفِ ما بيده بالذي عليَّ من نفقةٍ أو نحو ذلك ، أو ينفق مِن عندِه بنية الرجوع عليَّ .

وجعلته أيضاً نائباً عنِّي في أمر محاجيري المميِّزين بالصلاة بعد سبعٍ ، وضربهم علىٰ تركها بعد عشرٍ ، وفي تأديبهم وتعليمهم كل ما يجب عليهم بعد البلوغ .

وجعلته أيضاً وصيّاً عليهم بعد موتي ، ووصياً بإنفاذ وصاياي ، وقضاء ديوني ، ورد الودائع والعواري التي عندي ؛ وهي كذا وكذا .

وأوصي إذا جرىٰ عليه الموت بأن يجهز بالواجب من الغسل والتكفين ، والصلاة والدفن ، وما يتيسَّر من السنن ؛ دفعاً للحرج عن الإيصاء بالكل ، ومن كان يعمل بالسنن في حياته . . فسوف تتيسَّر له السنن بعد مماته ، وإلاَّ . . فالجزاء من جنس العمل .

وأوصي أنه لا يُناح عليه ولا يُبكىٰ ، ولا يفعلوا شيئاً من المحرمات والمكروهات بسببه ، ومن فعل شيئاً منها . . فهو منه بريءٌ ، بل أطلب منهم أن يترحموا عليَّ ، ويستغفروا لي ، ويصلوا عليَّ .

وأسأل الله العظيم : أن يكون لي صاحباً في السفر ، وخليفةً عليهم وعلىٰ كافة الأهل والمال والولد والأصحاب ، وأستودع الله دينهم وأماناتهم وخواتيم أعمالهم ، ونعوذ بالله من وعثاء السفر وسوء المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

جرىٰ ما ذُكِر مع العقل والاختيار بحضرة فلانٍ وفلانٍ والله خير الشاهدين ، وذلك يوم كذا ، في شهر كذا ، من عام كذا ، وكتبه بيده فلان ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ النبي الأمي وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

* * *

الرسالة الثانية عشرة

سلم التوفيق إلىٰ محبة الله على التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه والتابعين .

أما بعد :

فهـٰذا جزء لطيفٌ يسَّره الله تعالىٰ فيما يجب تعلمه وتعليمه ، والعمل به للخاص والعام ، والواجب ما وعد الله فاعله بالثواب وتوعد تاركه بالعقاب ، وسميته :

« سلم التوفيق إلىٰ محبة الله على التحقيق »

أسأل الله الكريم أن يجعل ذلك منه وله وفيه وإليه ، وموجباً للقرب والزلفىٰ لديه ، وأن يوفق من وقف عليه للعمل بمقتضاه ، ثم الترقي بالتودد بالنوافل ؛ ليحوز حبه وولاه .

فصل

يجب علىٰ كافة المكلفين الدخول في دين الإسلام ، والثبوت فيه على الدوام ، والتزام ما لزم عليه من الأحكام .

فممَّا يجب علمه واعتقاده مطلقاً ، والنطق به في الحال إن كان كافراً ،

وإلاَّ . . ففي الصلاة : الشهادتان ؛ وهما : أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

ومعنىٰ أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله : أن تعلم وتعتقد ، وتؤمن وتصدق أنْ لا معبود بحقٍّ في الوجود إلاَّ الله الواحد الأحد ، الأول القديم ، الحي القيوم ، الباقي الدائم ، الخالق الرازق ، العالم القدير الفعَّال لما يريد ، ما شاء الله . . كان ، وما لم يشأ . . لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم ، موصوف بكل كمالٍ ، منزه عن كل نقصٍ ، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير .

فهو القديم وما سواه حادث ، وهو الخالق وما سواه مخلوقٌ ، وكلامه قديمٌ كسائر صفاته ؛ لأنه سبحانه مباينٌ لجميع المخلوقات في الذات والأفعال والصفات ، سبحانه وتعالىٰ عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً .

ومعنىٰ أشهد أن محمداً رسول الله : أن تعلم وتعتقد ، وتصدق وتؤمن : أن سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد منافٍ القرشي صلى الله عليه وسلم . . عبدُ الله ورسوله إلىٰ جميع الخلق .

ولد بمكة وبعث بها ، وهاجر إلى المدينة ودفن فيها ، وأنه صلى الله عليه وسلم صادقٌ في جميع ما أخبر به ؛ فمن ذلك عذاب القبر ونعيمُه ، وسؤال الملكينِ منكر ونكير ، والبعث والحشر ، والقيامة والحساب ، والثواب والعذاب ، والميزان والنار ، والصراط والحوض ، والشفاعة والجنة ، والخلود والرؤية لله سبحانه وتعالىٰ في الجنة ، وأن تؤمن بملائكة الله ورسله وكتبه ، وبالقدر خير وشره ، وأنه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين .

فَصْلٌ

يجب علىٰ كل مسلمٍ حِفْظُ إسلامه وصونُه عمَّا يفسده ويبطله ويقطعه ؛ وهو الرِّدَّة ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ وقد كثر في هـٰذا الزمان التساهل في الكلام ، حتىٰ

إنه تخرج من بعضهم ألفاظٌ تخرجهم عن الإسلام ، ولا يرون ذلك ذنباً فضلاً عن كونه كفراً .

والردة ثلاثة أقسام : اعتقادات ، وأفعال ، وأقوال ، وكل قسمٍ يتشعَّبُ شعباً كثيرة :

فمن الأول : الشك في الله ، أو في رسوله ، أو القرآن ، أو اليوم الآخر ، أو الجنة أو النار ، أو الثواب أو العقاب ونحو ذلك ممَّا هو مجمعٌ عليه .

أو اعتقد فَقْدَ صفةٍ من صفات الله الواجبة له إجماعاً كالعلم ، أو أثبت له صفة يجب تنزيهه عنها إجماعاً كالجسم .

أو حلَّل محرَّماً بالإجماع معلوماً من الدِّين بالضرورة ممَّا لا يخفىٰ عليه ؛ كالزنا واللواط ، والقتل والسرقة والغصب ، أو حرم حلالاً كذلك ؛ كالبيع والنكاح .

أو نفىٰ وجوب مجمَعٍ عليه كذلك ؛ كالصوات الخمس أو سجدةٍ منها ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والوضوء ، أو أوجب ما لم يجب إجماعاً كذلك ، أو نفىٰ مشروعية مُجمعٍ عليه كذلك كالرواتب .

أو عزم على الكفر في المستقبل ، أو علىٰ فعل شيءٍ ممَّا ذكر أو تردَّد فيه لا وسوسة .

أو أنكر صحبة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ، أو رسالة واحدٍ من الرسل المجمع علىٰ رسالته ، أو جحد حرفاً مجمعاً عليه من القرآن ، أو زاد حرفاً فيه مجمعاً علىٰ نفيه معتقداً أنه منه .

أو كذب رسولاً ، أو نقَّصه ، أو صغَّر اسمه بقصد تحقيره ، أو جوَّز نبوة أحدٍ بعد نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم .

والقسم الثاني : الأفعال ؛ كسجودٍ لصنمٍ أو شمسٍ أو مخلوقٍ آخر .

والقسم الثالث : الأقوال ؛ وهي كثيرةٌ جداً لا تنحصر ؛ منها : أن يقول لمسلمٍ : يا كافر ، أو يا يهودي ، أو يا نصراني ، أو يا عديم الدين مريداً أن

الذي عليه المخاطَب من الدين هو كفرٌ ، أو يهودية ، أو نصرانية ، أو ليس بدينٍ ، وكالسخرية باسمٍ من أسمائه تعالىٰ ، أو وعده أو وعيده ممَّا لا يخفىٰ عليه نسبة ذلك إليه سبحانه .

وكأن يقول : لو أمرني الله بكذا . . لم أفعله ، أو لو صارت القبلة في جهة كذا . . ما صليتُ إليها ، أو لو أعطاني الله الجنة . . ما دخلتها مستخفاً أو مظهراً للعناد في الكل .

وكأن يقول : لو آخذني الله بترك الصلاة مع ما أنا فيه من المرض . . ظلمني .

أو قال لفعلٍ حدث : هـٰذا بغير تقدير الله ، أو لو شهد عندي الأنبياء أو الملائكة أو جميع المسلمين بكذا . . ما قبلتهم .

أو قال : لا أفعل كذا وإن كان سُنة بقصد الاستهزاء ، أو لو كان فلان نبياً . . ما آمنت به ، أو أعطاه عالمٌ فتوىٰ فقال : أي شيءٍ هـٰذاالشرع ؟! مريداً الاستخفاف .

أو قال : لعنة الله علىٰ كل عالمٍ ؛ مريداً الاستغراق الشامل لأحد الأنبياء .

أو قال : أنا بريءٌ من الله ، أو من النبي ، أو من القرآن ، أو من الشريعة ، أو من الإسلام .

أو قال لحُكمٍ حُكِم به من أحكام الشريعة : ليس هـٰذا الحكم ، أو لا أعرف الحكم، مستهزئاً بحكم الله .

أو قال وقد ملأ وعاء : كأساً دهاقاً ، أو أفرغ شراباً : فكانت سراباً ، أو عند وزنٍ أو كيلٍ : وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، أو عند رؤية جمعٍ : وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً، بقصد الاستخفاف أو الاستهزاء في الكلِّ ، وكذا كل موضعٍ استعمل فيه القرآن بذلك القصد ؛ فإن كان بغير ذلك القصد . . فلا يكفُر ، لـٰكن قال الشيخ أحمد بن حجر رحمه الله : (لا تبعد حرمته) .

وكذا يكفر من شتم نبياً أو ملَكاً ، أو قال : أكون قواداً إن صليت ، أو : ما أصبت خيراً مذ صليت ، أو : الصلاة لا تصلح لي بقصد الاستخفاف بها والاستهزاء ، أو استحلال تركها ، أو التشاؤم بها .

أو قال لمسلم : أنا عدوُّك وعدوُّ نبيك ، أو لشريفٍ : أنا عدوّك وعدوّ جدك مريداً النبي صلى الله عليه وسلم .

أو يقول شيئاً من نحو هٰذه الألفاظ البشعة الشنيعة ، وقد عدَّ الشيخ أحمد بن حجر والقاضي عياض رحمهما الله تعالىٰ في كتابيهما « الإعلام » و« الشفاء » شيئاً كثيراً ، فينبغي الاطلاع عليه ؛ فإن من لم يعرف الشرَّ . . يقع فيه .

وحاصل أكثر تلك العبارات يرجع إلىٰ أن كل عقدٍ أو فعلٍ أو قولٍ يدل على استهانةٍ أو استخفافٍ بالله ، أو كتبه ورسله ، أو ملائكته أو شعائره ، أو معالم دينه أو أحكامه ، أو وعده أو وعيده . . كفرٌ ومعصية ، فليحذر الإنسان من ذلك جهده .

فَصْلٌ

يجب علىٰ من وقعت منه رِدَّةٌ العودُ فوراً إلى الإسلام بالنطق بالشهادتين والإقلاع عمَّا وقعت به الرِّدَّة .

ويجب عليه الندم علىٰ ما صدر منه ، والعزم علىٰ ألاَّ يعود لمثله ، وقضاء ما فاته من واجبات الشرع في تلك المدّة ، فإن لم يتب . . وجبت استتابته ، ولا يقبل منه إلاَّ الإسلام أو القتل ، وبطل بها صومه وتيممه ونكاحه قبل الدخول وكذا بعده إن لم يعد إلى الإسلام في العدة ، ولا يصح عقد نكاحه ، وتحرم ذبيحته ، ولا يرث ولا يُورَث ، ولا يُصلَّىٰ عليه ، ولا يغسَّل ، ولا يكفَّن ، ولا يدفن ، وماله فيء .

فَصْلٌ

يجب علىٰ كل مكلفٍ أداءُ جميع ما أوجبه الله عليه ، ويجب أن يؤديه علىٰ ما أمره الله به من الإتيان بأركانه وشروطه وتجنُّب مبطلاته ، ويجب عليه أمر من رآه تاركاً لشيءٍ منها أو يأتي بها علىٰ غير وجهها ، ويجب عليه قهره علىٰ ذلك إن قدر عليه ، وإلاَّ . . فيجب عليه الإنكار بقلبه إن عجز عن القهر والأمر ، وذلك أضعف الإيمان ، أي : أقل ما يلزم الإنسان عند العجز .

ويجب ترك جميع المحرمات ، ونهيُ مرتكبها ، ومنعه قهراً منها إن قدر عليه ، وإلاَّ . . وجب عليه أن ينكر ذلك بقلبه ومفارقة موضع المعصية .

والحرام : ما توعَّد الله مرتكبه بالعقاب ووعد تاركه بالثواب .

فَصْلٌ

فمن الواجب خمس صلوات في اليوم والليلة : الظهر ووقتها إذا زالت الشمس إلىٰ مصير ظل كل شيءٍ مثله غير ظل الاستواء ، والعصر ووقتها من بعد وقت الظهر إلىٰ مغيب الشمس ، والمغرب ووقتها من بعد مغيب الشمس إلىٰ مغيب الشفق الأحمر ، والعشاء ووقتها من بعد وقت المغرب إلىٰ طلوع الفجر الصادق ، والصبح ووقتها من بعد وقت العشاء إلىٰ طلوع الشمس .

فتجب هـٰذه الفروض في أوقاتها علىٰ كل مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ طاهرٍ ، فيحرم *تقديمها علىٰ وقتها وتأخيرها عنه بغير عذرٍ ، فإن طرأ مانعٌ كحيضٍ بعد ما مضىٰ* من وقتها ما يسعها وطُهرَها لنحو سلسٍ . . لزمه قضاؤها ، أو زال المانع وقد بقي من الوقت قدر تكبيرة . . لزمته ، ومع ما قبلها إن جمعت معها .

فَصْلٌ

يجب علىٰ وليِّ الصبي والصبية المميزينِ أن يأمرهما بالصلاة ، ويعلمهما أحكامها بعد سبع سنين ، ويضربهما علىٰ تركها بعد عشر سنين ؛ كصومٍ أطاقاه .

ويجب عليه أيضاً تعليمُهما ما يجب عليهما ، وما يحرم .

ويجب علىٰ ولاة الأمر قتل تارك الصلاة كسلاً إن لم يتب ، وحكمه مسلم ، ويجب علىٰ كل مسلمٍ أمرُ أهله بها وقهرهم ، وتعليمهم أركانها وشروطها ومبطلاتها ، وكل مَنْ قدر عليهِ من غيرهم .

فَصْلٌ

ومن شروط الصلاة الوضوء ، وفروضه ستة :

الأوّل : نية الطهارة للصلاة بالقلب أو غيرُها من النيات المجزئة عند غسل الوجه .

والثاني : غسل الوجه جميعِهِ من منابت شعر رأسه إلى الذَّقَن ، ومن الأُذن إلى الأذن شعراً وبشراً إلاَّ باطنَ لحية الرجل وعارضيه إذا كثُفْنَ .

الثالث : غسل اليدين مع المرفقين وما عليهما .

الرابع : مسح الرأس أو بعضِهِ ولو شعرة في حده .

الخامس : غسل الرجلين مع الكعبين ، أو مسح الخف إذا كملت شروطه .

السادس : الترتيب هٰكذا .

فَصْلٌ

وينقض الوضوءَ ما خرج من السبيلين إلاَّ المني ومسُّ قبل الآدمي ، أو حلقة دبره ببطن الكف بلا حائلٍ ، ولمس بشرة الأجنبية مع كِبَر ، وزوال العقل إلاَّ نوم قاعد ممكنٍ مقعدته .

فَصْلٌ

يجب الاستنجاء من كل رطبٍ خارجٍ من السبيلين ـ غير المني بالماء إلىٰ أن يطهر المحل ، أو يمسحه ثلاث مسحات أو أكثر إلىٰ أن يُنقي المحل وإن بقي الأثر ـ بقالعٍ طاهرٍ جامدٍ غير محترمٍ ، من غير انتقال ، وقبل جفاف .

فَصْلٌ

ومن شروط الصلاة الطهارة عن الحدث الأكبر ؛ وهو الغسل ، والذي يوجبه خمسة أشياء : خروج المني ، والجماع ، والحيض ، والنفاس ، والولادة .

وفروض الغسل اثنان : نية رفع الحدث الأكبر أو نحوها ، وتعميم جميع البدن بشراً وشعراً وإن كثف .

فَصْلٌ

شرط الطهارة الإسلام ، والتمييز ، وعدم المانعِ من وصول الماء إلى المغسول ، والسيلان ، وأن يكون الماء مطلقاً بألاَّ يُسلَب اسمه بمخالطة طاهر يستغني الماء عنه ، وألاَّ يتغير بنجسٍ ولو تغيراً يسيراً ، وإن كان الماء دون القلتين . . زيد بألاَّ يلاقِيَه نجس غير معفو عنه ، ولا استعمل في رفع حدثٍ أو إزالة نجس .

ومن لم يجد الماء أو كان يضره الماء . . تيمم ـ بعد دخول الوقت ، وزوال النجاسة ، ومعرفة القبلة ـ بترابٍ خالصٍ طهورٍ ، له غبارٌ في الوجه واليدين ، يرتبهما بضربتين بنية استباحة فرض الصلاة مع النفل ، ومسح أوّل الوجه .

فَصْلٌ

ومن انتقض وضوؤه . . حرم عليه الصلاة ، والطواف ، وحمل المصحف ومسه إلاَّ للصبي للدراسة ، وعلى الجنب هٰذه وقراءة القرآن ، ومكث المسجد ، وعلى الحائض والنفساء هٰذه والصوم قبل الانقطاع ، وتمكين الزوج من الاستمتاع بما بين سرتها وركبتها قبل الغسل .

فَصْلٌ

ومن شروط الصلاة الطهارة عن النجاسة في البدن والثوب والمكان ، والمحمول له ، فإن لاقاه نجسٌ ، أو لاقىٰ ثيابه ، أو محمولَه . . بطلت صلاته

إلاَّ أن يُلقِيَه حالاً ، أو يكونَ معفواً عنه كدم جرحه .

ويجب إزالة نجس لم يعفَ عنه بإزالة العين من طعمٍ ولونٍ وريحٍ بالماء المطهِّر .

والحكمية بجري الماء عليها .

والكلبية بغسلها سبعاً إحداهنَّ ممزوجةً بالتراب الطهور ، والمزيلة للعين وإن تعددت واحدة ، ويشترط ورودِ الماء إن كان قليلاً .

فَصْلٌ

ومن شروط الصلاة استقبال القبلة ، ودخول الوقت ، والإسلام ، والتمييز ، والعلم بفرضيتها ، وألاَّ يعتقد فرضاً من فروضها سنة ، والستر بما يستر لون البشرة لجميع بدن الحرة إلاَّ الوجه والكفين ، وستر ما بين السرة والركبة ، للذكر والأمة من كل الجوانب لا من الأسفل .

فَصْلٌ

وتبطل الصلاة بالكلام ولو بحرفين أو بحرفٍ مفهمٍ إلاَّ إن نسي وقلَّ ، وبالأفعال الكثيرة المتوالية كثلاث حركات ، وبالحركة المفرِطة ، وبزيادة ركنٍ فعلي ، وبالحركة الواحدة للعب ، وبالأكل والشرب إلاَّ إن نسي وقلَّ ، وبنية قطع الصلاة ، وبتعليق قطعها ، وبالتردد فيه ، وبأن يَمضي ركن مع الشك في نية التحرم ، أو يطول زمن الشك .

فَصْلٌ

وشُرِطَ مع ما مرَّ لقبولها عند الله سبحانه أن يقصد بها وجه الله تعالىٰ وحده ، وأن يكون مأكله وملبوسه ومصلاه حلالاً ، وأن يُحضر قلبَه فيها ، فليس له من صلاته إلاَّ ما عقل منها ، وألاَّ يُعجَب بها .

فَصْلٌ

أركان الصلاة سبعة عشر :

الأول : نية بالقلب للفعل ، ويعيِّن ذات السبب والوقت ، وينوي الفرضية في الفرض .

ويقول بحيث يسمع نفسه ككل ركنٍ قولي : (الله أكبر) وهو **ثاني أركانها** .

الثالث : القيام في الفرض للقادر .

الرابع : قراءة (الفاتحة) بالبسملة والتشديدات ، وموالاتها وترتيبها ، وإخراج الحروف من مخارجها ، وعدم اللحن المخل بالمعنىٰ ، ويحرم اللحن الذي لم يُخل ولا يبطل .

الخامس : الركوع بأن ينحني بحيث تنال راحتاه ركبتيه .

السادس : الطمأنينة فيه بقدر (سبحان الله) .

السابع : الاعتدال بأن ينتصب قائماً .

الثامن : الطمأنينة فيه .

التاسع : السجود مرتين بأن يضع جبهته علىٰ مصلاه مكشوفة ومتثاقلاً بها ومنكساً ، ويضع شيئاً من ركبتيه ومن بطون كفيه ومن بطون أصابع رجليه .

العاشر : الطمأنينة فيه .

الحادي عشر : الجلوس بين السجدتين .

الثاني عشر : الطمأنينة فيه .

الثالث عشر : الجلوس للتشهد الأخير وما بعده .

الرابع عشر : التشهد الأخير ، فيقول : (التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله) .

الخامس عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، أقلها : اللهم ؛ صلِّ علىٰ محمد .

السادس عشر : السلام ، أقله : السلام عليكم .

السابع عشر : الترتيب ، فإن تعمَّد تَرْكَه كأن سجد قبل ركوعه . . بطلت ، وإن سها . . فليعد إليه إلاَّ أن يكون في مثله أو بعده فتتم به ركعته ولغا ما سها به .

فَصْلٌ

الجماعة على الذكور الأحرار المقيمين البالغين غير المعذورين فرضُ كفايةٍ .

والجمعة فرض عينٍ عليهم إذا كانوا أربعين في أبنيةٍ ، وعلىٰ من نوى الإقامة عندهم أربعة أيامٍ صحاحٍ ، وعلىٰ من بلغه نداءُ صَيِّتٍ من طرف يليه من بلدها .

وشرطها : وقت الظهر ، وخطبتان قبلها فيه يسمعهما الأربعون ، وأن تصلَّىٰ جماعة بهم ، وألاَّ تقارنها ولا تسبقها جمعة ببلدها .

وأركان الخطبتين : حمدُ الله ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والوصية بالتقوىٰ فيهما ، وآية مفهمة في إحداهما ، والدعاء للمؤمنين في الثانية .

وشروطهما : الطهارة عن الحدثينِ وعن النجاسة في البدن والمكان والمحمول ، وستر العورة ، والقيام والجلوس بينهما ، والولاء بينهما ، وبينهما وبين الصلاة ، وأن يكونا بالعربية .

فَصْلٌ

يجب علىٰ مَنْ صلَّىٰ مقتدياً في جمعة أو غيرها ألاَّ يتقدَّم علىٰ إمامه في الموقف والإحرام ، بل تبطل المقارنة في الإحرام ، وتكره في غيره إلاَّ التأمينِ ، ويحرم تقدُّمُه بركنٍ فعليٍّ ، وتبطل بركنينِ ، وكذا التأخرُ عنه بهما

لغير عذرٍ ، وبأكثر من ثلاثةٍ طويلةٍ له .

وأن يعلم بانتقالات إمامه ، وأن يجتمعا في مسجدٍ أو ثلاث مئة ذراع ، وألاَّ يحول بينهما حائل يمنع الاستطراق ، وأن يتوافق نظم صلاتيهما ، وألاَّ يتخالفا في سنة تفحش المخالفة فيها ، وأن ينوي الاقتداء مع التحرُّم في الجمعة وقبل المتابعة وطول الانتظار في غيرها .

ويجب على الإمام نية الإمامة في الجمعة والمعادة ، وتسنُّ في غيرهما .

فَصْلٌ

غُسْل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه فرضُ كفايةٍ إذا كان مسلماً ولد حيّاً ، ووجب لذميٍّ تكفينٌ ودفنٌ ، ولسِقْطٍ ميِّتٍ غسلٌ وكفنٌ ودفنٌ ، ولا يُصلَّىٰ عليهما .

ومن مات في قتال الكفار بسببه . . كفن في ثيابه ، فإن لم تكفِهِ . . زِيدَ عليها ودفن ، ولا يُغسَّل ولا يُصلَّىٰ عليه .

وأقل الغسل : إزالة النجاسة ، وتعميم جميع بشره وشعره ـ وإن كثف ـ مرة بالماء المطهِّر .

وأقل الكفن : ساتر جميع البدن ، وثلاث لفائف لمن ترك تركةً زائدةً علىٰ دَينه ولم يوصِ بتركها .

وأقل الصلاة عليه : أن ينوى الصلاةَ عليه ، والفرضَ ويُعيِّن ويقول : (الله أكبر) وهو قائم إن قدر ، ثم يقرأ (الفاتحة) ثم يقول : (الله أكبر ، اللهم؛ صلِّ علىٰ محمدٍ . . .) ثم يقول : (الله أكبر ، اللهم ؛ اغفر له وارحمه . . .) ثم يقول : (الله أكبر ، السلام عليكم) .

ولا بدَّ فيها من شروط الصلاة ، وترك المبطلات .

وأقل الدفن : حفرة تكتم رائحته ، وتحرسه من السباع ، ويجب توجيهه إلى القبلة .

فَصْلٌ

وتجب الزكاة في الإبل والبقر والغنم ، والتمر والزبيب والزروع المقتاتَة حالة الاختيار ، والذهب والفضة ، والمعدنُ والركازُ منهما ، وأموال التجارة ، والفطرة .

وأول نصاب الإبل خمسٌ ، ومن البقر ثلاثون ، ومن الغنم أربعون ، فلا زكاة قبل ذلك .

ولا بد من الحول بعد ذلك ، ومن السَّوم في كلإٍ مباحٍ ، وألاَّ تكون عاملةً .

فيجب في خمسٍ من الإبل شاةٌ ، وفي أربعين من الغنم شاةٌ جَذَعُ ضأنٍ أو ثَنِيُّ معزٍ ، وفي ثلاثين من البقر تبيعٌ ، ثم إن زادت ماشيته علىٰ ذلك . . وجب عليه أن يتعلَّم ما أوجبه الله تعالىٰ عليه فيها .

وأما التمر والزبيب والزروع . . فأول نصابها خمسة أوسق وهي ثلاث مئة صاع بصاعه عليه الصلاة والسلام ، ويضم زرع العام بعضه إلىٰ بعض ، ولا يكمَّل جنس بجنس ، وتجب الزكاة ببدوِّ الصلاح واشتداد الحَب .

ويجب فيها العُشر إن لم تُسْقَ بمؤنة ، ونصفه إن سقيت بها ، وما زاد على النصاب . . أخرج منه بقسطه ، ولا زكاة فيما دون النصاب إلاَّ أن يتطوَّع .

وأما الذهب . . فنصابه عشرون مثقالاً ، والفضة مئتا درهم ، ويجب فيهما ربع العشر ، وما زاد . . فبحسابه ، ولا بدَّ فيهما من الحول إلاَّ ما حصل من معدنٍ أو ركاز ، فيخرجها حالاً ، ومن الركاز خُمساً .

وأما زكاة التجارة . . فنصابها نصاب ما اشتُرِيَت به من النقدين ، ولا نعتبره إلاَّ آخر الحول ، ويجب فيها ربع عُشر القيمة .

ومال الخليطين والخلطاء كمال المنفرد في النصاب والمُخْرج إذا كملت شروط الخلطة .

وزكاة الفطر تجب بإدراك جزءٍ من رمضان وجزءٍ من شوَّال علىٰ كل مسلمٍ

ولو صغيراً ، عليه وعلىٰ مَنْ عليه نفقتهم إذا كانوا مسلمينَ ، علىٰ كل واحدٍ صاعٌ من غالب قوت البلد إذا فَضَلت عن دَينه وكسوته ومسكنه وقوته وقوت من عليه نفقتهم ليلة العيد ويومه .

وتجب النية في جميع أنواع الزكاة بعد الإفراز ، ويجب صرفها إلىٰ من وجد من الفقراء والمساكين ، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين، وفي سبيل الله وابن السبيل، ولا يجوز ولا يجزىء صرفها لغيرهم.

فصل

يجب صوم شهر رمضان علىٰ كل مسلمٍ مكلَّفٍ ، ولا يصح من حائضٍ ونفساء ، ويجب عليهما القضاء .

ويجوز الفطر لمسافرٍ سفرَ قصرٍ وإن لم يشقَّ عليه الصوم .

ولمريضٍ ، وحاملٍ ومرضعٍ شقَّ عليهم مشقةً لا تُحتمل . . الفطرُ ، ويجب عليهم القضاء .

ويجب التبييت والتعيين في النية لكل يومٍ ، والإمساك عن الجماع ، والاستمناء ، والاستقاءة ، وعن الردة ، وعن دخول عينٍ جوفاً إلاَّ ريقَه الخالص الطاهرَ من معدنه ، وألاَّ يَجُن ولو لحظة ، وألاَّ يُغمَىٰ عليه كل اليوم .

ولا يصح صوم العيدين وأيام التشريق ، وكذا النصف الأخير من شعبان ، ويوم الشك إلاَّ أن يصله بما قبله أو لقضاءٍ أو نذرٍ أو وردٍ .

ومن أفسد صوم يومٍ من رمضان ـ ولا رخصة له في فطره ـ بجماعٍ . . فعليه الإثم والقضاء فوراً وكفارة ظهار .

فصل

يجب الحج والعمرة في العمر مرةً على المسلم الحرِّ المكلف المستطيع بما يوصله ويرده إلىٰ وطنه ، فاضلاً عن دَينِهِ ومسكنه وكسوته اللائقين به ، ومؤونةِ مَنْ عليه مؤونته مدة ذهابه وإيابه .

وأركان الحج : الإحرام ، والوقوف بعرفة ، والطواف بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة ، والحلق أو التقصير ، وهي إلاَّ الوقوفَ أركان العمرة ، ولهٰذه الأركان فروضٌ وشروطٌ لا بدَّ من مراعاتها .

وحَرُم علىٰ من أحرم طيبٌ ، ودهنُ رأسٍ ولحيةٍ ، وإزالةُ ظفرٍ وشعرٍ ، وجماعٌ ومقدماته ، وعقدُ نكاحٍ ، واصطيادُ صيدٍ مأكول بريٍّ .

وعلىٰ رجلٍ سَترُ رأسٍ ، ولُبسُ محيط به ، وعليها سترُ وجهها ، وقفاز ، فمن فعل شيئاً من هٰذه المحرَّمات . . فعليه الإثم والكفارة ، ويزيد الجماع بالإفساد ووجوب القضاء فوراً وإتمام الفساد .

ويجب أن يُحرِم من الميقات ، وفي الحج مبيت مزدلفة ومِنىٰ ، ورمي جمرة العقبة يوم النحر، ورمي الجمرات الثلاث أيام التشريق، وطواف الوداع .

ويحرم صيد الحرمين ونباتهما علىٰ مُحرِمٍ وحلالٍ ، وتَزِيد مكةُ بوجوب الفدية .

فَصْلٌ

يجب علىٰ كل مسلمٍ مكلفٍ ألاَّ يدخل في شيءٍ حتىٰ يعلم ما أحلَّ الله تعالىٰ منه وما حرَّم ؛ لأن الله سبحانه تعبَّدنا بأشياءَ فلا بدَّ من مراعاة ما تعبَّدنا به ، وقد أحلَّ الله البيع وحرَّم الرِّبا ، وقد قيَّد الشرع هٰذا البيع المعرَّفَ بآلة التعريف بقيودٍ وشروطٍ وأركانٍ لا بدَّ من مراعاتها ، فعلىٰ من أراد البيع والشراء أن يتعلَّم ذلك ، وإلاَّ . . أكل الرِّبا شاء أم أبىٰ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التاجر الصَّدُوق يحشر يوم القيامة مع الصِّدِّيقينَ والشهداء » ، وما ذاك إلاَّ لأجل ما يلقاه من مجاهدة نفسه وهواه وقهرهما علىٰ إجراء العقود علىٰ ما أمر الله ، وإلاَّ . . فلا يخفىٰ ما توعَّد الله مَن تعدَّى الحدود .

ثم إن بقية العقود ؛ من الإجارة والقراض ، والرهن والوكالة ، والوديعة والعارِيَّة ، والشركة والمساقاة وغيرها . . كذلك لا بدَّ من مراعاة شروطها وأركانها .

وعقدُ النكاح يحتاج إلىٰ مزيد احتياطٍ وتثبتٍ ؛ حذراً ممَّا يترتَّب علىٰ فَقْدِ ذلك .

فَصْلٌ

يحرم الرِّبا فعلُه وأكله ، وأخذه وكتابته ، وشهادته وحيلته ؛ وهو : بيعُ أحدِ النقدينِ بالآخَر نسيئةً ، أو بغير تقابضٍ ، أو بجنسه كذلك أو متفاضلاً ، والمطعومات بعضها ببعض كذلك .

ويحرم بيع ما لا يقبضه ، واللحم بالحيوان ، والدَّين بالدَّين ، وبيع الفضولي ، وما لم يرياه ، وبيع غير المكلَّف وعليه ، وما لا منفعة فيه ، أو لا قدرة علىٰ تسليمه ، أو بلا صيغة ، وبيع ما لا يدخل تحت المِلْكِ ؛ كالحُرِّ والأرض الموات ، وبيع المجهول والنجس كالكلب وكل مسكر ، ومحرَّمٍ كالطنبور .

ويحرم بيع الشيء الحلال الطاهر علىٰ مَنْ تعلم أنه يريد أن يعصي به ، ولا يصح بيع المكره ، ويحرم بيع المَعِيب بلا إظهارٍ لعيبه .

ولا تصح قسمة تركة ميتٍ ، ولا بيع شيءٍ منها ما لم تُؤَدَّ ديونه ووصاياه ، وتُخرَجَ أجرة حجه وعمرته إن كانا عليه إلاَّ إن بيع شيء لقضاء هـٰذه الأشياء . . فالتركة كمرهونٍ بذلك ـ كرقيقٍ جَنَىٰ ولو بأخذ دانق ـ لا يصح بيعه حتىٰ يؤدِّي ما برقبته ، أو يأذن الغريم في بيعه .

ويحرم أن يُفَتِّر رغبة المشتري أو البائع بعد استقرار الثمن ؛ ليبيع عليه أو ليشتريه منه ، وبعد العقد في مدة الخيار أشد .

وأن يشتري الطعام وقت الغلاء والحاجة ليحبسه ويبيعه بغلاء .

وأن يزيد في سلعةٍ ليَغُر غيره ، وأن يفرق بين الجارية وولدها قبل التمييز .

وأن يغش أو يخون في الكيل والوزن والذرع والعد ، أو يكذب ، وأن يبيع عُطُباً أو غيره من البضائع ، ويقرض المشتري معه دراهم ، ويزيد في ثمن تلك البضاعة لأجل القرض .

وأن يقرض الحائك أو غيره من الأُجَرَاء ، ويستخدمه بأقل من أجرة المثل لأجل ذلك القرض ويسمُّون ذلك الربطة .

وأن يقرض الحرَّاثين إلىٰ وقت الحصاد ، ثم يبيعون عليه طعامهم بأرفع من السعر قليلاً ، ويسمون ذلك المقتضىٰ ، وكذا جملة من معاملات أهل الزمان أو أكثرها خارجة عن قانون الشرع ، فعلىٰ مريد رضا ربه وسلامة دينه ودنياه أن يتعلَّم ما يَحِلُّ ويَحرُمُ من عالمٍ ورعٍ ناصحٍ شفيقٍ علىٰ دينه ؛ فإنَّ طلبَ الحلال فريضةٌ علىٰ كل مسلم .

فَصْلٌ

يجب على الموسر نفقة أصوله المعسرين وإن قدروا على الكسب ، ونفقة فروعه إذا أعسروا وعجزوا عن الكسب لِصِغَرٍ أو زَمانةٍ .

ويجب على الزوج نفقة الزوجة ومهرها ، وعليه لها متعة إن طلَّقها .

وعلىٰ مالك العبيد والبهائم نفقتهم ، وألاَّ يكلفهم من العمل ما لا يطيقون ، ولا يضربهم بغير حق .

ويجب على الزوجة طاعة الزوج في نفسها إلاَّ ما لا يحل ، وألاَّ تصوم ولا تخرج من بيته إلاَّ بإذنه .

فَصْلٌ

من الواجبات القلبية الإيمان بالله وبما جاء عن الله ، والإيمان برسول الله وبما جاء عن رسول الله ، والتصديق واليقين والإخلاص ؛ وهو : العمل لله وحدَه ، والندم على المعاصي ، والتوكل على الله ، والمراقبة لله ، والرضا عن الله ، وحسن الظن بالله وبخلق الله ، وتعظيم شعائر الله ، والشكر علىٰ نِعَم الله ، والصبر علىٰ أداء ما أوجب الله ، والصبر عمَّا حرَّم الله وعلىٰ ما ابتلاك الله ، والثقة بالرزق ، واتِّهام النفس وعدم الرضا عنها ، وبغض

الشيطان ، وبغض الدنيا ، وبغض أهل المعاصي ، ومحبة الله وكلامِهِ ورسوله والصحابة والآل والأنصار والصالحين .

وقال سيدنا عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه ونفعنا به في كتابه « النصائح الدينية » ما معناه : (وهٰذه أوصافٌ يجب أن يتحلَّىٰ بها ويتصف بها كلُّ مؤمنٍ - وهي قوله قبل هٰذا بقليل -: أن يكون خاشعاً متواضعاً ، خائفاً وجلاً مشفقاً من خشية الله تعالىٰ ، زاهداً في الدُّنيا قانعاً باليسير منها ، منفقاً للفاضل عن حاجته ممَّا في يده ، ناصحاً لعباد الله تعالىٰ ، مشفقاً عليهم رحيماً بهم ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، مسارعاً في الخيرات ملازماً للعبادات ، دالاًّ على الخيرات ، داعياً إلى الهدىٰ ، ذا سمتٍ وتُؤَدةٍ ووقارٍ وسكينةٍ ، حَسَنَ الأخلاق واسعَ الصدر ، ليِّنَ الجانب مخفوض الجناح للمؤمنين ، لا متكبراً ولا متجبراً ، ولا طامعاً في الناس ولا حريصاً على الدنيا ، ولا مُؤْثراً لها على الآخرة ، ولا جامعاً للمال ولا مانعاً له عن حقِّه ، ولا فظاً ولا غليظاً ، ولا ممارياً ولا مجادلاً ، ولا مخاصماً ولا قاسياً ، ولا سيء الأخلاق ولا ضيق الصدر ، ولا مداهناً ولا مخادعاً ولا غاشاً ، ولا مقدِّماً للأغنياء على الفقراء ، ولا متردِّداً إلى السلاطين ، ولا ساكتاً على الإنكار عليهم مع القدرة ، ولا محبًّا للجاه والمال والولايات ، بل يكون كارهاً لذلك كلِّه لا يدخل في شيءٍ منه ولا يلابسه إلاَّ من حاجة أو ضرورة) انتهىٰ كلامه رضي الله عنه ونفعنا به .

فَصْلٌ

ومن معاصي القلب : الرياءُ بأعمال البِرِّ ؛ وهو : العمل لأجل الناس ، ويُحبِط ثوابَها كالعُجب بطاعة الله تعالىٰ ؛ وهو : شهود العبادة صادرةً من النفس ، غائباً عنِ المنَّة ، والشكُّ في الله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، والكبر علىٰ عباد الله ؛ وهو : ردُّ الحق واستحقار الناس ، ورؤيته أنه خيرٌ من كثيرٍ من خلق الله تعالىٰ ، والحقد ؛ وهو : إضمار العداوة إذا عمل

بمقتضاه ولم يكرهه ، والحسد ؛ وهو : كراهية النعمة على المسلم واستثقالها إذا لم يكرهه أو عمل بمقتضاه ، والمن بالصدقة ويُبْطِلُ ثوابَها ، والإصرار على الذنب ، وسوء الظن بالله وبعباد الله ، والتكذيب بالقدر ، والفرح بالمعصية منه أو من غيره ، والغدر ولو بكافرٍ ، والمكر ، وبغض الصحابة أو الصالحين ، والبخل بما أوجب الله ، والشح والحرص ، والاستهانة بما عظم الله ، والتصغير لما عظَّم الله : من طاعةٍ أو معصيةٍ ، أو قرآنٍ أو علمٍ ، أو جنةٍ أو نارٍ .

فَصْلٌ

ومن معاصي البطن : أكل الربا والمَكْس ، والغصب والسرقة ، وكل مأخوذٍ بمعاملةٍ حرَّمها الشرع ، وشرب الخمر ، وحدُّ الشارب أربعون جلدةً للحُرِّ ، ونصفها للرقيق ، وللإمام الزيادة تعزيراً .

ومنها كل مسكرٍ وكل نجسٍ ومستقذرٍ ، وأكل مال اليتيم أو الأوقاف علىٰ غير شرط الواقف ، والمأخوذ بوجه الحياء .

فَصْلٌ

ومن معاصي العين : النظر إلى النساء الأجنبيات وكذا نظرهنَّ إليه ، ونظر العورات ، فيحرم نظر الرجل إلىٰ شيءٍ من بدن المرأة الأجنبية غير الحليلة ، ويحرم عليها كشف شيءٍ من بدنها بحضرة من يحرم نظره إليها .

ويحرم عليها وعليه كشف شيءٍ ممَّا بين السرة والركبة بحضرة مطَّلِع على العورات ولو مع جنسٍ ومحرميةٍ غير حليل .

ويحرم عليهما كشف السوأتين في الخلوة لغير حاجةٍ إلاَّ لحليل ، وحلَّ مع المحرمية أو مع الجنسية أو الصغير الذي لا يشتهىٰ نظرُ ما عدا ما بين السرة والركبة إذا كان بغير شهوةٍ إلاَّ صبي أو صبية دون سنِّ التمييز فيَحِلُّ نظرُه ما عدا فرج الأنثىٰ لغير أمِّها .

ويحرم النظر بالاستحقار إلىٰ مسلمٍ ، والنظر في بيت الغير بغير إذنه أو في شيءٍ أخفاه كذلك ، ومشاهدة المنكر إذا لم يُنكِر أو يَعذُر أو لم يفارق .

فصل

ومن معاصي اللسان : الغِيبةُ ؛ وهي : ذكرك أخاك بما يكره ، والنميمة ؛ وهي : نقلُ القول للإفساد ، والتحريشُ من غير نقل قول ولو بين البهائم ، والكذب ؛ وهو : الكلام بخلاف الواقع ، واليمين الكاذبة ، وألفاظ القذف ، وهي كثيرة حاصلها : كل كلمةٍ تَنسُب إنساناً أو أحداً من قرابته إلى الزنا ، فهي قذفٌ لمن نسب الزنا إليه إمَّا صريحاً مطلقاً أو كنايةً بنية ، ويُحَدُّ القاذف الحر ثمانين جلدة ، والرقيق نصفها .

ومنها : سب الصحابة ، وشهادة الزور ، والخُلْف في الوعد إذا وعده وهو يضمر الخلف ، ومطل الغني ، والشتم والسب واللعن ، والاستهزاء بالمسلم وكل كلامٍ مؤذٍ له ، والكذب على الله وعلىٰ رسوله ، والدعوى الباطلة ، والطلاق البدعي ، والظهار وفيه كفارة إن لم يطلق بعده فوراً ؛ وهي عتق رقبةٍ مؤمنةٍ سليمةٍ ، فإن عجز . . صام شهرينِ متتابعينِ ، فإن عجز . . أطعم ستين مسكيناً ستين مداً .

ومنها : اللحن في القرآن وإن لم يُخِلَّ بالمعنىٰ ، والسؤال لغني بمالٍ أو حرفةٍ ، والنذر بقصد إحرام الوارث ، وترك الوصية بدَينٍ أو عينٍ لا يعلمها غيره .

والانتماء إلىٰ غير أبيه أو إلىٰ غير مواليه ، والخِطبة علىٰ خِطبة أخيه ، والفتوىٰ بغير علمٍ ، وتعليم علم مُضِرٍّ ، والحكم بغير حكم الله ، والندب والنياحة ، وكل قولٍ يحثُّ علىٰ محرَّمٍ أو يفتِّر عن واجب ، وكل كلامٍ يقدح في الدِّين أو في أحدٍ من الأنبياء أو في العلماء ، أو العلم أو الشرع أو القرآن ، أو في شيءٍ من شعائر الله .

ومنها : التزمير ، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير

عذر ، وكتم العلم الواجب مع وجود الطالب ، والضحك لخروج الريح ، أو علىٰ مسلم استحقاراً له ، وكتم الشهادة ، ونسيان القرآن ، وترك ردِّ السلام الواجب عليك ، والقُبلة المحرِّكة للمُحْرِم بنسكٍ ، ولصائمِ فرضٍ ، أو لمن لا تَحِلُّ له قُبْلتُه .

فصل

ومن معاصي الأذن : الاستماع إلىٰ قومٍ أخفوه عنه ، وإلى المزمار والطنبور وسائر الأصوات المحرَّمة ، وكالاستماع إلى الغيبة والنميمة وسائر الأقوال المحرَّمة بخلاف ما إذا دخل عليه السماع قهراً وكرهه ، ولزمه الإنكار إن قَدَر .

فصل

ومن معاصي اليد : التطفيف في الكيل والوزن والذرع، والسرقةُ ويُحَدُّ إنْ سرق ما يساوي ربع دينار مِن حِرزِهِ بقطع يده اليمنىٰ ، ثم إن عاد. . فرجله اليسرىٰ ، ثم يده اليسرىٰ ، ثم رجله اليمنىٰ .

ومنها : النهب والغصب ، والمكس والغلول ، والقتل وفيه الكفارة مطلقاً ؛ وهي عتق رقبةٍ مؤمنةٍ سليمةٍ ، فإن عَجَز. . صام شهرينِ متتابعينِ ، وفي عَمْدِه القصاصُ إلاَّ إن عُفي عنه على الدِّية أو مجاناً ، وفي الخطأ وشِبْهِهِ الدِّيةُ ؛ وهي مئةٌ من الإبل في الذكر الحر المسلم ، ونصفها في الأنثى الحرة المسلمة ، وتختلف صفاتها بحَسَب القتل .

ومنها : الضرب بغير حقٍّ ، وأخذ الرِّشوة وإعطاؤها ، وإحراق الحيوان إلاَّ إذا آذىٰ وتعيَّن طريقاً في الدفع ، والمُثْلة بالحيوان ، واللعب بالنرد والطاب ، وكل ما فيه قمار حتىٰ لعب الصبيان بالجوز والكعاب ، واللهو بآلات اللهو المحرَّمة ؛ كالطنبور والرباب والمزمار والأوتار ، ولمس الأجنبية عمداً بغير حائل ، أو به بشهوةٍ ولو مع جنس أو محرميةٍ ، وتصوير الحيوان ، ومنع الزكاة أو بعضها بعد الوجوب والتمكن ، أو إخراج ما لا يجزىء ، أو إعطاؤها مَنْ لا يستحقها ، ومنع الأجير أجرته ، ومنع المضطر ما يسده ، وعدم إنقاذ غريق

من غير عذرٍ فيهما ، وكتابة ما يحرم النطق به ، والخيانة ؛ وهي : ضد النصيحة ، فتشمل الأفعال والأقوال والأحوال .

فَصْلٌ

ومن معاصي الفَرْجِ : الزنا واللواط ، ويُحَدُّ الحر المُحصَن ذكراً أو أنثىٰ بالرجم بالحجارة المعتدلة حتىٰ يموت وغيره بمئة جلدةٍ وتغريب سنة للحر ، ونصف ذلك للرقيق .

ومنها : إتيان البهائم ولو مُلْكَه ، والاستمناء بيد غير الحليلة ، والوطء في الحيض أو النفاس ، أو بعد انقطاعه وقبل الغسل ، أو بعد غسل بلا نية أو شرط من شروطه .

والتكشف عند من يحرم نظره إليه أو في الخلوة لغير غرض ، واستقبال القبلة أو استدبارها ببول أو غائط من غير حائل ، أو كان وبَعُدَ عنه أكثرَ من ثلاثة أذرع ، أو كان أقل من ثلثي ذراع إلاَّ في المعدِّ لذلك ، والتغوط على القبر ، والبول في المسجد ولو في إناء وعلى المعظَّم ، وترك الختان بعد البلوغ .

فَصْلٌ

ومن معاصي الرِّجل : المشيُ في معصيةٍ كالمشي في سعايةٍ بمسلمٍ ، أو قتله ، أو فيما يضره بغير حقٍّ ، وإباقُ العبد والزوجة ومَنْ عليه حقٌّ عمَّا يلزمه ؛ من قصاصٍ أو دَينٍ ، أو نفقةٍ أو برِّ والدٍ ، أو تربية أطفالٍ ، والتبخترُ في المشي ، وتخطي الرقاب إلاَّ لفرجةٍ ، والمرور بين يدي المصلي إذا كملت شروط سُترته ومد الرِّجل إلى المصحف إذا كان غير مرتفعٍ ، وكل مشيٍ إلىٰ محرَّمٍ أو تخلُّفٍ عن واجبٍ .

فَصْلٌ

ومن معاصي البدن : عقوقُ الوالدين ؛ وهو ما يتأذَّيان به ، والفرار من الزحف ، وقطيعة الرحم ، وإيذاءُ الجار ولو كافراً له أمان إيذاءً ظاهراً ،

والاختضاب بالسواد ، وتشبُّهُ الرِّجال بالنساء وعكسه ، وإسبال الثوب للخيلاء ، والحناءُ في اليدين والرِّجلينِ للرَّجل بلا حاجة .

وقطعُ الفرض بغير عذرٍ ، وقطع نفل الحج والعمرة ، ومحاكاة المؤمن استهزاءً به ، والتجسُّسُ علىٰ عورات الناس ، والوشم ، وهجر المسلم فوق ثلاثٍ لغير عذرٍ شرعي .

ومجالسةُ المبتدع والفاسق للإيناس ، ولبس الذهب والفضة والحرير ، أو ما أكثره وزناً منه للرجل البالغ إلاَّ خاتم الفضة .

والخلوةُ بالأجنبية ، وسفر المرأة بغير نحو محرمٍ ، واستخدام الحُرِّ كرهاً ، والاستخفاف بالعلماء وبالإمام العادل وبالشائب المسلم ، ومعاداة الولي والإعانة على المعصية .

وترويج الزائف ، واستعمال أواني الذهب والفضة واتخاذها ، وترك الفرض أو فعلُه مع ترك ركنٍ له أو شرط أو مع فعل مبطل له ، وترك الجمعة مع وجوبها عليه وإن صلى الظهر ، وترك نحو أهل قريةٍ الجماعةَ في المكتوبات ، وتأخير الفرض عن وقته بغير عذرٍ .

ورميُ الصيد بالمثقَّل المذَفِّف ، واتخاذ الحيوان غرضاً ، وعدم ملازمة المعتدة للمسكن بغير عذرٍ ، وعدم الإحداد على الزوج .

وتنجيسُ المسجد وتقذيره ولو بطاهرٍ ، والتهاون بالحج بعد الاستطاعة إلىٰ أن يموت ، والاستدانة لمن لا يرجو وفاءً لدَينه من جهةٍ ظاهرةٍ ولم يُعلِمْ دائنهُ بذلك ، وعدم إنظار المعسر ، وبذل المال في معصية ، والاستهانة بالمصحف وبكل علمٍ شرعي ، وتمكين الصبي غير المميِّز منه .

وتغييرُ منار الأرض ، أو التصرف في الشارع بما لا يجوز ، واستعمال المُعارِ في غير المأذون له فيه ، أو زاد على المدة المأذونة له ، أو أعاره لغيره ، وتحجير المباح كالمرعىٰ والاحتطاب من الموات ، والملحِ من معدنه ، والماء للشرب من المستخلَف ، واستعمال اللُّقَطة قبل التملُّك بشروطه .

والجلوس مع مشاهدة المنكر إذا لم يَعذِر ، والتطفل في الولائم ؛ وهو : الدخول بغير إذن ، أو أدخلوه حياء .

وأن يُكرِمَ المرءَ اتقاءً لشرِّه ، وعدم التسوية بين الزوجات ، وخروج المرأة متعطرة أو متزينة ولو مستورةً وبإذن زوجها إذا كانت تمرُّ علىٰ رجالٍ أجانب .

والسِّحرُ ، والخروج عن طاعة الإمام ، والتولي علىٰ يتيمٍ أو مسجدٍ أو لقضاءٍ أو نحو ذلك مع علمه بالعجز عن القيام بتلك الوظيفة ، وإيواءُ الظالم ومنعُهُ من يريد أخذ الحق منه ، وترويع المسلمين ، وقطع الطريق ، ويُحَدُّ بحسب جنايته : إمَّا بتعزيرٍ ، أو بقطع يدٍ ورِجلٍ من خلافٍ ، أو بقتل وصلب .

ومنها : عدم الوفاء بالنذر ، والوصال في الصوم ، وأخذ مجلس غيره ، أو زحمتُه المؤذيةُ ، أو أخذ نوبته .

فَصْلٌ

تجب التوبة من الذنوب فوراً علىٰ كل مكلَّفٍ ؛ وهي : الندم والإقلاع والعزم علىٰ ألا يعود إليها ، والاستغفار ، وإن كان الذنب تركَ فرضٍ . . قضاه ، أو تبعةً لآدمي . . قضاه أو استرضاه . انتهىٰ ما قَدَّر الله جمعه ، وأرجو منه سبحانه أن يعم نفعه ، ويكثر في القلوب وقعه ، وأطلب ممَّن اطلع عليه من أولي المعرفة ورأىٰ فيه خطأً أو زللاً أن ينبِّه علىٰ ذلك بالردِّ الصريح ؛ ليحذر الناس من اتباعي علىٰ غير الصواب ، فالحقُّ أحق أن يتبع ، والإنسان محل الخطأ والنسيان .

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

اللهم ؛ مغفرتك أوسع من ذنوبنا ، ورحمتك أرجىٰ عندنا من أعمالنا ، سبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

قال مؤلفه سيدنا الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر علوي رضي الله عنه :
وكان الفراغ من إملائه فاتحةَ رجب ، سنة ألفٍ ومئتين وإحدىٰ وأربعين ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الرسالة الثالثة عشرة
الإفادة بتعريف العادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه علىٰ كل حالٍ حمداً يوافي نعمه ، ويكافىء مزيده ، ربِّ ؛ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلىٰ والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين .

وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإنه لما كان يومُ الأحد تسع وعشرون ربيع ثاني سنة ألفٍ ومئتين وأربع وخمسين . . حصلت مذاكرة من بعض المستفيدين عن العادة ما هي ، وهل كلها مذمومة ـ كما أطلقه السلف الصالحون في نظمهم ونثرهم ـ أم فيها تفصيل ؟ ثم من ثانٍ ثم من ثالثٍ ؟ فأحببت أن أُزيل إشكالهم بما فتح الله به مع أني لم أعثر علىٰ كلامٍ لأحدٍ من السلف في تمييز محمودها عن مذمومها .

فأقول :ـ وبالله أستعين ، وأسأله التوفيق والتسديد والإخلاص والهداية للصواب بمنِّه وفضله ، وكرمه وجوده ، آمين بجاه سيد الأولين والآخرين ، صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه والتابعين ـ :

اعلم رحمك الله : أن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (إن أحسنَ الحديث كتابُ الله تعالىٰ ، وأحسنَ الهَدْي هَدْيُ محمدٍ صلى الله عليه

وسلم ، وشرَّ الأمور محدثاتُها ، وإنما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين) أخرجه البخاري .

وقال الله سبحانه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هـٰذا ما ليس منه . . فهو ردٌّ » أخرجه الشيخان وأبو داوود .

وفي روايةٍ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا . . فهو ردٌّ » .

وعن مالك : أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تركتُ فيكم أمرينِ لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : صلىٰ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يومٍ ، ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ، ووَجِلَتْ منها القلوب ، فقال رجل : يا رسول الله ؛ كأن هـٰذه موعظة مودِّعٍ فماذا تعهد إلينا ؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ؛ فإنه من يعشْ منكم بعدي . . فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومُحْدَثاتِ الأمور ؛ فإن كلَّ محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة » أخرجه أبو داوود والترمذي .

فعُلم بهـٰذا : أن العادة المذمومة علىٰ لسان السلف الصالح رضي الله عنهم كلُّ ما خالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ؛ ولـٰكنَّا نزيد ذلك بياناً وشرحاً فنقول : كل مولودٍ يُولدُ على الفطرة ـ أي : إنه

قابلٌ ومتأهلٌ للخير والشر ـ وإنما أبواه ـ أي : أو من رباه ـ يهوِّدانه ، أو يمجسانه ، أو ينصرانه؛ أي : أو يهديانه للإسلام والخير .

فعلم : أن الإنسان يتربَّىٰ ويتدين ويتزيا ويتخلَّق بِدِينِ وزيٍّ وأخلاقِ مَنْ ربَّاه وعلَّمه وأدَّبه ؛ إمَّا بالفعل ، وإلاَّ . . فبمجرد النظر والصحبة والمجالسة لذلك الإنسان إذا لم ير غيره .

فإن كان يخالط خلقاً كثيراً . . أخذ عن كلٍّ شيئاً ، أو غلب عليه ما غلب عليه جِبِلَّتُه ، ومال إليه طبعه ، وما أحبه واستحسنه ؛ فالمرء مع من أحب ، والمرء علىٰ دين خليله، والمرء من جليسه ، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم ، ومن تشبَّه بقومٍ . . فهو منهم ، ومن كثَّر سواد قومٍ . . فهو منهم .

فترىٰ كلَّ أحدٍ يتزيا بزيِّ من يربيه ، ويحترف بحرفته ، ويتخلَّق بأخلاقه غالباً ، ويألف ذلك وينشأ عليه ، ويعتاده اعتياداً لا يقدر علىٰ تركه ، والانتقال عنه إلاَّ بجهدٍ جهيدٍ ومشقةٍ شديدةٍ .

فمن نشأ على الخير والأفعال المحمودة واعتادها وأَلِفَها . . صار له طبعاً وعادةً ، ومن نشأ على الشرِّ والأفعال المذمومة واعتادها وألفها . . صارت له طبعاً وعادةً وعَسُر عليه ترك ما نشأ عليه .

ومن نشأ علىٰ زِيٍّ ولباسٍ مخصوصٍ ألفه . . عسر عليه تركه والانتقال إلىٰ زيٍّ آخر وإن كان حلالاً ومباحاً إلاَّ بمشقةٍ وتعبٍ ، فترىٰ أهل كل جهةٍ أو بلدةٍ أو قبيلةٍ لهم في زيهم ومأكلهم وأثاثهم وأخلاقهم وفي أعراسهم وولائمهم أشياء تخصهم ، وعادات لهم منافِرة ومبايِنة لأهل جهةٍ أو بلدةٍ أو قبيلة أخرىٰ ، وكلٌّ يستحسن ما هو فيه ، ويشق عليه تركه ، ويحزن علىٰ عدم تأتِّيه له أشد من حزنه علىٰ فوات فرضٍ فاته في جماعة مع أنها عادةٌ قبيحةٌ مذمومةٌ في الشرع ، بل وينفر عنها الطبع أيضاً ، ويستقبحها .

والدليل علىٰ هـٰذا : أنه إذا ورد غريب من جهة ليس بجهته هـٰذه العادة ولا ألفها طبعه بمشاهدةٍ ولا سماعٍ . . كيف يضحك عليهم ، وينكر ما هم

عليه ، ويتعجَّب منهم غاية العجب ، ويبقىٰ يذكرها باقيَ عمره لغيره ممَّن لم يرها ، فيضحكون كثيراً ويعجبون بتلك الحكاية ، ولا ينكرون ولا يعجبون ولا يضحكون ممَّا يفعلونه في جهتهم من أشباه تلك العوائد مع أنها ربَّما كانت أفحش وأقبح ، بل لو لم يفعلوها . . ربما أُنكِر عليهم ، والسبب في ذلك كلِّه الإلف والاعتياد .

فهٰذه أشياء تشبه الجنون أو هي منه ؛ لأن الجنون فنون ، وأقبح فنونه ما صُورَته جنون ، ويؤاخذ به الإنسان ولم يسقط عنه به التكليف ؛ ولهٰذا كان صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم برآء من التكلُّف ، ومن كل خُلُقٍ مذمومٍ ، فليس لهم عادة قط ، بل كل أفعالهم هم ونساؤهم فضائل ومناقب ، فكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد ، ويأكل ما وجد ، ويركب ما وجد ، ويولم بما وجد ، وقد لا يجد ما يعشي به الضيف فلا يتكلف ما فقد ، فيقول : « من يعشي هٰذا ؟ » .

وإذا وجد . . يعطي المئين من الإبل للواحد ، وأعطىٰ ما بين جبلين من الشاء لواحدٍ .

وأصحابُه رضي الله عنهم كذلك يلبسون ما يجدون ، ويأكلون ما يجدون مع أنهم رضي الله عنهم لا يأخذون إلاَّ الحلال المطلق ، فكانوا يتركون سبعين باباً من الحلال مخافة الوقوع في الحرام ؛ كما روي ذلك عنهم .

ثم إنهم لما فتح الله عليهم الدنيا . . تأتَّىٰ لهم أن يكون لباسهم علىٰ ما أرادوا ، ومأكلهم كذلك ، ويتسعوا في الدور ، ويصير لهم كالعادة فأبوا ذلك ، وكانوا يشوِّشون ذلك عمداً وقصداً ، فكان في ثوب عمر بن الخطاب رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة ، بعضها قطعة جراب ، وعُوتب مرة في بذاذة زِيِّه ظناً من ذلك العاتب أن غير البذاذة أولىٰ فقال له : (إنا قومٌ أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز بغيره) .

ولما بلغه أن سيدنا أبا الدرداء اتخذ كنيفاً أنفق عليه درهمين وكان مستعمِلَهُ

علىٰ حمص . . فكتب إليه : (من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلىٰ عويمر ، قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به من عمرانِ الدنيا حين أذن الله بخرابها ، فإذا أتاك كتابي هـٰذا . . فقد سيرتك أنت وأهلك إلىٰ دمشق) فلم يزل بها حتىٰ مات .

قال سيدنا الغزالي : (فهـٰذا رآه عمر فضولاً فتأمل فيه) .

وأيضاً : كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يحمل الحطب علىٰ ظهره ، وبعضهم يحمل القِربة مع وجود مَنْ يكفيهم ذلك ، وأمثال ذلك كثير ممَّا هو معروف ومشهور في السِّيَر والتراجم لهم ولنسائهم من جميع أفعالهم التي كلها فضائل وأحكام وحجة يقتدىٰ ويهتدىٰ بها التي عند ذكرها تنزل الرحمة مما دَرَسَتْ وعَفَتْ بموتهم حتىٰ قال بعض كبار التابعين : (أدركنا رجالاً كنا نُعَدُّ في جانبهم لصوصاً ، لو رأيتموهم . . لقلتم : مجانين ، ولو رأوا خيارَكم . . لقالوا : ما لهـٰؤلاء من خَلاَق ، ولو رأوا شراركم . . لقالوا : ما يؤمن هـٰؤلاء بيوم الحساب) .

فما ظنك بنا وبزماننا ؟! فالله المستعان ولـٰكنا نتكلم الآن بكلامٍ يسهل السلوك عليه ، ويرشد إلى السلامة من المتاعب ، والحفظ من المحن والمصائب ، وإذا لم تقدر على الخير كله . . فلا تتركه كله .

فأقول :

اعلم : أن أفعال المكلفين تنقسم ثلاثة أقسام : طاعاتٍ ، ومعاصٍ ، ومباحاتٍ :

فالأول : الطاعات كالإيمان ، والعلوم النافعة ، والأعمال الصالحة : من الصلاة والزكاة ، والصوم والحج ، والتلاوة والأذكار المطلقة ، والأوراد والرواتب ، وبرِّ الوالدين وصلة الرحم ، والإحسان إلى الجار والمساكين وأهل الحاجة ، وعمارة المساجد والسقايات ، وإصلاح ذات البين ، والتعلُّم والتعليم للقرآن والعلم ، والأذان والإمامة ونحو ذلك ممَّا لا يُعَدُّ كثرةً من

الفضائل والمكارم ، والمحاسن اللازمة علىٰ نفس الإنسان ، والمتعدِّي نفعها إلى الغير .

وللإنسان بعد أداء الواجبات ، واجتناب المحرمات ، في اكتساب الفضائل أربع حالات ؛ كما قال سيدنا الغزالي في « بداية الهداية » : (الأُولىٰ : أن تصرف وقتك في طلب العلم الذي يزيد في خوفك من الله تعالىٰ ، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك ، وفي معرفتك بعبادة ربك ، ويقلل من رغبتك في الدنيا ، ويزيد في رغبتك في الآخرة ، ويفتح بصيرتك بآفات الأعمال فتحترز منها ، ويطلعك علىٰ مكايد الشيطان وغروره وتلبيسه .

الثانية : أن تصرف وقتك في وظائف العبادات من الأذكار والقراءة والتسبيحات والصلوات ؛ فذلك من درجات العابدين وسير الصالحين ، وتكون بذلك من الفائزين .

الثالثة : أن تشتغل بما يَصِل به خيرٌ للمسلمين ، وتدخل به سروراً علىٰ قلوب المؤمنين ، وتتيسر به الأعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين ، والتردد في أشغالهم والسعي في إطعام الفقراء والمساكين ، وتمريض المرضىٰ وتجهيز الجنائز ، ونحو ذلك ممَّا هو عبادة وفيه رفق بالمسلمين .

الرابعة : أن تشتغل بمهمات نفسك وعيالك وقد سلم المسلمون منك ، وأمنوا من لسانك ويدك ، وسلم لك دينك) انتهىٰ ما ذكره سيدنا الغزالي مع حذف واختصار .

فمن المعلوم : أنه إذا أُطِلق ذم العادة في أقوال السلف رضي الله عنهم . . فهٰذه الفضائل والقربات غيرُ داخلةٍ في الذم ولا مرادةٌ به .

نعم ؛ هٰذه الفضائل قد تخرج عن كونها عبادة محمودة إذا فُعِلت علىٰ غير موافقة الكتاب والسنة ، ولا قُصِد بها وجه الله تعالىٰ ، بل تَمَحَّضَ فعلها لمجرد الاسم والرسم والعادة ، وغُفِل عن التعبد بها والحضور مع الله فيها .

وربما قد يظهر من المُلابِس لها التعصب والمزاحمة بالقيام بها ، وعدم تسليمها لمن هو أولىٰ بها ، وكذا قد تظهر المصلحة في ترك تلك الفضيلة والانتقال إلىٰ فضيلةٍ أخرىٰ هي آكد وأوجب ؛ لتغير الزمان واحتياج أهله إلىٰ مهمٍّ أعظم ، فيلازمَ ذلك لأجل العادة ويغفَل عن التعبُّد بها والحضور مع الله فيها ؛ فهو يفعلها لكون أهله يفعلونها ؛ أو لئلا يقول الناس : ترك عادته ، بل ربما يفعلها مع التبرم بها ، ويدخل في حرجٍ لأجلها ، ويرىٰ أنه لا يسعه تركها ، ويقول : عادة السلف ، والسلف ما فعلوا ذلك إلا بنيةٍ صالحةٍ ومن غير كلفةٍ ، وإذا رأوا الترك أفضل. . تركوا، ويدورون مع النية فعلاً وتركاً ، فليتأمل الإنسان نيته وقصده .

قال سيدنا الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه في كتاب « الدوائر » بعد أن حثَّ على الحضور ، وحذَّر عنِ الغفلة إلىٰ أن قال : (فما موجب القرب إلا الحضور مع الله ، وما علَّة البعد إلاَّ الغفلة عن الله وإن كان في أعظم أبواب الدين ، فانظر إلىٰ برِّ الوالدين ؛ لعدم النية الصادقة ؛ لغلبة العادة فيه على العبادة ، وقلة الحضور مع الله فيه قلَّ أن يظهر أثره على القائم به ، وتحصل له السعادة كما حصلت لأويس القرني سيد التابعين رضي الله عنه) اهـ

فليحذر الإنسان كل الحذر من أن يفعل شيئاً من هـٰذه الفضائل غير قاصدٍ بها وجه الله ، أو غير حاضرٍ مع الله تعالىٰ فيها ، فيكون قد فعلها لأجل الناس وهو الرياء .

قال سيدنا الغزالي رضي الله عنه في « بداية الهداية » : (فما أهلك الناسَ إلاَّ الناسُ ، ولو أنصف أكثر الناس. . لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات ، فضلاً عن أعمال العادات ليس يحملهم عليها إلاَّ مراءاةُ الناس ، وهي محبطة للأعمال كما ورد) اهـ

فقف علىٰ قول الشيخ : (ولو أنصف أكثر الناس. . . إلخ) وتأمله جداً ،

وأنصِفْ من نفسك ؛ فلعلك تعترف إن لم تتصف ، وقال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد رضي الله عنه شعراً :

هاقد علمتُ ولا شكٌّ يخالطني أن الطريقة في خرقي لمعتادي

وقال بعض العارفين : قضيت صلاة ثلاثين سنة ، كنتُ أصليها جماعةً في الصف الأوَّل ؛ لأني تخلفت يوماً بعذر فخالجني شيءٌ من رؤية الناس لي في غير مكاني ، فانظر كيف أثر الإلف والاعتياد فيه لمكانٍ واحدٍ حيث لم يشوشه بالتنقل وترك العادة حتىٰ لم تظهر له آفته إلاَّ بترك العادة رضي الله عنه ؛ ولهٰذا ورد النهي في الحديث عن الإيطان في المكان .

القسم الثاني من أفعال المكلفين : المعاصي والمحرمات ، وقد بلغ من شؤم العادة وضررها أنه إذا نشأ عليها الإنسان وألفها واعتادها . . يعسر عليه تركها والتوبة منها والندم عليها ، بل الكفار قالوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ .

وكل منِ اعتاد نظر ذلك من غيره أو سماعه سقط عُظْمُ فحشها عن قلبه ، فمن ذلك كشف بعض الجند والمحترفين والنساء شيئاً ممَّا يجب ستره وهم يعلمون أن ذلك حرامٌ ، وقالوا : عادة ، وينوحون على الميت لأجل العادة ، والجند يتقاتلون ويتناهبون ، ويأخذون بريئاً بجريمة غيره ، ويطلبون مكوساً ، وقالوا : عادة ، وكذا يقع في بعض الأعراس تبرجٌ من النساء ، واختلاط بالرجال ، وأشياء محرمة ، وقالوا : عادة ، وكذا قد يلبس شيئاً من الحرير أو الفضة من لا يحل له لبسه ، وقالوا : عادة .

وكذلك تجري أكثر المعاملات من البيع والإجارة ونحوها علىٰ غير الشرع ، وقالوا : عادة ، وكذا يترافعون في مشاجراتهم إلىٰ من يحكم بغير الشرع ، وقالوا : عادة ، فهٰؤلاء في عادتهم خالفوا نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، فانظر رحمك الله كيف صار ضرر العادة وإلىٰ ماذا بلغ .

القسم الثالث من أفعال المكلفين : المباحات ؛ مثل اكتساب الأموال

الزائدة علىٰ قدر الضرورة والحاجة وإنفاقها في الشهوات واللذات ، وتشييد المباني وتزيينها ، وتحلية النساء والصبيان بالذهب والفضة والحرير ، واتخاذ الأواني والفرش الرفيعة ، والثياب الكثيرة الملوّنة وغيرها ممَّا فيه كسر قلوب الفقراء والمساكين ، وترغيب السفهاء والأغبياء في طلب مثل ذلك ، قال في « الإحياء » في كتاب آداب الصحبة : (روىٰ عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك . . أعنته ، وإن استقرضك . . أقرضته ، وإن افتقر . . جُدتَ عليه ، وإن مرض . . عُدْتَه ، وإن مات . . اتبعت جنازته ، وإن أصابه خيرٌ . . هنأته ، وإن أصابته مصيبة . . عزيته ، ولا تستطِلْ عليه بالبناء فتحجُبَ عليه الريح إلاَّ بإذنه ، وإذا اشتريت فاكهةً . . فأَهْدِ له ؛ فإن لم تفعل . . فأدخلها سراً ، ولا يَخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قِدْرك إلاَّ أن تغرف له منها ، أتدرون ما حق الجار ، والذي نفسي بيده ؛ لا يبلُغ حقَّ الجار إلاَّ من رحمه الله تعالىٰ ») اهـ

فتأمل رحمك الله قوله : (ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده . . . إلخ) هـٰذا في فاكهةٍ يمكن أهل ذلك الصبي إذا رأوا حسرة صبيهم وبكاءه واشتغلت قلوبهم من أجله أن يشتروا له مثلها ، فكيف إذا رأىٰ نساءَهم وصبيانَهم وهم في أحسن الحلي والحلل نساءُ جيرانهم وصبيانهم ، ونساءُ أرحامهم وقرابتهم وصبيانهم وهم في بذاذةٍ في زِيِّهم وضنكٍ من العيش ؟!

وكيف يكون حال أهليهم إذا رأوا حسرتهم مع أن الصبي ونحوه لا يجدي تسليته بأن الفقر أفضل وأحسن من وجوه كثيرة ؟! فليتهم إذا لم يفرِّحوهم ويَسُروهم . . لم يُحزِنوهم ويُغيظوهم ، وليتهم أخفوا هـٰذه الأموال ولم يُظهروها ، وليته إذا لم يأتِهِ خيرُها . . كُفِي شرَّها ، وليت من أحب ذلك من زوجته . . يأمرها أن تلبسه له في خفية بحيث لم يعلم بذلك قريب ولا بعيد ، فكم وقع بسبب ذلك من تشتيتٍ وتبديدٍ ، وغُرَب وكُرَب ، وهموم وغموم ، وذل وخوف ، وديون وشجون ، ومباغضة ومحاسدة ، وفتن ومحن !!

وكم فاتت لأجلها علوم جليلة ، وسير حميدة ، وأعمال مفيدة ، وأحوال مرضية ، وأنس وسرور ، وعيشة هنية ، من قناعة ورضا وزهد ؟!

قال سيدنا الغزالي رضي الله عنه في « الإحياء » في كتاب ذم الدنيا : (وطائفة أخرىٰ زعموا أنهم تفطنوا للأمر وهو أن السعادة في أن يقضي الإنسان وطره من شهوة البطن والفرج ، فصرفوا همهم إلى اتباع النسوان ولذائذ الأطعمة ، وطائفة أخرىٰ ظنوا أن السعادة في كثرة المال وكثرة الكنوز ، فهم يتعبون في الأسفار وفي الأعمال الشاقة ، وطائفة أخرىٰ ظنوا أن السعادة في حسن الاسم ، وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمُّل والمروءة فصرفوا أموالهم إلى الملابس الحسنة ، والدواب النفيسة ، ويزخرفون أبواب الدور ، وما يقع عليه أبصار الناس ، وطائفة أخرىٰ ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس ، وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير لهم فصرفوا همَّهم إلىٰ ذلك ، ووراء هٰؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد علىٰ نيفٍ وسبعين فرقة كلهم ضلوا وأضلوا) انتهىٰ مع اختصار كثير .

فإذا أُطلق ذم العادة . . فالمراد به مثل هٰذه الأشياء ، وتطلق أيضاً علىٰ تكلُّف الولائم في الأعراس ، والولادات ، ومجيء الزوج والزوجة إلىٰ أهل الزوجة ، والقرابة بعد العرس ، ونحو ذلك من الترهات وتضييع الأوقات لا بنيةٍ صالحةٍ ، بل يدعون ناساً كارهين حضورها ، ويتركون ناساً فقراء جياعاً راغبين فيها ، وكراهة الكارهين لا لأنهم لا يحبون الأكل واللحم ، وإنما لأنهم في حال ذهابهم إليهم يتكلَّفون أشياء كثيرة، هٰذه حالاً ، ثم إنهم لا بد لهم بعد ذلك من مكافأة الداعي لهم بمثل دعوته ؛ لأن العادة عندهم أنهم لا يدعون إلاَّ مَنْ يدعوهم ، ولا يصلون إلاَّ من يصلهم غالباً ، وإن دعوا غير من يدعوهم أو واصلوه . . لا بد وأن يكون لعلةٍ وغرض وقد يكون لنيةٍ صالحة وهو نادرٌ جداً .

فتراهم يتكلَّفون ويكلِّفون غيرهم مع الكراهة من الجانبين إلاَّ الفذ النادر ، صاحب الثروة الواسعة ، والنفس السمحة ، وقليل ما هم .

وأما كونه لوجه الله . . فلا أدري كيف ، وعدم المكافىء لهم يخاف الهمز

واللمز وراءه ، بل ما هو أعجب منه أن يكون ذلك من بعض الناس في وجهه ؛ ولهـٰذا تكلَّف بعضهم الغربة في تمشية هـٰذه العوائد ، وبعضهم يستدين لها مع أنه ليس معه قبيل لذلك الدَّين من وجهٍ ظاهر ، فتراهم يدخلون في معاملاتٍ تشبه الربا أو هي عين الربا .

قال سيدنا الغزالي في « الإحياء » عند ذكر منكرات الضيافة : (وأما الإسراف . . فقد يطلق علىٰ صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات ، وقد يطلق على الصرف في المباحات في جنسها ولـٰكن مع المبالغة ، والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال ، فنقول : من لا يملك إلاَّ مئة دينار مثلاً ومعه عيالٌ وأولادٌ ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع في وليمةٍ . . فهو مسرفٌ يجب منعه منه . . إلىٰ أن قال : فمن يسرف هـٰذا الإسراف . . ينكر عليه ، ويجب على القاضي أن يحجر عليه إلاَّ إذا كان الرجل وحده ، وكان له قوّة في التوكل صادقة . . فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر) اهـ

وقال في كتاب ذم الغرور : (روىٰ أبو نصر التمار : أن رجلاً جاء يودِّع بشر بن الحارث وقال : قد عزمت على الحج فتأمرني بشيءٍ ؟ فقال له : كم أعددت للنفقة ؟ فقال : ألفي درهم ، قال بشر : فأي شيءٍ تبتغي بحجك ؛ نزهة أو اشتياقاً إلى البيت ، أو ابتغاء مرضاة الله تعالىٰ ؟ قال : ابتغاء مرضاة الله ، قال : فإن أصبت رضا الله تعالىٰ وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون علىٰ يقين من مرضاة الله . . أتفعل ذلك ؟ قال : نعم ، قال : اذهب فأعطها عشرة أنفس ؛ مديوناً يقضي دينه ، وفقيراً يلم شعثه ، ومعيلاً يحيي عياله ، ومربِّيَ يتيم يفرِّحه ، وإن قوي قلبك تعطيها واحداً . . فافعل ؛ فإن إدخالك السرور علىٰ قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضرر وإعانة الضعيف . . أفضل من مئة حجة بعد حجة الإسلام ، قم فأخرجها كما أمرناك ، وإلاَّ . . فقل لنا ما في قلبك ، فقال : يا أبا نصر ؛ سفري أقوىٰ في قلبي ، فتبسَّم بشرٌ وأقبل عليه ، فقال له : المال إذا جُمِع من وسخ التجارات والشبهات . . اقتضت النفس أن تقضي به وطراً ، فأظهرتِ الأعمال

الصالحات ، وقد آلى الله تعالىٰ علىٰ نفسه ألاَّ يقبل إلاَّ عمل المتقين) اهـ

ولعمري ؛ وقع من كثير من الصالحين المعروفين بالولاية مَن أنفق جميع ماله واستدان بعد ذلك شيئاً كثيراً بطريقِهِ ووجهِهِ وأنفقه علىٰ عيالهِ وسائر وجوه البر والخير بنيةٍ صالحةٍ ولم ينفق منه حبة في فضول ، فهٰؤلاء يسلَّم لهم ولمن كان مثلهم ؛ فقد ذكر سيدنا الغزالي في « الإحياء » : (أن بعضهم فعل وليمةً عظيمةً أسرج فيها ألف سراجٍ ، فأنكر عليه واحد وقال : هٰذا إسرافٌ ، فقال له : كل سراجٍ أسرجتُه لغير الله فأطفئه ، فاجتهد ذلك المنكِر علىٰ إطفاء سراجٍ واحدٍ فلم يقدر) انتهىٰ بمعناه ، فتأمل نيتك وقصدك ؛ فإنما الأعمال بالنيات ، فبعضها صالحاتٌ ، وبعضها محرمات ، وبعضها مشتبهات ، والغرور كثير والجهل عمىً وظلمة ، فلا بد من علمٍ واسعٍ ، وعقلٍ وافرٍ ، وتثبت تام ، ودعاءٍ كدعاء الغريق ، والتوفيق بيد الله ، ولا عاصم من أمر الله إلاَّ من رحم ، والخمول جُنَّة ، والسكوت سلامة ، والعزلة أقرب طريقٍ لحصول كل خير .

اللهم ؛ يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إنك لا تخلف الميعاد ، اجمع بيننا وبين كل خير ، ويا من يحول بين المرء وقلبه ؛ حُلْ بيننا وبين الأشرار والشرور ، يا من يجير بين البحور .

اللهم ؛ إنه بلغني عن نبيك محمدٍ صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم أنك ما سُئِلت شيئاً أحب إليك من أن تُسأَل العافيةَ ، فنسألك اللهم العافية في الدنيا والآخرة ، لنا ولأهلينا ولأحبابنا والمسلمين أجمعين ، الأحياء والميتين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

تم رَقْم هٰذه النسخة من نسخة المؤلف بخطه وسمَّاها مؤلفها سيدنا وشيخنا السيد الجليل العارف بالله ، والدال عليه : عبد الله بن حسين بن طاهر علوي « **الإفادة بتعريف العادة** » رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه وأرضاه ، وأعاد علينا من بركاته في الدارين ، آمين اللهم آمين .

* * *

الرسالة الرابعة عشرة
الأحاديث الجامعة في العلوم النافعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلىٰ سائر النبيين والمرسلين ، وآل كلٍّ منهم وأصحابهم وتابعيهم أجمعين ، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

أما بعد :

فهـٰذه أحاديث نافعة ووصايا جامعة ، قال صلى الله عليه وسلم ورزقنا اتباعه في عافية : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىءٍ ما نوىٰ ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله . . فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها ، أو امرأة يَنكِحها . . فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه » .

« يا غلام ؛ ألا أعلمك كلمات : احفظِ الله يحفظْك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك . . لم يكن ليصيبك ، وأن ما أصابك . . لم يكن ليخطئك ، إذا سألت . . فاسألِ الله ، وإذا استعنت . . فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ . . لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيءٍ . . لم يضروك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله عليك ، رُفعتِ الأقلام وجفتِ الصحف ، فإنِ استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين . . فافعل ، فإن لم

تستطع . . فإن في الصبر علىٰ ما تكره خيراً كثيراً ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفَرَجَ مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

« اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالقِ الناس بخلقٍ حسن » .

« ازهد في الدنيا يحبَّك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » .

« دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك » .

« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

« إن الله طيبٌ لا يقبل إلاَّ طيباً ، وإن الله تعالىٰ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ ، ثم ذكر الرجلَ يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء ، يا رب ، يا رب ؛ ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وغُذي بالحرام ؛ فأنىٰ يستجاب لذلك ؟ » .

« إن الحلال بيِّنٌ وإن الحرام بيِّنٌ ، وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمنِ اتقى الشبهات . . فقدِ استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات . . وقع في الحرام ؛ كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل مَلِكٍ حمىٰ ، ألا وإن حمى الله تعالىٰ محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلحت . . صلح الجسد كله ، وإذا فسدت . . فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

« خصلتان من كانتا فيه . . كتبه الله تعالىٰ شاكراً صابراً ، ومن لم تكونا فيه . . لم يكتبه الله لا شاكراً ولا صابراً : من نظر في دينه إلىٰ من هو فوقه . . فاقتدىٰ به ، ونظر في دنياه إلىٰ من هو دونه . . فحمد الله تعالىٰ علىٰ ما فضَّله به عليه » .

« أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك علىٰ خطيئتك » .

« ائتمروا بالمعروف ، وانتهُوا عن المنكر حتىٰ إذا رأيتم شحاً مطاعاً ، وهوىً متبعاً ، ودنيا مؤْثَرةً ، وإعجابَ كل ذي رأيٍ برأيه . . فعليك نفسك ، ودع عنك أمر العوام ؛ فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهنَّ كالقبض على الجمر ، للعامل فيهنَّ مثلُ أجر خمسين رجلاً ، يعملون مثل عملكم » .

« بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ؛ يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا » .

« إذا كانت أمراؤكم خيارَكم ، وأغنياؤكم سُمَحاءَكم ، وأموركم شورىٰ بينكم . . فظهرُ الأرض خيرٌ لكم من بطنها ، وإذا كانت أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأموركم إلىٰ نسائكم . . فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .

« المسلم مَنْ سَلِم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أَمِنه الناس علىٰ دمائهم وأموالهم ، والمهاجر مَنْ هجر ما نهى الله عنه » .

« عجباً لأمر المؤمن ؛ إن أمره كلَّه له خير وليس ذلك لأحدٍ إلاَّ للمؤمن : إن أصابته سراء . . شكر فكان خيراً ، وإن أصابته ضراء . . صبر فكان خيراً » .

« لا يكون المؤمن مؤمناً حتىٰ يرضىٰ لأخيه ما يرضىٰ لنفسه » .

« أوصيكم بتقوى الله ، والسمعِ والطاعةِ وإن كان عبداً حبشياً ؛ فإنه من يعش منكم بعدي . . فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها ، وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور ؛ فإن كل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

« لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالىٰ ؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالىٰ قسوةُ القلب ، وإن أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب » .

« كل كلام ابن آدم عليه لا له إلاَّ أمرٌ بمعروفٍ ، أو نهيٌ عن منكرٍ ، أو ذكر الله تعالىٰ » .

« إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالىٰ لا يُلقي لها بالاً يرفعه الله بها في الجنة ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً » .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليقل خيراً أو ليصمت » .

« ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعِها في درجاتكم ، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق ، وخير لكم من أن تَلقَوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلىٰ ، قال : « ذكر الله تعالىٰ ، لا عملَ أنجىٰ للعبد من عذاب الله من ذكر الله » .

« إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذُله ولا يَحقِره ، التقوىٰ هٰهنا ، التقوىٰ هٰهنا ، ويشير إلىٰ صدره ، بحَسْب امرىءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه وعرضه وماله » .

« إن الله لا ينظر إلىٰ أجسادكم ولا إلىٰ صوركم وأعمالكم ، ولٰكن ينظر إلىٰ قلوبكم » .

« لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من كبر » .

« لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليَك » .

« من حمل علينا السلاح . . فليس منَّا ، ومن غشَّنا . . فليس منا » .

« أربعٌ من كُنَّ فيه . . كان منافقاً خالصاً . . ومن كانت فيه خصلة منهنَّ . . كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتىٰ يدعها : إذا اؤتُمن . . خان ، وإذا حدَّث . . كذب ، وإذا عاهد . . غدر ، وإذا خاصم . . فجر » .

« اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي

حرم الله إلاَّ بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

« إياكم والجلوسَ في الطرقات ؛ فإن أبيتم إلاَّ المجلس . . فأعطوا الطريق حقه ؛ غض البصر ، وكف الأذىٰ ، وردُّ السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

« لا يخلوَنَّ أحدكم بامرأةٍ إلاَّ مع ذي محرمٍ » .

« إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد . . فقولوا : لا أربح الله تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد ضالة في المسجد . . فقولوا : لا ردَّها الله عليك » .

« من أكل البصل والثوم والكُرّاث . . فلا يقربنَّ مسجدنا ؛ فإن الملائكة تتأذَّىٰ ممَّا يتأذَّىٰ منه بنو آدم » .

« من كان حالفاً . . فلا يحلف إلاَّ بالله أو ليسكت » .

« طلب العلم فريضةٌ علىٰ كل مسلم » .

« طلب الحلال واجبٌ علىٰ كل مسلمٍ » .

« إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ؛ ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ؛ ليتوب مسيء الليل حتىٰ تطلع الشمس من مغربها » .

« كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل » .

« رضا الرب في رضا الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد » .

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبعٍ ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشرٍ ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع » .

« ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلاَّ كان له من أمته حواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تَخْلُف من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده . . فهو مؤمنٌ ، ومن

جاهدهم بلسانه . . فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه . . فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

« إن الإسلام بني علىٰ خمسٍ : شهادةِ أن لا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاءِ الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » .

« كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمـٰن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالىٰ : يابن آدم ؛ إنك ما دعوتني ورجوتني . . غفرتُ لك علىٰ ما كان منك ولا أبالي ، يابن آدم ؛ لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتني . . غفرت لك ، يابن آدم ؛ إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً . . لأتيتك بقرابها مغفرة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالىٰ : يا عبادي ؛ إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تَظَالموا ، يا عبادي ؛ إنكم تخطئُون بالليل والنهار وأنا الذي أغفر الذنوب ولا أبالي ، فاستغفروني أغفرْ لكم ، يا عبادي ؛ كلكم جائعٌ إلاَّ من أطعمتُه ، فاستطعموني أطعمْكم ، يا عبادي ؛ كلكم عارٍ إلاَّ من كسوته ، فاستكسوني أَكسِكم ، يا عبادي ؛ لو أن أوَّلكم وآخِرَكم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجلٍ منكم . . لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي ؛ لو أن أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجلٍ منكم . . لم يزد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي ؛ لو أن أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم ما سأل . . لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً إلاَّ كما ينقص البحر إن يُغمَس فيه المِخْيَط غمسة واحدة ، يا عبادي ؛ إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ، فمن وجد خيراً . . فليحمدِ الله عز وجل ، ومن وجد غير ذلك . . فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه » .

سبحانك اللهم وبحمدك ، وأشهد أن لا إلـه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، سبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

قال المؤلف رحمه الله : فرغ من جمعها في جمادى الأولىٰ سنة (١٢٦٠هـ) ألف ومئتين وستين هجرية .

* * *

الرسالة الخامسة عشرة

مكاتبة من المؤلف إلى السيد الجليل محمد بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبشي علوي

رحمهم الله تعالى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه والتابعين .

من الفقير إلىٰ ربه عبد الله بن حسين بن طاهر إلى السيد الشريف محمد بن حسين الحبشي ، وفقه الله لكل خيرٍ ، وحماه من كل مكروه وضير ، آمين : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، صدرت بعد أن وصلت كتبكم صحبة الولد علوي بن زين الحبشي ، والمصدَّر معه المسادر والكوافي .

وبعد :

وصلت كتبكم صحبة الحجاج آخر عاشوراء وذكرتم وفاة الولد عبد القادر ؛ فأعظم الله أجركم ، وأحسن عزاءكم ، وغفر لميتكم ، وأخلفه بخلف صالح .

ثم إن أفضل خبرٍ نرفعه إليكم أني أشهدكم بأني أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فنسأل الله تعالىٰ أن يثبت علمها في قلوبنا، وأسرارها ، وأنوارها وثمارها ، وعوارفها ومعارفها ، وحقائقها وأعمالها وأحوالها ، وأوّلها وآخرها ، وظاهرها وباطنها ، وإخلاصها وصدقها ، يحيينا علىٰ ذلك ويميتنا عليه ، ويبعثنا عليه ، وسائر المسلمين ، آمين .

والحمد لله علىٰ سكناكم بلده الحرام ، الآمن المبارك ، ذا النفحات العظيمة ، والمضاعفة للحسنات ، فنسأل الله أن يوفقنا وإياكم للأدب والشكر ، والدعاء لكم مبذولٌ ومنكم مسؤول ، والوقت والزمان يعلِّمان الإنسان بغير لسان ، بل بالذوق والعِيان عند مَنْ له جَنان ، فلا يحتاج إلىٰ شرح وبيان ، وحسن الظن أفضل الخصال ، فينبغي تحصينه بعدم الخلطة وعدم التطلع إلىٰ ما الناس فيه وعليه ، واشتغال الإنسان ببُدِّهِ اللازم وبعيوبه عن عيوب غيره ، والحِمْية رأس الطب ، ومجالس التعلم والتعليم فيها كل خير ، والحاضر يرىٰ ما لا يرى الغائب .

وفي كل مكانٍ أذايا وبلايا ، فإذا كان الأمر كذلك . . فتكون مكة أولىٰ بالاستيطان علىٰ كل حال ، وصَدَر قميصٌ ملبوس من طريق الولد حسين بن عبد الرحمـٰن بن سهل البَسُوه علىٰ حسب ظنكم الحسن .

والسلام عليكم وعلىٰ أولادكم وأهل بيتكم ، وكل محبٍّ وحبيب منَّا والأولاد وأهل الدائرة ، وادعوا للكل ، والكتابة ثقلت عليَّ جداً ، والحمد لله رب العالمين .

ربيع الأوَّل سنة (١٢٧٢هـ) ألف ومئتين واثنين وسبعين هجرية .

تم نقل المكاتبة من خط ممليها سيدنا الإمام الفاضل ذي النور الباهر ، الجامع لعلمي الباطن والظاهر ، حبيبنا وشيخنا الحبيب : عبد الله بن حسين بن طاهر بن هاشم باعلوي ، نفعنا الله به ، وكانت وفاته في ليلة الخميس ثماني عشر ربيع الثاني سنة (١٢٧٢هـ) ألف ومئتين واثنين وسبعين هجرية .

* * *

الرسالة السادسة عشرة
ذِكْر المؤمنين بما بُعث به سيد المرسلين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله نحمده ، ونستهديه ، ونستطعمه ونستسقيه ، ونستعينه ونستكفيه ، ونستغفره ونستنصره ونستشكيه ، ونسأله أن يوفق كُلاًّ لما يُصلحه ويَعنيه ، وأن يحفظه عمَّا يُهلكه ويُغويه ، ويوبقه ويُرديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؛ فإنه لا مانع لما يعطيه ، ولا رادَّ لما يقضيه .

وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادةً تصلح القلب وتُحييه ، وتغيِّبه عن رؤية الأغيار وتُفنيه .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة نسلك بها مسلكه ونقتفيه ، ونكون بها من كُمَّل ورثته وتابعيه ، صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومحبيه ، صلاةً وسلاماً دائمينِ يدرأ بهما عنَّا كل ما نحذره ونختشيه .

أما بعد :

عباد الله ؛ فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، **واعلموا رحمكم الله** : أن الله سبحانه وتعالىٰ أرسل سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم علىٰ فترةٍ من الرسل ، والناس إذ ذاك في جاهلية جَهْلاء ، وداهية دهياء ، وفتنة عمياء ، يعبدون الأصنام ، ويستقسمون بالأزلام ، ويرتكبون الآثام ، ويحرِّمون الحلال ويحللون الحرام ، يتقاتلون ويتناهبون ، وعلى الباطل والمنكر يتعاونون ، وبالله يشركون ، وباليوم الآخر يكذبون ! !

فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان بالله ورسوله ، وبملائكته وكتبه ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خير وشره ، وبالجنة والنار ، والثواب والعقاب .

وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والزكاة ، والصيام والحج ، وعلَّمهم الشروط والأركان .

ونهاهم عن المفسدات ، وأمرهم بالإحسان ، وحثَّهم علىٰ مكارم الأخلاق والأعمال ، وبيَّن لهم الحرام والحلال ، فأمرهم ببِرِّ الوالدين وصلة الأرحام ، وإكرام الضيف والإحسان إلى الجيران ، وإطعام الجائع وإغاثة الملهوف ، ونصرة المظلوم والأخذ علىٰ يد الظالم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفك العاني وإنظار المعسر ، والرحمة بالضعيف وإرشاد الضالّ ، وإفشاء السلام وطِيب الكلام ، والتحابب والتوادد ، والتعاطف والتراحم ، والتزاور والتعاون على البر والتقوىٰ ، والتعاضد والتناصر علىٰ ذلك ، والدعاء للمؤمنين والترحم عليهم ، والاستغفار لهم .

وأمرهم أيضاً بالعفاف والقناعة ، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، وبالإكثار من ذكر الموت والاستعداد له ، وبقصر الأمل ، وبمجالسة الصالحين ومحبتهم ، وصحبة أهل الخير ، وبالإكثار من ذكر الله ، وبحسن الظن بالله وبعباد الله ، وباتِّهام النفس وعدم الرضا عنها .

وحثهم على الشكر والصبر ، والرضا والإحسان ، والسخاء والحلم والتواضع ، والتعلم والتعليم ، والعمل والإخلاص ، والخشوع والحضور ، والتؤدة والوقار ، والحياء والسكينة ، والاقتصاد والرفق ، وستر العورة والمسارعة إلى الخيرات ، واغتنام الساعات واللحظات قبل الفوات ، والحياة قبل الممات ، والصحة قبل المرض ، والفراغ قبل الشغل ، والشباب قبل الهرم ، والغنىٰ قبل الفقر .

وأمرهم ألاَّ يتقاتلوا ولا يتظالموا ، ولا يتباغضوا ولا يتحاسدوا ،

ولا يتقاطعوا ولا يتدابروا ، وأن يكونوا إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يحقره ولا يظلمه ولا يؤذيه ، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم .

وكما أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بهٰذه المحاسن وغيرها مما لم نذكره . . نهاهم عن منكرات الأخلاق وسيئات الأعمال ؛ مثل الكفر والشرك ، والظلم والقتل ، والكبر والرياء والحسد ، والغش والغل والحقد والشح ، والغيبة والنميمة والكذب ، والفحش والبَذاء ، والنفاق والمراء والجدال ، وكثرة القيل والقال .

وزجرهم عن الحرص والطمع ، والتفاخر والتكاثر ، والزنا والربا ، وعن الغصب والخداع ، والمكر والغدر ، وسوء الظن والجفاء ، والغلظة والقسوة ، والشره وكثرة الأكل ، وعن الفحشاء والمنكر والبغي ، وإيذاء الخلق والتجبر ، والعُجب والمن ، وعن كثرة الضحك واللهو واللعب ، وعن مجالسة أهل الغفلة وأهل الشرِّ والمعاصي ، وعن الفضول وما لا يعني ، وعن لبس الحرير والذهب والفضة للرجال ، وعن الخيانة وغيرها من كل ما يبعدنا عن الله .

فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وجزاه عنا أفضل ما جزىٰ نبياً عن أمته ـ شيئاً يقربنا إلى الله وإلىٰ رضاه إلاَّ أمرنا به ، وحثَّنا عليه ، ولا علم شيئاً يوجب سخط الله وغضبه إلاَّ زجرنا عنه وحذرنا منه .

فوالله ؛ لقد جاءنا بالحنيفية السمحة ، والدِّين الذي لا حرج فيه ، ولا عسر ولا إصر ، ولقد تركَنا على المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها ، ثم قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » ، ولما ذكر البدع ، وتفرُّق الناس ، وكثرة الفرق الهالكة إلاَّ فرقة واحدة ناجية ، قيل : مَنْ هم يا رسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي » .

ثم إن الله سبحانه وتعالىٰ ـ وله الحمد ـ أردف رسالته صلى الله عليه وسلم

بإنزال القرآن العظيم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، فيه تبيان كل شيء ، وفيه الهدىٰ والنور ، وأمر الخلق بالأخذ بما فيه ، والعمل بأوامره واجتناب مناهيه ، وأن يطيعوا ويسمعوا لكل ما يأمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهاهم عنه ، ويردُّوا جميع أمرهم إلىٰ ما قال الله ورسوله ، وأن يسألوا أهل العلم فيما لا يعلمون ، وأعلمهم في كتابه وعلىٰ لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم مؤاخذون بما يفعلون ، وما يقولون ، وما يضمرون ، وأنهم به يوم القيامة مجزيون : إن خيراً . . فهم به مثابون ، وإن شراً . . فهم به معاقبون ، فقال سبحانه : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ .

فلمَّا أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ودعاهم إلى الخير الذي لا شر فيه . . آمن به وانتفع به الجم الغفير ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، فسَعِدوا دنيا وأخرىٰ ، ونالوا من الله الرضا والبشرىٰ ، وانشرحت بالإيمان صدورهم ، وكمل به نورهم وسرورهم .

وكذب بذلك قومٌ . . فأذاقهم الله القتل والخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأخزىٰ ، وأدوم وأشق وأبقىٰ .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا حج حجة الوداع ، واجتمع الناس في الموسم ، وأكمل الله دينه ، وأقر لنبيه صلى الله عليه وسلم عينه . . نادىٰ في الناس وأعلمهم بأن الله سبحانه وتعالىٰ حرَّم عليهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم كحرمة اليوم الحرام ، في الشهر الحرام ، في البلد الحرام ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : « ألا هل بلغت ؟ » فقالوا : نعم ، فقال : « اللهم ؛ اشهد ثم قال : ألا فليبلغِ الشاهدُ منكم الغائبَ » ، ألا وإنا نبلِّغكم أيها الحاضرون ما بَلَغَنا عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، ألا فليبلغ الحاضر منكم الغائب من النساء وغيرهم ، اللهم ؛ اشهد .

إذا عُلم هـٰذا . . فيجب على الإنسان أن يصغي إلىٰ ما يلقىٰ إليه ، ويتفكر فيما يتلىٰ عليه ، وأن يجلس إلىٰ أهل الله وإلى المذكِّرين بالله وبأيام الله ، وكلُّ شيء أوجبه الله عليه يؤديه كما أمره الله ، وكل شيءٍ حرَّمه الله عليه يجتنبه ويحترز منه ، ويقهر نفسه وهواه علىٰ ذلك .

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ : أن كل نَفَسٍ من أنفاس الإنسان جوهرةٌ لا قيمة لها إن صرفه فيما يقربه إلى الله وإلىٰ رضاه ، وحسرةٌ وندامة لا آخر لها إن صرفه في معصية الله أو فيما لا يعود عليه نفعه في عقباه ، فهـٰذا ما يسَّره الله من التنبيه والتذكير ، والعمل بالقليل يثمر الكثير ، والذكرىٰ تنفع المؤمنين ، والدين النصيحة ، والنصيحة من الدين ، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم ، من يهد الله . . فهو المهتدي ، ومن يضلل . . فلن تجد له ولياً مرشداً ؛ إنك لا تهدي من أحببت ولـٰكن الله يهدي من يشاء .

اللهم ؛ اجعلنا من الهادين المهتدين ، ومن المذكرين المتذكرين ، وبما علمتنا من العاملين المنتفعين ، وارزقنا كمال المتابعة لخاتم النبيين ، في الأعمال والأقوال وأبواب اليقين ، وأعذنا من نزغات الشياطين وأعمال المنافقين ، وأن نكون من المغرورين أو المغترين ، واختم لنا بالحسنىٰ في خيرٍ وعافية يا أرحم الراحمين .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تمت

قال المؤلف رحمه الله في ظهر هٰذه الرسالة : الحمد لله هٰذه النبذة المسماة « **ذكر المؤمنين بما بعث به سيد المرسلين** » نرجو لمن ذكَّر بها أو أشاعها أن يكون من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وأن يكون محبوباً عند سيد البشر ؛ لأنه بلَّغ ما به أمر وما عنه زجر .

جمع العبد الفقير إلىٰ ربه عبد الله بن حسين بن طاهر ، أصلح الله باطنه والظاهر ، وغفر ذنبه الأوَّل والآخر ، وحفظه من كل ما يخافه ويحاذر ، وختم له بأحسن الختام عند الانتقال إلى المقابر ، آمين اللهم آمين .

* * *

الرسالة السابعة عشرة
الخطبة النونية في أحكام الصلاة السنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المعين المستعان ، الرحيم الرحمـٰن ، الذي هدانا للإسلام والإيمان ، وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له الكريم المنان ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إلى الإنس والجان ، صلى الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه ما رُئي مصلٍّ وسُمِع أذان .

أما بعد :

عباد الله ؛ فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ؛ فإن التقوىٰ وصية الله لكل إنسان .

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ : أن الصلاة عماد الدين ، وشعار الإسلام والمسلمين ، وفرض محتوم علىٰ سائر المكلفين ، إلاَّ على الحائض والنفساء ، والكافر الأصلي ، والمجانين والصبيان .

ولا يجوز تقديمها علىٰ وقتها ولا تأخيرها عنه إلاَّ لجمعٍ أو نومٍ أو نسيان ، وإنها باب الملة ، ومعظم النحلة ، وديدن الأجلَّة ، وقُرة عين سيد ولد عدنان ، فالمحافظ عليها فائز ، ولجميع خيرات الدنيا والأخرىٰ حائز ، والتارك لها أو لفرض منها وهو يعتقد أنه غير جائزٍ مسلمٌ ويقتل حداً بالسِّنان ، وقيل : ينخس بحديدةٍ حتىٰ يموت أو يتوب من العصيان ، وقد قال بكفره كثيرٌ من الصحابة العظماء ، وأفتىٰ به جمعٌ من العلماء والأئمة الأعيان .

وأما تاركها جحوداً . . فلا شك في كونه للنار وَقوداً ، فيقتل لا حداً بل

لكونه مرتداً ، فلا يُغسَّل ولا يكفَّن ولا يُصلَّىٰ عليه ولا يدفن في مقابر أهل الإيمان ؛ إذ هو كافرٌ بالإجماع ، ملعونٌ بلا نزاع ، مخلَّدٌ في طبقات النيران ، مع فرعون وهامان .

ويجب علىٰ أولياء الصِّبيان أمرهم بالصلاة مع التهديد إذا ميزوا لسبع سنين ، وضَربُهم علىٰ تركها لعشر ، وتعليمهم أحكامها كسائر واجبات الدين ؛ ليؤدوا على الكمال ويحذروا النقصان .

ثم إنَّ لها كثيراً من الأركان والشروط ، والقبول والصحة بكلها منوط ؛ فالسعيد من قام بشروطها والأركان ، وبالغ في تكميلها بالإحسان ، والمحروم من تهاون بإحسانها وأخلَّ ببعض شروطها وأركانها ، فحُرِم من بركاتها وعرفانها ، فلم يجد ما وجده أهل الذوق والعرفان .

فالمطلوب من الإنسان إذا أراد دخول حضرة الرحمـٰن ، والمثول بين يدي الملك الدَّيان ، ومناجاة عظيم الشان . . أن يفرِّغ طاقته في الأدب ظاهراً وباطناً غاية الإمكان ، فليعرض نفسه أولاً على الخلا ، وليبعد وليستتر عن الملا ، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها في الفلا ، ويستبرىء ثم يستنجي بيساره بالحجر بشرطه أو بالماء وهو أولىٰ ، وإن استنجىٰ بالحجر ثم بالماء . . كان متعرِّضاً لمحبة الله التي لا يُعَدُّ لها ثان ، ثم يقول : اللهم ؛ طهِّر قلبي من النفاق ، وحصِّن فرجي من الفواحش إن كان بمحلٍّ غير مستقذَرٍ ، وإلاَّ . . إذا خرج من ذلك المكان ، ويقدِّم رِجله اليسرىٰ في الدخول ، ويبسمل قبله ، ويستعيذ بالله من الخبث والخبائث ، ويقدم اليمنىٰ خروجاً ، ويسأل بعده الغفران ، ثم يستاك ويغسل الكفين ثلاثاً قائلاً : بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، ثم يتمضمض ، ثم يستنشق بثلاث غرفٍ ناوياً بالكلِّ سنة الوضوء والطهارة من كل خُلُقٍ ذميمٍ ، ثم ينوي رفع الحدث أو نحوها ، ويغسل الوجه جميعه حتىٰ باطن الشعر يتعهده بالتعميم إلاَّ لحية الرجل وعارضيه إذا كثفن فيغسل ظاهرهما ، لـٰكن تخليلهما بالأصابع من أسفل فيه فضلٌ عظيمٌ ، فهـٰذان ؛ أي : النية مع غسل الوجه مرة للوضوء **ركنان** .

ثم الثالث : غسل اليدين مع المرفقين وما عليهما ، ويزيل كل مانعٍ حتىٰ ما تحت الأظفار ، ويسنُّ غسل العضد ، والتثليث في كل أفعال الوضوء ، والتيامن كما وردت به الأخبار .

الرابع : مسح شيءٍ من بشرة الرأس أو شعرةٍ في حده لمن أراد الاقتصار ، ويسن تعميمه ، ثم مسح الأذنين والصماخين بماءٍ جديدٍ ثلاثاً ورابعة علىٰ ظاهر الأذن بالراحة ؛ للاستظهار .

الخامس : غسل الرِّجلين مع الكعبين وما عليهما ، ويسنُّ التخليل وتبليغه إلى الركبتين ، ولا بأس بالأذكار .

السادس : الترتيب : كما ذكرنا لهـٰذه الأركان .

ويسن أن يقول بعده : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، ويقرأ (إنا أنزلناه) فقد وردت بذلك أخبارٌ حسان .

وتكره الاستعانة ، ونفض الماء ، والتنشيف ، والإسراف ، والوسوسة فللموسوسين شيطانٌ يقال له : الوَلَهان .

وينتقض الوضوء بكل خارجٍ من السبيلين غير المني ، وبتلاقي بشرتي ذكرٍ وأنثىٰ بِكِبَر وهو لها أجنبي ، وبمسِّ الفرج ببطن الكف من نفسه أو غيره إذا كان من آدمي ، وبزوال العقل إلاَّ نوم ممكن مقعدته بالمكان .

ويجب الغسل بالجماع ، وخروج المني ، والحيض والنفاس والولادة .

وفرضه اثنان : نية فرض الغسل أو نحوها ، وتعميم جميع البدن شعراً وبشراً وإن كثف حتىٰ ما تحت القلفة وأصمخة الآذان .

وتسن التسمية ، وإزالة القذر ، والوضوء كاملاً ، وتعهد المعاطف ، والتخليل والدلك ، والتثليث ؛ ليَكْمُل له الفضل ، ويحصل الاطمئنان .

وشرط المطهِّر من حدث وخبث : أن يكون مطلقاً ؛ بألاَّ يُسلَبَ اسمُه

بمخالطة طاهرٍ يستغني الماء عنه ؛ كزعفران ، وألاَّ يتغيَّر بنجسٍ ولو تغيُّراً يسيراً ، ويزيد في ماءٍ دون القلتين شرطان : بأن لا يلاقيه نجسٌ غير معفو عنه ، ولا استعمل في رفع حدث أو إزالة خبث ، والمتغير بالنجس والملاقي لها مع القلة نجسان .

ومن لم يجد الماء أو احتاجه للعطش أو كان يضره.. تيمم في الوجه واليدين إلى المرفقين ، بترابٍ طهورٍ ، له غبار ، بعد دخول الوقت وإزال النجاسة لكل فرضٍ ، بضربتينِ ، بنية استباحة فرض الصلاة ، مقرونة بالنقل وأول المسح ، ويرتب المسحين .

ويبطله ما أبطل الوضوء ، والرِّدَّة ، وتوهُّم الماءِ إن تيمم لفقده فضلاً عن الوجدان .

ويحرم بالحدث الأصغر الصلاة ، والطواف ، وحمل المصحف ومسُّه إلاَّ للصبي للدراسة من غير امتهان ، ويزيد ذو الأكبر بالمكث في المسجد ، وقراءة القرآن ، وتزيد الحائض والنفساء بحرمة مرور المسجد إن خافت تلويثه بالدم ككل ذي نجاسةٍ أو قَذَرٍ ، وبحرمة الصوم ، والطلاق فيه حتىٰ ينقطع أو يعبر الأكثر ، والاستمتاع بما بين السرة والركبة حتىٰ تطهر وتتطهر ، وتسقط عنها الصلاة ، ويجب قضاء رمضان .

ومن شروط الصلاة : الطهارة عن الحدثين كما مر ، وعن النجاسة غير المعفو عنها في الثوب والبدن والمكان ، فلا تصح صلاةُ من يلاقي بعضَ بدنه أو ثوبه أو محموله ـ وإن لم يتحرك بحركته ـ نجاسةٌ ولو في بعض الأركان .

ويعفىٰ عن دم البثرات والبراغيث ونيم الذباب .

ومن الشروط : ستر جميع بدن الحرة إلاَّ الوجه والكفين ، وستر الرجل والأمة ما بين السرة والركبتين من كل الجوانب والأعلىٰ ـ لا من أسفل ـ بما يستر لون البشرة عن عين الإنسان .

ويسن القميص والعمامة والرداء والبياض ، ويكره ذو الألوان وتحرم في

الحرير والمغصوب ، وما في ثمنه حرام ، وفي الأرض المغصوبة من غير بطلان .

ومن شروطها : استقبال عين القبلة بالصدر بيقينٍ أو غلبة ظن باجتهادٍ ، ودخول الوقت كذلك فلا تصح مع الهجوم وإن وافق المراد ؛ لأن العبرة في العبادات بما في نفس الأمر وبما فيه ظن المكلف من اعتقاد الصحة مع الانعقاد ، فإن صلىٰ بالاجتهاد وبان خلافه . . فقد اتضح فسادها الآن .

ومن شروطها : الإسلام ، والتمييز ، والعلم بفرضيتها ، وألاَّ يعتقد فرضاً من فروضها من المندوبات .

وتبطل الصلاة بالأفعال المتوالية الكثيرة ؛ كالثلاث الحركات ، وبالحركة للعب ، والضربة المفرِطة ، والوثبة الفاحشة ، وإن كن غير معتدات ، وبالنطق بالكلام عمداً بحرفينِ أو بحرفٍ مفهمٍ ، ويعذر في اليسير منه إن قرب عهده بالإسلام أو سبق إليه اللسان ، وبزيادة ركنٍ فعليٍّ عمداً ، وبالمفطِّر ، وبنية قطع الصلاة والتردد فيه وتعليقه ولو بالمتعذَّر ، وبالشك في النية مع مضي ركن أو طول زمان ، وبالأكل والشرب إلاَّ إن قَلَّ مع النسيان .

ويسن قبلها السواك ، وللرجُل الأذان والإقامة ، وللمرأة الإقامة دون الأذان .

وأركانها سبعة عشر بِعَدِّ الطمأنينة في محالها أربعة أركان :

الأول : نية الفعل ، ويعيِّن ذات السبب والوقت ، وينوي الفرض في الفرض ، ومحلها الجنان .

الثاني : أن يقول بحيث يسمع نفسه ككل ركنٍ قولي : (الله أكبر) وسُنَّ التلفظ بالنية ، والإضافة لله تعالىٰ ، وذكر الأداء والقضاء ، وتجب نية الاقتداء ، ونية القصر في السفر لمن قصر .

الثالث : القيام في الفرض لمن قدر ، وسُنَّ رفع اليدين عند الإحرام ، وعند الركوع ، والرفع منه ، ومن التشهد الأوّل كما هو مقرَّرٌ ، ثم وضع اليمنىٰ

على اليسرىٰ بين الصدر والسرة قائلاً : (الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً) أو غيره ممَّا هو في كتب الفقه مستوفى البيان .

الرابع : قراءة (الفاتحة) إلاَّ لمن سُبق ، بالبسملة والتشديدات ، وإخراج الحروف من مخارجها ، وموالاتها وترتيبها ، وعدم اللحن المخل بالمعان .

وسُنَّ الترتيل والتدبر ، و(آمين) بعدها والاستعاذة بالله قبلها من الشيطان ، وقراءة سورةٍ كاملة بعدها أو شيءٍ من القرآن ، والجهر في موضعه ، والسر كذلك ، ويكره العكس بل يحرم الجهر إن شوَّش على الجيران .

الخامس : الركوع ؛ بأن ينحني بحيث تنال راحتاه ركبتيه .

السادس : الطمأنينة فيه ، وسُنَّ نصب ساقيه ، وأخذ ركبتيه بيديه ، ومدُّ الظهر والعنق ، ومجافاة الرجُل يديه عن جنبيه ، وقوله : (سبحان ربي العظيم) وثلاثاً أفضل ، ويزيد نحو المنفرد في التسبيح وما ورد من أذكار فيه تغانماً لزمن الإمكان .

السابع : الاعتدال ؛ بأن ينتصب قائلاً ندباً : (سمع الله لمن حمده) ويكبر في غيره من كل انتقال .

الثامن : الطمأنينة فيه ، ويسنُّ أن يحمد فيه ذا الجلال ، فيقول : (ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيءٍ بعد) ولا يطوله ولا الجلوس بين السجدتين ؛ لأنهما قصيران ، ويقنت في اعتدال ثانية الصبح ، وفي آخرة الوتر من النصف الأخير من رمضان .

التاسع : السجود مرتين ؛ بأن يضع جبهته علىٰ مصلاه متثاقلاً بها مكشوفة لا علىٰ متحركٍ بحركته إلاَّ شيئاً في يده ، وينكس أسافله علىٰ أعلاه ، ويضع شيئاً من بطن أصابع رجليه وشيئاً من ركبتيه ومن بطون كفيه ، ولا يقصد به سواه .

العاشر : الطمأنينة فيه ؛ وهي السكون بقدر (سبحان الله) من الزمان ، وسُنَّ وضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه ، ويجافي الرَّجل يديه عن جنبيه ،

ويُقِلُّ بطنه عن فخذيه ، وتضم المرأة بعضها إلىٰ بعضٍ ، والكفين حذو المنكبين يوضعان ، ويضم أصابعهما ، ويستقبل بهما القبلة ، ويُفرِّج بين ركبتيه وقدميه نحو شبر ، وينصب القدمين وعن ذيله يبرزان ، ويقول : (سبحان ربي الأعلىٰ) وثلاثاً أفضل ، ويزيد المنفرد في التسبيح : (اللهم ؛ لك سجدت . . . إلىٰ آخره) ويدعو بما شاء ، والوارد أكمل ، ويجلس للاستراحة بعد ثاني سجدةٍ يقوم عنها ، ويعتمد في القيام علىٰ يديه كالكسلان ، ويتشهد بعد الركعة الثانية من ثلاثية ورباعية ، ولا تتهاون بالسنن ؛ فما نال الخيرَ ذو هوان .

الحادي عشر : الجلوس بين السجدتين بأن ينتصب جالساً من غير صارفٍ ثان .

الثاني عشر : الطمأنينة فيه علىٰ ما سبق فيها من البيان ، وسُنَّ أن يقول : (ربِّ ؛ اغفرلي وارحمني ، واجبرني وارفعني ، وارزقني واهدني ، وعافني) وإن زاد (واعف عني) . . فقد زاده بعض الأعيان ، وأن يجلس مفترشاً كبقية جلسات الصلاة غير الأخيرة التي يعقبها الختام ، وأن يضع يديه علىٰ فخذيه قريباً من ركبتيه وأصابعهما منشورة مع انضمام .

الثالث عشر : الجلوس للتشهد الأخير وما بعده إلى السلام .

الرابع عشر : التشهد الأخير ، ولفظه الواجب معروفٌ ، فلا يجوز فيه إبدال ولا إخلال بموالاته ، ولا تخفيف مشدَّد ، ولا لحن يغير المعنىٰ ، ولا نقصان ، وسُنَّ أن يأتي بأكمله بأن يقول : (التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) كما هو في الأحاديث الصحيحة والحسان ، وأن يجلس فيه متوركاً واضعاً يديه علىٰ فخذيه قريباً من ركبتيه ناشراً أصابع اليسرىٰ ضاماً لها كما هو وظيفتها في كل جلسات الصلاة كيفما كان .

ويقبض أصابع اليمنىٰ غير المسبحة فيرسلها ، ويضع الإبهام تحتها إذا جلس للتشهد الأول أو الأخير لا غيرهما ـ فكن للعلم ذا عملٍ واتقان ـ ويشير بمسبحتها عند قوله : (إلا الله) وينظر إليها ولا يحركها ؛ إشارة لتوحيد الملك المنان ، وإيقاظاً للجَنان .

الخامس عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقلها : (اللهم ؛ صلِّ علىٰ محمدٍ) وسُنَّ أن يصلي بالإبراهيمية العظيمة الشان ، ويدعو بعدها بأوراد عن سيد ولد عدنان ، ومثل : (اللهم ؛ إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن شر فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال ، اللهم ؛ إني أعوذ بك من المأثم والمغرم) وغير ذلك ؛ فلا يترك سؤال ربه إلاَّ ذو حرمان .

ويسنُّ سجود السهو لمن ترك بعضاً كتشهدٍ أوَّلٍ ، وقنوت الصبح ، وقنوت وتر النصف الأخير من رمضان ، ولمن فعل ما يُبطِل عمده لا سهوه سهواً ، أو فَعَلَ ركناً فعلياً مع التردد في زيادته ، أو نقل القولي إلىٰ غير محله ، وهو قُبيل السلام بنيته سجدتان .

السادس عشر : السلام ، وأقلُّه : (السلام عليكم) ، وأكمله : (السلام عليكم ورحمة الله) مرتان .

وسُنَّ أن يلتفت في الأولىٰ يمنةً ، وفي الثانية يسرةً ، وينوي بهما الملائكة ومن علىٰ يمينه ويساره من مؤمني إنسٍ وجان ، وينوي التحلُّل بالسلام من الصلاة ؛ فإن السلام ختامها ، وقد خرج منها الآن .

السابع عشر : ترتيبها ؛ فإن تعمَّد تَرْكَه بتقديم ركنٍ فعليٍّ علىٰ غيره . . فقد وقع في البطلان ، وإن سها . . فليعد إليه إلاَّ أن يكون في مثله أو فيما بعد مثله فتتم به ركعته ويلغىٰ ما أتىٰ به مع النسيان .

وسر الصلاة وروحها الحضور والخشوع ، والإخلاص والتعظيم ، والهيبة والحياء ، ورؤية المنة لله في ذلك ، وشهود التقصير في كل شان .

وسُنَّ أن يستغفر الله بعدها ثلاثاً ، ويسبح ويحمد ويكبر من كلٍّ ثلاثاً وثلاثين ، ويعقد عليها بأنامل البنان ، ويكمل المئة بـ(لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير) ورتِّلها بتأنٍ ، ولا تكن عن فعل الخير ذا توانٍ ، واقرأ (الفاتحة) وأوّل (البقرة) إلىٰ ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، و﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ إلىٰ آخرها ، وآية الكرسي فلا يمنع قارئها بعد كل فرض إلاَّ الموت من دخول الجنان ، واقرأ (الإخلاص) عشراً و(المعوّذتين) مرة مرة ، وكن للخير من الخُزَّان ؛ والدعاء بعد فريضة الصلاة من مواطن الإجابة ، فينبغي أن يعتني به كل إنسان ، فيدعو بالوارد بعدها وبالجوامع الكوامل الشاملة لما يكل عن وصفه كل إنسان ؛ وليواظب على الرواتب القبلية والبعدية والوتر وإحياء ما بين العشاءين بصلاةٍ أو علمٍ أو ذكرٍ أو قرآن .

وليحذر كل الحذر من تضييع الجمعة والجماعة ؛ فإن ذلك دليلٌ علىٰ قلة الإيمان ؛ وقد ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من التهديد والتشديد في تركهما ما يَفْرَق لهوله كل جنان .

واعلم رحمك الله : أن المصيبة كل المصيبة عدم الميل إلى الخير وإلىٰ أهله وإلى الإصغاء إلى النصيحة بالقلوب والآذان ، حتىٰ طُبِع على القلوب وخُتِم عليها وران عليها ما ران ، فترىٰ أحدهم يشبُّ ويشيب ولا يتعلم من أمر دينه شيئاً ، وإن أُلقي إليه شيءٌ من ذلك . . استخفَّ به واستهان ، فتعلموا رحمكم الله وعلِّموا ، وقُوا أنفسكم وأهليكم ناراً ، وارحموهم ؛ فالراحمون يرحمهم الرحمـٰن ؛ وذلك بإرشادهم إلىٰ سبيل نجاتهم والأخذ علىٰ أيديهم عن أسباب الهلاك والخسران .

اللهم ؛ إنا نسألك يا كريم يا حنان ، يا متفضل يا منان ، ياذا الجود والامتنان ؛ أن تختم لنا بالإسلام والإيمان ، وأن تعاملنا بالفضل والإحسان ، وأن تقابلنا بالعفو والغفران ، وأن تحفظنا من العذاب والنيران ، وأن تسكننا بفضلك أعلىٰ فراديس الجنان .

ربنا ؛ اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربىٰ ، وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظم لعلكم تذكرون ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

قال المؤلف رحمه الله : فُرِغ من إملائها بكرة الأربعاء (٢٦) شهر القعدة ، سنة (١٢٤٢هـ) ألف ومئتين واثنين وأربعين هجرية .

* * *

الرسالة الثامنة عشرة

نصيحة المسلمين باتباع شريعة سيد المرسلين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يحصل به المراد ، ويَصلُح به الفؤاد ، ويأمن به البلاد والعباد ، ونَسعد به في الدنيا والمعاد ، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له المتفضلُ بالإيجاد والإمداد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الماحي للكفر والفساد ، صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه الأمجاد .

أما بعد :

فهـٰذه نصيحة للمسلمين ، **اعلموا** : أن الله سبحانه وتعالىٰ فرض عليكم فرائض فلا تضيعوها ، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرَّم عليكم أشياء فلا ترتكبوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم فلا تبحثوا عنها ، وشرع لكم شريعة بيضاء نقية سمحاء سوية ، ليس فيها حرج ولا عسر ولا ضيق ولا إصر ، ليلها كنهارها ، واضحة جلية ، وجعل الأمان والفرج والسرور والبركة والعافية وخير الدنيا والآخرة كلَّه في تقوى الله وطاعته .

وجعل الهموم والغموم ، والأكدار والفتن والمحن ، والفقر والبلاء ، وشر الدنيا والآخرة كلَّه في مخالفة الله ومعصيته ، قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ .

ولا يقدر الإنسان أن يقي نفسه النار ويقي أهله منها إلا بتعلُّم العلم له

ولأهله ، والعمل به وهو اتباع الشريعة أمراً ونهياً ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضةٌ علىٰ كل مسلمٍ » .

فعليك رحمك الله بطلب العلم والعمل به ؛ وهو : اتباع الشريعة المطهرة المكرمة المعظمة ؛ وهي الصراط المستقيم ، والدين القويم ، وهي اتباع الكتاب والسنة ، فليقتد بها الإنسان في ظاهره وباطنه ، وحركاته وسكناته ، وأفعاله وأقواله ، وعاداته وعباداته ، ومخالطته وخلوته ، وأخذه وعطائه ، وإقدامه وإحجامه ، وقطعه ومواصلته ، وإقامته ورحلته .

وبالجملة : فليجعل هواه تبعاً للكتاب والسنة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ * فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بني إسرائيل تفرّقت على اثنتين وسبعين ملة ، وإن أمتي ستفترق علىٰ ثلاثٍ وسبعين ملة ، كلها في النار إلاّ ملة واحدة » ، قالوا : من هي ؟ قال : « من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي » أخرجه في « تيسير الأصول » .

ومنه : قال صلى الله عليه وسلم : « أما إنها ستكون فتنة » ، قيل : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . . . » إلىٰ آخر الحديث .

ومنه : قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير » .

ومنه : قال صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه

ويده ، والمؤمن من أمنه الناس علىٰ دمائهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

ومنه : قال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « ألا أي شهر تعلمونه أعظمَ حرمة ؟ » قالوا : ألا شهرنا هـٰذا ، قال : « ألا أي بلدٍ تعلمونه أعظم حرمة ؟ » قالوا : ألا بلدنا هـٰذا ، قال : « ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة ؟ » قالوا : ألا يومنا هـٰذا ، قال : « فإن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلاَّ بحقها كحرمة يومكم هـٰذا ، في بلدكم هـٰذا ، في شهركم هـٰذا ، ألا هل بلغت ؟ » ثلاثاً كل ذلك يجيبونه : ألا نعم ، قال : « ويحكم ـ أو ويلكم ـ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب » انتهىٰ من « تيسير الأصول » من محال .

والكتاب والسنة مملوءان بأحكام الشريعة ، وبالوعد والترغيب لمن قام بها ، وبالوعيد الشديد والترهيب لمن زاغ عنها ، وإذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم نَسَخَتْ شرائع النبيين والمرسلين . . كيف لا تنسخ الباطل وأحكام الجاهلية وإبليس اللعين ؟!

قال الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه رحمه الله تعالىٰ :

فيا عجباً من كونِ كل قبيلة ... تشدد حكم الجاهلية والكفرِ
ومن كون أربابِ القنيص وزمرةِ الـ ... ـعبيد لهم حكم يُمَشَّىٰ بلا عذر
وأحكام شرع الله مطروحة بلا ... مَلامٍ علىٰ من زاغ عنها ولا نُكْرِ

فعلىٰ من أراد نجاة نفسه من عذاب الدنيا والآخرة . . أن يكلف نفسه العمل بأحكام الشريعة فعلاً وتركاً ؛ فلا يسامح نفسه بإهمال سننها وآدابها فضلاً عن واجباتها ولوازمها ، ولا يرتكب المكروه وخلاف الأَولىٰ فضلاً عن المحرمات والمحظورات .

والإنسان ليس معصوماً ولـٰكن إذا وقع في معصيةٍ . . وجبت عليه التوبة فوراً ؛ وهي : الندم ، والإقلاع ، والعزم علىٰ ألاَّ يعود ، والقضاء إن كان ممَّا

يُقضَىٰ ، وردُّ المظالم ، وإرضاء الخصوم إن تعلَّقت بآدميٍّ ، ومن عمل صالحاً . . فلنفسه ، ومن أساء . . فعليها ، ومن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً . . يره ، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً . . يره .

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في « تائيته الكبرىٰ » بعد أن ذكر مقامات الأولياء :

وكل علىٰ نهج السبيل السويِّ لن ... يخالف أمراً آخذاً بالشريعةِ
فإن الذي لا يَتْبع الشرع مطلقاً ... علىٰ كل حالٍ عبدُ نفسٍ وشهوةِ
صريعُ هوًى يبكىٰ عليه لأنه ... هو الميْت ليس المَيْت مَيْتَ الطبيعةِ
وما في طريق القوم بدءاً ولا انتها ... مخالفة للشرع فاسمعْ وأَنصتِ
وخلِّ مقالات الذين تخبطوا ... ولا تكُ إلاَّ معْ كتابٍ وسنةِ
فثم الهدىٰ والنور والأمن من ردىٰ ... ومن بدعة تخشىٰ وزيغ وفتنةِ
ومتبعو حكمِ الكتاب وسنةٍ ... هم المفلحون الفائزون بجنةِ
عليهم من الرحمـٰن رضوانه الذي ... هو النعمة العظمىٰ وأكبر منةِ
ومن حاد عن حكمِ الكتاب وسنةٍ ... فبشره في الدنيا بخزي وذلةِ
وبشره في العقبىٰ بسكنىٰ جهنمٍ ... وحرمان جنات الخلود ورؤيةِ

انتهى

واعلم : أن الشريعة تشمل شرائع الإسلام التي أولَّها : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وكذلك الصلوات الخمس ، والزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، والكسب الحلال ، وحرمة المسلم ، وغير ذلك من شعب الإيمان التي أدناها : إماطة الأذىٰ عن الطريق ، وهـٰذه لها ارتباطٌ بعضها ببعض ، ومعلوم أنها تنعدم بعدم الإيمان بالله ورسله .

ووردت أحاديث كثيرة صحيحة بنفي الإسلام بتخلُّف بعض شرائع الإسلام ، وأوَّلَها العلماء الأعلام وقيَّدوها بقيودٍ ، ولـٰكن لا يخفىٰ على

المشفق علىٰ دينه والخائف علىٰ إسلامه ويقينه من أن يكون ذلك سبباً لسوء الخاتمة ، أو الطَبع على القلوب ، أو غير ذلك من موجبات السخط ـ والعياذ بالله ـ فمن ذلك قوله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ومن ذلك : قوله صلى الله عليه وسلم في ترك الصلاة : « الصلاة عماد الدِّين ، فمن تركها . . فقد هدم الدين » وغير ذلك من الأحاديث .

وفي منع الزكاة : ما روي عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه من تسميتهم أهل الردة .

وفي عدم الحج الحديث المشهور الذي قال في آخره : « فليمت يهودياً أو نصرانياً » .

وفي كسب الحرام : « منِ اشترىٰ ثوباً بعشرة دراهم ، وفي ثمنه درهمٌ حرامٌ . . لم تقبل له صلاة ما دام عليه منه رقعة » .

وفي آخر : ذكر : « الرجل يُطيل السفر ، أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء : يا ربِّ يا ربِّ ؛ ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذي بالحرام ؛ فأنىٰ يستجاب له ؟! » .

وورد في حرمة المسلم : قوله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » قالوا : من ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ؛ لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا » والمقصود : الإشارة إلىٰ أن الدين كالجسد الواحد ؛ حتىٰ إنه ورد في إطلاق اللسان في الكلام الذي لا يراه بعضُ الناس معصيةً ـ فضلاً عن كونه موجباً للخلود في النار ـ ما يوجب الخوف من ذلك ؛

قال حذيفة رضي الله عنه : (كان الرجل يتكلَّم بالكلمة علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقاً إلىٰ أن يموت ، وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات!!) ذكره في « الإحياء » .

هٰذا في المقال ، فكيف حال من غير الأعمال والأحكام، وإنا لله وإنا إليه راجعون ؟!

فنسأل الله تعالىٰ أن يحفظ علينا الإسلام والإيمان ؛ إنه الكريم المنان ، ومن يرد الله به خيراً . . يفقهه في الدِّين ، ، ويلهمه رشده ، ومن يرد الله إضلاله . . فلن تملك له سبيلاً .

اللهم ؛ اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولَّنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا شر ما قضيت .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، سبحان ربك رب العزة عمَّا يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

الرسالة التاسعة عشرة
مكاتبة من المؤلف نصيحة للقبائل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

من الفقير إلىٰ ربه عبد الله بن الحسين بن طاهر إلىٰ كافة القبائل الذين نحونا .

أما بعد :

فـإن الله سبحـانـه وتعـالـىٰ أخـذ الميثـاق علـى العلمـاء أن يبينـوه للنـاس ولا يكتمونه ، وأن يأمروا بالمعروف وينهَوا عن المنكر من قدر علىٰ ذلك بيده ، وإلاَّ . . فبلسانه ، وإلاَّ . . فبقلبه وذلك أضعف الإيمان .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم : « إن الدين النصيحة » ، ولا يستكمل عبدٌ حقيقة الإيمان حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ونحن بحمد الله نحبُّ الخير لأنفسنا وللمسلمين ، ونكره الشرَّ لأنفسنا وللمسلمين ، والذي أنتم عليه و فيه محضُ الشرِّ وعين الشر ، ولا نرضاه لكم ولا نحبه لكم ، فإنه ـ والله ـ الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ولـٰكنه حالقة الدِّين والحال والمال ، والنسل والعيال ، وفيه النار والعار ، والخسر والبوار ، فتفكروا وتدبروا وتداركوا أنفسكم قبل الحسرة والندامة حين لا تنفع الندامة ؛ فإن شر الندامة ندامة يوم القيامة ، ولا تظنوا أن القيامة بعيدة ؛ فإن من مات . . فقد قامت قيامته ، والموت من كل إنسان قريب ، فكم قد عاينتم من إنسانٍ يصبح صحيحاً

سليماً ، ولا يأتي الظهرُ إلاَّ وقد لُحِدَ في قبره ؟!

أفترونه إذ ذاك يتحسَّر علىٰ تضييع الصلوات والأعمال الصالحات ، أم ترونه يتحسَّر علىٰ أنه لم يستكثر من هٰذه المنكرات ؟!

لا والله ؛ بل يقول : ياليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ، ويقول : لولا أخرتني إلىٰ أجلٍ قريبٍ فأصدق وأكن من الصالحين ؛ فكفوا شركم عن المسلمين ، وكفوا ضركم وأذاكم عنهم .

إذا ما قدرتم تنفعون المسلمين . . فلا تضروهم ، وإذا ما قدرتم تفرِّحونهم . . فلا تغموهم ، وإذا ما قدرتم تتصدّقون عليهم وتحسنوا إليهم . . فلا تنهبوا أموالهم ، وتعطلوا أسبابهم ، وإذا ما قدرتم علىٰ كسب الحسنات . . فلا تفعلوا السيئات ، وإذا ما قدرتم تفعلون الخير . . فلا تفعلوا الشر ، وإذا ما قدرتم علىٰ فعل الخير كله . . فلا تفعلوا الشرَّ كله .

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ : أن كل ما تفعلونه من تفويت مال مسلم أو أذىً في الحال أو تمزيق في عرضه . . فإن ضرر ذلك راجعٌ إليكم في الدنيا والآخرة ، وليس ينقصه ذلك شيئاً بل هو زيادة له وحسنات وكفارات ، ويخلف الله عليه ، وأنتم ليس ينفعكم شيءٌ ، وهو وبالٌ عليكم في دينكم وحالكم ومالكم ، وسوف يذهب ويذهب معه أمثاله ، ومع ذلك أنتم آثمون ومؤاخذون به في الدنيا والآخرة ، ومُبغَضون عند الله وعند الصالحين من عباده .

فارحموا أنفسكم من هلاك الدنيا والآخرة ، ولا ترضَوا لأنفسكم بهٰذه الأمور التي لا تُرضي الله ورسوله ولا يرضاها مؤمنٌ لنفسه ولا لغيره .

ارحموا عيالكم ، ارحموا من هو تبعٌ لكم ، تدخلوهم نار الدنيا ونار الآخرة ، لا تؤبدوهم في العذاب ، لا تخلدوهم في العقاب ، لا تربوهم علىٰ شر الآداب ؛ فيكون عليكم عذابكم وعذاب كل من عمل بعملكم إلىٰ يوم القيامة من غير أن ينقص من عذابهم شيء ، فطوبىٰ لمن مات وماتت معه ذنوبه فاستمعوا لهٰذه النصيحة ، ولا تقولوا : إنَّ تَرْكَ ما نحن فيه فضيحة ؛ فإنكم ـ

والله ـ في عين العار والفضيحة ؛ لأن ما أنتم فيه وعليه موجب لغضب الجبار ، ومسخط لله الواحد القهار ، ومستحق لعذاب النار ، فهل بعد هٰذا من عار ؟! ولٰكنها لا تعمى الأبصار ولٰكن تعمى القلوب التي في الصدور .

والأعمىٰ واجبٌ عليه أن يقول : يا أهل الخير ؛ دلوني على الطريق ، يا أهل الخير ؛ خذوا بيدي ، يا أهل الخير قودوني ، ولا يبقىٰ يسير حتىٰ يقع في بئر أو في نار السعير .

وأنتم إذا أعمى الله بصيرتكم عن معرفة القبيح من المليح . . فاسألوا من لا تتهمونه في النصيحة من أهل الخير عمَّا ينجيكم ، ويرشدكم ويصلحكم في دينكم ودنياكم ، وحالكم ومآلكم ؛ فإنه واجبٌ عليكم أن تطلبوا ذلك ولو بالسفر إلى الصين ، فكيف ؛ وقد جعل الله العلماء وأهل الخير قريباً منكم فأي عذرٍ لكم عند الله في ارتكابكم هٰذه المحرمات ، وتجرُّئِكم علىٰ هٰذه المنكرات ، وقد كتبنا إليكم هٰذه الكلمات عَيِّنَةً لبعض ما عندنا ؛ فإن قد قبلت عندكم ونفقت عليكم وطلبتم في غيرها ومرادكم العمل بنصيحتنا . . فالفضل لله ثم لكم ، وواجبٌ علينا النصيحة ، وإِلاَّ . . فقد خرجنا من عذركم ، وحسبكم الله .

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

وتاريخ جمعها في (٢٦) شهر رجب سنة (١٢٤٤هـ) ألف ومئتين وأربع وأربعين هجرية .

* * *

الرسالة العشرون
صلة الأهل والأقربين بتعليم الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم والتابعين .

أما بعد :

فهـٰذه صلة الأهل والأقربين بتعليم الدين ، يجب على الآباء والأمهات ، والأولياء والولاة : تعليم أولادهم وأهلهم ، وعبيدهم وكل من لهم عليه ولاية ما يجب عليهم ؛ كالإيمان والصلاة ، والزكاة والصيام ، والحج ، وأمرُهم بذلك .

ويعلمونهم تحريم المحرمات ؛ كالزنا واللواط وكشف العورة ، والسرقة والخيانة والكذب ، والغيبة والنميمة ، والكبر والحسد والرياء ، ونحو ذلك .

وينهَونهم عن ذلك ؛ فإن أهملوا ذلك . . فقد غشوهم وخانوهم وظلموهم .

قال في « الإحياء » : (يقال : إن أول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة أهله وولده ، فيوقفونه بين يدي الله تعالىٰ فيقولون : يا ربنا ؛ خذ لنا بحقنا منه ، فإنه ما علَّمنا ما نجهل ، وكان يطعمنا الحرام ، ونحن لا نعلم فيقتص الله لهم منه ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يلقى اللهَ أحد بذنب أعظمَ من جهالة أهله » .

وعن علقمة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مـا بـال أقـوامٍ لا يفقِّهـون جيـرانهـم ، ولا يعلمـونهـم ولا يعظـونهـم ، ولا يأمرونهم ولا ينهَونهم ، وما بال أقوامٍ لا يتعلَّمون من جيرانهم ، ولا يتفقهـون ولا يتعظـون ، والله ؛ ليعلمُـنَّ قـومٌ جيـرانهـم ويُفقهـونهـم ويعظونهم ، ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمُنَّ قومٌ من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون . . أو لأعاجلنَّهم بالعقوبة في دار الدنيا » أخرجه البخاري في الوجدان وابن السكن وغيرهما .

وإذا كان هٰذا في الجار مع الجار . . فكيف بأهل الدار مع أهل الدار ؟!

فيجب عليهم أن يعلموهم من العقيدة أن الله واحدٌ لا شريك له ، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأن رسوله صلى الله عليه وسلم صادقٌ فيما أخبر به .

ويعلموهم اتباع سنة السلف رضي الله عنهم ، والإيمان بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحثٍ وتفتيشٍ وسؤالٍ عن تفصيل ، بل يقولوا : آمنا وصدَّقنا .

ويشغلوهم بالتقوىٰ ، واجتناب المعاصي ، وأداء الطاعات ، والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال الصالحة .

وأما الصلاة. . فيعلمونهم أنها فرضٌ يكفر جاحدها ويقتل إن لم يتب مرتداً ، وتاركها كسلاً يقتل إن لم يتب حداً .

ويؤمر بها الصبي والصبية بعد سبع سنين إذا ميَّزا ، ويُضرَبان علىٰ تركها بعد عشر سنين .

ولها أحكامٌ كثيرةٌ واجبةٌ ومندوبةٌ ؛ منها : تجنُّب النجاسة في البدن والثوب ، والمحمول والمكان ؛ كالأرواث والأبوال والدماء ، والمسكر المائع ، والكلب والخنزير ، والميتات إلاَّ ميتة الآدمي والسمك والجراد ، فيجب غسل ما أصابه منها إلاَّ أن يكون شيء يُعفىٰ عنه مثل دمِ جرحه ودمِ نحو البراغيث ، وونيم الذباب وإن كثر ، فلا يجب غسله .

وغسلها وغسل الأحداث يكون بماءٍ طهورٍ ؛ بألاَّ يخالطه شيء يستغنىٰ عنه فيسلب اسمه أو يتغيَّر طعمه أو لونه أو ريحه بنجسٍ ولو يسيراً ، أو يلاقيه نجسٌ وهو دون القُلَّتين إلاَّ أن يكون شيء يعفىٰ عنه مثل ميتة لا دم لها سائل لم تطرح ولم تغيِّر ، أو يكون دون القلتين وقد استعمل في رفع حدث أو نجس .

ويجب الاستنجاء من كل رطبٍ خارجٍ من السبيلين بالحجر أو نحوه بشروطه أو بالماء .

ويحرم استقبال القبلة واستدبارها ببولٍ أو غائط إلاَّ أن يكون بينه وبينها حائل ثلثا ذراع فأكثر ، لم يبعد عنه بأكثر من ثلاثة أذرع ؛ فإن كان . . كره إلاَّ أن يكون مُعدّاً لذلك .

ولا بد في غسل النجاسة من جري الماء على المحل المتنجس وروده إن كان دون القلتين ، وإزالة الطعم واللون والريح إن كان شيء من ذلك ، وست غسلات بعد ذلك إن كانت كلبيةً مع مزج إحداهنَّ بترابٍ طهورٍ .

ويسنُّ الدلك والتثليث من غير وسوسة ، ولا يطهر المائع إذا تنجَّس .

ويجب للصلاة الوضوء ؛ وهو : أن ينوي الطهارة للصلاة ، أو رفع الحدث بقلبه ، ويغسل وجهه جميعه من منابت شعر رأسه إلىٰ منتهىٰ ذَقَنه ؛ وهو : ما بين أذنيه شعراً وبشراً إلاَّ باطن لحية الرجل وعارضيه إذا كثفن ، ويجب غسل ما تحت الرمص أو نحوه إن كان ، وكذا من سائر الأعضاء .

ثم يغسل يديه مع مرفقيه ، ثم يمسح شيئاً من رأسه أو من شعره الذي لا يخرج بالمدِّ عن حدِّه ، ثم يغسل رجليه مع كعبيه ويرتبه هٰكذا .

وله سننٌ كثيرة ؛ منها : السواك ، والبسملة ولو في أثنائه ، وغسل الكفين ، والمضمضة والاستنشاق قبله ، والمبالغة فيهما لمُفْطرٍ ، وإطالة الغرة والتحجيل ، ومسح كل الرأس والأذنين ، والتخليل ، والتثليث ، والدلك للكل ، والموالاة ، والشهادتان بعده ، وركعتان .

وإن كان عليه غُسل من جماعٍ أو خروج منيٍّ أوِ انقطاع حيضٍ أو نفاسٍ أو ولادةٍ . . وجب غسل جميع البدن مع النية لرفع ذلك ، وسُنَّ له الوضوء ، وإزالة القذر ، وتعهد المعاطف ، والتثليث ، والدلك ، والتسمية ، والشهادتان بعده .

وينقض الوضوءَ ما خرج من أحد السبيلين ، والنوم لا ممكن مقعده ، وزوال العقل ، ومس فرج الآدمي ودبره ببطن الكف ، وتلاقي بدن لرجل وامرأة إلاَّ المَحْرَم والصغير والشعر والسن والظفر .

ويُسنُّ الوضوء من الفصد والحجامة والرعاف ، والنوم ممكِّناً ، ومن أكل لحم الجزور .

ومن انتقض وضوؤه . . حرم عليه الصلاة ، والطواف ، وحمل المصحف ومسه ، ويزيد على الجنب اللبث في المسجد ، وقراءة القرآن ، ويزيد على الحائض الصوم ، واستمتاع الزوج بما بين سرتها وركبتها .

ووقت إمكانه بعد تسع سنين ، وأقله يوم وليلة ، وغالبه ستٌّ أو سبعٌ ، وأكثره خمسةَ عشر يوماً ، وأقل طهرٍ بين الحيضتين خمسةَ عشر يوماً .

وأقل النفاس لحظة ، وغالبه أربعون يوماً ، وأكثره ستون ، ويحرم به ما يحرم بالحيض ، فإن طرأ وقد مضىٰ من وقت الصلاة ما يسعها . . وجب قضاؤها ، وإن زال وقد بقي من وقت الصلاة ولو قدرَ تكبيرة . . وجبت تلك وكذا ما قبلها إن كانت ظهراً أو مغرباً .

وتقديم الصلاة علىٰ وقتها وتأخيرها عنه بغير عذرٍ من الكبائر .

ووقت الظهر إذا زالت الشمس إلىٰ مصير ظل كل شيءٍ مثله غير ظل الاستواء ، ثم بعده العصر إلىٰ مغيب الشمس ، ثم بعده المغرب إلىٰ مغيب الشفق الأحمر ، ثم بعده العشاء إلىٰ طلوع الفجر الصادق المنتشر عرضاً ، ثم بعده الصبح إلىٰ طلوع الشمس .

وأفضل الأعمال المبادرة بالصلاة في أول وقتها ، ويجب استقبال القبلة ،

وستر ما بين السرة والركبة من أعلى الجوانب للذكر والأمة ، وجميع بدن الحرة إلاَّ الوجه والكفين .

ويجب تجنب مبطلاتها ؛ وهي الكلام ولو حرفين أو حرفاً مفهماً ، والفعل الكثير كثلاث حركات وِلاءً ، وزيادة ركن فعليّ عمداً ، وأكل ما يفطِّر الصائم ، والأكل الكثير مطلقاً ، ونية قطعها والتردد فيه ، ولا تبطل بالكلام القليل سهواً أو غلبة .

وأركانها ثلاثة عشر : **الأول** : نيته بقلبه فعل الصلاة ، فإن كانت ذات وقت أو سببٍ . . عيَّنها ، وإن كانت فرضاً . نواه .

وسُنَّ التلفظُ بها ، والإضافة لله تعالىٰ ، وعدد الركعات ، والأداء والقضاء ، والأذان والإقامة ، والسواك قبل ذلك .

الثاني : تكبيرة الإحرام والنية حاضرة معها ، وسُنَّ رفع اليدين حذاء شحمة الأذنين مع التكبيرة .

الثالث : القيام في الفرض إن قدر ، وإلاَّ . . فيقعد ، وإلاَّ . . فعلىٰ جنبه ، وإلاَّ . . فعلىٰ قفاه ورجلاه إلى القبلة ، ويُرفع رأسه بشيءٍ إن أمكن ليستقبل به ، ويتم الركوع والسجود إن قدر ، وإلاَّ . . فيومِئُ بهما برأسه ، وإلاَّ . . فبطرفه ، وإلاَّ . . فبقلبه .

الرابع : قراءة (الفاتحة) وسُنَّ قبلها دعاء الاستفتاح في أول ركعة ، والتعوذ كل ركعة ، وبعدها (آمين) وقراءة شيءٍ من القرآن وسورة أفضل ، والجهر في موضعه .

الخامس : الركوع بحيث تصل راحتاه ركبتيه ، ويسنُّ أخذهما بهما ، ومد ظهره وعنقه كالصفيحة الواحدة ، ويقول : (سبحان ربي العظيم) ثلاثاً .

السادس : الاعتدال إلىٰ أن يعود إلىٰ ما كان عليه قبله ، ويسن أن يرفع يديه لهُوِيِّهِ للركوع مكبراً ولرفعه منه قائلاً : (سمع الله لمن حمده) فإذا اعتدل . .

قال : (ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد) .

السابع : السجود مرتينِ علىٰ بعض جبهته مكشوفاً ، علىٰ غير متصل به يتحرك بحركته ، مع التثاقل والتنكيس ، وعلىٰ بعض بطن يديه وأصابع رجليه وركبتيه ، وسُنَّ وضع أنفه والتخوية والمجافاة للرجل ، ويقول : (سبحان ربي الأعلىٰ) ثلاثاً .

الثامن : الجلوس بين السجدتين ، ولا بد من الطمأنينة في هـٰذه الأربعة ، وسُنَّ أن يقول : (رب اغفر لي وارحمني ، واجبرني وارفعني ، وارزقني واهدني ، وعافني واعفُ عنِّي) .

التاسع : التشهد الأخير .

العاشر : القعود فيه .

الحادي عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعده .

الثاني عشر : السلام ، أقله (السلام عليكم) وسُنَّ زيادة (ورحمة الله) وتسليمة ثانية .

الثالث عشر : الترتيب كما ذكرناه ، فلو خالف . . لم تصح .

ويُسنُّ التشهد الأول في غير الصبح ، والقنوت فيه ، والتكبير للانتقالات ، ونظره موضع سجوده ، وقبض اليمين علىٰ كوع اليسار في قيامه ، وجلسة الاستراحة ، والافتراش في كل جلسةٍ إلاَّ للتشهد الأخير فيتورك ، ووضع اليدين قريباً من الركبتين مبسوطة مضمومة ، ويقبض في التشهدين ما سوى المسبحة من اليمنىٰ ويضم الإبهام إليها ، وأن يصلي إلىٰ شاخصٍ أقله ثلثا ذراعٍ لا يبعد عنه أكثر من ثلاثة أذرع ، فإن لم يجد . . بسط مصلىٰ ، ويحرم المرور حينئذٍ بين يديه .

ويسن الخشوع وحضور القلب وهو لبُّ الصلاة وسرها ، وأن يصلي أول الوقت وفي جماعة ، والدعاء في آخرها وبعدها .

ويكره فيها الالتفات ، والنظر إلى السماء أو إلىٰ شيءٍ يلهيه ، ومع مضايقة الحدث ، وتوقان الطعام .

ومن شكَّ في عدد الركعات . . أخذ بالأقل ، أو في فعل ركن . . أتىٰ به وسجد للسهو إلاَّ أن يكون قولياً .

وأما الزكاة . . فهي ركنٌ من أركان الإسلام ، يكفر جاحدها ، ولا تجب إلاَّ في الإبل والبقر والغنم ، والذهب والفضة ، والتجارة بشرط النِّصاب والحول إلاَّ ما حصل من ركازٍ أو معدنٍ فلا يشترط فيه الحول .

وتجب في التمر والعنب والحبوب التي تُقتات حالة الاختيار إذا كانت مئة قهاول بالمدِّ الشرعي .

وواجبها العشر إن سُقي بغير مؤنة ، وإلاَّ . . فنصف العشر ، يصرفه لمن وُجِد من الأصناف الثمانية مع نية الزكاة بعد إفرازها وقبل التفرقة .

وتجب زكاة الفطر ـ وهي أربعة أمداد ـ من غالب قوت بلده ، عن الشخص وعن كل من عليه مؤنته ، إذا وجدها فاضلة عن قوت يوم العيد وليلته ، وعن دَينه ومسكنه وكسوته ، وذلك عند غروب آخر يوم من رمضان .

وأما صوم رمضان . . فهو ركن من أركان الإسلام ، يكفر جاحده ، فيجب صومه علىٰ كل مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ طاهرٍ يطيقه .

ويجب على الحائض والنفساء القضاء ، وشرطه نيته ، وتعينه ، وتبييتها في الفرض ، والإمساك من الفجر إلى المغرب عن التقيء والاستمناء والجماع ، وعمَّا يدخل جوفه من منفذٍ مفتوحٍ عامداً ولو ريقه إذا كان نجساً ، أو مختلطاً بغيره ، أو خرج من معدنه .

وأما حج البيت . . فهو ركنٌ من أركان الإسلام ، فيجب هو والعمرة في العمر مرة علىٰ مَنِ استطاع إليه سبيلاً ، وعند إرادته يجب عليه تعلم أركانه وواجباته ومحرماته ، وكذا مَنْ أراد الدخول في شيءٍ من المعاملات ؛ كالبيع والإجارة ، والنكاح ونحوه ممَّا يجب عليه تعلم ما يحِلُّ وما يحرم .

قال في « الموجز » : (**ومن الفروض** : الإخلاص لله في جميع العبادات ، فلا يطلب بها جزاء من الخلق ، ولا حمداً ولا خوفاً منهم .

ومنها : النصح للعباد فلا يغش مسلماً ، ولا يكتم عنه خيراً يطلبه ، ولا شيئاً يخاف منه .

ومنها : طاعة أولي الأمر في غير معصيةٍ ، ودلالتهم على الخير إن قدر .

ومنها : امتثال أمر الوالدينِ ، والأدب معهما في القول والفعل ، والنفقة علىٰ مَنِ احتاج منهما ، وإعفاف الأب .

ومنها : تربية الولد وتهذيبه علىٰ فعل الخير وترك الشر ، والقيام بمؤونته حال ضعفه ، وتعليمه ما يجب عليه وما يحرم بعد البلوغ بالاحتلام أو الحيض أو استكمال خمس عشرة سنة ، ويأمره بالصلاة والصوم إن أطاقه لسبعٍ وميَّز ، ويضربه عليهما لعشرٍ .

ومنها : صلة الرحم ولو بالقول الليِّن ؛ وهم : كل قريبٍ من جهة الأب أو الأم .

ومنها : مؤونة الزوجة بالمعروف نفقة وكسوة وسكن كما يليق بها ، وتعليمها أحكام الزوجية والحيض والنفاس وانقطاعهما ، ومعاشرتها بالمعروف وهي كذلك ، وألاَّ تُدخل بيته من يكرهه ، ولا تخرج منه إلاَّ بإذنه ، وأن تطيعه فيما أمر ما لم يكن معصية ، ولا تمتنع منه ولو على التنور .

ومنها : مؤونة المملوك نفقة وكسوة ، وألاَّ يُحمِّلَه فوق طاقته ، وعليه الطاعة لسيده فيما يطيق ، والأدب معه قولاً وفعلاً .

ومنها : إنظار المعسر وإجابة دعوة العرس إلاَّ لعذرٍ .

ومنها : الشفقة على المؤمنين ، وصحبة المحسنين منهم ، وللقريب والجار والصهر والصديق والشيخ والعالم آكد ، ويتعيَّن الأدب معهما .

ومنها : المشي علىٰ قانون الشرع في المعاملات ؛ كالبيع والإجارة والرهن وغيرها .

ومنها : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المقطوع به .

ومنها : توفية ما نذر به من طاعة .

ومنها : الصبر علىٰ ما قضى الله ، فلا يظهر الجزع والشكوىٰ منه .

ومنها ـ وهو أهمها ـ : التوبة بالندم علىٰ ما فعل من الذنوب ، وتركها ، والعزم علىٰ ألاَّ يعود ، وإرضاء الخصوم عمَّا جناه في نفسٍ أو مالٍ أو عرضٍ ، وتجديدها كلَّما أذنب .

ومنها : ردُّ السلام علىٰ من ابتدأه به إلاَّ من شابةٍ علىٰ أجنبي .

ومنها : الختان علىٰ مَنْ بلغ بغير ختانٍ من ذكرٍ أو أنثىٰ ، وقبل البلوغ سُنةٌ من وليِّه إن قوي له .

فَصْلٌ

وأما السنن . . فكثيرة جداً :

منها : ابتداء السلام على الجنس والمَحْرَمِ والعجوز وجمع النساء .

ومنها : تجديد الوضوء لمن صلىٰ به ، ويتأكَّد لأكل لحم الجزور ، ولجُنُبٍ أراد جماعاً أو نوماً أو طعاماً مع غسل الفَرْجِ .

ومنها : الأذان للمكتوبة للذكر ، والإقامة للكل .

ومنها : المحافظة علىٰ أداء الصلوات أول الوقت في جماعة .

ومنها : سجدة التلاوة للقارىء والسامع والمستمع ، وسجدة الشكر لآيتها لا في صلاة ، ولهجوم نعمةٍ أو اندفاع نقمة ، ولرؤية مبتلىً في دِينٍ أو غيره .

ومنها : التضحية كل عام في عيد الأضحىٰ .

ومنها : العقيقة عن كل مولودٍ .

ومنها : الضيافة وإكرام الضيف بحسب المقدرة ، ويكره التكلُّف .

ومنها : المصافحة لكل لقاء .

ومنها : الجهاد وقد يفرض على العين أو الكفاية .

ومنها : القَرض والصدقة والوقف والعتق والهدية والإبراء .

ومنها : وليمة العرس ، والختان .

ومنها : عيادة المريض والتزاور ، وتشييع الجنائز وزيارة القبور ، وتشميت العاطس ، والسواك سيما عند الصلاة والوضوء ، والنوم والاستيقاظ ، ويحصل بكل خشنٍ .

ومنها : الاكتحال وتراً كل ليلة ، والادهان غِبًّا ، وتقليم الأظفار ، وقصُّ الشارب ، وإزالة شعر العانة ، والإبْط ، ويكره تأخيرها عن الحاجة ، والغسل بعدها حسن .

فصل

والمنهيات قسمان : حرامٌ ومكروهٌ .

والمحرمات : كبائر وصغائر .

فمن الكبائر : القتل بغير حقٍّ ، والزنا واللواط ، والسرقة ، والقذف ، والفرار من الزحف ، وشرب المسكر ، والوطء في الحيض ، وغصب حق الغير ، وشهادة الزور ، واليمين الكاذبة .

وعقوق الوالدين ؛ وهو : ما يُتأذىٰ به تأذياً ظاهراً ، وقطع الرحم ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وفعله ، وخيانة الكيل والوزن ونحوه .

وترك الصلاة ، وتقديمها علىٰ وقتها ، وتأخيرها عنه بغير عذرٍ ، وترك الزكاة ، وترك صوم رمضان ، وقطع الفرض بلا عذرٍ ، وترك الحج للمستطيع حتىٰ يموت ، والحكم بغير الحق ، وكتم الشهادة ، وضرب المسلم بغير حق ، وسب الصحابة ، والوقيعة في العلماء ، والسعي إلى الظَّلَمة بما يضرُّ مسلماً ولو صدقاً ، وقبولها .

وأكل الميتة ، وقطع الطريق ، والسحر ، ونسيان القرآن ، وإحراق الحيوان .

والنميمة ؛ وهي : الإفساد بين المسلمين ، والكذب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واليأس من رحمته ، والأمن من مكر الله .

ومنها : الرياء بعبادة الله ؛ وهو : العمل لأجل الناس .

ومنها : الغيبة ؛ وهي : ذِكْرُك أخاك بما يكره ولو صادقاً إلاَّ للنصيحة أو إزالة ظلم أو بما يُجهَر به ، والسكوت عليها مع قدرة النهي .

ومنها : الكذب ، ومحاكاة المسلم ، والسخرية به بقولٍ أو فعلٍ .

ومنها : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البيِّن المتحقَّق بالمنع إن قدر ، وإلاَّ . . فباللسان ، وإلاَّ . . فبالقلب ويفارقه .

ومنها : الفتوىٰ بغير علمٍ ، والنياحة على الميت ، وإظهار الجزع بنحو شقِّ ثوبٍ .

ومنها : تصوير الحيوان .

ومنها : الحسد ؛ وهو : كراهة الخير لمسلمٍ ، ومحبة الشرِّ له . ومن أحسَّ من نفسه بشيءٍ من ذلك . . فليرده وليكرهه ، ويدعو لمن حسده .

ومنها : سب المسلم وإيذاؤه بغير حقٍّ .

ومنها : الإعجاب بالعمل ؛ وهو : رؤية العمل من نفسه ، لا من حيث مِنَّة الله تعالىٰ ، وهو محبِطٌ أو منقصٌ ، والمنُّ بالصدقة وهو محبطٌ لها .

فَصْلٌ

ومن الصغائر : النظر إلىٰ حرامٍ أو استماعه إلاَّ للشهادة ، أو لإزالته ، أو إكراه ؛ ولزمته المفارقة إن قدر .

والاطلاع علىٰ بيت مسلمٍ ، وهجره فوق ثلاث إلاَّ لعذرٍ شرعيٍّ ، ومجالسة الفاسق للأُنس .

وتخطِّي رقاب الناس ، واستقبال القبلة أو استدبارها ببولٍ أو غائطٍ في غير

معدٍّ بغير ساتر ، والاستمناء بغير يد حليلته ، ومس الأجنبية والخلوة بها ، ونظر امرأةٍ وغيرها بشهوةٍ إلاَّ لحليلة .

وسفر المرأة بغير زوجٍ أو محرمٍ أو نسوةٍ ثقاتٍ ، وبيع المَعِيب بلا بيان عيبه ، وغش المسلم وخيانته ، وكشف العورة ولو في خلوةٍ لغير حاجة ، ونظرها من غير حليلته .

وتسويد الشيب والحناء للرجل بغير حاجة إلاَّ الشعر ، ولبسه الذهب واستعماله ، ولبسه الحرير أو ما أكثره منه بلا عذرٍ ، وتشبه الرجل بالنساء وعكسه ، والسؤال لغني بمالٍ أو حرفةٍ .

والحقد ؛ وهو : إضمار السوء للمسلم ، وظن السوء به إذا لم يكرههما من نفسه ، واللهو بالرباب والطنبور والمزمار واستماعها .

فصل

وأما المكروهات . . فكثيرةٌ :

فمنها : المماراة وكثرة الخصومة من المُحِق ، وكثرة المزاح ، وكثرة الكلام بما لا يعني ؛ وهو : ما لا يحصل به نفعٌ ولا بتركه ضررٌ إلاَّ لنحو إيناس زوجةٍ أو ضيفٍ أو مسلمٍ بقدر الحاجة ، والسمر بعد العشاء إلاَّ لذلك أو في خيرٍ .

وكثرة الضحك وهو مما يميت القلب ، وإدخال المجنون والطفل مما يخاف تقذيرهم المسجد ، وكذا مَنْ أكل كريه الرِّيح ، وقيل : يحرم .

وكثرة الشبع ، ودوام التوسع في الأطعمة ، وتطويل البناء بلا عذرٍ ، والفكر في النساء ، والكلام بشهوة حال الجماع ، ونظر فَرْجِ الحلال .

وصلاة الرجل منفرداً وهو شديدٌ يدل علىٰ حمقٍ جليٍّ أو كفر خفيٍّ ، نسأل الله العافية .

ومنه : ارتكاب الشبهة في فعلٍ أو قولٍ .

خَاتِـمَة

قد علمت ممَّا تقدَّم أن التقوىٰ ملازَمَةُ ما أمر الشرع أو نهىٰ عنه ؛ **وهي خمسةٌ** :

الواجب ؛ وهو : ما فرضه الشرع ، وفاعله مأجورٌ وتاركه آثمٌ .

والمندوب ؛ وهو : ما أمر به ولم يوجبه ، وفاعله مأجورٌ وتاركه مضيعٌ غير آثم .

والحرام : ما نهىٰ عنه لزوماً ، وفاعله آثمٌ متعرِّضٌ للعقوبة .

والمكروه : ما نهىٰ عنه لا لزوماً ، وفاعله متعرضٌ للوم لا عقوبة فيه ، ومن ترك الحرام والمكروه لله . . أُجِر .

والمباح : ما لا ثواب ولا عقاب في فعله ولا في تركه ، نعم ؛ فعله للتَّقوِّي علىٰ طاعة الله إن أعان عليها حسنةٌ ، والتوسع فيه للشهوات تضييعٌ للزمن واستئناسٌ بالعدم ، وهو طريقٌ لركوب البلايا .

ومن أطاع الله . . فقد نجا قطعاً ، ومن عصى الله بإنكار وحدانيته أو كمال وصفه ، أو بعثة الأنبياء أو كتبهم أو شيء من القرآن من المتواتر ، أو البعث بعد الموت ، أو إنكار أحكام الشرع المجمَع عليها وهو عالمٌ ، أو استهان بما عظَّمه الله تعالىٰ قطعاً ؛ كالنبي والمصحف . . فهو كافرٌ حلال الدم مخلَّد في النار إن لم يتب .

ومن عصى الله بالكبائر أو الإصرار على الصغائر . . فهو فاسقٌ لا تُقبل شهادته ، متعرِّضٌ للعقوبة إن لم يتب ولم يعفُ الله عنه ، أو بغير ذلك . . فأمره إلى الله ويُرجىٰ له العفو .

فَصْلٌ

من تهاون بالأدب . . عُوقب بحرمان السُّنن ، أو بالسنن . . عوقب بحرمان الفرائض ، أو بالفرائض . . عُوقب بحرمان الإيمان ، والأعمال بخواتيمها .

ومن أدمن على المعاصي وأصرَّ عليها . . يخشىٰ عليه سوء الخاتمة ؛ وهو الموت على الكفر ، نعوذ بالله من ذلك ، ونسأله العافية من كل بليَّة .

وارتكاب المكروه يجرُّ إلى الحرام ، والقول الفصل للسلامة من كل مكروهٍ : أن ينظر : فما يجب أن يكون حاله عند الموت . . يستقيم عليه ، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يُؤتىٰ إليه .

فَصْلٌ

قال الله تعالىٰ : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ .

فَاعْلَمْ : أن التزكية التطهيرُ من الخبائث ظاهراً وباطناً ؛ وهو التقوى الكاملة ، والتَّدْسِيَة ضده ، والنفس بطبعها الفاسد ، وحبها للعاجل ، وإغواء الشيطان لها . . محبةٌ للعاجلة ، مائلةٌ إليها ، غير ملتفتةٍ إلى العاقبة ؛ فالموفَّق من زمَّها بزمام العلوم النافعة ، وكلَّفها العمل بها ، والنظر والعمل في ذلك طويلٌ إلاَّ أنه بالنظر إلى الآخرة قليلٌ ، ولا تستطيع ذلك إلاَّ بالصبر .

والصبر علىٰ أداء الفرائض وترك المحارم فرضٌ ، وعلى النوافل نفلٌ ، وفي المصائب والآلام بترك الجزع والشكوىٰ من الله فرضٌ ، وما زاد نفلٌ ، وعلى الأذىٰ بترك الانتصاف نفلٌ له فضلٌ كثيرٌ ، وعمَّا زاد عليه فرضٌ .

وشُكر الله بأن كل نعمة منه فرضٌ ، واستحضار ذلك بالقلب في كل حال أصلٌ عظيمٌ في الدِّين ، وشكره بالقول أصله فرضٌ ؛ وهو : الثناء عليه بجميل فعله ، ومنه قوله : (الحمد لله) ، وشكره بالفعل فعل الطاعات ففرضه فرضٌ ، ونفله سنةٌ .

والرضا بقضاء الله بالسكوت عنِ الاعتراض على الأقدار فرضٌ ، وبقطع معارضات النفس وطبعها واضطرابها فضيلةٌ ، وبرد القلب مع ذلك أفضل .

وما كان من ذلك من معصيةٍ أو مكروهٍ أو ترك فرض جرىٰ باختيار العبد . . فيرضىٰ به من حيث إنه تقدير الله تعالىٰ ، ويكرهه من حيث يكرهه الله تعالىٰ

ونهىٰ عنه ، ويتعب عليه من حيث إنه مخالفة لأمر الله تعالىٰ وموجب لعقابه .

والصبر والشكر ركنان في الدِّين لا يخلو منهما شيء منه ؛ فلا فِعلَ طاعةٍ ولا ترك مخالفةٍ ولا مصاحبة حالٍ إلاَّ بالصبر .

ومنِ استعان بالله حقاً . . أعانه ، ومن توكَّل عليه . . كفاه ، ومن نسي الله . . أنساه نفسه ، كما نُصَّ عليه .

فَصْل

لا بد للعبد في كل أحواله من ثلاثة أشياء بها نظام الدِّين :

الأول : النية ، فلا يفعل ولا يترك إلاَّ لله وحده مخلصاً صادقاً في ذلك ، ويبقىٰ علىٰ ذلك إلىٰ فراغ العمل ، وينوي بالمباح التعفُّف والتحصُّن عن المكاره له ولذويه ، وأداء الحقوق ، والتقوي علىٰ طاعة ، وجبر الخاطر ونحو ذلك ، ولا تؤثِّر النية في المعاصي شيئاً .

الثاني : الفكر في عجائب صنع الله في ملكه وملكوته ؛ من أملاكٍ وأفلاكٍ ، وأنوارٍ وظلماتٍ ، وحيوانٍ ونباتٍ وجمادٍ ممَّا يعلمه وما لا يعلمه أكثر وأكبر ، وما تضمنت أجزاء ذلك من دقائق الحِكَم والكمالات ؛ فلا نَقْصَ في ذرَّةٍ من ذلك مع اتساعه وكثرته ، وتعدد أجناسه وأنواعه ، مع التدبير لدقيق ذلك وجليله في كل لحظة ممَّا يدلك علىٰ أنه العليم القدير ، وأنه ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير .

وهـٰذا بحرٌ تنقطع دون طرفه الأعمار ؛ وهو باب المعرفة فالزمه بالفكر الصافي تجده المشرب الشافي .

وكذلك تفكَّر في قرب الأجل وإنه غير معلومٍ بل يأتي بغتة لا في سِنٍّ مخصوصٍ ، ولا ينفع معه الندم ، وإنه وإن طال العمر ؛ فكل ساعةٍ محسوبةٌ له أو عليه ، فإمَّا بطاعة . . فله ، أو غيرها . . فندامة لا تنقطع ، فكم من امرىءٍ نال أمله من الدنيا فلم يغنِ عنه شيئاً لما مات ؟!

الثالث : ألاَّ يأخذ من الدنيا فوق ما يكفيه ؛ له ولمن عليه مؤونته : من نفقةٍ

وكسوةٍ ومسكنٍ بقدر الحاجة والقنوع ؛ فإنَّ من أخذ فوق ما يكفيه . . أخذ حتفه وهو لا يشعر .

ومن عرف الموت ـ وأنه باب الآخرة ، وأن كثرة الدنيا ضارةٌ ؛ فإن حلالها حسابٌ وحرامها عقابٌ ـ . . سَهُل عليه ذلك واكتفىٰ منها بزاد الراكب ، فيزهد إن قدر ، وإلاَّ . . فليقنع ، وإلاَّ . . فليصابر .

فالزهد : عزوف النفس عن الدنيا إلاَّ ما يحتاج إليه للضرورة .

والقناعة : السكون علىٰ ما قسم له من غير تطلُّع إلىٰ غيره وإن لم يكرهه .

والمصابرة : إلزام النَّفْس ذلك مع الكراهة ، وكل ذلك حسنٌ ، ولكلٍّ درجاتٌ ممَّا عملوا .

فَصْلٌ

ومن أصول القربات في دين الله تعالىٰ صلاةُ النوافل ، وصوم التطوع ، وقراءة القرآن ، وتعلُّم العلوم النافعة وتعليم ذلك ، وذكر الله تعالىٰ وهو جامعها ؛ فإنَّ كل مطيع ذاكرٌ ، ولم تُشرع الأوامر إلاَّ للذكر ، وكذا الدعاء سيَّما في مظانِّ الإجابة من الأزمنة والأمكنة والأحوال .

ومنها : صدقة التطوّع ، وهي بما قلَّ ، وهي في الأزمنة الفاضلة ، وللقريب والجار والمحتاج والصلحاء أفضل .

فَصْلٌ

والصلاة خير موضوع ، لا تَحْرم إلاَّ عند الاستواء في غير الجمعة ، وبعد صلاة الصبح حتىٰ ترتفع الشمس قيد رمح ، وبعد صلاة العصر حتىٰ تغرب إلاَّ ما لها سببٌ غير متأخرٍ ، وكذا إذا صعد الخطيب إلاَّ التحية .

وآكدها : صلاة العيدين ، والكسوفين ، والاستسقاء ، ويغتسل ويتنظف لهنَّ ، ويتزين للعيدين ، ووقتها من الطلوع ـ وبعد الارتفاع أحب ـ إلى الزوال .

وكلهنَّ ركعتان ؛ لكن يسنُّ أن يزيد في الخسوفينِ في كل ركعةٍ قياماً بعد الركوع يقرأ فيه ، ثم يركع ثم يعتدل ، وأن يطوِّل جداً قراءتها ، وتسبيح الركوع والسجود ، والأول فالأول أطول ، وأن يزيد في العيدينِ والاستسقاء تكبيراً سبعاً في الأولىٰ قبل القراءة ، وخمساً في الثانية يذكر الله بينها ، ويجهر إلاَّ في كسوف الشمس .

ثم الوتر بعد صلاة العشاء إلى الفجر ، أقله ركعة ، وأدنى الكمال ثلاث ، وأكثرهُ إحدىٰ عشرة .

والتراويح عشرون ، والضحىٰ من ركعتينِ إلىٰ ثمانٍ بعد ارتفاع الشمس إلى الاستواء .

ورواتب الفرائض ركعتان قبل الصبح ، وأربع قبل الظهر وأربع بعده ، وأربع قبل العصر ، وركعتان قبل المغرب وركعتان بعده ، وكذا العشاء ، وتحية المسجد ركعتان ، وقيام الليلِ بما اتفق ولو بالذكر والدعاء والاستغفار ، وإحياء ما بين العشاءين بصلاةٍ ، وإلاَّ . . فبعبادة .

فصل

ويتأكَّد صوم يوم عرفة ، وعاشوراء وتاسوعاء ، وثلاثة أيامٍ من كل شهر ، والبيض أحب ، وست شوّال ، وكثرة الصوم في الأشهر الحرم . . .) .

ثم قال في آخره : (وقد رأيتُ أن أختم الكتاب بثلاث قواعد هي أصول الطريق إلى الله تعالىٰ :

الأولىٰ : ألاَّ يأكل إلاَّ بقدر ما يحفظ العقلَ والقوّة ، ولا ينام إلاَّ عند الغلبة ، ولا يتكلَّم إلاَّ في ضرورةٍ أو حاجةٍ ، ولا يجالس الناس إلاَّ لما لا بدَّ منه أو في فائدة شرعية .

الثانية : مخالفة النفس في كل حظٍّ إلاَّ ما لا بدَّ منه ، أو ندب الشرع إليه ، ودوام الذكر ، وحضور القلب مع الله فيه .

الثالثة : خروجه من حظوظه وإرادته إلىٰ مطلوب الله منه في الأفعال ، وتسليمه له في المقادير ، والتفويض إليه في تدبير أموره إلاَّ فيما أمره به من كسبٍ أو عمل بما اقتضاه حاله في السلوك ، ومن كان الله له . . كفاه ، وكفىٰ بالله حسيباً) انتهىٰ ما يسَّر الله نقله من كتاب « الموجز المبين » للشيخ عبد الله بن محمد باقشير الحضرمي مع اختصارٍ ، بعضه بلفظه وبعضه بمعناه ، وقد أزيد كلمات نادراً ؛ لزيادة إيضاح أو فائدة .

فَصْلٌ

وممَّا ينبغي الاعتناء به والمحافظة عليه من كل أحدٍ الأذكار الواردة عنه صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم في الأوقات : مثل الصباح والمساء ، والمقيدة بالأسباب كالواردة عند الأكل والشرب ، والنوم والاستيقاظ ، وقبل الصلاة وفيها وبعدها ، والخروج والدخول للمسجد والبيت والخلاء وغير ذلك ، وكذا المطلقة كالجوامع الكوامل ممَّا يطول ذكره ، فليأخذ الإنسان من ذلك ما يطيق المداومة عليه مع الإحسان ؛ فإنها حارسةٌ وحافظةٌ له من كل مكروه ، فمن أهمل ذلك ثم أصابه مكروه . . فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه .

فَصْلٌ

نَنقل شيئاً ممَّا قاله الإمام الغزالي من « بداية الهداية » مع حذفٍ واختصار بعضه بلفظه وبعضه بمعناه ؛ وقد أزيد كلمات لفائدةٍ أو لزيادة إيضاح ، ولنفصله فصولاً خوف الملل :

فَصْلٌ

قال رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به : (**أما بعد** :

فَاعْلَمْ ـ أيها الحريص علىٰ طلب العلم ، المُظهِر من نفسك صدقَ الرغبة وفَرْطَ التعطش ، وكذا يقال لقارىء القرآن ، وقاصد الحج ، وللمصلي وللمتصدِّق والمعلِّم والمذكِّر ولكل متقرِّب بشيء من القُرَب ـ : إنك إن كنت

تقصد بطلب العلم أو بشيءٍ من هـٰذه القُرَب المنافسةَ والمباهاة ، والتقدَّم على الأقران ، واستمالة وجوه الناس إليك وجمع حطام الدنيا . . فأنت ساعٍ في هدم دينك ، وإهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك .

فصفقتك خاسرةٌ ، وتجارتك بائرةٌ ، ومعلمك معينٌ لك علىٰ عصيانك ، وشريكٌ لك في خسرانك ، وهو كبائع سيفٍ من قاطع طريق ، ومن أعان علىٰ معصية ولو بشطر كلمةٍ . . كان شريكاً فيها .

وإن كانت نيتك وقصدك فيما بينك وبين الله تعالىٰ من تعلُّم العلمِ الهدايةَ دون مجرَّد الرواية فأبشر ؛ فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيتَ ، وحِيتَانَ البحر تستغفر لك إذا سعيت .

فَصْلٌ

فإن قلتَ : فما بداية الهداية لأجرِّب نفسي وأمتحن بها قلبي ؟ . . فاعلم : أن بدايتها ظاهر التقوىٰ ، ونهايتها باطن التقوىٰ ، ولا عاقبة إلاَّ للتقوىٰ ، ولا هدىً إلاَّ للمتقين .

والتقوىٰ : عبارةٌ عن امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، ولا وصول إلىٰ نهايتها إلاَّ بعد إحكام بدايتها ، ولا عثور علىٰ باطنها إلاَّ بعد الوقوف علىٰ ظاهرها .

فإن صادفت قلبك إليها مائلاً ، ونفسك لها مطاوعة ولها قابلة . . فدونك والتطلُّعَ إلى النهايات ، والتغلغلَ في بحار العلوم .

وإن صادفتَ قلبك عند مواجهتك إياها مُسوِّفاً وبالعمل بمقتضاها مماطلاً . . فاعلم : أن نفسك المائلة إلىٰ طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء ، وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ، فإياك يا مسكين أن تذعن لتزويره ، وتتدلىٰ بحبل غروره) .

ثم قال رضي الله عنه في آخر « البداية » : (فهي جامعةٌ لجمل معاملة العبد مع الخلق والخالق ؛ فإن رأيتها مناسبة لنفسك ورأيت قلبك مائلاً إليها

راغباً في العمل بها . . فاعلم : أنك عبدٌ نوَّرَ الله تعالىٰ بالإيمان قلبك ، وشرح به صدرك ، وتحقَّق أن لهٰذه البداية نهايةً ، ووراءها أسرارٌ وعلومٌ ومكاشفاتٌ .

وإن رأيتَ نفسك تستثقل العمل بهٰذه الوظائف وتترك هٰذا الفن من العلم . . فاعلم : أن الشيطان قد أغواك وأنساك منقلبك ومثواك) .

فصل

اعلم : أن أوامر الله فرائض ونوافل .

فالفرض رأس المال ، وبه أصل التجارة ، والنفل هو الربح ، وبه الفوز بالدرجات .

قال صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالىٰ : ما تقرَّب المتقرِّبون إليَّ بمثل أداء ما افترضت عليهم ، فلا يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه . . . » الحديث .

ولن تصل أيها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالىٰ إلاَّ بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك ، وسكناتك وحركاتك ، وتوزع أوقاتك وترتب أورادك من حين تصبح إلىٰ حين تمسي .

وتعلم بأن الله مطَّلع علىٰ ضميرك ، ومشرفٌ علىٰ ظاهرك وباطنك ، فاجتهد ألاَّ يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

فصل

فما فضل من أوقاتك ـ يعني بعد الفرائض والرواتب ، والحزب القرآني والأوراد ـ . فلك فيه أربع حالات :

الأولىٰ ـ وهي أفضلها ـ : أن تصرفه في طلب العلم النافع في الدين ؛ وهو الذي يزيد في خوفك من الله تعالىٰ ، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك ، وفي معرفتك بعبادة ربك ، ويقلِّل من رغبتك في الدنيا ، ويزيد في رغبتك في

الآخرة ، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتىٰ تحترز منها ، ويطلعك علىٰ مكايد الشيطان وغروره ؛ وهـٰذا العلم قد جمعناه في « إحياء علوم الدين » فإن كنت من أهله . . فحصِّله واعمل به ثم علِّمه وادعُ إليه .

الحالة الثانية : ألاَّ تقدر علىٰ تحصيل العلم النافع واشتغلت بوظائف العبادات ؛ من الذكر والقراءة ، والتسبيحات والصلوات فذلك من درجات العابدين ، وسِيَر الصالحين ، وتكون بذلك أيضاً من الفائزين .

الحالة الثالثة : أن تشتغل بما يصل منه خير إلى المسلمين ، أو تدخل به السرور علىٰ قلوب المؤمنين ، أو تتيسر به الأعمال الصالحة للصالحين ؛ كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدِّين ، والتردُّد في أشغالهم ، والسعي في إطعام الفقراء والمساكين ، والتردد على المرضىٰ بالعيادة ، وعلى الجنائز بالتشييع ؛ فكل ذلك أفضل من النوافل لأنها عبادة وفيها رفقٌ بالمسلمين .

الحالة الرابعة : ألاَّ تقوىٰ علىٰ شيءٍ من ذلك ، واشتغلت بحاجاتك اكتساباً علىٰ نفسك وعلىٰ عيالك ، وقد سلم المسلمون منك وأمنوا من لسانك ويدك ، وسلم لك دينك ؛ فهـٰذه أقل الدرجات في مقامات الدِّين ، وما بعد هـٰذا إلاَّ مراتع الشياطين ؛ وذلك أن تشتغل ـ والعياذ بالله ـ بما يهدم الدِّين ، أو تؤذي عبداً من عباد الله ؛ فهـٰذه رتبة الهالكين ، فاحذر أن تكون منهم .

فَصْلٌ

اعْلَمْ : أن العبد في حقِّ دِينِهِ له ثلاث درجات :

إما سالمٌ : وهو المقتصر علىٰ أداء الفرائض ، وترك المعاصي .

أو رابح : وهو المتطوِّع مع ذلك بالنوافل أو القربات .

أو خاسر : وهو المقصِّر عن اللوازم ، أو المرتكب لبعض المحارم .

فإن لم تقدر أن تكون رابحاً . . فاجتهد أن تكون سالماً ، وإياك ثم إياك أن تكون خاسراً .

والعبد في حق سائر العباد له ثلاث درجات :

الأولىٰ : أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة ؛ وهو أن يسعىٰ في أغراضهم رفقاً بهم ، وإدخالاً للسرور علىٰ قلوبهم .

الثانية : أن ينزل في حقهم منزلة البهائم والجمادات ، فلا ينالهم خيره ، ولـٰكن يكفُّ عنهم شره .

الثالثة : أن ينزل في حقهم ـ والعياذ بالله ـ منزلة العقارب والحيَّات والسِّباع الضاريات ، لا يرجىٰ خيره ويبقىٰ شره .

فإن لم تقدر أن تلحق بأفق الملائكة . . فاحذر أن تنزل عن درجات البهائم والجمادات إلىٰ مراتب العقارب والحيَّات والسِّباع الضاريات .

فإن رضيتَ لنفسك النزول من أعلىٰ عليين . . فلا ترضىٰ لها بالهُوِي إلىٰ أسفل السافلين ؛ فلعلك أن تنجو كفافاً لا لك ولا عليك .

فعليك في بياض نهارك ألاَّ تشتغل إلاَّ بما ينفعك في معادك .

فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لا تسلم إلاَّ بالعزلة . . فالعزلة أولىٰ لك ، فعليك بها ؛ ففيها السلامة .

فصل

لا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة ، فتشتغل في كل وقتٍ بما اتفق كيف اتفق ، بل ينبغي أن تُحاسب نفسك ، وترتِّب وظائفك في ليلك ونهارك ، وتُعيِّن لكل وقتٍ شغلاً لا تتعداه وتُؤثر فيه سواه ، فبذلك تظهر بركة الأوقات .

فأما من ترك نفسه سدىً مهمَلاً إهمال البهائم ، لا يدري بماذا يشتغل في كل وقتٍ . . فتنقضي أوقاته ضائعة .

وأوقاتُكَ عمرك ، وعمرك رأس مالك ، وعليه تجارتك ، وبه وصولك إلىٰ نعيم الأبد في جوار الله تعالىٰ ، فكلُّ نَفَسٍ من أنفاسك جوهرةٌ لا قيمة لها ؛ إذ لا بدل له ، وإذا فات . . فلا عود له .

فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم ، فأي خيرٍ في مالٍ يزيد وعمر ينقصُ ؟!

فلا تفرح إلاَّ بزيادة علمٍ أو عملٍ صالحٍ ؛ فإنهما رفيقاك يصحبانك في القبر حيث يتخلَّف عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك .

فَصْلٌ

اعْلَمْ : أن النوم مثل الموت ، واليقظةَ مثل البعث ، وأن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثرَ من ثمان ساعات ، فيكفيك إن عشت ستين أن يضيع منها عشرون سنة إلاَّ أن تكون يقظتك وبالاً عليك فلا بأس ؛ فقد جاء في أثرٍ أو خبرٍ : « يأتي على الناس زمانٌ أحسن ما يجدون في صحائفهم الصمتُ والنوم » .

ثم قال رضي الله عنه بعد أن رتَّب لك الأعمال من الاستيقاظ إلى المنام : وداوم علىٰ هٰذا الترتيب عمرك ، وإن شقَّ عليك . . فاصبر صبر المريض علىٰ مرارة الدواء انتظاراً للشفاء ، وتفكَّر في قصر عمرك ، وإن عشت مثلاً مئة سنة . . فهي قليلةٌ بالإضافة إلىٰ مقامك في الدار الآخرة وهي أبد الأبد .

وتأمَّل أنك كيف تتحمل الذُّلَّ والمشقة في طلب الدنيا شهراً أو سنةً ؛ رجاء أن تستريح بها عشرين سنة ، فكيف لا تتحمل ذلك أياماً قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد ؟!

ولا تطوِّلْ أملك فيثقلَ عليك عملك ، وقَدِّرْ قرب الموت ؛ فإنه لا يهجم في وقتٍ مخصوصٍ وسنٍّ مخصوصٍ ، ولا بد من هجومه ؛ فالاستعداد له أولىٰ ، ولعله لم يبق من عمرك إلاَّ نَفَس واحد ، أو يوم واحد ، فكلِّف نفسك الصبر علىٰ طاعة الله ؛ فإنك إن فعلت ذلك . . فرحت عند الموت فرحاً لا آخر له ، وإن سوفت وتساهلت . . جاءك الموت في وقتٍ لا تحتسبه وتحسرت تحسُّراً لا آخر له .

وعند الصباح يَحْمد القومُ السُّرىٰ ، وعند الموت يأتيك الخبر اليقين ، ولتعلمنَّ نبأه بعد حين .

فَصْلٌ

أَحضِر قلبك ، وفرِّغه من الوسواس ، وانظر بين يدي مَنْ تقوم ومَنْ تُناجي ، واستحِ أن تناجيَ مولاك بقلبٍ غافلٍ وصدرٍ مشحونٍ بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات .

وَاعْلَمْ : أن الله مطَّلعٌ علىٰ سريرتك وناظر إلىٰ قلبك ، وإنما يتقبَّل الله من صلاتك بقدر خشوعك وتواضعك وخضوعك وتضرُّعك .

واعبده في صلاتك كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه . . فإنه يراك ؛ فليس لك من صلاتك إلاَّ ما عَقَلْتَ منها .

وأما ما أتيتَ به مع الغفلة . . فهو إلى الاستغفار والتكفير أحوج .

فَصْلٌ

اعْلَمْ : أن الدين شطران :

أحدهما : فعل الطاعات ، والآخر : ترك المناهي وهو الأشد .

فالطاعات يقدر عليها كل أحدٍ ، وترك الشهوات لا يقدر عليها إلاَّ الصديقون ؛ فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المهاجر مَنْ هَجَرَ السوء ، والمجاهد من جاهد هواه » .

وَاعْلَمْ : أنك إنما تعصي الله بجوارحك ، وهي نعمةٌ من نِعَمِ الله تعالىٰ عليك وأمانة لديك ، فاستعانتك بنعمة الله تعالىٰ علىٰ معصيته غاية الكُفْرانِ ، وخيانتك في أمانةٍ أودعكها الله غاية الطغيان ، وأعضاؤك رعاياك ، فانظر كيف ترعاها ؛ فكلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته .

وَاعْلَمْ : أن جميع أعضائك تشهد عليك في عرصات القيامة بلسانٍ طلق

ذلق ، تفضحك على ملأٍ من الخلق ، قال الله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ .

فاحفظ يا مسكين جميع أعضائك عن المعاصي خصوصاً أعضاءك السبعة ؛ فإن جهنم لها سبعة أبوابٍ ، لكل باب منهم جُزءٌ مقسومٌ ، ولا يتعيَّن لتلك الأبواب إلاَّ من عصى الله تعالىٰ بهٰذه الأعضاء السبعة ؛ وهي : الأذن ، والعين ، واللسان ، والبطن ، والفَرْج ، واليد ، والرِّجْل .

فَصْلٌ

أما العين . . فإنها خُلقتْ لك لتهتديَ بها في الظلمات ، وتستعينَ بها في الحاجات ، وتنظرَ بها إلىٰ عجائب ملكوت الأرض والسماوات ، وتعتبرَ بما فيهنَّ من الآيات ، فاحفظ عن أن تنظر إلىٰ غير مَحْرَمٍ أو إلىٰ صورةٍ مليحةٍ بشهوة نفس ، أو إلىٰ مسلمٍ بعين الاحتقار ، أو تطَّلِعَ بها إلىٰ عيب مسلم .

فَصْلٌ

وأما الأذن . . فاحفظها من أن تصغي بها إلى البدعة أو الغيبة ، أو إلى الفحش أو إلى الخوض في الباطل ، أو ذكر مساوىء الناس ؛ وإنما خُلقتْ لك لتسمعَ بها كلامَ الله تعالىٰ ، وسنةَ رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحكمة أوليائه ، وتتوصل باستفادة العلم بها إلى المُلْكِ المقيم والنعيم الدائم .

فإذا أصغيت إلى المكاره . . صار ما كان لك عليك ، وانقلب ما كان سببَ فوزك سببَ هلاكك ، وهٰذا غاية الخسران .

ولا تظنن أن الإثم يختص به القائل دون المستمع ؛ ففي الخبر : (إن المستمع شريك القائل ، وإن المستمع أحد المغتابينِ) .

فَصْلٌ

وأما اللسان. . فإنما خُلق لك لتكثرَ به ذكر الله تعالىٰ ، وتلاوة كتابه العزيز ، وترشد به خلق الله إلىٰ طريقه ، وتظهر به ما في ضميرك وحاجات دينك ودنياك .

فإذا استعملته في غير ما خُلِق له . . فقد كفرت نعمة الله فيه ، وهو أغلب أعضائك عليك وعلىٰ سائر الخلق ، ولا يَكُب الناسَ في النار علىٰ مناخرهم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم ، فاستظهر عليه بغاية قوَّتك حتىٰ لا يكبك في قعر جهنم ؛ ففي الخبر : « إنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة ليُضحِك بها أصحابه فيهوي بها في جهنم سبعين خريفاً » .

فاحفظه من الكذب في الجدِّ والهزل ؛ فالكذب من أمهات الكبائر ، ومن الخُلْفِ في الوعد ، فإياك أن تَعِدَ بشيءٍ إلاَّ وتفي به ، ومن الغيبة ؛ فالغيبة أشد من ثلاثٍ وثلاثين زنيةً في الإسلام ؛ كذا جاء في الخبر .

ومعنى الغيبة : أن تذكر إنساناً بما يكرهه لو سمعه وإن كنت صادقاً .

ويمنعك عن غيبة المسلمين أمرٌ لو تفكرت فيه ؛ وهو أن تنظر في نفسك : هل فيك عيبٌ ظاهرٌ أوباطن ؟

فإن عرفت ذلك منك . . فاعلم : أن عجزه كعجزك ، وعذره كعذرك ، فإن سترته . . سترك الله ، وإن فضحته . . فضحك الله .

وإن نظرت إلىٰ ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما علىٰ عيبٍ ونقص . . فاعلم : أن جهلك بعيوبك أقبح أنواع الحماقة ، ولو أراد الله بك خيراً . . لبصرك بعيوب نفسك .

وكذلك احفظ اللسان عن المراء والجدال ومنافسة الناس في الكلام ؛ فذلك فيه إيذاءٌ للمخاطَب وتجهيلٌ ، وفيه تزكية للنفس بمزيد الفطنة والعلم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ .

وكذلك لا تلعن شيئاً من خلق الله ، ولا تقطع بشهادتك علىٰ أحدٍ من أهل القبلة بشركٍ أو كفرٍ أو نفاقٍ ؛ فإن المطلع على السرائر هو الله تعالىٰ .

ولا تدعُ علىٰ أحدٍ من خلق الله ، وإن ظلمك . . فكِلْ أمره إلى الله ؛ ففي الحديث : « إن المظلوم ليدعو علىٰ ظالمه حتىٰ يكافئه ، ثم يبقىٰ للظالم فضلٌ عنده فيطلبه به في يوم القيامة » .

وطوّل بعض الناس لسانه على الحَجّاج ، فقال بعض السلف : إن الله لينتقم للحجّاج ممَّن يعرض له بلسانه ، كما ينتقم من الحجّاج لمن ظلمه .

وكذلك احفظ لسانك من المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس ؛ فإنه يُريق ماء الوجه ، ويسقط المهابة ، ويستجرُّ الوحشة ، ويؤذي القلوب ، ويغرس الحقد .

فهٰذه مجامع آفات اللسان ، ولا يعينك عليه إلاَّ العزلة ، وملازمة الصمت إلاَّ بقدر الضرورة ؛ وقد كان الصديق رضي الله عنه يضع حجراً في فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة ، فاحترز منه ؛ فإنه أقوىٰ أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة .

فصل

وأما البطن . . فاحفظه عن تناول الحرام ، واحرص علىٰ طلب الحلال ، فإذا وجدته . . فاحرص علىٰ أن تقتصر منه علىٰ ما دون الشبع ؛ فإن الشبع يقسي القلب ويفسد الذهن ، ويبطل الحفظ ويثقِّل الأعضاء عن العبادة ، ويقوِّي الشهوات ، والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف من الحرام ؟!

وطلب الحلال فريضةٌ ، والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين ، وإذا قنعت بقميصٍ ورغيفٍ وتركت التلذُّذ . . لم يُعْوِزْكَ من الحلال ما يكفيك ، فالحلال كثير .

وليس عليك أن تتقن باطن الأمور ، بل عليك أن تحترز ممَّا تعلم أنه حرام ، أو تظن أنه حرامٌ ظناً حصل من علامة .

وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام في كتابٍ مفردٍ من « الإحياء » فعليك بطلبه ؛ فإن معرفة الحلال وطلبه فريضةٌ علىٰ كل مسلمٍ كالصلوات الخمس .

فَصْلٌ

وأما الفرج . . فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالىٰ ، وكن كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ .

ولن تصل إلىٰ حفظ الفرج إلاَّ بحفظ العين عن النظر ، وحفظ القلب عن الفكر ، وحفظ البطن عن الشُّبَه وعن الشبع ؛ فإن هـٰذه هي محركات الشهوات أو مغارسها .

فَصْلٌ

وأما اليدان . . فاحفظهما من أن تضرب بهما مسلماً ، أو تتناول بهما مالاً حراماً ، أو تؤذي بهما أحداً أو تخون بهما في أمانةٍ ، أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به ؛ فإن القلم أحد اللسانين .

فَصْلٌ

وأما الرِّجْلان . . فاحفظهما عن أن تمشي بهما إلىٰ حرام ، أو تسعىٰ بهما إلىٰ باب سلطانٍ ظالمٍ ، فالمشي إلى السلاطين الظَّلَمة من غير ضرورةٍ وإرهاقٍ . . معصيةٌ ؛ فإنه إكرامٌ لهم ، وقد أمر الله بالإعراض عنهم .

وهو تكثيرٌ لسوادهم ، وإن كان لطلب ما لهم . . فهو سعيٌ إلىٰ حرامٍ .

وعلى الجملة : فحركاتك وسكناتك نعمةٌ من نِعَمِ الله تعالىٰ عليك ، فلا تحرك شيئاً منها في معصية الله تعالىٰ أصلاً ، واستعملها في طاعة الله تعالىٰ .

فَصْلٌ

اعْلَمْ : أنك إن قصَّرت . . فعليك يرجع وباله ، وإن شمَّرتَ . . فإليك تعود ثمرته ، والله تعالىٰ غنيٌّ عنك وعن عملك ، وإنما كل نَفْسٍ بما كسبتْ رهينةٌ .

وإياك أن تقول : إن الله تعالىٰ كريمٌ رحيمٌ يغفر ذنوب العصاة ؛ فإن هٰذه كلمة حقٍّ أُريد بها باطلٌ ، وصاحبها ملقَّبٌ بالحماقة بتلقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « الكيِّس مَنْ دانَ نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق مَنْ أتبع نفسه هواها وتمنَّىٰ على الله الأماني » وإن كان ما وصفته من كرم الله تعالىٰ ورحمته حقاً وصدقاً ؛ فإنه سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ، ويقول : ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

ومن كرمه سبحانه : أن يسَّرلك طريق الوصول إلى المُلك المقيم المخلد بالصبر علىٰ ترك الشهوات أياماً قلائل ، وهٰذا نهاية الكرم ، فلا تحدث نفسك بتهويسات البطالين ، واقتدِ بأولي العزم والنُّهىٰ من الأنبياء والصالحين ، ولا تطمع في أن تحصد ما لا تزرع ، وليت من صام وصلَّىٰ واجتهد واتقىٰ . . غفر له .

فَصْلٌ

فهٰذه جملةٌ ممَّا ينبغي أن تحفظ عنها جوارحك الظاهرة ، وأعمال الجوارح إنما تترشَّح من صفات القلب .

فإن أردتَ حفظ الجوارح . . فعليك بتطهير القلب ، فهو التقوى الباطن .

والقلب هو المضغة التي إذا صلحت . . صلح بها سائر الجسد ، وإذا فسدت . . فسد بها سائر الجسد ؛ فاشتغل بإصلاحه لتصلح جوارحك .

وَاعْلَمْ : أن الصفات المذمومة في القلب كثيرة ، وطريق تطهير القلب من رذائِلها طويلةٌ ، وسبيل العلاج فيها غامضٌ ، وقدِ اندرس بالكلية علمه وعمله ؛ لغفلة الناس عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا .

وقدِ استقصينا ذلك في ربع المهلكات وربع المنجيات من « الإحياء » ، ولـٰكن نحذِّرك الآن ثلاثاً مهلكات في أنفسها ، وهي أمهاتٌ لجملٍ من الخبائث سواها ، وهي الحسد ، والرياء ، والعُجب .

فاجتهد في تطهير قلبك منها ، فإن قدرت عليها . . فتعلَّم كيفية الحذر من بقيتها ، وإن عجزت عنها . . فأنت من غيرها أعجز .

ولا تظنَّنَّ أنها تسلم لك نيةٌ صالحةٌ وفي قلبك شيءٌ من الحسد والرياء والعجب ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ مهلكاتٌ : شحٌّ مطاعٌ ، وهوىً متبعٌ ، وإعجابُ المرء بنفسه » .

فصل

الحسود : هو الذي يشقُّ عليه إنعام الله تعالىٰ من خزائن قدرته علىٰ عبدٍ من عباده بمالٍ أو علمٍ أو محبةٍ في قلوب الناس ، أو حظٍّ من الحظوظ ، حتىٰ إنه ليحبُّ زوالها عنه وإن لم تحصل له ، وهـٰذا منتهى الخبث ؛ ولهـٰذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

والحسود : هو المُعذَّب الذي لا يُرْحَم ، ولا يزال في عذابٍ دائمٍ ؛ فإن الدنيا لا تخلو قطُّ من خَلق كثيرٍ من أقرانه ومعارفه ممَّن أنعم الله تعالىٰ عليهم ، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر ، بل لا يصل العبد إلىٰ حقيقة الإيمان ما لم يحبَّ لسائر المسلمين ما يحبُّ لنفسه ، بل ينبغي أن يساهم المسلمين في السراء والضراء .

والمسلمون كالبنيان الواحد يشدُّ بعضه بعضاً ، وكالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضوٌ . . اشتكىٰ سائر الجسد .

فإن كنت لا تصادف هـٰذا من قلبك . . فاشتغالك بطلب الخلاص عن الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات .

فصل

وأما الرياء . . فهو الشرك الخفي ؛ وهو طلبك للمنزلة في قلوب الخلق لتنال به الجاه والحشمة ، وحبُّ الجاه من الهوى المتبَع المهلِك ، وفيه هلك أكثر الناس ، فما أهلك الناسَ إلاَّ الناسُ .

ولو أنصف أكثر الناس . . لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات ـ فضلاً عن العادات ـ ليس يحملهم عليها إلاَّ مراءاة الناس ، وهي محبطة للأعمال ؛ كما ورد في الخبر : « إن الشهيد يؤمر به يوم القيامة إلى النار فيقول : يا رب ؛ استشهدتُ في سبيلك ، فيقول الله تعالىٰ : أردتَ أن يقال : إنك شجاعٌ فقد قيل ، وذلك أجرك » . وكذا يقال للعالم والحاج والقارىء .

فصل

وأما العُجب والكبر والفخر . . فهو الدَّاء العضال ، وهو نظر العبد إلىٰ نفسه بعين العِزِّ والاستعظام وإلىٰ غيره بعين الذُّلِّ والاستحقار ، وثمرته في المجالس الترفع والتقدُّم ، والتصدر والاستنكاف من أن يُرَدَّ عليك كلامك .

والمتكبر : هو الذي إن وُعظ . . أَنِفَ ، وإن وَعَظَ . . عَنَّفَ ، وكل من رأىٰ نفسه خيراً من أحدٍ من خلق الله تعالىٰ . . فهو متكبر ، بل يجب أن تعلم أن الخير هو خيرٌ عند الله تعالىٰ في الدار الآخرة ، وذلك غيبٌ وهو موقوفٌ على الخاتمة .

واعتقادك في نفسك أنك خيرٌ من غيرك جهلٌ محضٌ ، بل ينبغي ألاَّ تنظر إلىٰ أحدٍ إلاَّ وترىٰ أنه خيرٌ منك ، وأن الفضل له علىٰ نفسك ؛ فإن رأيت صغيراً . . قلتَ : هٰذا لم يعصِ الله تعالىٰ وأنا عصيتُه ، ولا شك أنه خيرٌ منِّي .

وإن رأيت كبيراً . . قلت : هٰذا قد عبد الله قبلي .

وإن كان عالماً . . قلت : هٰذا قد أُعطي ما لم أُعْطَ ، وبلغ ما لم أبلغ ، وعلم ما جهلت ، فكيف أكون مثله ؟!

وإن كان جاهلاً . . قلت : هـٰذا قد عصى الله تعالىٰ بجهلٍ وأنا عصيتُه بعلمٍ ، فحجة الله عليَّ آكد .

وإن رأيت كافراً . . قلت : لا أدري بم يُختم لي وبم يختم له ؟!

فشَغَلَك خوف الخاتمة عن أن تتكَّبر ـ مع الشك فيها ـ علىٰ عباد الله ، ويقينك في الحال لا يناقض تجويزك التغيرَ في الاستقبال ؛ فإن الله مقلب القلوب يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

فانظر أي أمورك أهم أن تتعلَّم : كيفية الحذر من هـٰذه المهلكات ، وتشتغل بإصلاح قلبك وعمارة آخرتك ، أم الأهم أن تخوض مع الخائضين ، وتطلب ما هو سبب لزيادة الكبر والحسد والعجب حتىٰ تهلك مع الهالكين ؟!

وَاعْلَمْ : أن هـٰذه الخصال الثلاث من أمهات خبائث القلب ، ولها مَغْرِسٌ واحدٌ وهو حبُّ الدنيا ؛ فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

ومع هـٰذا : فالدنيا مزرعة الآخرة ، فمن أخذ من الدنيا بقدر الضرورة من حلِّه ليستعين به على الآخرة . . فالدنيا مزرعته ، ومن أراد الدنيا ليتنعم بها . . فالدنيا مهلكته .

فهـٰذه نبذةٌ يسيرةٌ من ظاهر التقوىٰ ، فإن جربت بها نفسك فطاوعتك عليها . . فعليك بكتاب « إحياء علوم الدين » لتعرف كيفية الوصول إلىٰ باطن علم التقوىٰ .

فإذا عمرت بالتقوىٰ باطنَ قلبك . . فعند ذلك ترتفع الحجب بينك وبين ربك تعالىٰ ، وتنكشف لك أنوار المعرفة ، وتتفجر من قلبك ينابيع الحكمة ، وتتضح لك أسرار المُلْكِ والملكوت .

فهـٰذه جملة الهداية إلىٰ بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالىٰ بأداء أوامره واجتناب نواهيه .

فَصْلٌ

اعْلَمْ : أن صاحبك الذي لا يفارقك في حضرك وسفرك ، ونومك ويقظتك ، بل في حياتك وموتك . . هو ربك وسيدك ومولاك وخالقك ، ومهما ذكرته . . فهو جليسك ؛ إذ قال تعالىٰ : « أنا جليس من ذكرني » ، وقال تعالىٰ : « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » .

فلو عرفته حقَّ معرفته . . لاتخذته صاحباً ، وتركت الناس جانباً ، فإن لم تقدر علىٰ ذلك في جميع أوقاتك . . فإياك أن تخلي ليلك ونهارك عن وقتٍ تخلو فيه بمولاك ، وتتلذذ معه فيه بمناجاتك .

وآدابها : إطراق الطرف ، وجمع الهمِّ ، ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة الأمر ، واجتناب النهي ، وقلَّة الاعتراض على القدر ، ودوام الذكر ، وملازمة الفكر ، وإيثار الحق ، واليأس من الخلق ، والخضوع تحت الهيبة ، والانكسار تحت الحياء ، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان ، والتوكل علىٰ فضل الله تعالىٰ معرفة بحسن الاختيار .

وهـٰذا كله ينبغي أن يكون شعارَك في جميع ليلك ونهارك ؛ فإنه آداب الصحبة مع صاحبٍ لا يفارقك ، والخلق يفارقونك في بعض أوقاتك .

فَصْلٌ

فإن كنت عالماً . . فآداب العالم : سعة الاحتمال ، ولزوم الحلم ، والجلوس بالهيبة علىٰ سمت الوقار مع إطراق الرأس ، وترك التكبر علىٰ جميع العباد ، وإيثار التواضع في المجالس والمحافل ، وترك الهزل واللعب ، والرفق بالمتعلِّم ، والتأني بالمتعجرف ، وإصلاح البليد بحسن الإرشاد ، وترك الحَرَدِ عليه ، وترك الأنفة من قول : (لا أدري) ، وصرف الهمة إلى السائل ، وتفهُّمُ سؤاله ، وقَبول الحجة ، والانقياد للحق بالرجوع إليه عند الهفوة ، ومنع المتعلِّم من كل علمٍ يضره ، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غيرَ

وجه الله تعالىٰ ، وصد المتعلم عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين ، وفرضُ عينه إصلاحُ ظاهره وباطنه بالتقوىٰ ، ومؤاخذته نفسَهُ أوّلاً بالتقوىٰ ؛ ليقتدي المتعلم أوّلاً بأعماله ، ويستفيد ثانياً بأقواله .

فَصْلٌ

وإن كنت متعلماً . . فأدب المتعلِّم مع العالم أن يبدأه بالسلام ، وأن يُقِلَّ بين يديه الكلام ، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه ، ولا يسأله ما لم يستأذنه أوّلاً ، ولا يقول في معارضة قوله : قال فلان خلاف قولك ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيُرىٰ أنه أعلم بالصواب من أستاذه ، ولا يَسارَّ جليسه في مجلسه ، ولا يلتفت فيه إلى الجوانب ، بل يجلس مطرقاً ساكتاً متأدّباً كأنه في الصلاة ، ولا يكثر عليه عند ملله وإذا قام . . فلا يتابعه بكلامه ولا يسيء الظنّ به .

فَصْلٌ

وإن كان لك والدان . . فأدب الولد مع الوالدين أن يسمع كلامهما ، ويمتثل أمرهما ، ولا يمشي أمامهما ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ويلبي دعوتهما ، ويحرص علىٰ طلب مرضاتهما ، ويخفض لهما جناح الذُّلِّ ، ولا يمنُّ عليهما بالبر لهما ولا بالقيام لأمرهما ، ولا يُقطِّب وجهه في وجههما ، ولا يسافر إلاّ بإذنهما .

فَصْلٌ

اعْلَمْ : أن الناس بعد هـٰؤلاء في حقك ثلاثة أقسام : إما مجاهيل ، وإما أصدقاء ، وإما معارف .

فإن بُليتَ بالعوام المجهولين . . فأدب مجالسة العامة ترك الخوض معهم في حديثهم ، وقلة الإصغاء إلىٰ أراجيفهم ، والتغافل عمَّا يجري من سوء ألفاظهم ، والاحتراز من كثرة لقائهم والحاجة إليهم ، والتنبيه علىٰ منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم .

فصل

وأما الإخوة والأصدقاء . . فعليك معهم وظيفتان :

أحدهما : أن تطلب أوّلاً شروط الصحبة والصداقة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء علىٰ دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

فلا تواخِ إلاَّ من فيه خمس خصال : **ـ الأولىٰ** : العقل ، فلا خير في صحبة الأحمق ، وإلى الوحشة والقطيعة يصير آخرها ، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك ، والعدو العاقل خيرٌ من الصديق الأحمق ، قال أمير المؤمنين مولانا عليّ رضي الله عنه شعراً :

ولا تَصحَبْ أخا الجهل وإياك وإياهُ

فكم من جاهل أردى حليماً حين واخاهُ

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه

وللشيء على الشيء مقاييسٌ وأشباه

وللقلب على القلب دليلٌ حين يلقاه

ـ الثانية : حسن الخلق ، فلا تصحب من ساء خلقه ؛ وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة .

ـ الثالثة : الصلاح ، فلا تصحب فاسقاً ؛ لأن من لا يخاف الله تعالىٰ لا تُؤْمَنُ غائلتُه ، بل يتغير بتغير الأغراض ، قال الله تعالىٰ : ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ .

ومشاهدة الفاسق والمعصية على الدوام تزيل من قلبك كراهية المعصية ؛ ولذلك هان على القلوب معصية الغِيبة لإلفهم لها .

ـ الرابعة : ألاَّ يكون حريصاً على الدنيا ؛ فصحبة الحريص على الدنيا سُمٌّ قاتلٌ ؛ لأن الطبع يسرق من الطبع من حيث لا تدري .

فمجالسة الحريص تزيد في حرصك ، ومجالسة الزاهد تزيد في زهدك .

ـ **الخامسة** : الصدق ، فلا تصحب كاذباً ؛ فإنك منه علىٰ غرورٍ ، وهو كالسراب يقرِّب منك البعيد ويبعد منك القريب .

ولعلك تعدم هٰذه الخصال في سكان المدارس والمساجد ، فعليك بالعزلة والانفراد ؛ ففيها سلامتك ، ولا تخالط إلاَّ بقدر الضرورة .

فَصْلٌ

الناس ثلاثة : أحدهم : مثل الغذاء لا يُستغنىٰ عنه ، والثاني : مثل الدواء لا يحتاج له إلاَّ في وقتٍ دون وقت ، والثالث : مثل الداء لا يحتاج إليه قط ، ولٰكن العبد قد يُبتلىٰ به ، وهو الذي لا أُنس فيه ولا نفع ، فتجب مداراته إلى الخلاص من شرِّه .

وفي مشاهدته فائدة عظيمة ؛ وهي أن تشاهد من خبائثه ما تستقبحه فتجتنبه ، فالسعيد من وُعظ بغيره .

فَصْلٌ

للصحبة حقوق وآداب ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحبٍ يصحب صاحباً ولو ساعةً من نهارٍ إلاَّ سُئِل عن صحبته : هل أقام فيها حق الله تعالىٰ أم أضاعه ؟! » .

« وما اصطحب اثنان قط إلاَّ كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه » .

فآداب الصحبة : الإيثار بالمال ، فإن لم يكن هٰذا . . فبذل الفضل من المال عند الحاجة .

والإعانة بالنفس في الحاجات علىٰ سبيل المبادرة من غير التماس ، وكتمان السر ، وستر العيوب ، والسكوت عن تبليغ ما يسوؤه ، وإبلاغ ما يسرُّه ، وحسن الإصغاء إلىٰ حديثه ، وأن يشكره علىٰ صنيعه ، وأن يذب عنه في غيبته ، وأن ينصحه باللطف والتعريض إن احتاج إليه ، وأن يعفو عن زلله ، وأن يدعو له في حياته وبعد مماته ، وأن يُحسِن الوفاء مع أهله وأقاربه

بعد موته ، وأن يُؤْثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئاً من حاجته ، ويروِّح سره عن مهماته ، وأن يفرح لفرحه ويحزن لحزنه . . وأن يُضمِر مثل ما يُظهِر .

وعلى الجملة : فيعامله بما يحب أن يعامَل به ، فمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه . . فأُخوَّته نفاقٌ ، وهي عليه في الدنيا والآخرة وبالٌ .

فَصْلٌ

أقلل من معرفة الناس ، فإن بليت بهم في مدرسةٍ أو جامعٍ أو مسجدٍ أو بلدٍ أو سوقٍ . . فيجب ألاَّ تستصغر منهم أحداً ؛ فإنك لا تدري لعلَّه خيرٌ منك ، ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك .

وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم ، فلن يفعل ذلك أحدٌ إلاَّ صغر في أعينهم ثم حُرِم ما عندهم .

وإن عادَوك . . فلا تقابلهم بالعداوة ؛ فإنك لا تطيق ذلك ، ويذهب دِينك فيهم ، ويطول عناؤك معهم ، ولا تسكن إليهم في حال إكرامهم إياك وثنائهم عليك ، وإظهارهم المودة لك ؛ فإنك إن طلبت حقيقة ذلك . . لم تجد في المئة واحداً ، ولا تطمع أن يكونوا لك في السرِّ والعلن سواء ، ولا تتعجب إن ثلبوك في غيبتك ؛ فإنك إن أنصفت . . وجدت من نفسك مثل ذلك حتىٰ في أصدقائك وأقاربك ، بل في أستاذك ووالديك ، فإنك تذكرهم في الغيبة بما لا تشافههم به .

واقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم ؛ فإن الطامع في الأكثر خائبٌ في المآل ، وهو ذليلٌ لا محالة في الحال .

وإذا سألت واحداً حاجةً فقضاها . . فاشكرِ الله تعالىٰ ثم اشكره ، وإن قصَّر . . فلا تعاتبه ولا تَشْكُه ، بل اعذره ؛ فإن المؤمن يطلب المعاذير ، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب .

ولا تَعِظَنَّ أحداً منهم ما لم تتوسَّم فيه أولاً مخايلَ القبول ، وإلاَّ . . لم يسمع منك وكان خصماً عليك إلاَّ إذا تعلَّق ذلك بمعصيةٍ يقارفونها في الحال ،

فاذكر الحق بلطفٍ من غير عنفٍ ، وكن سميعاً لحقهم ، أصم عن باطلهم ، نطوقاً بمحاسنهم ، صموتاً عن مساويهم ، وكن كما قال هلال بن العلاء الرقي رضي الله تعالىٰ عنه :

لمَّا عفوتُ ولم أحقد علىٰ أحدٍ — أرحتُ نفسيَ من همِّ العداواتِ
إنـي أحيّي عـدوي عند رؤيته — لأدفـع الشـرَّ عنِّـي بـالتحيـاتِ
وأُظهِر البِشْـر لـلإنسـان أُبغِضُـه — كـأنـه قـد مـلا قلبـي مسـرَّاتِ
فسالمِ الناس تسلمْ من غوائلهم — وكن حريصاً علىٰ كسب التقياتِ
ولست أسلَمُ ممن لست أعرفه — فكيف أسلم من أهل المودَّاتِ
النـاس داءٌ دواءُ النـاس تـركهـمُ — وفي الجفاء لهم قطع الأُخوَّاتِ
فخالقِ الناس واصبر ما بليت بهم — أصـمَّ أبكـمَ أعمـىٰ ذا تقيَّـاتِ

فَصْلٌ

كن في جميع أمورك في أوسطها ، فكلا طرفي الأمور ذميمٌ ؛ كما قال بعض الحكماء : اِلْقَ صديقك وعدوَّك بوجه الرضا من غير مذلةٍ لهما ولا هيبةٍ منهما ، وتوقَّر من غير كبرٍ ، وتواضع من غير مذلةٍ ، ولا تنظر في عِطْفيك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، وإذا جلست . . فلا تستوفز ، وتحفَّظْ من تشبيك أصابعك : والعبث بلحيتك وخاتمك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال أصبعك في أنفك ، وكثرة بصاقك وتنخمك ، وطرد الذباب عن وجهك ، وكثرة الضحك والتمطي والتثاؤب في وجوه الناس ، وفي الصلاة وغيرها .

ولتكن في مجلسك هادئاً ، وحديثك منظوماً مرتباً ، وأَصغِ إلى الكلام الحسن من غير إفراطِ تعجُّبٍ ، ولا تسأله إعادته ، واسكت عن المَضاحك والحكايات ، ولا تَحدَّث عن إعجابك بولدك وكلامك وسائر ما يخصك ، ولا تشجع أحداً على الظلم ولا تُلِحَّ في الحاجات ، ولا تُعْلِمْ أهلك وولدك

فضلاً عن غيرهم مقدار مالك ، واجفهم من غير عنف ، ولِنْ لهم من غير ضعف ، ولا تهازل أمتك وعبدك فيسقط وقارك .

وإن خاصمت . . فتوقر وتحذَّر عن جهلك وعجلتك ، وإذا ذهب غضبك . . فتكلَّم .

وإن قرَّبك السلطان . . فكن منه علىٰ مثل حد السِّنان ، وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء عليك ، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك) انتهىٰ ما يسَّر الله نقله من « بداية الهداية » .

فصل

اعلم : أن ثمرة العلم العمل به ، ومن عمل بما علم . . ورَّثه الله عِلْم ما لم يعلم ، قال الفقيه عمر بامخرمة رحمه الله تعالىٰ :

حَدْ سَيلْ في سَيلْ في جَرْيِهْ وزَرْعُهْ طَمولْ   وحَدْ من الطَّشّْ جَرْبُهْ جابْ طُحْبَةْ سَبُولْ

وهـٰذا له معانٍ : فمنها أن بعض الناس يسمع ختمةً بعد ختمةٍ ، أو كتاباً بعد كتاب ، أو موعظةً بعد موعظة ، وزرعه طمول ؛ أي : لم يؤثر ذلك فيه شيئاً بأعمال أو امتثال ، وتوبة وإقبال .

(وحَدْ من الطَّشّْ جَرْبُهْ جابْ طُحْبَةْ سَبُولْ) أي : بعض الناس يسمع علماً قليلاً ويعمل عملاً كثيراً ؛ كالذي سمع قوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ ، فولىٰ وقال : هـٰذا يكفيني ، فقال : فَقُهَ الرجل .

أو كالذي سمع قوله صلى الله عليه وسلم : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » ، فقام وقال : حتىٰ نعمل بهـٰذا .

وبقي خطيبٌ يكرِّر علىٰ أهل بلده خطبة كل جمعة ، فعاتبوه في ذلك ، فقال : حتىٰ تعملوا بما في هـٰذه نأتي بأخرىٰ .

وقيل للإمام عبد الله بن المبارك : هل بقي من ينصح ؟ فقال : وهل بقي من يقبل ؟! .

اللهم ؛ مغفرتك أوسع من ذنوبنا ، ورحمتك أرجىٰ عندنا من أعمالنا ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلـٰه إلاَّ أنت ، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي ، فاغفر لي ؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

قال المؤلف : وكان الفراغ أول أيام التشريق أواخر سنة (١٢٥٦هـ) ألف ومئتين وست وخمسين هجرية .

* * *

الرسالة الحادية والعشرون
الإحسان لعبادة الرحمٰن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهم ؛ وما قضيتَ من أمرٍ . . فاجعل عاقبته رشداً .

الحمد لله الرحيم الرحمٰن ، الكريم المنان ، وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادة يصلح بها الجَنان ، ونستوجب بها الجِنان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفىٰ من عدنان ، صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم وتابعيهم بإحسان في كل حين وآن .

وبعد :

فإني لمَّا قُرىء عليّ كتاب « معارج الهداية » للشيخ علي بن أبي بكر باعلوي ثم قرأته لحالي . . ظهر لي أن الخير كله في ثلاثة أشياء : الفناء في التوحيد والذهاب فيه بالكلية ، وتقييد ظاهر الإنسان وباطنه بالشريعة ، والاستعانة علىٰ ذلك بالرياضة ؛ وهي اعتزال الأنام ، وتقليل الطعام ، والكلام والمنام ، وفتح الله بكليمات علىٰ هـٰذه الثلاث ، سميتها : « **الإحسان لعبادة الرحمٰن** » .

جعل الله ذلك له ومنه وإليه ، ووفقنا للتحقق بذلك ، آمين .

فأما التوحيد . . فهو البحر المحيط الذي لا ساحل له ، وكلٌّ يخوض فيه بما قدر له ، والقرآن طافح بالدعوة إليه ، وكذلك الرسل وسائر الأنبياء ، وكُتُب الله المنزلة أول ما يدعون الخلق إلى التوحيد إلاَّ أن الخلق يتفاوتون فيه تفاوتاً لا ينحصر ، قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه :

« إن الله تعالىٰ قد أعطاك مثل إيمان مَنْ آمن بي من أمتي ، وأعطاني مثل إيمان كل مَنْ آمن به من ولد آدم » ذكره في « الإحياء » في آخر كتاب المحبة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه . . فإنه يراك » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي : لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيءٍ قدير » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا غلام ؛ ألا أعلمك كلماتٍ ؟ احفظ الله يحفظْك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك . . لم يكن ليصيبك ، وأن ما أصابك . . لم يكن ليخطئك ، إذا سألت . . فاسألِ الله ، وإذا استعنت . . فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ . . لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك ، وإنِ اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيءٍ . . لم يضروك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفتِ الصحف ، فإنِ استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين . . فافعل ، فإن لم تستطع . . فإن في الصبر علىٰ ما تكره خيراً كثيراً ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفَرَج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

وقال الإمام الغزالي في « عقيدته المعروفة » : (وأنه تعالىٰ مريدٌ للكائنات ، مدبرٌ للحادثات ، فلا يجري في الملك والملكوت قليلٌ أو كثيرٌ ، صغيرٌ أو كبيرٌ ، خيرٌ أو شرٌّ ، نفعٌ أو ضرٌّ ، عِرْفانٌ أو نكرٌ ، فوزٌ أو خسرانٌ ، زيادةٌ أو نقصانٌ ، طاعةٌ أو عصيانٌ ، كفرٌ أو إيمانٌ . . إلاَّ بقضائه وقدره ، وحكمه ومشيئته ، فما شاء الله . . كان ، وما لم يشأ . . لم يكن ، لا يخرج عن مشيئته لفتةُ ناظرٍ ولا فلتة خاطرٍ ، بل هو المبدىء المعيد ، الفعَّال لما يريد ، لا رادَّ لحكمه ولا معقب لقضائه ، ولا مهرب لعبدٍ عن معصيته إلاَّ بتوفيقه ورحمته ، ولا قوة له علىٰ طاعته إلاَّ بمشيئته وإرادته .

ولو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين علىٰ أن يحركوا في العالم

ذرةً أو يسكِّنوها دون إرادته ومشيئته . . لعجزوا عن ذلك) اهـ

وقال ابن عطاء في « حِكَمِهِ » المشهورة : مما يدلك علىٰ وجود قهره سبحانه : أن حجبك عنه بما ليس موجوداً معه .

كيف يُتصور أن يحجبه شيءٌ وهو الذي أظهر كل شيء ؟!

كيف يُتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء ؟!

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء ؟! كيف يتصوَّر أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء ؟!

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟! كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهرُ من كل شيء ؟!

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟!

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شي ؟! كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه . . لما كان وجود كل شيء ؟! .

يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم ، أم كيف ثبت الحادث مع مَنْ له وصف القدم ؟! اهـ

وقال الشيخ علي بن أبي بكر السكران في هـٰذا المعنىٰ شعر :

الله قل وذر السِّوىٰ وارحل إلى ... حي البقا واشهد جمالاً جللا

وإلى المسمىٰ فٱرْقَ بالأسما وقل ... الله حيٌّ ثم قيومٌ علا

وعلىٰ براق نعوته وصفاته ... فاعرج وغب في الذات واشرب ما حلا

هـٰذا هو المُلك الأجل ومجمع الـ ... ـفضل العظيم وكل خيرٍ مُكْمَلا

هـٰذا الذي خُصُّوا به ساداتنا ... وحَظَوا بصافيه الأجل المُجْمَلا

هـٰذا كمال الفقر هـٰذا كل ما ... تحويه كُتُب الله والصفْوُ الملا

هـٰذا الغنىٰ هـٰذا الغنىٰ هـٰذا الغنى ... هـٰذا المنىٰ هـٰذا المنىٰ هـٰذا العلا

هـٰذا هو الإسم المعظَّم يا فتى ... وبه الإجابة في الشدائد والبَلا

هٰذا هو المقصود من شرح الألُىٰ ... هٰذا هو الصافي من شهد الزُّلا
هٰـذا تَبـاع المصطفـىٰ وثمـارُه ... هٰذا صفا زُبد الحقيقة مُجمَلا
هٰذا كمال الإرث هٰذا كل ما ... تحـويـه كُتْـب الله مـن سـرٍّ عـلا
فافتح خزائن سره وانظر لما ... يبدو من الياقوت من غالي الحُلَىٰ
ومجامع الأسرار والنور الذي ... يهدي إلى الإكسير صفوات الأولى

انتهى

وقال ابن أخيه أبو بكر بن عبد الله العدني رحمه الله :

قل حسبي الله فيما هُوْ عليَّ وليْ ... نعم الوليُّ فما بعد الوليِّ وليْ
أعمى البصيرةِ محتاجُ الدليل على ... من لو تَجَلِّيْه ما كان الجليُّ جليْ
وأفقر الناس في الدنيا وضَرَّتِها ... قلبٌ من الذوق من حب الإلٰه خَلِيْ
وعكسه إن أغنى الناس قاطبة ... قلب من الذوق من حب الإلٰه مُلِي
وكُـنِ الغنـيَ غنـيَ القلـب مغتنيـاً ... بالله من كل شيء من دَنِيْ وعَلِيْ

إلىٰ أن قال :

أعظمْ وسيلةٍ أرجوها لآخرتي ... قِلُّ اعتمادي علىٰ شيءٍ من العمل
وكيـف لا ولسـان الحـال نـاطقـةٌ ... ما يستحي العبد مني إذ يَقُلْ عملي
والكل ملكي ومن جودي ومن كرمي ... فهل يُمَنُّ بشيءٍ وهْوَ مني ولي

إلىٰ آخر ما قال رضي الله عنه .

وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رحمه الله تعالىٰ :

الله لا تشهـد سـواه ولا تـرى ... إلاَّهُ فـي ملـكٍ ولا ملكـوتِ
سبحـانـه سبحـانـه مـن مـاجـدٍ ... متفـردٍ بـالعـزِّ والجبـروت
مـن قَيَّـدَاه قصـوره وكَـلالُـهُ ... عـن أن يـراه فسِمْـهُ بـالمبتـوت
سـافـر إليـه بهمـة علـويـة ... حتىٰ تـراه وقُـلْ لنفسـك مـوتـي
وأقبِـلْ إليـه بكـل قلبـك قـاصـداً ... محـو الظـلال أُشِيـرُ للنـاسـوت

بالشمس شمس الذات حتىٰ لا ترى شيئاً سوىٰ متقدس اللاهوت

فإذا انتهيت إلى الذي عَرَّفتُهُ شاهدتَ من عرش إلىٰ بهموت

ورأيت سراً لم يُجِز إفشاءَهُ أهلُ الهدىٰ والكشف والتثبيت

إنا لنعلمه ولم نَحْظَ به ذوقاً لما معنا من التشتيت

وقال الإمام الغزالي في كتاب المحبة من « الإحياء » : (روي في الأخبار : أن بعض الصِّديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالىٰ أن يرزقه ذرةً من معرفته ، ففعل ذلك فهام في الجبال ، وحار عقله ولبه ووَلِهَ قلبه ، وبقي شاخصاً سبعة أيام لا ينتفع بشيءٍ ولا ينتفع به شيء ، فسأل له الصديق ربه فقال : يا رب ؛ انقصه من الذرة بعضها فأوحى الله تعالىٰ إليه : إنما أعطيناه جزءاً من مئة ألف جزء من ذرة من المعرفة ، فقال : سبحانك يا أحكم الحاكمين ؛ انقصه مما أعطيته ، فأذهب الله جملة من الجزء وبقي معه عشر معشاره ، وهو جزءٌ من عشرة ألف ألف جزء من ذرة ، فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن ، وصار كسائر العارفين) انتهىٰ باختصار .

ولله در القائل :

هنيئاً لأهل الدير قد سكروا بها وما شربوا منها ولٰكنهم هَمُّوا

وكم قد فَنُوا عنهم وغابوا عن الورى وما طعموها غير أنهمُ شَمُّوا

علىٰ نفسه فليبكِ من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

اللهم ؛ إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه ، وأستغفرك لما لا أعلمه (ثلاثاً) .

وأما الشريعة المشرفة المطهرة المكرمة ـ وهي الصراط المستقيم ، والدين القويم ، وهي اتباع الكتاب والسنة ـ . فليتقيد بها الإنسان في ظاهره وباطنه ، وحركاته وسكناته ، وأفعاله وأقواله ، وعاداته وعباداته ، ومخالطته وخلوته ، وأخذه وعطائه ، وإقدامه وإحجامه ، وقطعه ومواصلته ، وإقامته ورحلته .

وبالجملة : فليجعل هواه تبعاً للكتاب والسنة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۞ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بني إسرائيل تفرقت علىٰ ثنتين وسبعين ملة ، وإن أمتي ستفترق علىٰ ثلاثٍ وسبعين ملة ؛ كلها في النار إلاَّ أمةٌ واحدة » قالوا : من هي ؟ قال : « من كان علىٰ ما أنا عليه أنا وأصحابي » أخرجه في « تيسير الأصول » .

ومنه : قال صلى الله عليه وسلم : « أما إنها ستكون فتنةٌ » قيل : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله فيه نبأ ما قبلَكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينَكم . . . » إلىٰ آخر الحديث .

ومنه : قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير » .

ومنه : قال صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس علىٰ دمائهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

ومنه : قال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : « ألا أي شهرٍ تعلمونه أعظمَ حرمة ؟ » قالوا : ألاَ شهرنا هـٰذا ، قال : « ألا أي بلدٍ تعلمونه أعظمَ حرمة ؟ » قالوا : ألا بلدنا هـٰذا ، قال : « أي يومٍ تعلمونه أعظم حرمة ؟ » قالوا : ألا يومنا هـٰذا ، قال : « فإن الله قد حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلاَّ بحقها ؛ كحرمة يومكم هـٰذا ، في بلدكم هـٰذا ، في شهركم

هـٰذا ، ألا هل بلَّغت ؟ » ثلاثاً ، كل ذلك يجيبونه : ألا نعم ، قال : « ويحكم ـ أو ويلكم ـ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلِّغ الشاهد الغائب » انتهىٰ من « تيسير الأصول » من محال .

والكتاب والسنة مملوءان بأحكام الشريعة ، وبالوعد والترغيب بمن قام بها ، وبالوعيد الشديد والترهيب لمن زاغ عنها ، وإذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم نَسخت جميع شرائع النبيين والمرسلين . . كيف لا تنسخ الباطل وأحكام الجاهلية وإبليس اللعين .

قال الحبيب عبد الرحمـٰن بن عبد الله بلفقيه رحمه الله تعالىٰ :

فيا عجباً من كون كل قبيلة　　تشدد حكم الجاهلية والكفر
ومن كون أرباب القنيص وزمرة الـ　　ـعبيد لهم حكم يُمَشَّىٰ بلا عذرِ
وأحكام شرع الله مطروحة بلا　　ملام علىٰ من زاغ عنها ولا نكرِ

فعلىٰ من أراد نجاة نفسه من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة : أن يكلف نفسَه العملَ بأحكام الشريعة فعلاً وتركاً ؛ فلا يسامح نفسه بإهمال سننها وآدابها ـ فضلاً عن واجباتها ولوازمها ـ ولا يرتكب المكروه وخلاف الأولىٰ ـ فضلاً عن المحرمات والمحظورات ـ والإنسان ليس معصوماً ولـٰكن إذا وقع في معصيةٍ . . وجبت عليه التوبة فوراً ؛ وهي : الندم والإقلاع والعزم علىٰ ألاَّ يعود ، والقضاء إن كان مما يقضىٰ ، وردّ المظالم وإرضاء الخصوم إن تعلَّقت بآدمي .

ومن عمل صالحاً . . فلنفسه ، ومن أساء . . فعليها ، ومن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً . . يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً . . يره .

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في « تائيته الكبرىٰ » بعد أن ذكر مقامات الأولياء :

وكل علىٰ نهج السبيل السويِّ لن　　يخالف أمراً آخذاً بالشريعة
فإن الذي لا يتبع الشرع مطلقاً　　علىٰ كل حال عبد نفس وشهوة

صريعُ هوىً يُبكَىٰ عليه لأنه هو المَيْتُ ليس الميْتُ ميت الطبيعة
وما في طريق القوم بدءاً ولا انتها مخالفةٌ للشرع فاسمع وأنصت
وخلِّ مقالات الذين تخبطوا ولا تك إلاَّ مَعْ كتاب وسنة
فثم الهدىٰ والنور والأمن من ردىٰ ومن بدعة تُخشىٰ وزيغ وفتنة
ومتَّبِعو حكم الكتاب وسنةً هم المفلحون الفائزون بجنة
عليهم من الرحمـٰن رضوانُه الذي هو النعمة العظمىٰ وأكبر منة
ومن حاد عن حكم الكتاب وسنةٍ فبشره في الدنيا بخزي وذلة
وبشره في العقبىٰ بسكنىٰ جهنم وحرمان جنات الخلود ورؤية

انتهى

وأما الاستعانة بالرياضة علىٰ ذلك : فلا يخفىٰ فائدة ذلك للسالك وغيره .

أما العزلة عن الناس والبعد عنهم : فمن فوائدها : الفراغ للعبادة وللحرفة ، وعدم رؤية المنكرات وسماعها ، والصمت والراحة من مداراة الناس وغير ذلك ؛ فقد عدَّ لها الغزالي في كتاب العزلة ست فوائد ، كل فائدةٍ تحتها فوائد كثيرة .

وأما الصمت . . فقد عد الغزالي في كتاب آفات اللسان عشرين آفة ، ولا يُنْجي منها إلاَّ العزلة أو الصمت .

وأما تقليل الطعام . . فقد عد الغزالي له أيضاً في كتاب كسر الشهوتين عشر فوائد .

فمن أراد تفصيل ذلك والاطلاع عليه . . فعليه بهـٰذه الكتب .

وأما النوم . . فقد ذكر الغزالي أنه لا يكون أكثر من ثمان ساعات في اليوم والليلة إلاَّ أنه قال في بعض المواضع : (إلا أن تكون يقظتك وبالاً عليك فنم ؛ فإنه أحسن أحوالك وأحوالنا ، وأحسن بحالِ مَن تكون سلامته في تعطيل حياته) انتهىٰ بمعناه .

وقد جاء في الأثر أو الخبر : « يأتي على الناس زمان أفضل ما يجدونه في صحائفهم الصمت والنوم » .

اللهم ؛ مغفرتك أوسع من ذنوبنا ، ورحمتك أرجىٰ عندنا من أعمالنا (ثلاثاً) .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلـٰه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

* * *

الرسالة الثانية والعشرون
تذكرة العاقل من القبائل

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العليّ العظيم ، سبحانك لا علم لنا إلاَّ ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ، ويكافىء مزيده ، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه والتابعين .

أما بعد : فاعلموا رحمكم الله تعالىٰ : أن حمل آلة الحرب واتخاذها لغيرِ جهادِ الكفار أو قتالهم سببٌ لشرورٍ كثيرة ومفاسد عديدة ، وفيه التشبه بالظَّلَمة والأشرار ، وتكثير لسوادهم والدخول في غمارهم ، بل لا بد لحامل السلاح والمتزيي بزي أهله أن يدخل فيما دخلوا فيه : من أحكامهم وأفعالهم المخالفة لكتاب الله وشريعة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روىٰ أبو موسىٰ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خيرٌ من القائم ، والماشي فيها خيرٌ من الساعي ، فكسروا قِسِيَّكم ، وقطعوا أوتاركم ، واضربوا سيوفكم بالحجارة ، فإن دُخل علىٰ أحدٍ منكم . . فليكن كخير ابني آدم » رواه أبو داوود والترمذي .

زاد في رواية : قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : « كونوا أحلاس بيوتكم » انتهىٰ من « تيسير الأصول » .

فعلم من هٰذا الحديث : أن ترك السَّلَب هو اللازم والأصلح والأسلم إذا كان القتال بين المسلمين ؛ لأن مِن لازِمِهِ الدخول في الفواحش والتبعات ، المتعلقة بحقوق العباد التي هي من الكبائر الموبقات ، التي تشبه الكفر أو هي الكفر بعينه ـ علىٰ ما قال الحبيب عبد الله الحداد ـ مثل قتل النفوس التي حرم الله ، وظلم المساكين وترويعهم ، وأخذ أموالهم وسخرتهم في خدمتهم ، وتقطيع سبلهم وأسباب معايشهم وغير ذلك مما هو شائع وذائع من منكراتهم ؛ كردِّ أحكامهم إلىٰ غير الكتاب والسنة .

كيف ؛ وقد قال الله تعالىٰ في كتابه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ، وقال الله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ ؟!

فليتأمل الإنسان هٰذه الآياتِ والأحاديثَ إن كان يحب نفسه ويشفق عليها ، ولا يتبع الهوىٰ وحظ النفس والعادة وغرور الشيطان .

ومن لا خير فيه من الغوغاء والسفلة . . فيهلك نفسه ودينه وحاله وماله ، ويربي أولاده علىٰ هٰذه الحالة التي فيها هلاك الدنيا والآخرة ، والهم والغم ، في الحال والمآل ، ويرضىٰ لأولاده بهٰذا النكال والعذاب والخزي والعار عاجلاً ؛ ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ .

وقِسَمُ آبائهم من هٰذه الأشياء مثلهم تصلهم في حياتهم ، وبعد موتهم تصلهم إلىٰ قبورهم ثم بعد نشورهم ؛ لأنهم الذين ضيعوهم ولم يعلموهم ؛ بل علموهم الشر ، فعليهم وزرهم ووزر من تبعهم ؛ فمن سن سنة حسنة . . فله أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن سنة سيئة . . فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً .

فيا عجباً كل العجب ممن يرضىٰ لنفسه ولأولاده بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة!! ويظن أنه لا مُخْرِج ولا مُخَلِّص له عمَّا هو فيه وعليه لأجل كلام غوغاء وسفهاء ، ولا يترك ذلك لأجل سلامته وراحته في الدنيا والآخرة ، وسلامة أولاده وراحتهم في الدنيا والآخرة ، فتراه في عناءٍ ونكالٍ دائمٍ لا معه دِين ولا دنيا ، ولا راحة ولا سكون ، ولا هو ممدوح عند الله ولا عند خلقه ، ولا يسمع ولا يرجع ؛ فإنها لا تعمى الأبصار ولـٰكن تعمى القلوب التي في الصدور .

قال الله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ أي : علموهم دينهم ، وأدبوهم وفقهوهم ؛ فقد جاء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بال أقوامٍ لا يُفقِّهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ولا ينهَوْنهم ، وما بال أقوامٍ لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ولا يتعظون ، واللهِ ؛ لَيعَلِّمُنَّ قوم جيرانهم ، ويفقهونهم ويعظونهم ، ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمُنَّ قوم من جيرانهم ، ويتفقهون ويتعظون . . أو لأعاجلنهم بالعقوبة في دار الدنيا » .

قال في « الإحياء » في آداب النكاح : (وفي الخبر : إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات مثل الجبال ، فيُسأل عن رعاية أهله والقيام بهم ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه حتىٰ يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله ولا تبقىٰ له حسنة ، فتنادي الملائكة : هـٰذا الذي أكل عيالُه حسناتِهِ في الدنيا ، وارتُهِن بأعماله .

ويقال : إن أول ما يتعلَّق بالرجل يوم القيامة أهله وولده ، فيوقفونه بين يدي الله تعالىٰ فيقولون : يا ربنا ؛ خذ لنا بحقنا منه ؛ فإنه ما علَّمنا ما نجهل ، وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم ، فيقتص الله لهم منه .

وقال بعض السلف : إذا أراد الله بعبدٍ شراً . . سلَّط الله عليه في الدنيا أنياباً تنهشه ، يعني العيال .

وقال عليه السلام : « لا يلقى اللهَ سبحانه أحد بذنب أعظمَ من جهالة أهله ») اهـ

فهـٰذه نصيحةٌ ، فمن أراد الله هدايته وتوفيقه وسلامته . . سمع لها وعمل بها ، وحكمةٌ يَشكر عليها عاجلاً وآجلاً دنيا وأخرىٰ .

ومن أصرَّ واستكبر . . فلا ضرَّ إلاَّ نفسه ، وسوف يندم حيث لا ينفع الندم ، من عمل صالحاً . . فلنفسه ، ومن أساء . . فعليها وما ربك بظلام للعبيد ، ألا يظن أولـٰئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم .

قال الحبيب طاهر رحمه الله في خطبته : (هـٰذا ومن الجرائم العظيمة ، والفواحش الوخيمة : التقاتل بين القبائل والتغاور ، والتقاطع والتدابر والتنافر ، وهـٰذه مهلكات ردية ، وضلالات شيطانية ، وعادات جاهلية ، قد نهىٰ عن جميعها الشرع ، وزجر عنها بأبلغ الزجر والردع ؛ لما فيها من هلاك الأموال والأحوال والأديان ، ودوام الفتن والهموم والأحزان ؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ إنما بين الأحكام وأقام الحدود ؛ لينزجر كل ماردٍ مطرود ، وتضحي سبل الفساد كلها مسدودة ، ويتيسَّر سلوك الطرق المحمودة .

فما لهـٰؤلاء الأقوام لا يكادون يفقهون حديثاً ، يسعون إلىٰ طرق الفساد سعياً حثيثاً ، أما يتعظون بما يلاقون من المحن والأخواف ، والتفرق والاختلاف ؟! أما يعتبرون بما تولد من ذلك من دوام الفتن ، المستغرقة لجميع العمر والزمن ؟!

ففي ذلك ما يوجب الانزجار لأولي الأبصار والاعتبار ، مع ما فيها في الدنيا من الخسار والبوار ، والخزي والعار ، وفي الآخرة من النكال والنار ، واللعنة وسوء الدار .

فهل من رشيدٍ يحسم مادة هـٰذا الشر ، ويسعىٰ في إزالة هـٰذا المنكر : يصدهم عن هـٰذا الديدن المرذول ، ويرد الأحكام كلها إلى الله والرسول ، فيميت بدعة قبيحة ، ويحيي سنة صحيحة ؟!

وأقبح من هـٰذا وأشنع ، وأردىٰ منه وأبشع : التحاكم إلى الطاغوت ، والترافع إلىٰ كل جاهلٍ ممقوتٍ ، فلا جَرَم هـٰؤلاء قوم لا يفقهون ، أفحكمَ الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟!

أليس الله سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ فكيف يستبدلون الأدنىٰ بالذي هو خير ، ويؤثرون القهقرىٰ في السير ؟!

إن هي إلاَّ مكيدة كادهم الشيطان بها تبعيداً ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ .

وقال سبحانه تبياناً وتعليماً ؛ مخاطباً لنبيه الذي ما زال بالمؤمنين رحيماً : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ .

وقال أيضاً ـ ولا شيء أصدقُ من قيله ـ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ .

وقال تعالىٰ ـ وأحسن الحديث ما قال ـ : ﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ فهـٰذا كلام الله العظيم الحكيم ، يهدي إلى الحق وإلىٰ طريق مستقيم ، ويزجر عن هـٰذا المسلك الذميم ، بل هو حاكم بنفي الإيمان عمَّن يختار هـٰذا التحكيم الوخيم .

فاحذروا ـ رحمكم الله ـ مخالفة الشرع المصون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾) اهـ

قال الحبيب علي بن حسن العطاس رحمه الله : (نظرت في قَبْوَلَة قبائل أهل الجهة الحضرمية فإذا هي مؤسسة على النار ؛ وذلك أنهم إذا قتل إنسان إنساناً . . بادر أصحاب المقتول بطلب ثأرهم ، فمن وجدوه من قبيلة القاتل . .

قتلوه ، وهٰذه طريقة أعظم من طريقة الجاهلية ؛ لأن الجاهلية يقتلون النفس بالنفس ، ولهٰذا الخطر العظيم والمورد الوخيم ترك سلفنا وساداتنا آل أبي علوي السلاح ، فجزاهم الله عن خلفهم خيراً لا سيما سيدنا الفقيه المقدم الذي هو في كل خير مقدَّم) اهـ

وقال الشيخ محمد بن عمر باجمال في كتاب « مقال الناصحين » : (ومن المشهور عن أهل الفضائل ممَّن سلف من القبائل من الطرائق الحسنة المطلوبة لأهل السلاح أنهم يحفظون الذمة ولا ينقضون عهد الله ، وإن وَعَدوا . . لم يخلفوا ، وإن حَدَّثوا . . لم يكذبوا ، وإن أُودعوا أمانة أو خُصُّوا بسريرةٍ . . حفظوا وكتموا ، ويكافئون بالصنيعة ، ويجازون بالحسنة وإن قلَّتْ ، وهٰذه كلها مما ندبت إليها الشريعة ، واليوم قد انعكس الحال كما ترىٰ) انتهىٰ باختصار .

فانظر إلىٰ أحوال حملة السلاح الآن تراها قد ذهب خيرها وبقي ضرها ، ذهب زينها وبقي شينها ، ذهب معروفها وبقي منكرها ، ذهبت حسناتها وبقيت سيئاتها ، ذهبت راحاتها وبقيت ترهاتها ، فهل يرضىٰ عاقل لنفسه أو لأولاده أو لقبيلته أو لمسلمٍ أجنبي بهٰذه الخصال الضارة في الدنيا والآخرة ؛ وقد ورد في الحديث : « لا يكتمل إيمان أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

فمن عرف أن هٰذه نصيحة وعمل بها . . فما أحسن إلاَّ لنفسه ، ومن ردَّها ولم يعمل بها . . فما ضر إلاَّ نفسه ، وله نيته ولنا نيتنا ، وله عمله ولنا عملنا ، تركوا الشريعة المطهرة واتبعوا عادات الجاهلية المكفِّرة .

قال الحبيب عبد الرحمٰن بن عبد الله بلفقيه في أثناء قصيدته الرائية :

فيا عجباً من كون كل قبيلة　　　تشدد حكم الجاهلية والكفر
ومن كون أرباب القنيص وزمرة الـ　　　ـعبيد لهم حكم يُمَشَّىٰ بلا عذر
وأحكام شرع الله مطروحة بلا　　　ملام علىٰ من زاغ عنها ولا نُكْرِ

وقال غيره شعراً :

مـن أراد الهـمَّ والغـمَّ الكبيـرْ ... فليكـن للنـاس سلطـانَ أو وزيـرْ
أو أراد الشـرَّ والضـرَّ الكبيـر ... والكَـدَرْ والإثـمَ والـوزرَ الغـزيـر
والمِحَنْ والفقر والحال الضرير ... والألمْ فوراً وفي اليوم الأخير
فهْوَ في ذي القَبْوَلِهْ يا مستشيرْ ... اجتمـعْ فيهـا المَنـاكـرْ والنكيـر
والـرزءْ كلُّـهْ كبيـرُهْ والصغيـر ... كلهـا شـرٌّ شَـرارُهْ مستطيـر
مـا بهـا خيـرٌ فتيـلٌ أو نقيـر ... مـا لهـا مـن حمْلـة الشر نظير
بئسَ أولْهـا ويـا بئـسَ المصير ... فالحذرْ منهم فإني لكْ حذير
ونصيـحٌ وبشيـرٌ ونـذيـر ... لا تخـالطهـم فهـم بئس العشير
أو تجـالسهـم تكـن منهـم تصير ... خالَفوا شرع النبي الهادي البشير
وكتـابَ الله والحـقَّ المنيـر ... ثـم طـوبىٰ للـذي قلبـه نـويـر
خاملٌ في الناس ما يُعرَفْ حقير ... يـذكـر اللهَ بقـولِـهْ والضميـر
مـا لَـهُ هـمٌّ سـوى الله الكبيـر ... وعبـادةْ ربـهِ الفـرد الخبيـر
خيـرُهُ مبـذولْ للنـاس كثيـر ... كلُّـهُ نفـعٌ قعـودُهْ والمسيـر
ينصح الجاهلْ ويرحمْ للضرير ... يُنكِـرُ المنكـرْ وللحـقِّ نصيـر
ضرُّهُ مأمونْ من خوف القدير ... رَبِّ أَجرنـي إنني بَكْ مستجير
من جميع الشر يا نعم المجير ... أنت لي ناصرْ ويا نعم النصير
وارحم المسكين والطفل الصغير ... تـب علينـا وأكفنـا نـار السعيـر
وصـلاة الله ذي الفضـل الكثيـر ... تتغشـى المصطفى البـدرَ البشيـر

انتهىٰ

فإن قال قائل : فما ذكرتَه حق وصدق فيمن سلكَتْ به قَبَلِيَّته هٰذا المسلك . . فما تقول فيمن حمل السلاح ولم يفعل به شيئاً من المحرمات، وقام بفروضه الواجبات، بل دفع به عن المساكين الظلم والأذيات، وانفعلت به جملة من الخيرات ؟! قلنا : هٰذا علىٰ خير من ربه ، ولٰكنا نخاف عليه ألاَّ يكون أولاده مثله ، وأن قبيلته تفعل أشياء محرمة ويسكت عليها أو يرضىٰ بها ، ويكون قد كثَّر سوادهم ، ويدافع عن قبيلته وإن كانوا ظالمين وغير ذلك من الأمور المخالفة للشريعة ، ولا ينكر ذلك ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله تعالىٰ : وعزتي وجلالي ؛ لأنتقمنَّ من الظالم في عاجله وآجله ، ولأنتقمنَّ ممن رأىٰ مظلوماً يقدر علىٰ أن ينصره فلم يفعل) اهـ

والمرء من جليسه وعلىٰ دين خليله ، ومن حام حول الحمىٰ . . يوشك أن يقع فيه ، بل قال لي بعض المحبين رحمه الله : إن أهل محلته يفعلون أشياء مباحة وإنما لا تليق بأهل المروءة ، فحتمت علىٰ نفسي ألاَّ أحضرها ولا أنظرها ، فلم تزل نفسي تطالبني بالنظر فنظرت ، ثم بالحضور فحضرت ، ثم بعد ذلك صرت معهم ومثلهم ، فانظر إلىٰ هٰذه القصة واتعظ بها واعتبر بها ، واجعلها مثالاً لكل ما الناس فيه من الذي لا يُرضي اللهَ والرسول ؛ فإنك تقول : أجالسهم ولا أدخل معهم فيما هم فيه ، ثم عن قريب تكون معهم ، ومن احتاط . . فما احتاط إلاَّ لنفسه ، ومن فرَّط . . فإنما ضرَّ نفسه ، من عمل صالحاً . . فلنفسه ، ومن أساء . . فعليها ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً . . يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً . . يره .

فإن قال قائل : فكيف المخرج لحملة السلاح من هٰذا البلاء العظيم والديدن الوخيم . . قلنا : المخرج منه اجتماع رأيهم وكلمتهم علىٰ واحدٍ يجري بهم في كل الأمور علىٰ قانون الشريعة المطهرة ، وينصرونه علىٰ ذلك ، وإذا تحيروا في أمر . . رجعوا فيه إلىٰ رأي أهل الخير والصلاح ؛ فبذلك يظفرون بالفوز والفلاح ، ويسلمون من كل حرج وجُناح .

وفق الله الجميع لذلك وما ذلك على الله بعزيز ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قال المؤلف : وكان الفراغ من تبييضها فاتحة شوّال سنة (١٢٧١هـ) .

* * *

الرسالة الثالثة والعشرون
خطبة جليلة
وهي لسيدنا الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً نستجلب به الرضا ، ونستدفع به سوء القضاءْ ، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادة يغفر بها ما تأخر وما مضىٰ ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المرتضىٰ ، صلى الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه المقتفين سبيله في كل إحجام وإمضاءْ .

أما بعد :

فَاعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ : أن الأصل والأساس، هو معرفة المعبود قبل العبادة ؛ وذلك حقيقة معنى الشهادة .

فمن شهد لله بالقِدم والوجود ، وأنه الخالق الرازق لكل موجود ، وأنه بُدِىء منه كل شيء وإليه يعود ، وأنه منعوت بغايات نعوت الجلال والجمال ، منزهٌ عن كل نقصٍ أو ما ليس بكمال ، مباين لكل ما يسنح في خيالٍ أو يخطر ببال .

وشَهِدَ أنه أرسل سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام إلىٰ كافة الأنام ، وأنه بلغ الرسالة وبيَّن الأحكام ، ومهد الأصول والفروع علىٰ أحسن نظام . فقد اتصف بخالص التوحيد ، وانتظم في سلك الموحدين من العبيد ، ولقد أسس بنيانه على التقوى، المنجية لمن تمسَّك بها من كل بلوىٰ .

فأوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله ؛ فإنها الجواز إلىٰ درج النعيم ،

والمجاز عن درك الجحيم ، فهي كلمة لحدود الدين جامعة ، ووصية لمن تمسَّك بها نافعة ، أَلاَ وإنها الامتثال لما به الله أمر ، والانزجار لكل ما عنه زجر ، فاعتصموا رحمكم الله بحبلها ، واسلكوا واضحات سُبْلها .

وأحثكم على الصلاة ؛ فإنها باب الملة ومعظم النحلة ، فالمحافظ عليها فائز، ولجميع خيرات الدنيا والأُخرىٰ حائز ، والتارك لها كسلاً المتهاون بها ثقلاً يُطرد طرداً ، ويُقتل حدّاً ، بل قال بكفره كثير من الصحابة العظماء ، وأفتىٰ به جمعٌ من العلماء .

وأما تاركها جحوداً . . فلا شك في كونه للنار وقوداً ؛ إذ هو كافر بالإجماع ، ملعونٌ بلا نزاع ، يخلد في طبقات النيران، مع فرعون وهامان .

ثم إن لها كثيراً من الأركان والشروط ، والقبولُ والصحة بكلها منوط ؛ فالسعيد من قام بشروطها وأركانها ، وبالغ في تكميلها بإحسانها ، والمحروم من حُرم الإحسان ، وأخل ببعض الشروط والأركان .

وينبغي الاحتياط والتأني لأوقات الصلاة ، حتىٰ يتضح الوقت بلا ترددٍ واشتباه ، لا سيما الصبحُ فأوّل وقته فيه خفاء لا ينكر ، يعسر الوقوف علىٰ أوّله بل يتعذر ، ومع السحاب والمطر يحتاج إلى التأني أكثر ، فلا يستخفنكم الشيطان ليوقعكم في البطلان ؛ فإن صحة الصلاة موقوفة على الوضوح والبيان واليقين والاطمئنان ، وقد ورد عن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ما يُشَمُّ منه خروج التارك للصلاة في الجماعة عن الإسلام ؛ إذ وصف التاركين لها بالنفاق ، وتوعدهم بالإحراق .

وأحثكم على الصيام ؛ فإنه جُنَّةٌ من العذاب وسبيل إلى الثواب ، لا يُحَد أجره بمقدار ، ولا يعلم ثوابه إلاَّ العزيز الغفار ؛ كما وردت به الأخبار ، فإذا كان يوم صوم أحدكم . . فليصنه عمَّا يشينه ، وليعمره بما يكمِّله ويزينه .

وعلىٰ أداء الزكاة ؛ فإنها حق في أموالكم معلوم ، وفرض في دينكم محتوم ، تزكو بأدائها الأموال، وتندفع بها عنها الأهوال ، ومنعها موجب

لإهلاكها ، معذِّب لمُلاَّكها ، يطوَّقونها يوم القيامة حية ، وتُكوَىٰ بها جباههم وجنوبهم كية بعد كية .

وعلىٰ حج البيت ؛ فإنه يجلب الوقر ، ويسلب الفقر ، وقد أمر الله نبيه إبراهيم أن يؤذِّن بالدعوىٰ إلىٰ بيته الكريم ، فلبوا ـ رحمكم الله ـ سراعاً ، وبادروا به قطاعاً ، هل تنتظرون إلا فتناً فِظاعاً ، أو فقراً منَّاعاً ، أو موتاً فجَّاعاً ، علىٰ أنه ورد في السنة السنية : أن تارك الحج بعد الوجوب يموت على اليهودية أو النصرانية .

وأحثكم علىٰ تلاوة القرآن ، فأحسنوها أيها الإخوان ، فالقرآن أولىٰ شيء بالإحسان ؛ لأنه كلام الملك الديان ، فجوِّدوه بما وضع لذلك من علم التجويد ، وزينوه بتحسين الصوت والهيئة في الترديد ، وأئمة الصلاة أحق بمزيد الإحكام والتحسين ؛ لأنهم ضامنون كما ورد عن الهادي الأمين ، فكل ذلك داخل تحت اللزوم والوجوب ، وحق متعيِّن لكلام الرب على المربوب .

واحذروا اللحن في الإعراب ، وإخراج بعض الألفاظ عن شاكلة الصواب ؛ فإن ذلك منكر مطلقاً وزيادة في المساجد ؛ كما ذكره في « الإحياء » إمامنا أبو حامد .

وكونوا من خيار القراء والحملة ، ولا تغتروا بقراءة من تسمعونه من المقصرين الجهلة ، فما هٰكذا قرأه السلف ، وإنما حصل التساهل من المتأخرين من الخلف ، وقد قسم الحقُّ من أورثه الكتاب ، إلىٰ ظالمٍ ومقتصدٍ وسابقٍ أوّاب ، فجعلهم ثلاثة أحزاب ، وشمل ما نحن فيه ظاهر الخطاب ؛ لأن لظاهر كلام الله كثيراً من الأحكام ، فينقسم الناس في القيام بها علىٰ هٰذا الانقسام ، فارتفعوا رحمكم الله عن حضيض النقصان ، واطلبوا الكمال في كل شان .

وعلىٰ صدقة السرّ ؛ فإنها تكفر الخطايا وتدفع بغتات المنايا ، وكم حث الله على الصدقة في كتابه المجيد ، ورغَّب فيها بما ليس فوقه مزيد!!

فتأملوا بالخصوص سورة (الحديد) تجدوا فيها ما يحملكم علىٰ ذلك الفعل الحميد ، ويسهل لكم منه كل شديد .

وعلىٰ صلة الرحم ؛ فإنها مثراة في الأموال ، منسأة في الآجال ، دالة على التحلي بمكارم الخلال ، وأَمَارة قاطعة بحسن المآل ، فاحذروا القطيعة فإنها فاحشة فظيعة ، عذابها أليم ومرعاها وخيم ، القاطع ملعون بنص القرآن ، القاطع ضعيف الإيمان ، القاطع لا يجد رائحة الجنان ، القاطع يتعدىٰ شؤمه إلى الجيران ، فصِلُوا أرحامكم أيها الإخوان ؛ فإن الرحم معلقةٌ بقائمة من قوائم عرش الرحمـٰن ، تدعو علىٰ قاطعها بالحرمان .

واجتنبوا الكبائر واحذروا الجرائر ؛ فإن المعاصي دليل الخسر وبريد الكفر ، ومن عصى الله . . فقد تعرَّض لمحاربته وانتدب لمغالبته ، ومن ذا له يَدانِ، بمحاربة الملك الديان .

ومما يوجب المحق في الأموال والنفوس ، والعذاب في النيران والرموس : أخذ أموال الناس بالغصب والسرقة والمكوس ، وبغبن المسترسل المبخوس ، فهـٰذا كله من أكل أموال الناس بالباطل ، وفاعله ظالم آثم خاطل .

ويختص المَكَّاس بجملة من المذام ، وردت فيه عنه عليه الصلاة والسلام ، فاجتنبوا رحمكم الله كل محظور حرام ، ولا تحقروا شيئاً منها ؛ فقد يكون سبب الغضب والانتقام .

ومن جملة الذنوب : لُبس الحرير للرجال ؛ إذ هو خنوثة لا تليق بشهامتهم بحال ، فمن لبسه . . فقد ظلم وأساء ، وتشبه بالمخنثين والنساء ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من لبسه في الدنيا . . لم يلبسه في الآخرة » فأخذ بعض العلماء من هـٰذه العبارة الفاخرة أن لابسه لا يكون إلاَّ في أهل السعير ؛ لأن الله تعالىٰ يقول في وصف أهل الجنة : ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ .

ومثل الحرير في التحريم على الرجال : الفضة والذهب ، فمن تحلَّىٰ بشيءٍ

منهما . . فإنما تحلَّىٰ بنار ذات لهب ، فليتق المؤمن هـٰذه الحلية واللباس ؛ فإنما يفعل ذلك من لا خلاق له من الناس .

ومن جملتها : كشف العورات ، وقد فشا فعلها في جميع الجهات ، فستر العورة واجبٌ محتومٌ ، وكاشفها وناظرها مأثومٌ ، وقد أمر الله بغض البصر عن العورات ، فقال تعالىٰ في سورة (النور) : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ .

وجميع بدن المرأة عورة ، فيحرم النظر إليها وإن كانت قبيحة الصورة ، فالنظرة إليها سهم مسموم ، من سهام إبليس المرجوم ؛ لأنها تدعو إلى الفكر ، والفكر يدعو إلى الزنا ، والمحتاط مَن حَسَم المادة من هنا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » ، فوجب على المؤمنين اتقاء هـٰذه البأساء، بالبعد عن مظان الأسباب الداعية إلىٰ ما يخشىٰ ؛ فإن الخلوة والنظر والاستماع داعيات إلى الفحشاءْ ، فتجب الصيانة والاحتجاب عن جميع هـٰذه الأسباب ، قال الله تعالىٰ في سورة (الأحزاب) : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ .

فلا يجوز حجمُ الرجالِ النساءَ ولا العكس ، بل يحجم الجنس منهما الجنس ؛ حذراً ممَّا يتولَّد من ضد ذلك من الرجس ، فيجب على الكفاية تعلم بعضهن الحجامة ؛ لأن ذلك تعين طريقاً للسلامة .

وعورة الحرة في الصلاة جميع البدن ، ما سوى الوجه والكفين ، وعورة الرجل مطلقاً والأمة في الصلاة ما بين السرة والركبتين .

وتنظر المرأة من المرأة ، والرجل من الرجل ما سوىٰ ذلك ، والمَحْرَم مع محرمه كذلك ، والمتعدي لحدود الله هالك ، فلا تتعدوا الحدود ، وتودَّدوا بالطاعة إلى البر الودود ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق ، والقتل من الموبقات المحبطات للحسنات ، الموجبات للانتقام سريعاً : ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ ، فمَن أعظمُ مِن هـٰذَا جُرماً ، ومن أخسر منه قلباً وجسماً ؟!

وأزجرُ من ذلك ما حكاه الله بعد حكاية الحُكْم تتميماً : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ حتىٰ أخذ بعض العلماء من هٰذه الآية أنه لا تقبل له توبة ، وأن توبته عن الله محجوبة ، فإياكم أن يُلِمَّ أحدكم بذلك إلماماً ؛ فإن المرء في فسحة من أمره ما لم يصب دماً حراماً .

وحكم الله في قتل العَمْد : القصاص، النفس بالنفس ليس له عن ذلك مناص ، إلاَّ أن يعفو ورثةُ القتيل، مجاناً أو على الدية ، أو علىٰ مالٍ كثيرٍ أو قليلٍ .

ودية العمد مئة من الإبل كوامل ، ثلاثون حِقَّة وثلاثون جذعة وأربعون خَلِفة حوامل ، معجلة مُسلَّمة من مال الذي قتل ، مع عتق رقبةٍ مؤمنةٍ سليمةٍ من كل عيبٍ يخل بالعمل .

ودية الخطأ وشِبْه العمد مئة من الإبل كاملة ، مؤجلة في ثلاث سنين على العاقلة ، مثلثة في شبه العمد ، مخمسة فيما ليس بقصد ، وعتق الرقبة عليهما محتوم ، والمتهاون بأحكام الله خاسرٌ ومحروم .

ويجب القصاص في الجراحات وقطع الأطراف ، إذا أمكن استيفاؤها بلا حَيْف وإجناف ، وإلاَّ . . فيجب فيها الحكومة ؛ وهي جزء من الدية بنسبةٍ معلومة .

هٰذا ومن الجرائم العظيمة ، والفواحش الوخيمة : التقاتل بين القبائل والتغاور ، والتقاطع والتدابر والتنافر ، وهٰذه مهلكات ردية ، وضلالات شيطانية ، وعادات جاهلية ، قد نهىٰ عن جميعها الشرع ، وزجر عنها بأبلغ الزجر والردع ؛ لما فيها من هلاك الأموال والأحوال والأديان ، ودوام الفتن والهموم والأحزان ، وبيَّن الأحكام وأقام الحدود ؛ لينزجر كل ماردٍ مطرود ، وتضحي سبل الفساد كلها مسدودة ، ويتيسر سلوك الطرق المحمودة ، فما لهٰؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ، يسعَون إلىٰ طرق الفساد سعياً حثيثاً ،

أما يتعظون بما يلاقون من المحن والأخواف ، والتفرق والاختلاف ؟!

أما يعتبرون بما تولَّد من ذلك من دوام الفتن ، المستغرِقة لجميع العمر والزمن ؟! ففي ذلك ما يوجب الانزجار لأولي الأبصار ، والاعتبار مع ما فيها في الدنيا من الخسار والبوار ، والخزي والعار ، وفي الآخرة من النكال والنار ، واللعنة وسوء الدار ، فهل من رشيد يحسم مادة هٰذا الشر ، ويسعىٰ في إزالة هٰذا المنكر ، يصدّهم عن هٰذا الديدن المرذول ، ويردُّ الأحكام كلها إلى الله والرسول ، فيميت بدعةً قبيحة ، ويحيي سُنّةً صحيحة .

وأقبح من هٰذه وأشنع ، وأردىٰ منه وأبشع : التحاكم إلى الطاغوت ، والترافع إلىٰ كل جاهلٍ ممقوت ، فلا جَرَم هٰؤلاء قوم لا يفقهون : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أليس الله سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ فكيف يستبدلون الأدنىٰ بالذي هو خير ، ويؤثرون القهقرىٰ في السير ؟! إن هي إلاَّ مكيدة كادهم الشيطان بها تبعيداً ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ .

وقال سبحانه وتعالىٰ تبياناً وتعليماً ، مخاطباً لنبيه الذي ما زال بالمؤمنين رحيماً : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ .

وقال أيضاً ولا شيء أصدق من قيله : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ .

وقال تعالىٰ وأحسن الحديث ما قال : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ ، فهٰذا كلام الله العليم الحكيم ، يهدي إلى الحق وإلىٰ طريق مستقيم ، ويزجر عن هٰذا المسلك الذميم ، بل هو حاكم بنفي الإيمان عمَّن يختار هٰذا التحكيم الوخيم .

فاحذروا ـ رحمكم الله ـ مخالفة الشرع المصون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ ، ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۞ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ .

وحفظ اللسان واجب عن كل محذور ؛ إذ لا يكب الناسَ في النار إلا حصائدُ ألسنتهم كما هو في الحديث مشهور ؛ وذلك مثل الغيبة والنميمة ، والكذب والزور ، والقذف والشتم والسب واللعن وغيرها ممَّا هو في « الإحياء » مذكور .

ومن أقبحها في الذم والجرم : التشجيع على الظلم ؛ كلمز بعض الجهلة لبعض حملة السلاح ، يجرِّئُه ويغريه علىٰ قتل من لا جناية عنده ولا جناح ، وهٰذا من أعظم آفات اللسان ، فيكون شريكاً في دم ذلك الإنسان ، وكاللسان في كل ذلك القلم ؛ إذ هو أحد اللسانين بلا جَرَم ، بل ضرره أعظم وأدوم ، فليصنِ الإنسان قلمه عن كتابة الحيل والمخادعات ، ومنكرات حادثات المعاملات ، وكذلك الوصايا والنذور التي تكرر وقوعها في هٰذه العصور ، المشتملة على الحرمان والضرار ، المباينة لما يفعله الصالحون الأخيار ، الشاهدة علىٰ فاعلها وحاضرها بقبح الإعلان والإسرار ، وعدم اتقاء العار والنار .

وَٱعۡلَمُوٓاْ : أن القذف من الكبائر العظيمة ، والجرائم الذميمة ، والأقوال المشئُومة الوخيمة ، فلا يصدر إلاَّ من خبيث الطوية ، سيء الظن بالبرية ، بعيد عن وصف أهل الإيمان ؛ فإن المؤمن ليس بالطَّعان ولا باللعان ، بل القاذف يقول ما ليس به عليم ، يحسبه هيناً وهو عند الله عظيم ، قد لعنه الله في محكم الكتاب ، وتوعَّده بأليم العقاب ، فاتقوا رحمكم الله ما يُسخِط الرب ، واجتنبوا القذف واللعن والسب .

وحكم القاذف إذا لم يأتِ بأربعة من الشهود أن يُحَدَّ بالحدِّ المحدود ،

وذلك أن يجلد الحر ثمانين كما أوضحه الكتاب المبين ، والعبد يجلد أربعين كما صحَّ عن سيد المرسلين ، ومن قذف زوجته بالزنا . . فالحد عليه كما ذكر ههنا ، لـٰكنه يسقط عنه باللعان ؛ أن يشهد أربع شهادات كما في القرآن .

وإياكم والاستسقاء بالأنواء ؛ فإنها من الأدواء ، وقد عمَّ بها البلوىٰ ، وذلك كأن يقول : مُطِرنا بنجم السماك أو العوّا ، فهـٰذه من مقالات ذوي الأهواءْ ؛ إذ لا يقول ذلك ذو تقوىٰ ، بل المتقي يعترف لله بنعمته ، ويقول : مُطِرنا بفضل الله ورحمته ، فيضيف الأشياء إلىٰ ربه ؛ كما هو معتقده بقلبه .

وأحذركم الحَلِفَ بالله في جميع شأنكم ، ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ، وأما الحلف بالآباء والجدود ، وبكل مخلوق وإن عظم . . فغير محمود ، ويختلف الحكم فيه باختلاف القصود ، فبعض صوره قادح في التوحيد ، وما دون ذلك . . فمكروه للنهي الشديد ، وأشد من ذلك الحلف بالأمانة ، فالمحتاط من كفَّ عن كل ذلك لسانه .

ومن المهم الاحتياط والتثبت في رؤية الأهلة ؛ لأنها مواقيت لشرائع الملة ، وقد عمَّ الابتلاء فيها بشدة الفحص والتنقيب ، وتداعىٰ الأمر حتى انتهى الحال إلىٰ ظهور شيءٍ عجيب ، يمجُّه الطبع ولا يقبله الشرع ، وإنما نشأ ذلك من التساهل في قبول كل مردود ، لا يعد في المرضيين من الشهود ، حتىٰ توغلوا في التقديم وباينوا سائر الأقاليم .

والنصيحة من الدين ، والذكرىٰ تنفع المؤمنين ، فينبغي أن ينتدب للرؤية ثقات أجلَّة ، يؤدونها لله لا لحظٍّ ولا علَّة ، ولا يتعرَّضون لها إذا قطعت باستحالتها الأدلة ؛ لأن التصدِّي لها مع الاستحالة عبثٌ في الجملة .

ولا تقربوا الزنا ؛ فإنه الفاحشة بنص الكتاب ، والفضيحة يوم الحساب ، ولَمَّا كبر مقتاً وساء سبيلاً . . جعل الله عقابه في الدنيا وبيلاً ؛ المحصَن يُرجَم حتىٰ يموت كما أوضحته السنة ، وغيره يُجلَد مئة ويُغرَّب سنة ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ ، وأحرىٰ أن يُتقىٰ ، وقد ورد أن الزاني حين يزني يفارقه

الإيمان ، وذلك أعظم خذلان ، فالحذر الحذر حتىٰ عن الخوض والفكر ؛ فإنها زنا اللسان والقلب كما أن زنا العين النظر .

ولا تشربوا الخمر ؛ فإنها تفقد اللب وتسخط الرب ، تحمل شاربها علىٰ نكاح أمه ، وعلىٰ ضرب أبيه وعمه ، وسبه وشتمه ؛ فهي أم الخبائث بالعِيان ، ورجس سيء من الشيطان ، وشاربها وعاصرها وكل من أعان عليها ملعون ، ومن كل خير محروم ومغبون ، والمدمِنُ عليها بكل شر مقرون ، وحَدُّ شاربها أربعون جلدة ، وللإمام الزيادة إلىٰ ما لا يبلغ حده .

ألا وإن هـٰذا التنباك من أسوء القبائح حالاً ، وأوسعها في الشرِّ مجالاً ، يخدر العقول ، ويصد عن الفضائل ويدعو إلى الفضول ، يتولد منه السعال والضنىٰ ، ويجر إلىٰ صحبة الأضداد من القرناءْ ، وإلىٰ مجالس الفحش والخنا ، ويملأ الفم بل سائر الجسد نَتَناً ، وكفىٰ بهـٰذه فتناً ومحناً ، فالعاقل لا يرضىٰ بهـٰذه البلايا ، ولا يحوم بساحات هـٰذه الدنايا ، ولو لم يكن فيه إلا التشبه بالأشرار . . لكان كافياً في الانزجار ، فاحذروا ـ رحمكم الله ـ منه حذراً .

وانتشاق التنباك مثل شربه في الذم ، بل هو أقبح وأخزىٰ وأشأم ؛ إذ به يصَعْدَ نفسُه إلى الدماغ والراس ، فيكون أبلغ في إثارة ما فيه من الخواص الخساس ، علىٰ أنه شاع أنه معجون بالخمر وقد يغلظ الحال إن ثبت هـٰذا الأمر ؛ لتكرار الحرمة ومخامرة النجاسة ، وتعديها منه إلىٰ ما لاقاه وماسَّه ؛ فهو سعوط الشيطان بلا ريب ، يخرج به من أوليائه كل نقص وعيب ، فاجتنبوا وفقكم الله هـٰذا السعوط ، الموجب لكل نزول وهبوط ، وبُعْدٍ عن الله وسقوط .

ولا تأكلوا الربا ؛ فإن ربحه خسران وزيادته نقصان ، وقد نصَّ الله علىٰ تحريمه في القرآن ، وآذن مرتكبه بالحرب العوان ، وأخبر أنه ممحوقٌ علىٰ ممر الأزمان ، ولعن آكله وموكله وكاتبه وشاهده وكل من عليه أعان ، كما صحَّ ذلك عن سيد ولد عدنان ، فليس بعد بيان الله ورسوله بيان .

هـٰذا والمشاهدة ظاهرة في هلاك أهل الربا ، وصيرورتهم في أسرع زمانٍ كالهبا ، وحقيقته : بيع أحد النقدين أو المطعومين بجنسه ، مع زيادة في أحدهما أو تفرق قبل تقابض في مجلسه ، أو بيع أحدهما بغير جنسه بلا تقابض في الحال ، هـٰذا بيانه علىٰ سبيل الإجمال .

وهو أبواب جمة ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه ، ومن جملة أبوابه الكيل واللجمة ، والقرض بشرطِ جرِّ نفعٍ ولو كان لقمة ، ومن جملة أبوابه معاملات مخترعة قبيحة مستبشعة فاجتنبوها كلها ؛ فإنها ربا جاء التحذير عنها من غيرما نَبَأْ .

واجتنبوا مال اليتيم ؛ فإنه نارٌ بنص القرآن الكريم ، وأحسنوا قضاء الغريم ؛ فإن مطله ولَيَّه ظلم عظيم ، والمظالمَ المظالمَ ؛ فإنها البلاء المُلازِم ، ديوانها لا يُترك وتبعتها لا تُفرَك ؛ فإنها ظلمات لا يجلوها إلا القضا ، أو الإحلال مع صدق الرضا ، ولا يكشفها إلا الأداءْ ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً . . يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً . . يره ، ولن تستطيعوا إلىٰ ذلك سبيلاً ، ولا تجدوا إليه وصولاً ، إلاَّ بتعلم الأحكام والتفَقُّهِ في شرائع الإسلام ، فالعلم هو النور المبين ، والجهل بئس القرين ، ومن يرد الله به خيراً . . يفقهه في الدين ، فتعلموا وعلِّموا . . تسلموا وتغنموا . أقول قولي هـٰذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

* * *

تتميم وإلحاق يحث علىٰ مكارم الأخلاق

فمن أهمها : الرفق والاقتصاد ؛ وهو أصل مهم في كل ما يطلب ويعتاد ، وقطب يدور عليه صلاح المعاش والمعاد ، فما عال من اقتصد ، وهو أحد اليَسارين هٰكذا ورد ، وهو دون الإسراف وفوق التقتير ، وسبيل بين الغلو والتقصير ، وهو الوسط المحمود من كل الأمور ، فتاركه لا محالة ملوم محسور ، كما هو في الكتاب مسطور ؛ إذ به تصفو القلوب وتنشط الأجسام ، ويُؤْمَن المَلل ويحصل الدوام ، ويكون الإحسان في البدء والختام ، ويتأتى الحذر من الوقوع في الشبهة والحرام ؛ ولمَّا كان سبب الراحة والهناءْ ، ودفعاً لكل تعب وعناءْ . . حث عليه الصلاة والسلام عليه في الفقر والغنىٰ ، فعنه عليه الصلاة والسلام : « من اقتصد . . أغناه الله ، ومن بَذَّر . . أفقره الله » .

وكان عباد الله الصالحون يقنعون من جميع أمتعة الدنيا بالدون ، علماً منهم بما يترتب عليه من الصلاح والفلاح ، وبما في ضده من الحرج والجُناح ، وتأسياً بمن أمرهم بالتأسي به ذو الجلال ، وجعل في اتباعه الخير في كل حال ، وكان صلى الله عليه وسلم يأكل ويلبس ما وجد ، ولا يتكلف ما فقد ، وعامة قوته الشيء اليسير، من التمر والشعير ، يُخبَز له من غير أن ينخل ، وربما تأدَّم بالخل ، وقال : « نِعْمَ الإدام الخل » .

وما عاب شيئاً قط من الطعام ، وما شبع من البُرِّ ثلاثةً متواليةً من الأيام حتىٰ وافاه الحِمام ، وكان يرقع ثوبه ويخصف نعله ، ويحلب شاته ويخدم أهله ، ويركب الفرس والبعير والحمار والبغلة ، صلى الله عليه وسلم .

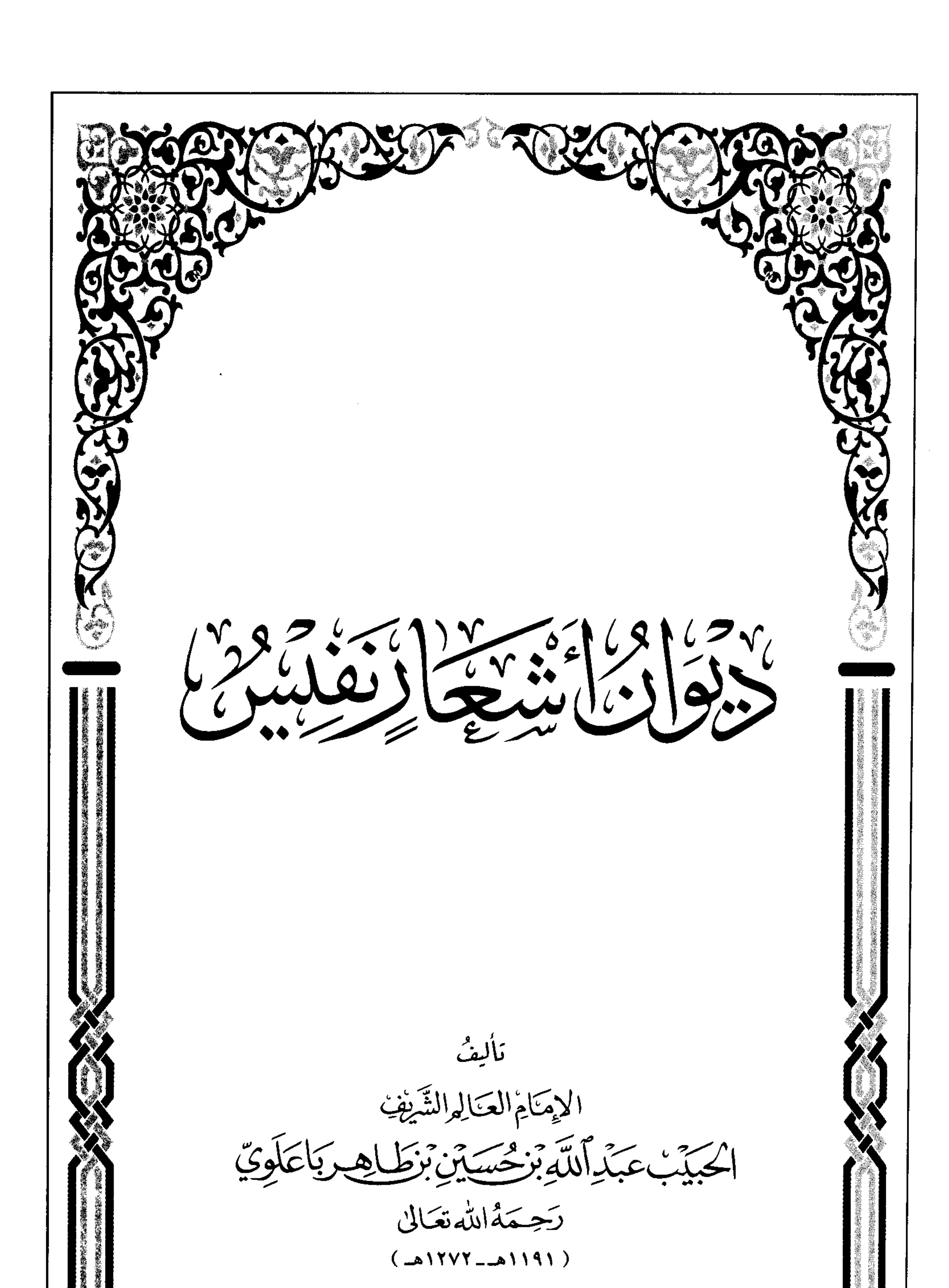
أيها الناس ؛ قد سمعتم ما قاله هٰذا الحبيب الناصح ، أمتع الله به لنفع الصالح والطالح ، وعرفتم ما يترتب عليه من المصالح ؛ فإنكم إذا امتثلتم هٰذا المقال ، وأجريتم الأمور علىٰ هٰذه الأحوال ، وبذلتم الجهد بالدعوىٰ إليها بالقال والحال . . حصل القبول والإقبال ، والاستسلام والامتثال ، وصلحت

إذ ذاك أحوال البلاد والعباد ، وأمور المعاش والمعاد ؛ فإن كل شرٍّ وفساد وتمردٍ وعناد سببه الجهل بأحكام الدين ، والمخالفة لشريعة سيد المرسلين ، وقد جعل الله خيرات الدنيا والآخرة، مندرجة في أحكام الشريعة الفاخرة ، فاستمسكوا رحمكم الله بعروتها الوثيقة ، واحذروا أن تزيغوا عن تلك الطريقة ، واسترشدوا بما أرشدكم إليه صاحب « النصائح الدينية » ، و« المطالب السنية » و« الحديقة الأنيقة » .

تمت الخطبة وتتميمها وتقريظها وكلها لسيدنا الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر .

ويليها « ديوان الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوي » رحمه الله .

* * *



ديوان أشعار نفيس

تأليف

الإمام العالم الشريف

الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر باعلوي

رحمه الله تعالى

(١١٩١هـ - ١٢٧٢هـ)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـٰه إلاَّ الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه والتابعين .

وبعد :

فهـٰذه قصائد وأبيات أجراها الله علىٰ لسان عبده الفقير إلى الله عبد الله بن حسين بن طاهر ، يطلب ممن نظر إليها واطَّلع عليها أن يُبقي ما هو موافق للشريعة المطهرة ، ويمحو ما خالف الشريعة ويدعو لي بالعفو والمغفرة والرضوان ، وأن يعاملني الله بالفضل والإحسان ، ولا يؤاخذنا بسوء أعمالنا ؛ فإنا نقول ما لا نفعل ، ونعلم ولا نعمل .

* * *

قال رضي الله عنه طالباً من ربه وسائلاً منه سبحانه وتعالىٰ :

أَلاَ يـا ربِّ يـا سـامعْ دعـائـي ... ومـن بيـديـه دائـي مَـعْ دوائـي
تفضَّـل يـا كـريـمُ علـىٰ فقيـر ... قليـل الصبـر عنـد الابتـلاء
فهـب لـي مـن عطـائـك كـلَّ خيـرٍ ... وعجـل يـا إلٰهـي بـالشفـاء
وكـن لـي سيـدي فـي كـل حـال ... وفـي الـدنيـا وفـي يـوم الجـزاء
عظيـمَ الفضـل أطلـب منـك فضـلاً ... كثيـرَ الخيـر حقِّـق لـي رجـائـي
كـريـمَ الـوجـه لا خيبَّـتَ ظنـي ... عظيـم المـنِّ هـب فـوق المُنـاءِ
عظيمَ الشأن ذا الإحسان هب لي ... فـلا حَجْـرٌ عليـك فـي العطـاء
وهـب لـي منـك عـافيـةً وعفـواً ... ولا ربـي تكلنـي للسِّـواء
واختِـمْ لـي بخيـر عنـد مـوتـي ... وكـن لـي حيـن أُدفـن فـي الثـراء
ووفقنـي وقـوِّمنـي علـىٰ سُـ ... ـنَّـة المختـار خيـر الأنبيـاء
عليـهِ الله صلـىٰ ثـم سلَّـمْ ... عِـداد الأذكيـا والأغبيـاءِ

* * *

وقال رضي الله عنه وأرشده لمتابعة الرسول ، ووفقه للخير فيما يفعل ويقول :

عفيفَ الدين هل لي من دواءِ ... فقد أوبقتُ نفسي في الخطاءِ
وقلبي قد قسا ولديَّ أشيا ... تهيِّجُ بالصراخ وبالبكاء
وما عينِيْ بكتها ولا فؤادي ... فهل داءً رأيتَ كمثل دائي
فإن حَصَّلتمُ وصفاً فمُنُّوا ... وإلاَّ فامنحوني بالدعاء
عسى الربُّ الكريم بمحض فضلٍ ... بلا سببٍ يجود بالشفاء
فلي في فضله طمعٌ كثيرٌ ... ولي في جوده أَحسَنْ رجاء
فلا خيبتَ يا مولاي ظني ... فإني قلتُ قولَ ذي العراء
ولما حِرْتُ في شأني وأمري ... طفقت مستغيثاً بالنداء
وما لي غير فضلك من مُغيثٍ ... وعندي محض فقر للعطاء
شفيعي خيرُ من ولدته حَوَّا ... وخيرُ مشفعٍ يوم الجزاء
محمدُ من له خُلُقٌ عظيمٌ ... له في نون ذكرٌ بالثناء
ومن أُعطِيْ علوماً ليس تُحصىٰ ... تَحِير لها عقول الأذكياء
وكم جاءت له من معجزاتٍ ... بها قد خصَّه ذو الكبرياء
فمنها ما حكاه الحَبْر حقاً ... لنا القاضي عياضٌ بـ« الشفاء »
شفيعَ المذنبين إليك ألجأْ ... فقم بي في الكروب وفي الرخاء
فما زلتَ المقسِّمَ للعطايا ... ولا زلتَ المفرِّجَ للبلاء
بماذا أمتدِحْك وقد أتانا ... مديحك في الكتاب من السماء
عليك الله صلىٰ كل حين ... وسلَّمَ بالغدوِّ وبالمساء
كذاك الآلِ والأصحابِ نعم الـ ... ـهداةُ الفائزون بالاقتداء

تمت

* * *

وقد بعث بنحو خمسة أبيات من أوَّلها إلىٰ أخيه السيد عبد الله بن أبي بكر بن سالم مولىٰ عيديد ، فأجابه بهٰذه الأبيات وهي قوله رحمه الله ونفعنا به :

إذا شئـــتَ الــــدواء لكـــل داءِ ... عليـك بحسـن ظنـك والـرجـاءِ

ومــــا تشكـــوه مـــن داءٍ دواءٌ ... إذا حققـــت حســـن الاحتمـــاء

ولا تَتَطَبَّـــــنَّ فـــــرب داءٍ ... يكـــون دواؤُه تـــركَ الـــدواء

إذا مـــا الـــداءُ تَعْلمـــه وتـــدري ... تحـــوَّلَ علمُــــه عيـــنَ الشفـــاء

وإن ضاقت بك الأحوال فَٱلْحَظْ ... أمـــوراً خطَّهـــا قلـــم القضـــاء

وإن دام الســرور عليــك يــومــاً ... ولـم تسمـح عيـونُـك بـالبكـاء

فقـل : يـا رب فـرِّحنا بـأخـرى ... كمـا فـرَّحتنـا فـي ذي الـدُّنـاء

فـــإن الله ذو كـــرمٍ عظيـــم ... ومـــا الأعمـــال إلاَّ كـــالهبـــاء

تمت أبيات السيد عبد الله بن أبي بكر سالم عيديد رحمه الله تعالىٰ ، ونفعنا به ، آمين .

* * *

وقال رضي الله عنه وأصلح قلبه وقالبه ، وغفر ذنوبه وستر معايبه ، ونفعنا به ، آمين :

إلى الله أشكو داء قلبي وقالبي … وما بهما من علة ومعايبِ
قطعت رجائي من جميع الخلائق … وإن كان ذا ودٍّ قريب مصاحب
فليس لهم حولٌ ولا قوّةٌ ولا … لأنفسهم نفع ولا دفعُ راهب
إلى الله ربي أشتكي ما أصابني … وما حل بي أو أختشي من معاطب
إلٰهي مليكي خالقي رزاقي الذي … به دفع مرهوبي وجلب الرغائب
فيا حيُّ يا قيومُ يا ذا العلا ويا … كثيرَ العطايا من فنون المحابب
تفضَّل بغفران الذنوب جميعِها … وإصلاح قلبي مَعْ جميع المآرب
واختِمْ بخيرٍ منك فضلاً ومنة … علىٰ عبدك الجاني الكثير المثالب
فمالي إلٰهي غيرُ جودك ملجأً … وما لي سواك يا كثيرَ المواهب
فيا ربِّ يا رحمٰنُ ما ليَ حيلةٌ … ويا ربِّ ذا الإحسان ضاقت مذاهبي
فأصلح شؤني في فنوني جميعها … وكن لي إلٰهي حين أُلقىٰ لجانبي
أعوذ بوجه الله من كل ما اختشي … ألوذ بفضل الله لا بمكاسبي
تحصنت باللهِ العظيمِ وجودِه … وإحسانه من كل شرٍّ وناكب
سألتك لي ربي وكلِّ قرابتي … وأحبابنا والمسلمين الأجانب
وأستغفر الله العظيم عِدادَ ما … خَلَقْ ربُّنا في شرقها والمغارب
ويا ربِّ صل ثم سلِّم على الذي … بعثتَ إلينا من لؤي بن غالب
وأصحابِه والآل والتابعين ما … تنفس شخص أو حَدا بالركائب
ولله ربي الحمدُ والشكر والثنا … علىٰ نِعَمٍ لم يُحصِها عدُّ حاسب

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، وغفر ذنوبه وستر عيوبه ، وأعاد علينا من بركته :

عظيـــم الفضـــل يـــا ربِّ ... كفـــىٰ علمُـــكْ كفـــىٰ حسبـــي
بمـــا لاقيـــتُ مـــن هـــمّ ... ومـــا عـــاينـــت مـــن كـــرب
كـــريـــمَ الـــوجـــه كـــن عـــونـــي ... فقـــد أثقلنـــي ذنبـــي
فـــذنبـــي قـــد كـــوىٰ جنبـــي ... وذنبـــي قـــد شـــوىٰ قلبـــي
ومـــالـــي مـــن مـــداوٍ غيـ ... ـــرُ عفـــوك سيـــدي قـــم بـــي
ومـــا لـــي مهـــربٌ إلاَّ ... إلـــىٰ جـــودك يـــا محبـــي
ولـــي طمـــع ولـــي رجـــوى ... لفضـــلٍ واســـع رحـــب
وحســـن الظـــن أولـــىٰ لـــي ... وإن قصَّـــرتُ فـــي الكســـب
فـــلا يُـــدرَىٰ ولا يُحكَـــىٰ ... بمـــا فـــي بـــاطنـــي مَخْبِـــي
عســـى المـــولـــىٰ عسى المعطـــي ... عســـىٰ ربـــي عســـىٰ ربـــي
يـــوفقُنـــي يســـددُنـــي ... ويحفظُنـــي ويلطـــفُ بـــي
ويغفـــرُ لـــي ويـــرحمُنـــي ... ويحـــرسنـــي مـــن السلـــب
ويعطينـــي ويغنينـــي ... ويحمينـــي مـــن العطـــب
ويختـــمُ لـــيَ بـــالحسنـــى ... إذا حـــان انقضـــا نحبـــي
وصلـــى اللهْ علـــى الهـــادي ... محمـــدْ خيـــرِ مَـــن نُبِّـــي
عظيـــمِ الخَلْـــق والخُلْـــق ... شفيـــعِ الخَلْـــق فـــي الكـــرب
وتسليـــمٌ عليـــه مـــا ... همـــىٰ ودْقٌ مـــن السُّحْـــب
يعـــمُّ الآلَ والأزوا ... جَ والأنصـــار والصَّحْـــبِ

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وأمدَّنا بمدده : وهٰذه أبيات قلتها طالباً ومتضرعاً إلى الله سبحانه وتعالىٰ :

عسىٰ فَرَجٌ من المولى القريبِ ... يداركُني به اللهْ عن قريبِ
ويشرحُ صدريَ المشحونَ ضِيقاً ... بمحض الجود والفضل الرحيبِ
وتنزاح الهموم وكلُّ كربٍ ... ويأتي الفتح في لطفٍ عجيب
عسى الوهابُ يعطيني رجائي ... وأزيدَ منه من رب مجيب
فإن الله ذو فضل قديرٌ ... فكم سَلَّىٰ عن القلب الكئيب
فيا أملي ومأمولي ومالي ... ويا ذخري وفخري يا نصيبي
ويا ربَّاه يا غوثاه يامن ... إليه مشتكائي مَعْ نحيبي
تداركْني تداركني تدارك ... تداركني تداركني حبيبي
فقد ضاق الخناق وضقت ذرعاً ... وما لي غيرُ جودك من طبيب
فهب لي ثم هب لي ثم هب لي ... وبرِّد ما بقلبي من لهيب
ولي أملٌ ولي رجوىٰ عظيمٌ ... وما ربي تعالىٰ بالمُخِيب
تعالى الله خلاقُ البرايا ... تعالى الله عن قول الكذوب
فكم جادَ وكم فادَ وأعطى ... وكم غطَّىٰ علىٰ عيب المَعيب
فما لي غيرُ عفوك من مجير ... وما لي غير جودك من مجيب
فعاملني بفضلك في شؤوني ... وقابلني بغفران الذنوب
وجد يا حيُّ يا قيوم يا الله ... علىٰ عبدكْ بتفريج الكروب
فأنت المرتجىٰ في كل حال ... إليك الملتجا عند الشُّغوب
عسىٰ فَرَجٌ عسىٰ فرجٌ قريبٌ ... عسىٰ فرج قريبٌ من قريب
به الإسلام يمسي في أمانٍ ... وفي أمن وفي يُمْن عجيب
وتنزاح المظالم والمخاوفْ ... مع العدوان والبغي الشَّغِيب
وحكم الشرع نافذْ في البرايا ... وحكم الجِبْتِ ما لُهْ من نصيب

ويمسي كل مسلمْ في سرور ... وفي شكر علىٰ نِعَمِ الرقيبِ
وما ذاك على الله عزيزٌ ... وما ذاك من اللهْ بالغريب
تعالى الله عن بخل وعجز ... وجلَّ الله عن كل العيوب
سألتك بالنبيْ طه محمدْ ... وكلِّ الأنبيا تكفي شُغوبي
وبالأصحاب أجمعِهِمْ وآلٍ ... وكل الأوليا أهل القلوب
بزين العابدين مَعَ محمدْ ... وجعفرْ مَعْ عليٍّ أمِطْ كروبي
محمدْ بنْ عليْ ثم بعيسى ... بأحمدَ لا تدعني للخطوب
بعبد اللهِ مَعْ علويْ وبَصْريْ ... جديد معْ محمدْ نَقِّ جيبي
بعلويْ مَعْ عليٍّ معْ محمدْ ... وأولادِهْ وبالشيخ النجيب
مقدَّمِهِمْ وأولادهْ جميعاً ... بعبدِ اللهِ باعلويْ الأديب
بنور الدين مَعْ نجلِهْ محمدْ ... وسقاف العلا أطفِىءْ لهيبي
وأولادِهْ جميعِهِم وأولادْ ... أبي بكر تداركني حبيبي
بأولاد العفيف مَعَ وجيهٍ ... وإخوتِهِ بهمْ وفِّر نصيبي
بصاحب روغةٍ وبابْنِ بصري ... بحداد القلوبْ اصلح قليبي
بصاحب وادِ عيديدٍ بأحمدْ ... بباجَحْدَبَ دَعْوَهْ كن طبيبي
وبالشيخ ابْنِ سالمْ مَعْ بَنيهِ ... وبالحبشيْ وبالجَيْلِي المنيب
بجَدِّي طاهرٍ طهِّر فؤادي ... من الأرجاس من شك ورَيْب
بغزَّال العلومِ بشافعيٍّ ... وبالشاذْليِّ ربي اغفر ذنوبي
بسعدونٍ بسالمٍ بْنِ فضل ... عليْ بْنِ محمدٍ القطبِ الخطيبِ
بكل الصالحين بكل مؤمنْ ... بكُتْبك بالملائك بالكروب
بهم ندعوك يا مولى الموالي ... بهم ندعوك يا أحسنْ مجيب
بإحسانكْ بغفرانكْ ومَنِّكْ ... بإفضالكْ وبالجود الرحيب
تهب لي ما أُرَجِّيهِ وأَزْيَدْ ... وتدركني بتفريج الكروب
وكن لي سيدي في كل حالٍ ... ولا ربِّ تَدَعْني للخطوب

ووفقنـي لمـا يـرضيـك عنـي وأَلهمنـي لشكـر آلاكَ دُوبـي
ويـا حنَّـانُ يـا منَّـانُ يـا مـن لـه الإحسـان فـي حـال الجـدوب
ويـا رحمٰـنُ يـا ذا الشـأْنِ سـالَكْ غيـاثـاً عـاجـلاً يطفـي لهيبـي
واخْتِـمْ لـي بخيـر الختـم إن حـا نَ حِيـنُ الحِيـنِ فـي لطـفٍ عجيب
وأدخلنـا جنـانـك فـي أمـان بـلا خـوفٍ ولا أمـرٍ تعيـب
ولا فـزعٍ ولا جـزعٍ وضـرٍّ ولا بلـوىٰ ولا هـمٍّ شَغِيـب
وسلِّمنـا مـن النيـران واحفـظ لنـا الإيمـانَ واغفـر كـلَّ حـوب
فعمـري قـد تَقَضَّـىٰ فـي شـرور وفـي زور وفـي كسـب الـذنـوب
وفـي نسيـانِ للمـولـىٰ تعـالـى ولـلأخـرىٰ وللمـوت المَهيـب
ولٰكـنْ رحمـةُ الله تسعنـي وعفـوُ الله أعظـمُ مـن عيـوبـي
وصلـى اللهُ ربـي كـلَّ حيـن وسلَّـمَ مـا جَـرَت ريـح الجنـوب
علـىٰ طـه المشفـعِ فـي البـرايـا وآلِـهْ والصحـاب أهـل القلـوب
وكـلِّ التـابعيـن وكـلِّ مـؤمـنْ عَـدَدْ ذر الـرمـال مـع الحبـوب
ومـا نـاداك ذو كـرب فقـال : عسىٰ فَرَجٌ من المولى القريب

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به لما رأىٰ كتاب آفات اللسان لسانه مقطوعة :

مـا بـالُ آفـاتِ اللسـانِ لسـانُـهُ ... مقطـوعـةٌ مـن دون أجـزاء الكتـابْ
نـادىٰ لسـانُ الحـال إن سـلامتـي ... فـي قطعـه متعيِّـنٌ أو فـي احتجـاب
أَمّـا متـابـي واختـلاطـي للـورى ... فـرأيتـه فـي الحـال نـاقـضْ للمَتـاب
يـا ربنـا نشكـو إليـك ذنـوبنـا ... ودخولنا في كل موجبْ للعقاب
فاغفر وسامح واعف عنا سيدي ... واستر ولا تفضح بتفتيش الحساب

* * *

وقال رضي الله عنه تذييلاً على البيت المعروف المشهور وهو :

خـذ مـن النـاس جـانبـا ... وارضَ بـالله صـاحبـا
واتـرك النـاس كلَّهـم ... إن أردت المـواهبـا
وٱلـزَمِ الله وحـدَه ... راجيـاً فيـه راغبـا
واعتكـف تحـت بـابـه ... سـائـلاً منـه طـالبـا

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به :

مـا فـي فِعـالـي شِـيْ يُعجِـبْ ... ومَـن يقـل غيـرْ ذا يكـذبْ
وإنمـا أرتجـي ربـي ... يمنـن بتـوبـهْ علـى المـذنـبْ
بهـا ينـال المنـىٰ كلـهْ ... لكـل مـا اَختشـي تُـذِهـبْ
تـوبـهْ صحيحـهْ ومقبـولـهْ ... فيهـا الهنـا والشفـا والطِّـب
يَحصُـلْ بهـا كـلُّ مطلـوبـي ... مـا عـاد بـافَصِّـل أو أَطْنِـب

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به لما أتته أبيات من السيد هاشم بن شيخ بن هاشم الحبشي :

يـا هـاشـمٌ بـنْ شيـخْ بـنْ هـاشـمٍ وَصَـلْ كتـابـكْ نعِـمْ ذاك الكتـابْ

فسـألُ الـرحمٰـن مـن فضلِـهِ يـوفِّـقِ الكـلَّ سبيـلَ الصـواب

ويـرشـد الكـلَّ لمـا يـرتضـي مِنَّـا ويـرزقنـا بغيـرِ حسـاب

فـلا نـرىٰ بـؤسـاً ولا محنـةً فـي يـومنـا هٰـذا ويـوم المـآب

يـا ربِّ يـا رحمٰـنُ يـا ربنـا نسـأَلُـكْ تهـدينـا لحسـن المتـاب

فقـد كَثُـرْ يـا ربنـا ذنبنـا وقـد تعـرَّضنـا بِـهِ للعقـاب

ومـا لنـا مُنجِـيْ سـوىٰ عفـوِكـم فمُـنْ بِـهِ يـا مـن لـه العفْـوُ داب

واهِـدِنـا نسلـكْ سبيـل الهـدى سبيـلَ طـه ذي الـدعـاءِ المجـاب

عليـه صلـى الله فـي كـل حيـنْ ومـا حَـدا حـادٍ يحُـثُّ الـركـاب

* * *

وقال رضي الله عنه ووفقه لمراضيه وغفر له جميع ذنوبه ومساويه :

ضاعت الأعمار في كسب الذنوبْ   واكتساب الدين طبعاً للقلوبْ

واحتوينا للمساوي والعيوب   وعصينا الله علاّم الغيوب

كم حَوَينا من مثالبْ * وعيوبٍ ومعايبْ * ومصائبْ ومعاطب

هل ترانا بعد هـٰذا سنتوب   أو ترانا بعد ذا البعد نؤوب

بيت

إن لي في فضل ذي الفضل أملْ   أرتجي من فضله يمحو الزللْ

ويوفقني لإصلاح العمل   ويقيني كل مكروه وحوب

فَهْوَ ذو الفضل العظيمْ * وهو ذو الجود العميْم * وهو ذو المن الكريمْ

فضلُهُ هطالْ فوق الخلق دُوْب   إن هـٰذا الصدقُ لا قَوْلُ الكذوب

بيت

إن لي في الله ظناً حسنا   قد جعلتُ حُسن ظني وطنا

لست أبغي عنه غيراً سَكَنا   فلحسن الظن آوي وأنوب

يا رحيماً يا غفور * يا لطيفاً يا شكور * يا حليماً يا صبور

هب لنا من فضلك الواسع ذَنوبْ[1]   يُدْنِي للمرغوب يُذهِبُ للكروب

بيت

ربِّ لا خيبتَ آمال الفقيرْ   العُبَيد المحضْ مَن بكْ مستجيْر

مَن جميعُ ما بِهِ أنت خبيرْ   فأصلِحْ أمري وأطْفِ ما بين الجنوب

رب واصلح للفؤادْ * وأعطني فو ق المرادْ * إنك الرب الجوادْ

وأنا الطَّلاَّبُ لستُ بالكَسوب   وعليَّ الخير من ربي سَكُوب

---

(١) الذَّنوب ـ بفتح الذال ـ : الدلو المملوء اهـ من خط المؤلف .

بيت

يا عظيمَ الفضل يا معطيْ الجزيلْ   يـا صمـدْ يـا مَـن عـوائـدك الجميـلْ

حسبنـــا الله ويـــا نعـــم الـــوكيـــل   حسبنــا مَــن ليــس يمسســه لُغــوب

رَبَّنَـــا يـــا ربنـــا * إن عبـــدك بـــالفِنـــا[1] * كـــن لَـــهُ عنـــد الفَنـــا[2]

واكفنـــا يـــا ربنـــا كـــلَّ مَهُـــوب   وٱعطنا ما ليس يدخلْ في حُسوب

بيت

وصـــلاةُ اللهِ ربـــي والســـلام   مستمـــرانِ علـــىٰ خيـــر الأنـــامْ

وعلـى الأصحـاب والآل الكـرام   مـا دنـت شمسٌ وحـانـت للغـروب

أو طلـعْ نجـمٌ ولاحْ * أو بـدا طِيْـبٌ وفـاح * أو سَجَـعْ طيـر ونـاح

أو تَعَبَّـدْ عـابـدٌ بطـنَ الشعـوب   أو طَـوَىٰ للبِيْـدِ ذو شـوق يجـوب

❊ ❊ ❊

---

(١) بكسر الفاء أي قرب المكان اهـ مؤلف .

(٢) بفتح الفاء أي الموت . اهـ مؤلف

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته :

عسىٰ نفحةُ الرحمـٰن تأتي من الرب ... تعـم البـرايـا لا بكَـدٍّ ولا كسـبِ
سوىٰ محضِ فضل الله جوداً ومِنَّةً ... وعفواً وصفواً عين إفضاله الوهبي
بهـا يستقيـم الكـل فـي خيـر ملـة ... علىٰ ملة الإسلام بالجسم والقلب
مطيعيـن للـرحمـٰـن فـي كـل أمـره ... ونتـرك كـل الإثـم والـوزر والـذنـب
ومـاذا علـىٰ ربـي عـزيـز فـإنـه ... إذا شاء أمراً كان في غاية القرب
تفضَّلْ عظيمَ الفضل وامنن بتوبة ... علينـا تُـوَلِّـي بـالغمـوم وبـالكـرب
ونمسي بها في خير حال وعيشة ... على الشكر للصحة والأمن والخصب
فكم لك من جودٍ وكم لك من عطا ... وكم تتفضلْ يا إلـٰهي وكم تَحْبي
فـزدنـا وزدنـا ثـم زدنـا وهـب لنـا ... بفضلك فضلاً ليس يخطر في اللبِّ
فكـم حـاجـةٍ منـك طلبنـا فـأُنجِـزَتْ ... وزدتَ عليها فوق أضعافها يُربِي
وكـم محنـةٍ منـك طلبنـا زوالهـا ... فـزالـت ومـا عنهـا خبيـرٌ بهـا يُنبِـي
ولي ربي حاجات فيا ربي اقضها ... جميعاً قريباً ثم هب لي منىٰ قلبي
بجاه شفيع الخلق تُقضَىٰ حوائجي ... عليـه صـلاة الله والآل والصحـب

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته :

يـا اللهْ بنظـرهْ مـن الـرحمـٰنْ　　تُصلِـحْ لنـا الجسـم والقلـبِ
تغفـرُ لـلإثـم والعصيـان　　والـوزر والحـوب والـذنـب
عسـىٰ عسـىٰ نفحـةٌ فـي الآن　　والقبـر والحشـر للـرب
فضـلٌ مـن الـواحـد المنـان　　لا بـالتسبُّـبِ والكسـب

بيت

عسـىٰ عسـىٰ نظـرةٌ فـي الحـالْ　　تَصلُـحْ بهـا كـل أحـوالـي
نَظفَـرْ بمـا لـم يكـن فـي البـالْ　　فضـلاً مـن المعطِـي الـوالـي
مـن معـدن الجـود والإفضـال　　ليسـت تنـالُ بـأعمـالـي
طَلَبْتُـكَ الله يـا حنـان　　كـم تُعطِـي الخلـق كـم تحبـي

بيت

هـٰذا وإن كنـت أنـا الظـالـمْ　　العـاصِـي النـاسِـي القـاسـي
الغـافـل الجـاهـل النـائـم　　مـاشـي معـي غيـر إفـلاسـي
أسـألـكْ يـا رب يـا عـالِـمْ　　تغفـرْ وتمحـو لأدنـاسـي
وتُبْـدِل السـوء بـالإحسـان　　وتبـدل البعـد بـالقـرب

بيت

يـا رب يـا رب يـا غفـارْ　　يـا دائـم الفضـل والمعـروفْ
استـرنـي استـرنـي يـا ستـار　　أسبـل عَلَـيْ ستـرك المـألـوف
لا تكشـف الحـال والأسـرار　　بكـل نقـصٍ أنـا مـوصـوف
ولا يَسَعْنـي سـوى الغفـران　　والعفـو والستـر مـن ربـي

بيت

يـا ربـي واحفـظ لـي أولادي — والأهـل والجـار والأصحـابْ
وكـل مـن حـل فـي الـوادي — وأهـل المـودات والأحبـاب
حفظـاً يقـي كـل الأنكـادِ — فـي الجسـم والـديـن والألبـابْ
مـن فضلـك الفـائـض الهتـانْ — الـواسـع السـابـغ الـرحـبِ

بيت

يـا الله بنفحـةْ مـن المـولـى — تقضـي بهـا كـل أوطـاري
فـي عـاقبتنـا وفـي الأولـى — فضـلاً مـن المحسـن البـاري
فكـم تفضـل وكـم أولـى — علـىٰ عصـاةٍ وفجَّـارِ
بتـوبـةٍ مُصْلِحـةْ للشـانْ — نـالـوا بهـا غـايـة الطـب

بيت

إنـي أنـا السـائـل الطَّـلاَّبْ — وحسبـي إن صـح ذا منّـي
عـاكـفْ علـى البـاب والأعتـاب — لا خيـب الله بـه ظنـي
بجـاه طـه النبـي الأواب — يـزول كـل الكَـدَرْ عنـي
ويـذهـب الشـوش والأشجـان — والهـم والغـم والكـربِ

بيت

صـلاة ربـي علـى المختـارْ — مَـعَ سـلامِـةْ مـدى الـدهـرِ
تعـمُّ آلَـهْ مـع الأنصـار — والصحـب مـا غـرد القمـري
أو حـرك الـريـح لـلأشجـار — ومـا دعـا داعِـي السَّيْـرِ
والحمـد للـواحـد الـرحمٰـن — عـدَّ الحجـارةِ والتُّـرْب

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وكتبها إلى السيد الشريف عبد الله بن أبي بكر بن سالم عيديد قدس الله روحهما ، ونفعنا بهما ، آمين :

يا ٱبْنَ أبي بكرْ ما طِبُّ صلاحِ القلوبْ ... وما الدواءُ الذي يمحي جميعَ الذنوبْ
وما لهٰذي القساوهْ ذي أتت بالكروبْ ... وما المزيلُ لذي الغفلة أمِ العيوب
صف لي وحقِّقْ وبيِّنْ لي كُفيتَ الشغوبْ ... وامنن بدعوهْ عسىٰ يُغفَر بها كل حوبْ
يأتي بها الخيرُ من كل السُّبُلْ والشعوب ... ما ليس بالبال أو يُحسَبْ بحَسْبِ الحسوب
ما هُوْ بجهدٍ ولا يحصلْ بكسب الكسوب ... إلاَّ من الله علاَّم العَلَنْ والغيوب

فأجابه سيدنا الحبيب عبد الله بن أبي بكر أعاد الله علينا من بركاتهما بقوله :

أتسألُني ولستُ لذاك أهلاً ... وأنت لهٰذه العلل الطبيبُ
ومَن لي أن أكون لكم مجيباً ... وأنىٰ لي بأني لا أجيب
ولٰكنَّ امتثالَ الأمر أولى ... وإن خالفتُ ما ٱختار الأريب
متىٰ لازمتَ ذكرَ الله تَصْلُحْ ... بذكر الله يا صاحِ القلوبُ

في أبيات كثيرة تنيف على الأربعين .

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به :

أيا مَن شأنُهُ سترُ العيوبِ ... ويا مَن دأبُهُ غَفْرُ الذنوبِ
تفضل يا إلٰهي مثل ما قد ... تفضلتَ بإصلاح القلوب

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به بتاريخ شهر جمادى الأولىٰ سنة (١٢٦٧هـ) :

جـاء نصـر الله والفتـحُ القـريـبْ　　جـاء نصـر الله فـي لطـفٍ عجيـبْ
نفحـــاتُ الله تتـــرىٰ قـــد أتـــتْ　　محضَ فضلٍ محض مَنٍّ من قريبْ
فجيـــوش العســـر ولـــت دُبُـــراً　　وجيـوش اليسـر جـاءت فـي دبيـب
نظـــرات الله حقـــاً قـــد أتـــت　　لا بكسـبٍ غيـرَ جـودٍ مـن مجيـبْ
رحمـــات الله عمـــت وطَمَـــتْ　　مَـن رجـا رحمـاتْ ربِّـهْ مـا يخيـب
فضـــلْ مـــن ربـــي ومَـــنٍّ وعطـا　　لا بحيلَتْنـــا وجِـــدٍّ وخبيـــبْ
نـرتجـي الـرحمٰـنَ يـرحـمْ ضعفنـا　　ويَقينَـــا كـــل مكـــروهٍ تعيـــبْ
يغفـــر الـــذنـــبَ ويستـــرْ عيبنـــا　　يـرتفـعْ هـٰـذا البـلا عنَّـا قـريـب
بـالنبـيِّ الهـاشمـيِّ المصطفـى　　مَن حَظِيْ بالفضل في يوم النحيب
صلـــواتُ الله دأبـــاً ســـرمـــداً　　تتغشـــاه وآلَـــهْ والصَّحيـــبْ

* * *

وقال رضي الله عنه لما وصله خط من السيد الشريف زين بن عمر الحبشي وذكر فيه أنه متوجه إلىٰ بلد جانْبي[1] وذلك سنة (١٢٦٩هـ) :

وراك يا ذاك جالس في بلد جانْبي　　قَدْ خيرْ لكْ قُمْ وسِرْ منها إلىٰ جانبي
ولا يغـرَّكْ إذا قـالـوا بهـا جـا نبـي　　فإن من قال ذلكْ قال : أنا جانْ بي

* * *

(١) جانْبي : منطقة جاوية .

وقال رضي الله عنه ونفعنا به سلخ محرم سنة (١٢٦٩) :

خل المقادير تمضي لا تغالبها ... فإن مَن غالب الأقدارَ مغلوبُ
إن القضاءَ لَسيفٌ لا يقاومه ... شيءٌ من الخلق إلاَّ وهْوَ مجبوبُ
وٱمشِ رويداً مع الأقدار في مهلٍ ... فإن من يَكرَهِ الأقدار متعوب
سلِّم وفوِّض لحكم الله محتسباً ... فإنما الأمرُ مقضيٌّ ومكتوب
والله يقضي بما شاء وكيف يَشَا ... والعبد عبد ومخلوق ومربوب
ولم يزل ربه الرحمٰنُ يكلؤُهُ ... باللطف والحفظ محفوف ومصحوب
حَسِّنْ ظنونك بالرب الكريم ولا ... تُسيءُ ظناً فتبقىٰ عنه محجوبُ
وٱعمل لنفسك أعمالاً تُسَرُّ بها ... فكل ما يفعل الإنسان محسوب
إن كان خيراً فخيرٌ سوف يحصده ... أو كان شراً فتنكيلٌ وتعذيب
يا ويل من ضيع الأعمار في زلل ... وكلِّ مَن كَسْبُه الآثام والحوْبُ
واطلب علوماً بإقبالٍ مع عملٍ ... فأنت بالعلم والأعمال مطلوب
واحذر زمانك هٰذا إنه زمن ... به المناكير شاعت والمعاييب
فكن وحيداً فريداً خاملاً حَذِراً ... فإن فيه الأقاويل الأكاذيب
والظلم فاشٍ بلا لوم ولا نُكُرٍ ... وللمساكين تخويف وترهيب
فكن لبيتك حِلساً لا تفارقه ... إلاَّ لشيءٍ له في الشرع تصويب
واذكر إلٰهك ذكراً دائماً أبداً ... فالذكر بالذكر مقرون ومصحوب
وذاكرُ اللهِ اَللهُ يجالسه ... فٱجلِس مع الله تأتيك المواهيب
واطلب من الله ما تحتاج أجمعَهُ ... فالخير يا ذا لديه والمطاليب
لا تسأل إلاَّ كريم الوجه خالِقَنا ... فعنده الفضل والإحسان مسكوب
واعكف علىٰ بابه في كل ما نَفَس ... فإنَّ نسيانه يا صاحبي حوْبُ
وكن أُخَيَّ بحبل الله معتصماً ... فكل حبلٍ سواه فهو مقطوبُ

واسلك علىٰ سنة الهادي تفوزُ وفي أُولاك ترضىٰ وفي أخراك محبوبُ

ففـي اتِّبـاع النبـيِّ الخيـرُ أجمعُـهُ عليـه منـا صـلاةُ ربنـا الـدُّوب

تغشـاه والآلَ والأصحـابَ أجمعَهُـم ومن لمذهبهم في الخير منسوب

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته :

يا غربةَ الدِّين هل مَن يرحمُ الغُرَبا ... يقـــوم لله لا خـــوفـــاً ولا رغبـــا
ففي الحديث له أجرٌ عظيمُ أتى ... بل أجر خمسين منكم يَعنِيَ الصَّحَبا
فهـــل محـــبٌّ لـــديـــن الله ينصـــره ... حقـــاً وصـــدقـــاً لـــوجـــه الله محتسبـــا
ولا يبـــالـــي بلـــوم الـــلائميـــن لـــه ... من أي شخصٍ وإن عاب وإن عَتَبا

* * *

وقال رضي الله عنه :

يا رب يا رب فرج كربة المكتربْ ... يا رب يا رب فرج محنة المحتتبْ
يا رب يا رب عبدك قد أتىٰ منتحب ... يبكي فأَدخله يا ربي مع من تحب
يا رب عمري تقضَّىٰ في الريا والكذب ... وكسب الآثام فادركني إلـٰهي بطب
وادرك إلـٰهي فؤادي قبل ما ينقطب ... وامنن بفضلٍ عظيمٍ دائمٍ منسحب

* * *

وقال رضي الله عنه : إن هٰذه الأبيات سببها أني أردت أن أكتب إلى الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان بقولي : ألا يا شيخ هل من . . . إلىٰ تمام ثلاثة أبيات ، ثم تزايدت إلىٰ أن جعلتها قصيدة طويلة ؛ وهي هٰذه :

ببســـــم الله مفتـــــا ح قــولــي فــي البـدايـاتْ
وأُثنـــي بـــالمحـــامـــدْ علـــىٰ رب البـــريـــات
وصَلْـــوات المهيمـــنْ مَـــعَ أزكـــىٰ التحيـــات
علـــىٰ خيـــر البـــرايـــا وآلِــــهْ والصحـــابـــاتْ
وهـٰــذه أسئلــــهْ يـــا مجيبـــاً للســـؤالات
ألا يـــا شيـــخ هـــل مِـــنْ دَوَا للقلـــب إن مـــات
وهـــل للعمـــر مـــن رجـ ـعـــةٍ إن راح أو فـــات
ومـــا الطـــبُّ الـــذي يُبْـ ـدِلُ السَّيْئـــاتْ حَسْنـــاتْ
عســـىٰ لـــي مِنُـــهْ حصَّـــهْ أَنَـــلْ منهـــا النهـــايـــات
فـــأَوضِـــحْ لـــي وبيِّـــنْ وفصِّـــلْ هـــاتْ لـــي هـــات
وطـــوِّلْ لـــي وعَـــرِّض بـــأخبـــارٍ وآيـــات
ومَلِّحْـــــهُ وسَـــــوِّقْ بـــأمثـــالٍ وأبيـــات
وهَـــبْ لـــي مـــن دعـــائـــكْ بجـــوف الليـــل دَعْـــواتْ
وأَعظِمْهـــا وأجـــزِلْ فـــربُّـــكْ ذو العطيـــات
وأَحسِـــنْ فـــي ظنـــونـــكْ وإن كثـــرت خَطِيَّـــات[1]
فلِلَّـــهِ تعـــالـــى عطيـــــاتٌ سنيــــاتْ
ولا تقنـــط وتيـــأس فللـــرحمٰـــن نفحـــات
ولا تسمـــع لعـــاذِلْ يقـــل هيهـــات هيهـــات

---

(١) قوله : خطيات أي: خطياتك . اهـ مؤلف .

ولا تأمَنْ وخَفْ وٱرْ ... جُ علام الخفيات

فهٰذا فَصلْ والثا ... نِ با أُبدي كليمات

وبا حَقِّقْ ودَقِّقْ ... ونمِّقْ في العبارات

وبا أُنجِدْ وأُغْوِرْ ... وٱدْخُلْ في تهامات

وبا أُوضِحْ وأُفصِحْ ... غَمِيضاتٍ دقيقات

عسىٰ بالقول يَبرُدْ ... لقلبي بعض غلات

ولٰكنَّ السكوتَ أحْـ ... ـسَنَ أجملْ ذي الأويقات

وبعد الساعْ يا مَن ... لَهُ للنصحْ اِنصات

تزوَّدْ مِن تقى الله ... من قبل المنيَّات

وأَخلِص في فعالكْ ... وصححها بنيات

وأُصدُق إنما الصد ... قُ مفتاح العنايات

وقَوْ أحْسِنْ يقينكْ ... لكي ترقى المقامات

وتب وارجع إلى الله ... غفار الخطيات

ولا تفرح بآتٍ ... ولا تحزن لما فات

ولازم ذكر مولا ... كَ في كل اللحيظات

فإن الذكر لله ... منشور الولايات

ونورٌ للسرائرْ ... بجَلْواتٍ وخلوات

وحفظٌ من جميع الـ ... ـمَخاوفْ والمصيبات

وإنَّ ذاكرَ الله ... كحيٍّ بين أموات

وشجرهْ مثمرهْ بَيْـ ... ـنَ شَجْراتٍ هشيمات

وقلبُهْ صار مأوى ... ملائكةِ السماوات

وذكرُ الله أفضلْ ... من إعطا العطيات

وأفضلْ من جهاد الـ ... ـمجاهدْ للشهادات

وهُوْ يا طالب الغَرْ ... سِ أشجارٌ بجنات

وإن تَــذْكُــرْ فمــولاكْ ... لــكْ ذاكــرْ وكــم جــاتْ
فضــائــلْ فيــه جَمَّــهْ ... شهيــراتٌ عظيمــات
أحــاديــثُ صحيحــهْ ... وآيــاتٌ كــريمــات
وآثــارٌ نــويــره ... مِــنَ آربــاب الكشــوفــات
فــلازمــهُ وواظــب ... عليــهِ طــول الأوقــات
ولا تغفــل فتنــدم ... وتــأتيــك العقــوبــات
وتَبعُــدْ عــن كــريــمٍ ... فــريــد الــوصــف والــذات
وقلبــكْ تَحتَــوِشْــهُ آلْـ ... ـشيــاطيــنُ المضــلات
وتصبــحْ فــي همــومٍ ... وتُمســي فــي نــدامــات
وينســاك المهيمــنْ ... وذِهْ أم الخســارات
وللعبــدِ مــع الله ... فــي الأديــان حــالات
فــإمَّــا غــانــمٌ كسـ ... ـبُــهُ فــي الــذُّوب طــاعــات
وتــاركْ للمــآثــمْ ... مجــانــبْ للكــراهــات
فهٰــذا فــائــزٌ قــد ... بلــغْ أعلــى السعــادات
وإمَّــا ســالــمٌ مُقـ ... ـتَصِــرْ أدى الفــروضــات
وتــاركْ للمحــارم ... وتــاركْ مستحبــات
فهٰــذا قــد نجــا، وأحْـ ... ـتَــرَمْ فــوزاً ودرجــات
وإمَّــا هــالــكٌ تــا ... ركٌ بعــضَ الحتــومــات
ويَتْهــاونْ بهــا أو ... يجــيْ بعــض الخطيــات
فهٰــذا خــاســرٌ قــد ... تعــرَّضْ للعقــوبــات
فكــن فــائــزْ وإلاَّ ... فســالــمْ مــن جنــايــات
وللعبــدِ مــع النــا ... سِ أحــوالٌ وتــارات
فــأعــلاهــا أنْ يكــن مِثْـ ... ـلَ عُمَّــار السمــاوات
بَــذَلْ خَيــرَهْ لهــم والـ ... ـمضــرَّهْ مِنُــهْ لــم تــات

وآخَرْ صارْ مَعْهم | كما هٰذي الجمادات
مَنَعْ خيرَهْ ورفدَهْ | وشرَّهْ والكثافات
وآخَرْ كالعقاربْ | وإبليسٍ وحيات
فلا يرجونَ خيرَهْ | ولا كفَّ الأذيات
فكم لُهْ في القوالبْ | وفي الأرواح لدغات
وفي الأموال والدين | والأعراض خدشات
فكن غانمْ وإلاَّ | فسالمْ لا جراحات
واحذرْ ثم اِحذرْ | إذا أعيتكَ العَلِيَّات
فتَهوي ثم تَهوي | إلىٰ أدنى الدنيات
وبعض الناس قوتٌ | فخذ من تلك الأقوات
وبعضُهمُ دَواءٌ | تَجِيهْ إن جاتْ حاجات
وبعضُهمُ بلاءٌ | فلا ترضَ البليات
ولٰكن قد تصيبكْ | فَمِطْها بالمداراة
وبعضُ الناس تكفيه | مِنْكَ أدنى الإشارات
وآخَرْ يقتضي مِنْك | تصريح العبارات
وآخَرْ ليس يفهمْ | ولو كرّرتَ مرات
فهم أطوارْ وأجناس | في الأخلاق والذات
وأنفاسكْ جواهرْ | عزيزاتٌ ثمينات
فلا تَغْدُ تُطَيِّرْ | بها من غير قِيْمات
وبعض الناس يأخذْ | بها ذنباً وحَسْرات
وإيمانكْ فجدِّدْ | بتكرير الشهادات
وقَوِّهْ بالتفكرْ | وتحسين العبادات
وتركٍ للمعاصي | وأهواءٍ وشهوات
وصَلِّ الخمس واظبْ | عليها في الجماعات

ووَفِّ الشَّرْطَ منها ... وأركاناً وهيئات
وزَكِّ المال يزكو ... ويُحفَظْ من مُلِمَّات
وأخرجها بِبِشْرٍ ... وإحسانٍ ونيات
ولا تنس حقوقاً ... أُخَرْ لاهل الضرورات
وأرحامٍ وجارٍ ... وضيفٍ والمروءات
وصم رمضان واحفظـ ... ـهُ من أشيا مضرات
وحُجَّ البيت طُفْ وٱسـ ... ـعَ واحلِق قف بعَرْفات
وزُرْ خيرَ البرايا ... لتَحْظىٰ بالشفاعات
وكن حافظْ كلامكْ ... لتظفرْ بالسلامات
فقد عَدَّ الغَزَاليْ ... لَهُ عشرين آفات
وفي (لا خيرَ) نَفْيٌ ... وحصرٌ بعد إثبات
وكم في الآي زجرٍ ... وكم جا في الروايات
لمن يُطلِقْ لسانهْ ... تحاذيرُ مهولات
ومن يحفظ لسانهْ ... فيُبْشِرْ بالبشارات
فطوبىٰ ثم طوبى ... لمن نطقهْ عبادات
وصان النطقَ عن كـ ... ـلِّ غِيبهْ والنميمات
وعن كَذِبٍ وخُلْفٍ ... وفُحشٍ والجدالات
وعن حَلِفٍ وزور ... ومَزْحٍ والخرافات
وصن بطنَك واحفظـ ... ـهُ عن سُحْت وشبهات
ولا تشبعْ من الحِلِّ ... بَلْ حسبك لقيمات
وعينكْ والأُذْنْ فٱرْ ... عَ هاتيك الرعيات
وفرجكْ ثم يَدَّكْ ... ورِجْلكْ من مَزَلَّات
وفي الدنيا فكن كالـ ... ـغريب العابر البات
إذا أصبحتَ أو أمسيـ ... ـتَ لا تنظر إلى الآت

وخـــذ مـــن صحتـــكْ والـ ... فـــراغ أعمـــالْ حَسْنـــاتْ

ومـــا هُـــوْ لـــكْ سيـــأتيـــكْ ... ومـــا لا عُـــدَّهُ فـــات

وحِـــبْ للمـــؤمنيـــنْ مـــا ... تُحِـــبْ للنفـــس والـــذات

ودع داعـــيْ الحســـدْ والـ ... ـتبـــاغـــضْ والعـــداوات

وكِبْـــرٍ والعُجُـــبْ والـ ... ـتـــدابـــر والقطيعـــات

وعنـــفٍ والبـــذىٰ والـ ... ـتفـــاحُـــشْ والمِـــراءات

وجـــانـــب يـــا أخـــي كُـ ... ـــلَّ الأخـــلاق الـــرديـــات

كحـــب المـــال والمـــد ... حِ يـــا ذا والـــوجـــاهـــات

وعجـــزٍ والكســـلْ والـ ... ـــديـــونِ والهمـــومـــات

وشـــحٍّ بـــل وبخـــلٍ ... ومكـــرٍ والخـــديعـــات

وحـــرصٍ والهـــوى المُـ ... ـتَّبَـــعْ بئـــس الخُصَيْـــلات

وكـــن صـــابـــرْ وشـــاكـــرْ ... وحـــامـــدْ كـــل الأوقـــات

وكـــن راضـــي وقـــانـــعْ ... يمـــرّ العمـــر راحـــات

وتـــأتيـــك المـــواهـــبْ ... ثُبـــاتٍ بـــل وأشتـــات

غنـــيَّ القلـــبِ مـــا لَـــكْ ... إلـــى الخلـــق تِلِفَّـــات

سليـــمَ القلـــب عـــن غِـــشْ ... وحقـــدٍ أو خيـــانـــات

فمـــا المسلـــمْ ســـوىٰ مَـــن ... سَلِـــمْ منـــه البـــريـــات

ومـــا المـــؤمـــنْ ســـوىٰ مـــن ... أمـــنْ جـــاره أذيـــات

ومـــا هـــاجَـــرْ ســـوىٰ مـــن ... هَجَـــرْ أخـــلاقْ ونـــزلات

ومـــا جـــاهَـــدْ ســـوىٰ مـــن ... قهـــر أهـــواءْ غَـــوِيَّـــات

وحِـــبَّ الخيـــر وأهـــل الـ ... ـتقـــىٰ أهـــل المـــروءات

وجـــالِسْهـــمْ لتُغفَـــرْ ... خطـــايـــاك القـــديمـــات

هـــم القـــوم الـــذي مَـــن ... جلـــسْ معهـــم جُلَيْســـات

وقـــعْ لُـــهْ كـــلُّ سُـــوْلٍ ... وفـــازَ بـــالسعـــادات

وابْعِدْ جَمٌّ جداً ... عن أرباب الخطياتْ
وأَهلِ الظلم وأهلِ الـ ... ـقطيعهْ والقساوات
ومِلْ كي لا تصيبكْ ... مع الفساق لعنات
ولا تصحب سوىٰ من ... يدلك للمبرات
وخذ بالعلم وأعمل ... بِهِ تلق الكرامات
ولازم درسه في ... جلوسك والقيامات
وأيقن أن للعلـ ... ـمِ يا مسكينْ ثَمْرات
وقد ذَكَرَ الغَزالي ... له جملةْ علامات
تأَمَّل هل أتىٰ فيـ ... ـكَ من هاتيك من آت
وإلاَّ ليس يغنيـ ... ـكَ تنميق العبارات
وإن شئتَ الهنا والـ ... ـغنىٰ بل والولايات
فاَغْزِل كل فعلك ... وقولك واعتقادات
علىٰ مِغْزَلْ غَزَالِيْـ ... ـيَنا كنز الفتوحات
علىٰ « الاحياءْ » ونِخْ ثَـ ... ـمَّ رحلك والمطيات
فكم سَلَكُوا عليه ... لنا ساداتْ قادات
وأَوصَوْا بِهْ كثيراً ... وقالوا كم مقالات
فدونكْ نهجَهم إن ... تكن من ذي العزومات
وإلاَّ كن محباً ... لهم من ذي المودات
واحذر ثم اِحذر ... تَكَلَّمْ في الصحابات
وأهلِ الصدقِ والحـ ... ـقِّ أرباب الكشوفات
فلا يرجىٰ فلاحك ... ولا يُقبل لكْ إخبات
فإنفاقك جَبَلْ لا ... يساوي أنفاق حبات
وليتك خفت ذنبكْ ... كَهُمْ من خوف حسنات
وليتك عند سُحْتٍ ... كهُمْ عند المباحات

وليتك في صلاتك ... كَهُمْ في حال عاداتْ
فهم أشفق بأنفا ... سهم منا ببدرات
وقم بحقوق أصلٍ ... وفرعٍ والقرابات
ومملوكٍ وزوج ... وإخوانٍ وأخوات
من إحسانٍ وبِرٍّ ... وتعليم ونفقات
ومُرْ بالعُرْف واعمل ... يكن للقول إنصات
وللمنكرِ فأنْهَ ... ولا تَقْرَ بْهُ أو تات
ولازم بيتك إلاَّ ... لجمعةْ أو جماعات
وإلاَّ في طَلَبْ عِلْـ ... ـمٍ أو قِضْيانْ حاجات
وما يعنيك فالزم ... ودع باقي الفضولات
وفكر في ذنوبك ... وأخلاق قبيحات
وفي الدنيا وأعما ... رِ تمضي كالمنامات
وفي بر وبحر ... وأرض والسماوات
وفي هٰذي الخلائق ... وأشجار وثَمْرات
وفي نفسكْ تَفَكَّرْ ... ففيك أشيا عجيبات
وفي آلاءْ ونعماءْ ... عظيماتٍ كثيرات
وفي موت وقبر ... وتنعيمْ أو نكالات
وفي حشر ونشر ... وأهوال مشيبات
وفي وزن وجسر ... ونيران وجنات
تفكَّرْ قبل تأتيـ ... ـكَ أنواع الندامات
ولا ينفَعْكَ حزن ... ولا تغنيك حسرات
فيا مولاه يا رب ... يا ذا الاستجابات
ويا معطي العطايا الـ ... ـجزيلات السنيات
ويا ذا الفضل والجُوْ ... دِ ذي عم البريات

إلٰهـــي سَلْـــكَ تختـــمْ لنـــا عنـــد المنيـــاتْ

بـــأحســـنْ خَتْـــمِ تَغفِـــرْ بـــهِ كـــلَّ الخطيـــات

ونُـــؤْمَـــنْ بِـــهْ مـــن أهـــوا لِ قبـــر والســـؤالات

ونَحظـــىٰ بـــالكـــرامـــهْ ورضـــوان وروضـــات

وكـــن يـــا رب للحـــيْ واغفـــر للـــذي مـــات

وهـــب للكـــل منـــا جميـــع الأُمْنِيَّـــات

مَـــعَ حُســـنِ العـــواقـــب وحفـــظٍ مـــن بليـــات

وعُـــمَّ الأصـــل والفـــر عَ مَـــعْ كـــل القـــرابـــات

وأزواج وأهـــــــل الـ ـمحبـــــهْ والمـــــودات

بغفـــــران وفضـــــل وإحســـــان ورحمـــات

وحشـــــر تحـــت ظـــلٍّ لِـــوَا راعـــي الشفـــاعـــات

رســـولِ الله مـــن قـــد أتـــانـــا بـــالـــدَّلالات

وشـــــرع مستقيـــــم سليـــمٍ مِـــنْ تِعِنَّـــاتْ

صـــــلاةُ الله وتسليـ ـمُـــهُ بـــل والتحيـــات

عليــــهِ وعلــــى الآ لِ دأبـــاً والصحـــابـــات

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تمت الأبيات المباركة إن شاء الله تعالىٰ ، وذلك يوم الأربعاء (٢٤) شهر رمضان المعظم سنة (١٢٣٨هـ) ببندر الشحر ، علىٰ يد ممليها الفقير عبد الله بن حسين بن طاهر علوي ، عفا الله عنه وعن أهليه ، وقرابته وذويه ، ومعارفه ومحبيه ، آمين ، اللهم آمين .

عدّة أبياتها (١٩٩) مئتان إلاَّ واحداً .

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه: هٰذه أبيات قلتها من مدة:

يا حسرتي ضاع عمري في البطالاتِ ... وفي اكتساب المعاصي والخطيئاتِ
وفي فجور وفي زور وفي لعبٍ ... وفي غرور وفي عُجْبٍ وآفاتِ
وفي نفاق وفي كبر وفي طمع ... وفي الريا والتفاخرْ والمباهاة
وفي نكوث وفي غدر وإصرارٍ ... وفي الخيانة مَعْ مكر وروغات
وفي الخديعة والغل مَعَ حَسَدٍ ... والحقد بل والشماتهْ والعداوات
وفي التحسسْ وسوء الظن مَعْ أمل ... وخوف فقر وحرص والقساوات
وفي اغتياب وفي سب وفي كذب ... وفي فضول وأقوال رديئات
وأكلِ سُحْتٍ بلا خوف مع الشبعِ ... وفي النظرْ للنساء الأجنبيات
وفي استماع إلىٰ أقوال مردية ... وكل ما ليس يعنيني له آت
وترك أمر بمعروف بلا سبب ... وترك نهيِ المناكير المهولات
وفي معاصٍ كبيرات عظيمات ... مع الدعاوي الطويلات العريضات
يا رب يا رب يا رحمٰن يا صمدٌ ... اغفر لعبدك أوزاري الكثيرات
فضلاً ومَنّاً وإحساناً وموهبة ... جوداً وبراً لماضيها وما يأتي
هٰذا وظني جميل في الجميل بأنْ ... وكيف لا وهْوَ معطيْ كلِّ خيرات
فكم وكم جاد كم أعطىٰ بلا سبب ... وكم فتحْ كم منحْ كم من عطيات
سبحانه جل ذو الفضل العظيم الذي ... بِهِ بِهِ عند يسراتي وعسراتي
لا حول لي لا ولاقوةَ لي أبداً ... رفضت دعواي وأسبابي وحيلاتي
وأستغفر الله من كل الذنوب ومن ... جميعِ فعليَ من خير وسَيْئات
وألفا صلاةٍ على المختار يتبعها ... أَلفا سلام مداد البحر مرات
والآل والصحب ثم التابعين لهم ... في كل يوم عِداد الرمل ذرات
والحمد لله رب العالمين على ... جميع إنعامهِ الماضي وما ياتي

* * *

وقال رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه ، ونفعنا به :

الحمد لله هـٰذا الوقت وقت السكوتْ ... وترك كل الخلائق والتزام البيوتْ
ثم الرضا بالذي يكفيك من أي قوت ... بشرط حِلِّهْ وكن صابرْ إلىٰ أن تموت

* * *

وقال رضي الله عنه وكتب في ظهر كتاب إلىٰ بعض أهل العلم بهـٰذه الأبيات ـ وسُئل عنه سيدنا الناظم رحمه الله فقال : هو الحبيب أحمد بن عمر بن سميط نفعنا الله بهما ، آمين ـ :

ولما نأت داري وشطت مسافتي ... جعلت كتابي نائباً عن زيارتي
[إذا فاتني قرب الأحبة واللقا][1] ... ففي ذكرهم راحي وروحي وراحتي
فطوراً أُمثِّلْهم وطوراً بذكرهم ... وطوراً أناجيهم ببعث كتابتي
[إذا لم يصبها وابل صيِّبُ الندى][2] ... فطلٌّ به بَرْدٌ لبعض حرارتي
همُ القوم لا يشقىٰ جليسُهُمُ بهم ... محبُّهُمُ يلحقْ بهم في القيامة
إذا لم أكن منهم فإني أحبهم ... وإن صح حبي فهْوَ أكبرْ كرامتي
فإن تقبلوني فهو فضل ومنَّة ... وإن تَحجبوني فهو كسبُ جنايتي
فلا لومَ لا عَتْبَ عليكم لأنني ... مقرّ بأوزاري وكُثْرِ إساءتي
فبالله جودوا سادتي وتشفعوا ... بإصلاح قلبي من فنون القساوة
إلـٰهي بحق القوم منَّ بتوبةٍ ... نصوحٍ بها نَحظَىٰ بنيل السعادة
وألفا صلاةٍ ثم ألفا تحية ... على المصطفىٰ والآل ثم الصحابة

* * *

---

(١) هـٰذا من كلام الحبيب عبد الله بن علوي الحداد . اهـ مؤلف
(٢) هـٰذا من كلام الحبيب عبد الله الحداد . اهـ مؤلف

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ـ لما أتته أبيات من محبِّه عبد الله بن زين باسلامة ـ هٰذه الأبيات :

سلامٌ علىٰ أهل الظنون الجميلةِ — وأهل الصفا أهل القلوب السليمة

أُهَيل الوفاءِ الغافرين لمن هفا — يراعون آداب الإخا والمحبة

فطوبىٰ لعبدٍ سار نحواً لِسَيْرهم — وشابههم لو كان في بعض سِيْرة

هم القوم لا يشقىٰ جليسُهُمُ بهم — محبهُمُ ينجو بهم في القيامة

بحقهِمِ يا ربنا هب لنا الذي — وهبت لهم من محض فضل ومنَّةِ

فإنَّا إليك راغبونَ وإننا — لنرجوك يا معطي العطايا الجزيلة

فمن ذا لنا يا ربنا في أمورنا — سواك ولا أَرْكَنْ بحولي وقوّتي

تبرأتُ من حولي وكسبي وقوّتي — ومِن أن أنَلْ خيراً بفعلي وحيلتي

إلٰهي مليكي خالقي لا تُحِيلُني — إلىٰ نفسي أو غيري أُصب كل محنة

فكن لي إلٰهي في أموري جميعها — وفي الدين والدنيا وفي كل حالة

ووفق وسدد وأصلح الكل واهدنا — وٱختم لنا بالخير عند المنية

وعمّ أصولاً والفروع وكل من — له حسن ظن صادقاً في المودة

كمثل المحب الصادق الناصح الذي — يسمىٰ بعبد الله اِبنِ سلامة

أتت منه أبيات بها يطلب الدعا — ويَحكي ويَشكي من ذنوب كثيرة

فنطلب مولانا لنا وله بأن — يمنَّ علينا ذو الجلال بتوبة

بها تنمحي عنا الذنوب جميعُها — ونعلو بها في كل حال عَلِيَّة

ونُكسىٰ بها الخيراتِ والبرَّ والرضا — ونُحمىٰ بها من كل هول وفتنة

بها تنجلي عنا الكدورات كلُّها — بها ترتفعْ منا جميع القساوة

بها يصلح القلب الذي إن صَلَحْ صَلَحْ — به سائر الأشياءِ من كل خصلة

عليك بإصلاح الفؤاد وحفظِهِ — من المفسدات من ذنوب وغفلة

وكن عامراً للقلب بالخير والتقى — وبالذكر والفكر الصحيح المثبّتِ

وبالصمت عن كل الفضول جميعِهِ وكـن قـائـلاً خيـراً وإلاَّ فـأُصمُـتِ

ولازم لـذكـر الله فـي كـل حـالـةٍ وواظـب عليـه كـلَّ حيـن ولحظـة

وكــن شــاكـراً لله قلبـاً وقـالبـاً لتحَظَىٰ مـن المـولـىٰ بنيـل الـزيـادة

وكن طالباً للعلم واعمل به تنل مـن الله تـوفيقـاً لسُبْـل الهـدايـة

كـذا كـل خير لا تكـن عنه عـاجزاً فبـالجـد نِيلَـتْ كـلُّ حـال رفيعـة

إلٰهـي تفضَّـل بـالمطـالـب كلهـا علينـا وزدنـا منـك أعلـىٰ عطيـة

وأصلـح فـؤاداً أنـت أعلـمْ بـدائـه وأمـراضـهِ يـا عـالمـاً بـالسـريـرة

بجاه النبيِّ المصطفى الهادِي الذي بـه نـرتجي تقضي لنـا كـل حـاجـة

عليــه صــلاة الله ثــم ســلامــهُ وأنصــارهِ مَــعْ آلــه والصحـابـة

وبــالحمــد لله الكـريــم ختــامهـا لك الحمد يا رب علىٰ كل نعمة

قال المؤلف : وأما الأبيات التي أتت من المحب عبد الله بن زين باسلامة . . فهي قوله :

أيـا سيـدي هـل دعـوةٌ لأسيـركـم كثيـر الخطـايـا والـذنـوب الكبيـرة

فمشهــده فيكــم عظيــم وظنــه جميـل وعنـد الله علـم السـريـرة

. . . إلىٰ تمام ثمانية أبيات لعبد الله بن زين .

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به عند ورود بعض المنغصات تذكيراً لقلبه ، وتخفيفاً لكربه ، وشكراً لربه ، ووفقه للرضا بالقضا ، وللعلم بما يحب ويرضىٰ :

جـزى الله المصـائـب كـل خيـرٍ — أفـادتنـا علـومـاً نـافعـاتِ
علـومـاً لـم نجـدهـا فـي كتـاب — ولـم أظفـر بهـا عنـد الثقـات
مـن التـزهيـد فـي أهـلٍ ومـالٍ — وفـي وطـن وفـي هـٰذي الحيـاة
فكـم مـن منحـة فـي ضمـن بلـوى — وكـم جمـع خُبِـيْ بطـنَ الشتـات
وكـم نيطـت سعـاداتٌ بفقـرٍ — وكـم جلـب الغنـىٰ مـن مهلكـات
وكم أمنٍ طُوِيْ في جوف خوف — وتحصيـلٍ تحصَّـلَ بـالفـوات
وكـم عـزٍّ لُقِـيْ فـي بطـن ذل — وكـم أتـت المصـائـب بـالهبـات
عسـىٰ أن تكـرهـوا شيئـاً وفيـه — لكـم خيـر كمـا فـي البينـات
وللـراضـي بهـا أجـرٌ عظيـم — وبشِّـرْ صـابـراً بـالصلـوات
لـه مـن ربـه وهـدىً ورحمـهْ — كمـا يتلـىٰ بنـص المُحكَمـات
ولا تسخـط قضـا اللهِ فتُـرمـىٰ — بسُخْـط الله رأسِ الطـاميـات
وأمـر الله يمضـي شئـتَ أم لا — ولسـتَ تحـوز غيـر الحسـرات
وذمٍّ وافـر وذَهـاب أجـر — فـلا يـرضـىٰ بـذا غيـر الشُّقـاة
وقـد حُفَّـت جنـانُ الله ربـي — بمكـروه وتـرك الشهـوات
ونـار الله قـد حفـت بكـلِّ — فنـون الشهـوات الملهيـات
فمـا الأكـدار فـي ذي الـدار إلاَّ — لنتـركهـا ونعمـلْ للممـات
وفـي الفـاقـات والحـاجـات سرٌّ — عظيـم رافـع للـدرجـات
هـي الأعيـاد تحمـل حـامليهـا — لصـدق الإلتجـا فـي الـدعـوات
فكـم طـيَّ المصـايـب مـن خيـور — حسـان عـاليـات غـاليـات
تقـود بنـا إلـىٰ رب كـريـم — وتَنهـىٰ عـن أمـور فـانيـات

وتُورِثنا خضوعاً وانكساراً ... وتركاً للأمور المنكَراتِ

فسلِّم للإلٰه أخي وفوِّض ... وكن عبدَ التَّحَظِّي بالصلات

فإن العبد ليس له اختيار ... وليس له التحكم في الشآة

وليس له من التدبير شيء ... وليس يريد غير الواردات

وهمته التعبد والعبادهْ ... بتحقيق العبودة بالثبات[1]

ألا إن الإلٰه بنا رحيم ... إلينا محسن في كل آت

لمن يدري لمن يعلمْ ويفهمْ ... لمن يفقَهُ حلَّ المشكلات

لمن بالله يُحسنُ في ظنون ... وذي التفويض عند المعضلات

يشاهِدُ خيرَه في كل فعل ... ويرضىٰ ما خلا بالسيئات

يشمر في رضا الله تعالى ... بفعل الباقيات الصالحات

ألا إن القلوب قست وماتت ... فلم تخشعْ وتُصْغِ للعظات

سواءٌ قلتَ أم لا قلتَ شيئاً ... كشِبْهِ السائمات الراتعات

أَمَا إن التذكُّرَ والتلافي ... لباقي اللحظات الذاهبات

دراكِ دراكِ قبل حلول حال ... عَيِيْ في وصفه أهل اللغات

ألا إن السلامة مَن يُرِدْها ... يجدها في الخمول وفي السُّكات

وتَرْكِ الناس والعادات بَتّاً ... وترْكِ المحدثات التُّرُّهات

ألا هل سامعٌ فطن حليم ... يجيب مسرعاً قبل البيات

يفكِّر في الأمور وماوراها ... ويسعىٰ في الخلاص وفي النجاة

إلٰهي يا عظيم الفضل يا من ... إليه مفزعي في النائبات

سألتك تَقْضِ حاجاتي جميعاً ... وتعطيني جميع الطلبات

وتختم لي بخير عند موتي ... وتكفيني جميع المُفزِعات

---

(١) **العبودة** : جعل النفس منقادة لله تعالىٰ رب الأرباب ، لا طلباً للثواب ولا هرباً من العقاب ، بل ابتغاءً لوجه الله تعالىٰ ، **والعبودية** : جعل النفس منقادة لأوامر الله طلباً للثواب ، وقيل : العبودية : ما فيه نوع من التكليف ، والعبودة : ما لا يكون كذلك ، والعبودة أعلىٰ مرتبة من العبودية .

وعفــواً سيــدي فضـــلاً ومَنـــاً ... وغَفــراً للــذنــوب المــوبقــات
فمـا لـي غيـرُ فضلـك مـن مغيـث ... إليـه أتـوب عنـد المُـوْحِـلات
وكـن لـي سيـدي فـي كـل حـال ... وقُــدنــي لــلأمــور المنجيــات
بجـاه المصطفـىٰ خيـر البـرايـا ... محمــدٍ المشفَّــع فــي العصــاة
رسـولِ الله ذي البـركـات مـن قـد ... أتــىٰ بــالبينــات المعجــزات
عليــهِ الله صلــىٰ ثــم سلَّــمْ ... وبـــارك عَـــدَّ كـــل الكلمـــات
كـذاك الآلِ والأصحـاب نـرجـو ... بـذكـرهِـمُ نـزول الـرحمـات
ولله الكـــريـــم أجـــلُّ حمـــدٍ ... علـى النعـم العظـام السـابغـات
فـــلا نُحصـــي علـــى الله ثنـــاءً ... تعـالـىٰ عـن صفـات المُحْـدَثـات

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته :

إيـاك إيـاك مـن سُـرّاق الاوقـاتِ ... فـإنهـم مـن عظيمـات المصيبـاتِ
مصيبـة الـديـن نقـصٌ لا يقـاس بـه ... نقـصٌ بحـالٍ ولا مـالٍ بـآفـات
العمـر شـيء عـزيـز لا بـديـل لـه ... فكيـف تنفقـه فـي غيـر طـاعـات

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به : وهٰذه قصيدة في الحث على الصلاة والدعوة إليها، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه الكريم ونفع به ، آمين :

يا تاركين الصلاةْ … يكفي كفىٰ من فواتْ
توبوا إلىٰ ربكم … من قبل تمسوا رُفاتْ
فإن ترك الصلاة … من أعظم الموبقات
وتركها ظاهرٌ … من أكبر المنكرات
والنُّكْر للمنكرات … من أوجب الواجبات
فأنكِروا تَسلَموا … مما وردْ في السُّكات
فعلِّموا عرِّفوا … وذكروا بالعظات
ثم ازجروا واقهروا … بالسُّمْر والمرهفات
لمن قَدَرْ واستطاعْ … أو فاهجروه بتات
وادعوا إليها الجميع … بنينَكم والبنات
وسائرَ المسلمين … من كل أهل الجهات
فقيرَهم والغني … ضعفاءَهم والعتاة
وأهلَ الحرف كلَّهم … والبدو والباديات
صغيرَهم والكبير … والعُجَّزَ العاجزات
أحرارَهم والعبيد … عموم تُحيى الموات
لا تعجزوا إنها … لله نفحاتْ تات
تعرَّضوا تَظفَروا … كذا بالاخبارْ جات
فذكِّروا بالصلاة … يا طالبين الصِّلات
فقد أتىٰ ذكرها … بالنص في المحكمات
وكم حديث أتى … عن صاحب المعجزات
عن الرواة العدول … الصادقين الثقاتْ

بالوعد للقائمينْ ... لها بنيل الهباتْ

من كل خير جزيلْ ... والفوز بالدرجات

وأكل عيش هني ... في ذه وبعد الممات

وسعيُهُ قد حَظِي ... بكثرة البركات

وهْيَ كنهر لنا ... لا يُبقِ مستقذرات

تُمحىٰ ذنوبك سِوىٰ ... كبائر السيئات

وكل ذاهبْ لها ... خطواته حسنات

والرزق يأتي إليهْ ... صفواً بغير ٱلْتِفات

هِيْ ركن الإسلام كن ... حافظاً لها من فوات

هِيْ رأسُهُ والعمودْ ... بادر إليها وآت

يا فوزَ قائمْ بها ... فقد حوى الطيبات

طوبىٰ له بختَهُ ... قد فاز بالزاكيات

وكلُّ تاركْ لها ... فيه أتت هائلات

من الوعيد العظيم ... أخباره ثابتات

من كفرِهِ والنفاق ... والموت ما لُهْ ثبات

ولا لَهُ ذمةٌ ... وحالُهُ في شتات

وقتلُهُ واجبٌ ... كسائر المُهْدَرات

لٰكنْ لغير الإمامْ ... ما جاز للافتيات

يُحشرْ مع الكافرين ... وكلِّ مشركْ وعات

ومن سكتْ هُوْ شريكْ ... في هٰذه المخزيات

وكل حِلَّةْ بها ... تاركْ لفرض الصلاة

فقَحْطُهم لازمٌ ... وجَدْبُهم والسنات

وإنْ يصلُّوا الجميع ... ثم أَتَوا بالزكاة

يقعْ لهم كلُّ سُولْ ... ولا يرون التِّرات

دعاؤهم مستجابْ — كالأسهم الصائباتْ

فصلِّها دائماً — من قبل يأتي البيات

وأْتِ بأركانها — وشروطها كاملات

واستَنْجِ أوّلْ لها — ثم الوضوْ بعد آت

فانْوِ بقلبك من — نياته المجزئات

واغسل لوجهكْ ثلاثاً — جميعهن سابغات

واغسل يديك ثلاثاً — إلى العضد بالِغات

وامسح لراسكْ ولا — تستكف بالشعرات

واغسل لرجليك مِطْ — ما كان من مانعات

ورتب الكل لا — تقع فِي المبطلات

والعورةَ استر لها — بثيابك الطاهرات

وصَلِّ مستقبلاً — للبيت ذي الثمرات

ولا تَكَلَّمْ ولا — تُوالِي الحركات

وهات باقي الشروط — واحذر من المفسدات

وانْوِ وكبِّر وقم — و(الفاتحهْ) بعدُ هات

واركع ورِضْ واعتدل — واسجد مع الساجدات

واجلس ورِضْ ثم خِرْ — لثانِي السجدات

ذه ركعةٌ ثم قم — وكمل الباقيات

ثم تَشَهَّدْ وصَلْ — علىٰ حَسِين الصفات

سلِّم ورتب وكن — ذا همٍّ بالواجبات

ثم السنن هاتها — فنِعْمَك النافعات

تَحْصُلْ إذا أسلموك — أهلك إلى الحادثات

خُذْ لكْ من العلم ما — يحفظك من مهلكات

جـــالــــس لكـــل عليـــمْ يُـــرشِـــدْك للمنجيـــاتْ
وعَلِّـــمِ الجـــاهليـــن فَهْـــوَ أفضـــل الصـــدقـــات
خصـــوصـــاً الغـــافليـــن عـــن الهـــدىٰ والعظـــات
خـــذهـــم بـــرفـــق وليـــن تَظفَـــرُ بـــالطلبـــات
يـــا ربنـــا يـــا كـــريـــم يـــا غـــافـــرَ السيئـــات
اغفـــر لنـــا ذنبنـــا وأبـــدلـــه بـــالصـــالحـــات
وهـــب لنـــا كـــل سُـــؤْل واحفـــظ مـــن المـــؤذيـــات
واختـــم لنـــا بـــالصـــلاح وبـــالهـــدىٰ والثبـــات
ببـــركـــة المصطفـــى مـــن جـــاء بـــالبينـــات
عليـــه صلـــى الإلٰـــهْ تعـــداد كـــلِّ النبـــات
مـــع الســـلام الجـــزيـــل مـــا ســـارت اليعمـــلات
وآلِـــهِ والصحـــاب وأزواجـــه الطـــاهـــرات
والمـــؤمنيـــن أجمعيـــن وســـائـــر المـــؤمنـــات
والحمـــــد لله مـــا نـــوديْ إلـــى الصلـــوات
وعَـــــدَّ آلائـــه والنعـــم الســـابغـــات
حمـــداً كثيـــراً جـــزيـــلْ لا تُحصـــه الكلمـــات

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته ، آمين :

الشيءُ صعبٌ علىٰ من ليس يألفه بل ربما آل بالشخص إلى الموتِ
وهْوَ خفيف علىٰ شخص تربّىٰ به بل قد يعيش به كالماء للحوت

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته بتاريخ سلخ ربيع الثاني سنة (١٢٦٥هـ):

نسألْ من الله مولانا الكريمْ ... يمنن علينا قريباً بالفرجْ

من قبل ما يظهر الخِيْم الوخيم ... فيه المعاصي الكبيرهْ والحرج

يا ذا المواهب وذا الفضل العظيم ... يا من عطاياه تملا كل فج

يا من له الشان والمُلك القديم ... فرج علينا وخلصنا ونَجّْ

وهب لنا ربنا القلب السليم ... الطاهر الصاف من كل خَمَج

والاستقامهْ على النهج القويم ... صراطك الحق خالٍ عن عوج

وحُسن أخلاقْ تَرضىٰ يا حليم ... في ذه وفي تيك تُنجي للمُهَج

مع اتباع النبي الهادي الرحيم ... في كل مدخلْ ومخرجْ إن خرج

والفوز يا ذا المواهب بالنعيم ... في جنة الخلد من غيرِ وَهَج

مَعْ كل صالحْ وعاملْ لكْ عليم ... فضلاً ومنّاً وإن كنا همج

يا قلبي أوصيك اسمع للنديم ... ولا تَسَمَّع لأقوال الهَرَج

كن خامل الذكر للخلوهْ مديم ... تارِكْ لما ليس يعني في النَّهَج

صامتْ عن الشر لكْ شغلٌ عظيم ... بكل مفروض تارك للحرج

يا رب واختم بخيرٍ يا كريم ... لكل من كان حَيْنُهْ قد دَرَج

ثم الصلاة وتسليمٌ مقيم ... على النبيْ من رقىٰ أعلى الدرج

والآل والصحب ما هب النسيم ... وما أتانا الفرج من كل فج

الحمد لله تَعدادَ النعيم ... ما عبدْ هلَّلْ وبالذكر ابتهج

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ـ لما وصله كتاب من الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان من دوعن نفعنا الله بهما وبأسرارهما في الدارين ، آمين ـ :

عفيــــفُ لمـــا أتـــى خطُّــكْ أتــانــي انشــراحْ
وكـــل مــا كـــان فـــي قلبـــي مـــن الهـــم راح
والكـــرب والشـــوش غَيْـ ـيَـــبْ مـــن فـــؤادي وزاح
ذا صِـــدْق يـــا صـــاح مـــا هُـــوْ كِـــذْب مني أو مــزاح
واعلـــــم أخـــــي أن هـ ـــذا الـــوقـــت وقـــت انتـزاح
عـــن الخــلائـــقْ فمـــا لـــك فـــي التـــلاقـــي صـــلاح
قـــد فـــاز مـــن كـــان بـــالـ ـخَلْـــوهْ أنِـــسْ واستـــراح
مـــا شغلــــه إلاَّ بمـــا يعنيـــه أو فـــي مبـــاح
قـــد تـــرَّكْ النـــاس مـــرْ رَهْ ســـرهـــم والصيـــاح
ولا رمـــاهـــم بســـو ءٍ بـــل جَعَلْهـــم مـــلاح
ولا تـــرَكْهـــم سِـــوَى خـــوف الحـــرج والجُنـــاح
ومـــن أتـــاه حِفـــظْ لُـــهْ حـــق حُـــرمـــه جنـــاح
ومـــن تَفكَّـــرْ فـــي أهـ ـــوال الـــزمـــانْ صـــاح صـــاح
ذا حـــق مـــا انـــا مغيْـ ـيَـــبْ بـــل أنـــا صـــاح صـــاح
أمـــا تـــرى الشـــر يـــا ذا قـــد فشـــا واستبـــاح
وإن تـــرىٰ فيـــه خيـ ـــراً عِـــدُّهْ ألاَّ مِنـــاح
لٰكـــن عســـىٰ يـــا حبيـ ـبـــي بعـــد هٰـــذا صـــلاح
عســـىٰ عســـىٰ بعـــد ذا الـ ـتكسيـــر نمســـي صحـــاح
نـــدخـــل مـــع أهـــل المحـ ـبـــة والهـــدىٰ والفـــلاح
دنيـــا وأخـــرىٰ ونشـ ـكـــر فـــي المســـا والصبـــاح
فـــالفضـــل واســـعْ وكـــم فضلُـــهْ علـــى الخلـــق ســـاح

نـــرجـــوه يغفـــر ويمـ   ـحـــو للـــذنـــوب القِبـــاحْ
ويختتـــم العمـــر بـــالـ   ـخيـــرات عنـــد الـــرواح
فضـــلاً ومَنّـــاً مـــن الـ   ـمـــولـــى الكثيـــر السمـــاح
تمـــت وصلُّـــوا علـــى أحْـ   ـمَـــدْ مـــا تـــرنـــم ونـــاح
قمـــري ومـــا نـــادْ غصـ   ـــنٌ مـــن مهـــب الـــريـــاح

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا والمسلمين من بركاته :

يا أيها الناس هل ... مصغٍ لقول النصيحْ

بَاْجْهَرْ بصوتي وبا ... نادي وبَاْدْعو وصِيحْ

هيا اتقوا الله كم ... هذا التباطى القبيح

فرّوا إلى الله كم ... غفلةْ وكم ذا اللَّفِيح

أدّوا الفرائضْ على الـ ... ـوجه القويم الصحيح

وجانبوا كلَّ شبـ ... ـهةْ والحرام الصريح

فالعمر ولىٰ وهَـ ... ـمُّ الناس أكل الرضيح

ما فِكْرُهُم غير حو ... ل المَقْضَمَةْ والسفيح

ما كَنُّهم عن قريـ ... ـبٍ واردين الضريح

وبعده الحشر للـ ... ـيوم الطويل الفسيح

* * *

وقال رضي الله عنه في بعض مكاتباته إلىٰ بعض إخوانه وهم متوجهون إلى الحج :

اعـــذرونـــي وســـامحـــوا ... واغفـــروا لِـــيَ واصفحـــوا
غيـــرُ ذا غيـــرُ لائـــق ... وهـــو بـــالأهـــل أقبـــح
ثـــم إن لام لائـــم ... فهـــو منـــي مســـامـــح
وهْـــوَ أصـــدقُ مـــن فتـــىً ... قـــد غـــدا لِـــيَ يمـــدح
إننـــي لمقصـــرٌ ... وبنقصـــيْ مصـــرِّح
وعيـــوبـــي كثيـــرة ... وجميعـــي مجـــرَّح
فـــامنحـــونـــي بـــدعـــوة ... فعســـى القلـــب يَصلُـــح
وأنـــال مطـــالبـــي ... وأفـــوز وأُفلـــح
يسكـــن النـــور بـــاطنـــي ... ولصـــدريَ يَشْـــرَح
يـــا إلٰهـــي ومـــالكـــي ... إننـــي لســـت أبـــرح
عـــن ســـؤالِـــكَ والـــدعـــا ... لســـت عـــن ذَيْـــنِ أبـــرح
دَيـــدنـــي بـــل وهمتـــي ... نحـــو فضلـــك أطمـــح
ثـــم أرجـــو بـــأننـــي ... فـــوق مـــا رُمـــتُ أُمنَـــح
محـــضَ فضـــل ومنَّـــة ... مـــن هِبـــاتـــك تَفَتَـــح
لا بحـــولـــي وقـــوّتـــي ... لســـت بـــالكســـب أنجـــح

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

خـذ مـن الـوقـت مـا سمـحْ ... واعـــذر إن عَضَّـــكَ أو رَمَـــحْ
إنمـــا اللـــوم عنـــدنـــا ... لـــو صَلَحْنـــا لقـــد صَلَـــح
مـــا لنـــا غيـــر كسبنـــا ... مـــوجـــبُ الحـــزن والفـــرح
لا يَلُـــمْ غيـــرَ نفســـه ... مـــن لَقِـــيْ الهـــمَّ والتَّـــرح
ذا مـــع عفـــوه الكثيـــر ... لـــو يـــؤاخـــذْ بمـــا اجتـــرح
مـــا بقـــيْ قـــطُّ دابـــةٌ ... هكـــذا قـــد أتـــىٰ وصـــح
تـــب إلـــى الله كـــي تفـــوزْ ... بـــالأمـــانـــي وبـــالمِنَـــح
واعتكـــف تحـــت بـــابـــه ... فـــاز مـــن تحتـــه انطـــرح
بـــابُـــه بـــابُ كـــلِّ خيـــرْ ... خـــاب مـــن عنـــه انتـــزح
لا تعـــرِّج علـــىٰ ســـواهْ ... فـــاستمـــع قـــول مـــن نصـــح
لـــم يخـــب قـــاصـــد الكـــريـــم ... مـــن قـــرع بـــابـــه انفتـــح
راجـــيَ الله لا يخيـــب ... والـــذي ظنـــه وضـــح
يـــا إلٰهـــي وخـــالقـــي ... عبـــدكـــم نحـــوكـــم جنـــح
يـــرتجـــي صفحـــك الجميـــل ... فـــاعـــف يـــا خيـــر مـــن صفـــح
أعطنـــي مـــا بخـــاطـــري ... والـــذي فـــوقـــه سنـــح
لا تُبَقِّـــي ولا تـــذر ... فـــالطمـــع نحـــوَكـــم طمـــح
فضلـــك الـــواســـع العظيـــم ... نحـــوه القصـــد قـــد سبـــح
إن يكـــن ذنبنـــا عظيـــم ... عفـــوكـــم فـــوقـــه رجـــح
وامنـــن امنـــن بتـــوبـــة ... كـــل قلبـــي بهـــا انشـــرح
عَمَّـــه النـــور والهـــدى ... حـــل فيـــه بـــه انفســـح
لا بحـــولـــي وقـــوّتـــي ... إنمـــا الله بِـــهْ سمـــح
واختـــم العمـــر سيـــدي ... بـــالمحـــاسِـــنِ والمُلَـــح

والصلاة مع السلام ... ما سرى البرق أو لَمَحْ
دائمان على الذي ... كلَّ خير لنا فتح
وعلىٰ آله الكرام ... والصحابهْ ومن صلح
ولك الحمد دائماً ... ما حَمِدْ عبدٌ أو مدح

* * *

وقال رضي الله عنه : هٰذه أبيات قلتها مع دخولي مكة حرسها الله وسائر بلاد الإسلام وذلك سنة (١٢٣٥هـ) :

يا رب جئناك نطلبْ منك ما لا يُعَدْ ... وليس يحصىٰ بمقدارٍ وليس يُحَدْ
فبحر جودك يروي كل من قد ورد ... وعَمَّ إحسانك الشاكرْ ومن قد جحد
ولي طمعْ فيك وافرْ جم ممدود مد ... عاكفْ علىٰ باب جودك ليس لي عنه صد
راجيك راجيك لَسْتَ أرجو سواكَ أَحد ... راجي وخايفْ ومن جا مرتجي ما يُرَد
راجي عطاياك في دنياي سِيْدِيْ وغَد ... فلا تخيب رجاي يا الكريم الصمد
يا رب عبدك قسا قلبه وفعله فسد ... وضاع وقته وهُوْ حائرْ كثير النكد
يا رب جيناك نطلب منك كشف الشدد ... تُبَدِّل الخوف أمناً والغلا بالرغد
قد ضقت ذرعاً وصبري يا إلٰهي نفد ... إن البلا يا إلٰهي قد تمادىٰ وشد
وكل ظالمْ تصدىٰ للعداوهْ وجد ... وبالَغُوا في أذى القربىٰ إلىٰ غير حد
وطال وقت المضرهْ يا إلٰهي ومد ... ما خافَوُا الله ولا راعَوْا حقوقاً لِجَد
واليوم جيناك يا ملجا لمن قد شرد ... جيناك جيناك لا عُدَّهْ ولا شي عَدَد
جيناك جيناك بالفقرِ وضعف الجسد ... جيناك جيناك نطلبْ منك ربي مدد
إنَّا مقرُّون بالتقصير طول الأبد ... فاكْفِ أذىٰ كلِّ مؤذي ياالكريم الصمد
فالحال قد ضاق يا ربِّ وقَلَّ النَّقَد ... يا رب يا رب عجل بالفرج يا أحد
يا رب عجل بغارهْ مِنْك من غير يد ... في الحال في الحال يا مولاي فالصبر قد
من قبل أن يشمت المُبغِضْ ومن قد حسد ... فلا تفرِّح بنا الشاني كثير اللَّدد
وإن أتينا ذنوباً وافرهْ لا تعد ... فالعفو والفضل واسعْ ليس لُهْ قط حد
وأستغفر الله من ذنبي ونقضِ العُقَد ... ونسأل الله لمن عُمْرُهْ تقضَّىٰ أو نفد
ختامَ خيرٍ فلا يلقىٰ النَّصَبْ والشِّدد ... ثم الصلاة مع التسليم دائم أبد
على النبيِّ رسول الله ما نجمْ مَد ... والآل والصحب والتابع لهم ما نشد

مُنشِدْ وما قال محزونٌ : إلٰهي مدد

* * *

قال رضي الله عنه ونفعنا به لما وقف علىٰ قصيدة من السيد الفاضل محمد ابن علوي المشهور رحمه الله التي أوّلها :

يقول أبو علوي عَجَبْ يا عبودْ ذا وقتْ ماشي فيه منقودْ

إلىٰ آخر القصيدة :

أشكو إلى الله الرحيم الودودْ من وقت ماشي فيه منقودْ
كلٌّ ورا شَفُّهْ[1] وحظه ينود غايبْ عن إحساسه ومفقود
حد بالنسا مُشْغَفْ وحد بالنقود كلٌّ بها قد صار مقيود
وضيعوا حق الشفيق الولود والخال ذي يستاهل الجود
معاد للحاذقْ لديهم شهود بل هُوْ كما المجذوم مطرود
يرون رأيه مستحق الردود وبِرَّهُ باطلْ ومجحود
وكم فضايحْ لي عليها شهود كثير منها جم موجود
ذو العقل معهم مثل ما في سنود قد خيرْ لكْ عادَ اسدَح العود
وخَلُّهم في سَيْرهم والعقود واقصد لواحدْ خير مقصود
يا قلب لا تطمع بأنهْ يعود صَفْوكْ وقد شِبْنَ اللّحا السود
فاطلب لشي يونسكْ وَسْط اللحود من قبل تمسي مَيْت ملحود
واسلك سبيل الراكعين السجود ابذل وراهم كل مجهود
وارْمِ الخلايقْ عُرْبَهم والهنودْ جميعهم والدْ ومولود
إلاَّ بحق الشرع قم بالحدود من كل مطلوبٍ ومحمود
وطلِّق الدنيا الغَرور الشَّرود ذي غدرها معروفْ معهود
دعها ورا ظهركْ وفك القيود من قبل ما تجعَلَكْ مصيود
فلا لها يا ذا وفا بالعهود لا والمشفع والنبيْ هود

---

(1) شفُّه : بتشديد الموحدة أي هواه .

مـا الـراحـةْ إلاَّ مَـعْ أُهَـيـل الشهـودْ ذي فضلهـم فـايـضْ وممـدودْ

أهـل التقـىٰ يـا نعـم تلـك الأسـود يـا بخـت مـن هُـوْ صـار معـدود

منهـم ومعهـم ذاك حقـاً يسـود فـي ذه وفـي أخـراه مسعـود

يعيـش سـالـمْ مـن جميـع الحسـود ومَـن يَكِيـدُهْ عـاد مكيـود

هـٰذا ولُـهْ مـن بعـد جنـه خلـود وحـوض للمختـار مـورود

عليـه صلـى الله عَـدَّ الـرعـود ومـا سجـع قمـري علـىٰ عـود

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، وكان له في محياه ومماته ، وغفر له ذنوبه وسيئاته ـ وذلك لما طلب منه الوصية السيد الشريف الفاضل محمد بن حسين الحبشي علوي ـ :

محمدْ إن شئت تلحقْ بالرجالْ ... خذ لكْ من الناس في جانب بعيدّ
وكن حليفَ التقىٰ في كل حال ... بالقلب والفعل والقول السديد
واحفظ لسمعك وعينك والمقال ... وكل أعضاك واحذر أن تحيد
واحذر وإياك من دنيا المُحال ... فَنَفْعُها في ضررْها ما يفيد
خذ الرضا والقناعهْ رأس مال ... ففيهما الأنس والعيش الرغيد
واحرص على العلم واعمل بِهْ تنال ... رضا الإلٰهِ الذي يعطي المزيد
واذكر إلٰهكْ إذا شئت الكمال ... فالذكر لله مطلبْ كلِّ جيد
والذكر لله للقلبِ صِقال ... وكل ذاكرْ مُجالسْ للحميد
عليك بِهْ يِا مريداً للوصال ... عليك بالذكر تُعطَىٰ ما تريد
والسر والشان في تفريغ بال ... من غير مولاك ذي العرش المجيد
وكل مُشْغِلْ عن اللهِ وَبَال ... فاترك جميع الشواغل يا سعيد
وكن بربك كثير الاشتغال ... ولا تعلِّق همومك بالعبيد
وما قضى الله من مُرٍّ وحال ... فارضَ به إن في ضده وعيد
واذكر مماتكْ وأهوالاً طوال ... وخذ لها زادها تدعىٰ رشيد
وقد أجاد بتفصيلِهْ وطال ... غَزَّالُهم فاستمع يا مستفيد
فاسلُكْ عليهِ ودع قيلاً وقال ... تَشكرْ وتَحمَدْ متىٰ تلحد وحيد
واطلب من الله ربكْ ذي الجلال ... ما شئتَهُ من دنى أو شديد
قل : يا سميع الدعا يا ذا النوال ... يا من إذا جاءَهُ الطالبْ يفيد
أحسن لنا الختمْ عند الانتقال ... وكن لنا حين نُدفَنْ في الصعيد
واغفر لأوزارنا الجم الثقال ... جميعها من عتيق أو جديد

قـل : لا حسـابَ عليكـم لا سـؤال — بمحض فضلكَ يا المبديْ المعيدْ
فحـالُنـا إن كشفتـهْ شـر حـال — فـاستـر كمـا قـد سترتَ الآن زِيْـد
وصَـلِّ ربـي عَـدَدْ ذَرِّ الـرمـال — على النبيْ المصطفىٰ خير العبيد
والصحـب والآل أربـاب المعـال — مـا حـرك القلـبَ مُنشِـدْ بـالنشيـد

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته :

الحمـد لله هـادينـا سبيـلَ الـرشـادْ — ومرشدِ الخلق للدعوهْ لطُرْقِ السدادْ
بالأمر بالعُرف والنهْيِ لكلِّ فساد — فإن ذا الأمر في تركه خراب البلاد
وعنـد إهمـالِـهِ يَهلَكْ جميع العبـاد — عاجلْ وآجلْ فِيِ الدنيا ويوم التناد
فشمـروا فـي تَـلافيـهِ بكـل اجتهـاد — بالقول فالوعظ ثم الزجر ثم الجهاد
ومَن عَجَزْ فبقلبهْ من صميم الفؤاد — ومَـن فَقَـدْ ذا فـإيمـانُـهْ تفـانـىٰ وبـاد
كذا أتىٰ في حديث المصطفىٰ خير هاد — عليه صلىٰ إلـٰهي كلما غصن ماد

* * *

قـل : لا حسـابَ عليكـم لا سـؤال　　بمحض فضلكَ يا المبديْ المعيدْ
فحـالُنـا إن كشفتـهْ شـر حـال　　فـاسـتـر كمـا قـد سترتَ الآن زِيْـد
وصَـلِّ ربـي عَـدَدْ ذَرِّ الـرمـال　　علـى النبـيْ المصطفـىٰ خيـر العبيد
والصحـب والآل أربـاب المعـال　　مـا حـرك القلـبَ مُنشِـدْ بـالنشيـد

＊ ＊ ＊

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته :

الحمـد لله هـادينـا سبيـلَ الـرشـادْ　　ومرشدِ الخلق للدعوهْ لطُرْقِ السدادْ
بالأمر بالعُرف والنهْيِ لكلِّ فساد　　فإن ذا الأمر في تركه خراب البلاد
وعنـد إهمـالِـهِ يَهلَكْ جميـع العبـاد　　عاجلْ وآجلْ فِيِ الدنيا ويوم التناد
فشمـروا فـي تَـلافيـهِ بكـل اجتهـاد　　بالقول فالوعظ ثم الزجر ثم الجهاد
ومَن عَجَزْ فبقلبِهْ من صميم الفؤاد　　ومَـن فَقَـدْ ذا فـإيمـانُـهْ تفـانـىٰ وبـاد
كذا أتىٰ في حديث المصطفىٰ خير هاد　　عليه صلىٰ إلـٰهي كلما غصن ماد

＊ ＊ ＊

وقال رضي الله عنه هٰذه الأبيات لما طلب منه الوصية السيد الشريف علي بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن شهاب الدين . . أثبتها في آخر المكاتبة إليه :

وصيتي يا عليْ … إليك إرم القيودْ
واسلك سبيل التقى … ولا تَعَدَّىٰ الحدود
بادر وسِرْ يا علي … من قبل سكنى اللحود
واسمع كلام الوجيهْ … كلامَ أهل الشهود
الصالحين الخيارْ … الراكعين السجودْ
يا بخت من حبهم … عليهْ أَثَرْهم يعودْ
بذكرهم تنزل الـ … ـرحمةْ ويُكفىٰ الحسود
سر في طريقٍ لهم … إلى الكريم الودود
عسىٰ عسىٰ يا علي … نَرِدْ ذاك الورود
فإن نَذُقْ بَلَّةً … فذاك يوم السعود
فذكرهم حجةٌ … على الفؤاد الشَّرودْ
المدعي للصلاح … وللعيوبِ جَحود
يظهر لُهْ كِذْبُهُ … في نُزْلِهِ والصعود
طوبىٰ لرائيهِمُ … لو مرةً في الوجود
فذاك عبدٌ سعيدْ … وذاك حقاً يسود
ثم ٱدعُ لي يا علي … إني صحائفي سُودْ
عسىٰ عسىٰ توبةٌ … بها إلٰهي يجود
تغفرْ بها زلتي … وفي معادي أَسُوْدْ
بجاه طه الرسول … وآلِهِ والجدود
عليهِ صلى الإلٰهْ … ما زار زائرْ زَرُود

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه هٰذه الأبيات لما أتته أبيات من السيد أحمد بن عبد الله عيديد :

ألا يــاٱ بْــنَ العفيــف يــا ... شهــاب الــديــن يــا أحمــدْ

لِمَــا قَــدَّرْ عليــك الـ ... إلٰــهُ أشكــرْ واحمَــد

تــأدّبْ فــالأدبْ بــالـ ... ـعبيــد أَلْيَــقْ وأحمــد

وسلــم للقضــا والـ ... ـقَــدَرْ تــؤجــرْ وتحمــد

وفوِّضْ بل وسلِّمْ * تكنْ مِؤمنْ ومسلِمْ * وكن عالِمْ مُعَلِّمْ

وكــن حــامــد وشــاكــر ... لــرب العــرش الأمجــد

علــىٰ مــا مــر أو طــا ... بَ كــي تــدعــىٰ محمــد

بيت

ألا يــا أحمــدُ لا ... تَحَمَّــلْ بــالمكــاتيــبْ

فــإنَّ أهــل التِحِمَّــالْ ... بــالمَقضِــيْ متــاعيــبْ

وذي الــدنيــا وأحــوا ... لهــا أشيــا أعــاجيــبْ

لقــد فــاز الــذي مِــنْ ... عجــائبْهــا تــزوَّدْ

تزوّدْ بالتذكُّرْ * وفيها بالتفكُّرْ * عنها بالتصبر

ألا يــا بخــت مــن قــدزَهِــدْ فيهــا وزَهَّــدْ

وجــانبهــا ولله ... بــالطــاعــةْ تعبَّــدْ

بيت

وقــل : يــا رب يــا رب ... هــب لــي الاستقــامــهْ

فــإن الاستقــامــهْ ... لنــا أعظــمْ كــرامــهْ

بهـــا نيـــل السعـــادا   تِ فــــي دار المقـــامـــهْ

نجـــاورْ للنبــــي المصـ   ـطفــــى الهـــادي محمـــد

وكن تايبْ وآيبْ * وكن راغبْ وراهبْ * إلى الرحمـٰن ذاهبْ

أَلاَ لا خـــاب مـــن يقـ   ـصـــد الـــرب الممجـــد

يقـــعْ لُـــهْ كـــل مطلـــو   بْ فـــي الـــدنيـــا وفـــي غـــد

وكـــن ذا صـــدرْ مشـــرو   حْ ذا قلـــــبٍ منــــوَّر

سليـــمٍ مـــن جميـــع الـ   ـــدنـــس طـــاهـــرْ مطهَّـــرْ

صحيـــحٍ صـــالـــحٍ أبـ   ـيـــضٍ أجـــرَدْ ويَظهـــرْ

بـــذكـــر الله معمـــورْ   عـــن غيـــرهْ تَجـــرَّد

تَرَكْ كلَّ الخلائقْ * قَطَعْ كلَّ العلائقْ * تَحقَّقْ بالحقائقْ

عسـىٰ نَحظـىٰ بـذا القلـب   كـــي نسعـــد ونـــرشـــد

فِـــي الـــدنيـــا وفـــي يـــومْ   بِـــهِ الأعضـــاءُ تشهـــد

بيت

ونطلـــــبْ كلُّنـــــا رَبْـ   ـنَـــا حســـنَ الختـــامِ

ويـــرزقنـــا اتبـــاع الـ   ـنبـــي خيـــرِ الأنـــامِ

ويجمعنـــا والأحبـــا   بْ فـــي دار الســـلام

ألا يـــا فـــوز مـــن هُـــوْ   بهـــا أمســـىٰ مخلَّـــدَ

عسىٰ نظرهْ من الله * بها نبلغْ رضا اللهْ * ولا ننظرْ سوىٰ اللهْ

ففضـــل الله واســـعْ   وجـــودهْ ليـــس ينفـــد

تعـــالـــىٰ عـــالِـــيَ الشـــا ـــنْ فـــي مجـــدهْ تفـــرَّد

بيت

بجـــاه المصطفـــىٰ خيـــ ـــرِ خلـــق الله أجمـــعْ
غـــداً يـــوم القيـــامـــهْ لكـــل النـــاس يشفـــعْ
عليـــهِ الله صلـــى وسلَّـــمْ مـــا تشعشـــع
قمـــرْ أو نـــاح قمـــري علـــىٰ غصـــن وغـــرد

مع الآلِ الكرامِ * والاصحابِ العظامِ * تُرَدَّدْ بالدوامِ

ونختِمْهـــا بحمـــدٍ كثيـــرٍ مـــا لَـــهُ حـــد
لـــربٍ قـــد حبـــانـــا بنُعمَـــىٰ ليـــس تَعْتَـــد

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في رجب سنة (١٢٦٣هـ) :

عسىٰ رحمةٌ من ربنا تغمر البلدْ ... بها الناس تمسي في نعيم وفي رغدْ

بفضلك يا ربي بجودك خالقي ... بلا سبب منا وسعيٍ وكسب يد

سوىٰ محضِ إحسانٍ وعفو ومنة ... ففضلُك لا يحصىٰ بحد ولا عدد

أغثنا بغيث يا مغيث وجُدْ به ... علينا بمحض الفضل يا رب يا صمد

تفضل تفضل يا إلٰهي وسيدي ... بسُقْيا جميع الأرض من غير ما نكد

ومُنَّ إلٰهي للجميع بتوبة ... نصوح تنير القلب مَعْ سائر الجسد

بها تَرضَ عنا ما حيينا وفي غدٍ ... بها نتنعمْ في الحياة وفي الأبد

بها نشكر النعمىٰ ونستكفِيَ البلا ... بها منه يأتينا المزيد كما وعد

بها نبلغ المطلوب في الدين والدُّنا ... بها نكتفي من شر باغٍ وذي حسد

بجاه رسول الله تَصْلُحْ قلوبنا ... ويذهبُ عنها كلُّ شيء لها فسد

ونَحظىٰ بكل الاتباع لهديه ... بقولٍ وأعمالٍ وحالٍ ومُعتَقَدْ

عليه صلاة الله ثم سلامه ... مع الآل والأصحاب ما منشد نشد

ولله ربي الحمدُ دأباً وسرمداً ... عددْ نِعَم المولىٰ علىٰ كل ذي جسد

* * *

وقال رضي الله عنه أيضاً السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل بن يحيى بتاريخ شهر رجب سنة (١٣٢٢هـ) :

ألا أخي يا عثمان وفقت [illegible] ... [illegible] في الأفعال [illegible] [illegible]

والعلم والتعليم و[illegible] والهدى ... والمنهج [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] ... حنيفية [illegible] إلى جنة الخلد

وقد قال يوصينا : عليكم بسنتي ... وسنة من يأتي من الخلف بعدي

فعضوا عليها بالنواجذ ثم من ... [illegible]

فشر الأمور في الدهر محدثاتها ... [illegible] الهدي المهدي

ألا هل لنا [illegible] سنة أحمد ... وسعى إلى الشيخ المهدي بالعمل

وسنة لها [illegible] واضح ... [illegible]

فهل [illegible] أو [illegible] الهدى ... [illegible] والإخلاص [illegible]

[illegible] كل الخلق في كل [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible] الهادي وصحبه فوق المجد

[illegible] دينه وآخرته [illegible] ... [illegible]

[illegible] الله [illegible] وهو الأهل ... [illegible] أيسر [illegible] بالعمل

[illegible] ... [illegible]

ويغفر لنا والوالدين وأهلنا ... [illegible]

ويرحمنا والمسلمين جميعهم ... ويحفظن من شر الغلو [illegible]

وأن يتوفانا على دين أحمد ... ويبعثن تحت [illegible] العمل

عليه صلاة الله ثم سلامه ... [illegible]

مع الآل والأصحاب مع تلوهم ... [illegible] إلهي الذي أخفى وما أبدى

* * *

وقال رضي الله عنه لما وصله خطابه أبيات من السيد الفاضل أبي بكر العطاس نفعنا الله بهما ، آمين :

به بحرٌ سَنِيٌّ في طريقة الله بر العلياءْ وخذ من الإناء ما يحْلُو التلث الآلاءْ

والإنا حقائق المحسنين لا خير إذا ينفعك حقائق في النيل ويوم النعماءْ

وإذا الإيثار حسن تخطى بين الأمراءْ فالذي الله يحمي بالكرم الفقهاءْ

وإذا الله ينجيه الرحيم الجاهاءْ جبليه الله يُوليه سيبل الشهداءْ

* * *

وقال رضي الله عنه في مكاتبة السيد أحمد بن حسن بلفقيه :

إحمدِ الله يا أحمدْ إذا شئتَ تحمدْ فالذي اختاره الله لكْ هو أحسنْ وأحمدْ

إن الله لـــه أعطـــى ومن الله لـــه يُعطى فالذي الله أعطاه له يرحمه الله تسعد

والحظّ والقناعةْ حتّى منْ أيسرْ يَقْنَعْ والذي لك تُحبْ الثل لا هَحالهْ مجهيدْ

والذي أيسر الثْ ما حل نقات ليصنع تْحلو مغا ومها بالتعب على شهدا

وأعلى الوقتْ وأهلهْ لا تُفلتْ إلا هـ لا تعمها على قهاب المعيّ وإن ثْلـ

قل أما قال الثْ تَبْرِق هتم ويجب وأولى نزيد الأ فنهن العلم والذي سهل

إن في الفقه لا تحمل أهله لا يجب والتبْ عسيه الأسكلْ إذا شت ثبت

قال في «الجاهم الشفاف» و«العقل» تشهد له أتت من كلامهم من العصمة والعلم

والله العلي الغالي الحكيم المحمد إلى هو أفضل إلا من تعجبه ومن جبل

في طريقتهم الغليل وما عليه له عليه خلفاء الذي طالب المشيه يحمد

والحكمة على أهله من عليهم يبلغ الرحمة و آمالهُ والحصول ومن قد

سار في نيتهم له قال قالت وأقبل احمد الله يا أحمد إذا شئت تحمد

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا والمسلمين من بركاته وأسراره من الدارين ، آمين :

الحمد الله مولانا الرحيم الغفورْ ... الحمد لله ذي الفضل الكريم الشكورْ
الحمد لله تَعدادَ النسا والذكور ... الحمد لله تعداد النعم والخيور
الحمد لله كم أسبل علينا ستور ... الحمد لله كم قد كف عنا شرور
ربِّ لك الحمد في الدنيا ويوم النشور ... رب لك الحمد حمداً دائماً كالدهور
رب لك الحمد تعداد الورق والطيور ... إني بحمدكْ وشكرك معترف بالقصور
إني أنا الناسِي القاسيْ الظلوم الكفور ... ذا الحق والصدق أما غير هـٰذا فَزُورْ
والخُلْف في الوعد فاشي والكَذِبْ والفجور ... وكم نصلي صلاةً ليس فيها حضور
نعلمْ وندري ولا نعمل ومعنا غرور ... نفعلْ ونلهو كأنا لم نصر للقبور
والفكر والهم مستغرق بدنيا الدَّبور ... إلىٰ متىٰ ذا عسىٰ يا رب نفحهْ بنور
يا رب يا رب يا عالم بذات الصدور ... أصلح لنا القلب وارفعنا لعالي القصور
واشرح لنا الصدر بالتسليم لكْ في الأمور ... نرضىٰ بحكمكْ نفوِّضْ في الخفا والظهور
ولا نرىٰ قط غيرك يا العظيم الصبور ... نسير بالشرع ما عنه نزيغ أو نَحُور
نرى المصايبْ فوايدْ حيث فيها أجور ... لأنه العدل جل الله عن أن يجور
بل طيها أسرار لم تكتب بطونَ السطور ... فكن لَهُ عبدْ تَحظىٰ بالمِنَحْ والحبور
وسلِّمِ الأمر تغنم بالرضا والسرور ... ولكْ من الله يوم البعث جنهْ وحور
وكل من يسخط المقدور يَلْقَ الثبور ... والهم والغم مِن باطنُهْ دائم يثور
تراه في الحُزْن والأكدار دائمْ يدور ... والرب يسخط على الساخط فَفِقْ يا نفور
ورأس كل الخطايا والمحنْ والشرور ... حبكْ لدنيا وربك قد ضمنْ لكْ عبور
وليس لك قط من دنياك إلاَّ المرور ... أوشي تقدمُهْ أوشي فات ذا لا يبور
وما تخلِّفهْ فاحذر منه يا ذا الحَذور ... فإنما هـٰذه الدنيا متاع الغرور
يا رب وامح الذنوب القاصمات الظهور ... وتب علينا بتوبهْ صدق فيها طَهور

واختم بخيرٍ إذا حان السفر للقبورْ وصلِّ ربي وسلِّم بالمسا والبكورْ
علـى النبـيِّ رسـولِ الله بـدر البـدور والآل والصحب والأتباع نعم الصدور
والحمد لله عد الحوت ذي في البحور وعد طش السحايب والشجر والبذور

* * *

وقال رضي الله عنه مشيراً بهٰذه الأبيات إلى السيد الشريف الفاضل حسين بن حسن بن أحمد العيدروس :

يا حسين انشرح لكْ واشرح الصدر بالنورْ اغتنم ساعتك واحذر تكن غِرٌّ مَقْمُورْ
اغتنم اغتنم من قبل ما تمسي مقبور ما الهنا ٱلاَّ مَعَ من كان ذاكِرْ ومذكور
يذكر الله في الأنفاس ناظرْ ومنظور كل شيءٍ سوى المولىٰ هباءٌ ومنثور
غير شيءٍ يقرِّبْ مِنهُ طالبه مأجور وادع لي يا حسين إني مقصر ومغرور
إننـي يـا أخـي مـلآنْ بـالإثـم والـزور ادع لي يا حسين أن يمسي القلب معمور
بالهدىٰ والتقىٰ والنور مكبوسْ معمور هَمُّهُ كلُّهُ في الخير موقوف مقصور
مبتهـجْ ممتلـي بـالله مشـروح مسـرور ليس به متَّسَعْ للغير لا ذِهْ ولا الحور
نطلب الله ذي فضله لنا غير محصور يا سميع الدعا أُمنُنْ علىٰ عبدْ محسور
قاصر الباع مقصوص الجناحين مكسور رب قَلَّ احتيالي ضاع عمري وٱنا ٱدور
في أمورٍ أرى الفاعل لها غير مشكور فانظر الحال يمسيْ الحال مصلوح مجبور
والشرور انجلت والذنب مُمحىٰ ومغفور والختام الحسن عند انتقالي من الدور
والصلاة على المذكور في (النجم) و(الطور) النبـيِّ المشفـعْ عنـدمـا يُنفـخ الصـور

* * *

وقال رضي الله عنه وغفر ذنوبه وستر عيوبه : هٰذه الأبيات في الحث على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

يا طالب الخير في الدنيا ويوم النشورْ ... والأنس في ساعتك هـٰذهْ ووَسْط القبورْ

وراغباً في السلامهْ من جميع الشرور ... ويا محب الهدى المفضي لشرح الصدور

والفوز بالمعرفه والسر مَعْ كل نور ... وجنة الخلد تُعطاها وأزواجْ حور

صلِّ وسلِّم على الهادي النبي الشكور ... واظب عليها ولازمها مسا أو بكور

والهَجْر والفجرْ والمرقد وحين تثور ... ودم عليها إذا شئت الهنا والحبور

فمن يصلي على المختار يلقَ السرور ... والله يصلي عليه ما مِنُّهْ إلاَّ العَشور

وأقرب الناس من هـٰذا النبي الطهور ... يوم القيامهْ فتىً دائمْ عليها صبور

يا ربِّ صلِّ وسلِّم عدَّ كلِّ الشهور ... وعدَّ الأنفاس واللحظات طول الدهور

علـى النبـيِّ رسـولِ الله بـدر البـدور ... والآل والصحب تعداد الورقْ والطيور

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته في الدارين ، آمين :

يا ربِّ يا ربِّ يا عالمْ بحال الفقيرْ ... يا رب يا رب يا جابرْ عظام الكسيرْ
يا رب يا رب يا الرب اللطيف الخبير ... يا رب يا رب يا الرب الكريم القدير
يا رب يا رب يا معطي الجزيل الكثير ... يا رب يا رب يا معطي العظيم الكبير
أسألك رحمه عظيمه للذميم الحقير ... بها يَنال الأماني جُلَّها والصغير
يا رب يا رب هب لي فوق ما في الضمير ... يا رب يا رب يا من لُهْ إليه المصير
يا رب أنت وكيلي والوليْ والنصير ... يا رب يسِّر لنا اليسرىٰ وفك العسير
وأطلق قيودي من الأهوا وحِلَّ الأسير ... إليك أشكو وبكْ يا خالقي أستجير
وحسن ظني إذا حان السفر والمسير ... وصلِّ رب على الهادي البشير النذير
والآل والصحب تعداد النَّعَم والحمير ... مع السلام الذي ما لُهْ شبيهْ أو نظير
والحمد لله حمداً ليس لُهْ من أخير ... ندخل به جنة المأوىٰ ونُوقىٰ السعير

* * *

وقال رضي الله عنه : وهٰذه الأبيات سببها أنه طلب مني الوصية محمد بن عبد الله بن سالم عثمان :

يا محمدْ لقينا الخير كلهْ فِي الخير ... والهنا والسرور في الخير لا غير لا غير
افعل الخير تُحمَدْ في مقامك وفي السير ... فاعل الخير ما يَخشىٰ لمكروه أو ضير
واترك الناس بالمرَّهْ وكن حِلْسْ للدير ... لا تخالط سوىٰ للخير أو جَلْب للمير

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته في الدارين ، آمين :

وفي المساجدِ سِرٌّ ما جلستُ بها ... إلا تعجبتُ ممن يسكن الدُّورا
نورٌ وأنس وحفظ للجليس بها ... من كل شر وضر فاسمع الشورى
وإن يكن خالياً ليس به أحد ... فاجلس به واعتكف فيه تَجدْ نورا

* * *

وقال رضي الله عنه وكان له في سائر تقلباته وأعاد علينا من بركاته :

يا صاح فُكّ الناس وٱلزَم الدارْ ولا تعاديهمْ ودارِهمْ دارْ

ولا تخالطهم تَنالكْ أكدار ولا تحصِّل غيرْ إثمْ وأوزار

ما تسمعْ إلاَّ غيبهْ أو نميمهْ وكل كِلْمَهْ فاحشه عظيمه

فالبُعد منهم يا فتىٰ غنيمهْ وتَرْكُهم جنهْ وقربهم نار

ما هَمُّهم غير القيل والقال وذكر أشيا موبقه وأهوال

ذي توحش الخاطر وتكسف البال وكل من تلقاه قال أخبار

فالاعتزال اليومْ فرضْ لازم إلاَّ جلوسكْ عند شخص عالم

لمجلس التعليم كن ملازم مع التحفظْ من شرورْ وأشرار

كذلك الجمعه مع الجماعات فإن فيها للإلٰه نفحات

ينالها من جا لها بنيات مع الأدبْ في ظاهرهْ والأسرار

واعلم هداك الله أن أربعْ خصالْ فيها الشر قد تجمَّعْ

قد قالها الحداد فانصت اسمع واترك لها تُدعىٰ منيبْ صبار

أوَّلُهنَّ : الجهلُ لا تريدهْ ولا تجالس من هُمُ عبيدهْ

قرينُهُ الشيطان هُوْ مريده قد خسر الأخرىٰ وهٰذه الدار

والثانيهْ : ضُعفُ اليقين في الدين فإن هٰذهْ بغية الشياطين

وسُلَّمُ الكفار والملاعين وهي التي تُنشِي الزللْ والأضرار

والثالثهْ : طول الأمل ونسيانْ الموت ذي يُسقاه كل إنسان

فيشتغلْ بالعاجلهْ وبِالفانْ ويترك التقوىٰ سبيل الأبرار

حتىٰ يجيه الموت وهْوَ لاهي تاركْ فرائضْ مرتكبْ مناهي

قاسي وناسي غافلٌ وساهي وإن وَعَظْتُهْ جاب جملة أعذار

أعذارْ ذي توجب له الملامه وليس هِيْ تنجيه في القيامه

فيا لَهْ حسرهْ ويا ندامه لا تنقضي أو تَحتصي بمقدار

والرابعهْ : أكل الشُّبَهْ وأموالْ ... حرامْ سُحْتٍ كيف حال ذي الحال
من أين يزكو لُهْ صلاح أعمال ... أو يجتني قلبه حِكَمْ وأسرار
واعلم أخي أن الزمان قد خان ... والخير وَلَّىٰ وأهله والأعوان
وصار ذو الفطنه وحيد حيران ... ودارَ في الغفلهْ كمثل من دار
فافزع إلى المولىٰ وتب وأَقلِعْ ... ولا تعدىٰ سايراً ومسرع
إليه في كل الأمور تَرجِعْ ... شاكرْ وصابر للقضا والأقدار
واذكر إلٰهكْ في جميع الأوقات ... وكل أنفاسكْ وكل حالات
إن شيت تظفرْ منْهُ بالكرامات ... فاجعل جميع العمر كله أذكار
الذِّكْر يَجلي كل قلب صادي ... الذكر قوت القلب والفؤاد
الذكر ديدنْ كلِّ ذي رشاد ... الذكر كم وَرْدَت بفضله أخبار
الذكر غرسٌ لكَ في الجنان ... الذكر قوت القلب والجنان
الذكر يأتي لكَ بالأمان ... الذكر يقضي لكْ جميع الأوطار
الله يذكرْ كلَّ ذاكرِ الله ... ومن نسي ذكرَ الإلٰه ينساه
لقد خسرْ في دينه ودنياه ... وسوف يندم عند ختم الأعمار
واحذر من الدنيا عدوّةِ الله ... تُلهِيْ الفتىٰ عن ربه وعقباه
وتشغله عن دينه وتقواه ... وعن سبيل الصالحين الأخيار
هٰذا ولاتصفو لَهُ بحالِ ... وتوعدهْ بالكذب والمُحال
وتمنحه في الحال بالنكال ... فلا تكن يا ذا لها بمختار
واسلك سبيل المتقين الأسياد ... أهل العباده والتقىٰ والأوراد
الخائفين الخاشعين الأجواد ... أهل الصفا وأهل الوفا والأنوار
في ذكر سيرتهم نزول رحمه ... وتنتعش للخير كل هِمَّه
وتندفع كم قسوةٍ وظلمه ... وتنقشع عنا غيوم الأغيار
عسىٰ بهم ربي يفك أسري ... ويصلح أحوالي وكل أمري
في ظاهري وباطني وسري ... فلا أرىٰ بأساً ولا أرىٰ ضار

عسىٰ عسىٰ نفحةْ تصل من الغيب تـزيـل عنـا مـا بنـا مـن العيـب
وتنتفـي كـل الشكـوك والـريـب ففضـل ربـي واسـعٌ ومـدرار
إنـي لأرجـو الله خيـرَ غـافـر والظـن فـي ربـي حَسَـنْ ووافـر
هـٰذا وإن كنـتُ مُسِـيْ وقـاصـر فلسـت آيـسْ مـن كـريـمْ غفـار
يـا رب يـا معطـي جـوادْ منـان اختـم بتـوبـه صـادقـه وإيمـان
ومغفـرهْ ورحمـةٍ ورضـوان فنـدخـل الجنـهْ ولا نـرى النـار
ثـم الصـلاة والسـلام مـا لاح نجـمٌ ومـا غـرد حمـام أو نـاح
علـى النبـيْ الهـادي لكـل إصـلاح والآل والأصحـاب نعـم الأطهـار

* * *

وقال رضي الله عنه مخمساً علىٰ أبيات سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله بهما ، آمين :

ما أحسن العزلةَ في هـٰذا الزمنْ واشتغـالـكْ بـالفـروض والسنـن
ثـم قـل للمكثـريـن العَـذْل لـن أنـا فـي شغـلٍ عـن النـاس وعـن

كلِّ ما همْ فيه من خيرٍ وشرْ

لـم تَضِـرْنـي إن تَسِـيءْ أفعـالهـم لا ولا ينفعُنِـي إقبـالهـم
فَلِـمْ إذَنْ تَشغَلُنـي أحـوالهـم عملـي لـي ولهـمُ أعمـالهـم

وبعين الله مَن بَرّْ أوفجَرْ

والـزم البيـتَ وللنطـقِ اْكْفِـفِ لا تقـل هـٰذا خَـؤُونٌ أو وفـي
فـالله أعلـمْ بـالجلـيِّ والخفـي وعلـى الله حسـابُ الكـلِّ فـي

يومَ نارُ الله ترمي بالشررْ

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته في الدارين ، آمين : قلت هٰذه الأبيات سابقاً :

الهاشمي قال خو طاهرْ ... سألت رب السما الغفارْ

يغفر ذنوبي وأوزاري ... سبحانه الواحد الستار

نسأله نطلبه يجبرنا ... لأنه المعطِي الجبار

ما لي سَوَا حرفةٌ إلا ... سؤال مَن فضلُهُ مدرار

كم فادَ كم جاد كم أعطى ... بغير حدٍّ ولا مقدار

وكم تفضلْ وكم أنعم ... لعبده الظالم الكَفار

سبحانه جَلَّ لا أحصي ... ثناءْ على المُفْضِل القهار

يا رب يا رب يا عالم ... بحال عبدٍ عَمِيْ محتار

فخذ بيدِّهْ إلى الخيرات ... واَكفِهِ الشر والأشرار

فليس لي غير بابكْ باب ... وأنت حسبي لمن قد جار

وليس لي حولْ أو قوهْ ... في دفع ضرٍّ وجلب السار

فيا رجائي ويا كنزي ... ويا غياثي لدى الإقتار

إني لأرجوك تعطيني ... ما لا تحيط به الأخبار

هٰذا مع أنني المذنبْ ... كثير الأوزار والإصرار

والله لا آيِسْ من فضلك ... أم كيف آيسْ وأنت البار

وَجُودك الفائض المبذول ... قد عم الأخيار والفجار

فجُدْ عليَّ بمحض الجود ... والأهل والصحب والأصهار

مع المحبين لي في الله ... وكل مسلمْ فِي الأقطار

أما نجاتي بأعمالي ... فهو مُحالٌ بغير إنكار

واستغفر الله من قولي ... في النثر والسجع والأشعار

ومن فعالي ونياتي ... فإنها كلها أوزار

يــا رب واختــم لنــا بــالخيــرْ | إن حــان حِيْــنَ انتهــا الأعمــار
ونســألُــكْ جنــة الفــردوس | وارحمنــا مــن عــذاب النــار
ثــم الصــلاة علــى الهــادي | والآل والصحــب والأنصــار
مــع الســلام الــزكــي الــدائــم | مــا غــرد الطيــر فــي الأشجــار
والحمــد لله خــالقْنــا | فِــي الأصــائــلْ وفــيْ الإبكــار

* * *

وقال رضي الله عنه وعامله بالعفو والغفران والفضل والإحسان :

باسمك اللهم أُبدي ما خطرْ لي ببالي إذ بذا جاء الخبرْ

وصلاة الله تغشي المصطفى أحمد المختار من نسل مضر

وعلى الأصحاب والآلِ ومَنْ سار في منهجهم يقفو الأثر

أيها الراغب في نيل العلا جِدَّ إنَّ الجِد مفتاح الظفر

إن من جد ولجَّ واجتهد جاءه كل عسير مؤتسر

فبقدْرِ ما تَعَنَّى ستنل ما تمنىٰ فاتعَبَنْ أكبرْ قَدَرْ

والحَمَقْ كل الحَمَقْ كل الحَمَقْ مَن يُرحَمُ خيراً ويغدو في بطر

ارفع الهمة لا ترض بما يرضَهُ كل دني محتقر

كل ما يعنيك فالزمه وما ليس يعنيك من الأشيا فذر

وارفض الدنيا وذرها إنها هَمٌّ في الحال وفي يوم المفر

كلما قد زِيدَ مالاً صاحِبُ الـ مالِ زِيدَ في الهموم والكدر

حَسْبُ من يبغي النجاة ما يُقِمْ صُلبَهُ من أي قوت قد حضر

من حَلالٍ فالوَرَعْ أُسُّ البنا فالحذر أن تقرب السحت الحذر

إن في ظل الأراك غُنيةً لأولي الألباب أرباب الفِكَرْ

اطلب العلم ولازم أهله واْصْحَب أهل الخير واترك من فجر

دونك الصمتَ فلازمه ولا تعدلَنْ عنه وإياك الهذر

إن في الصمت لمنجاةً لمن كان ذا عقل ولب من ضرر

بل وفي الصمت لَستراً للذي ليس ذا عقل شبيه بالبقر

واتق الله ولا تعبا بمن قال خيراً فيك أو قال بِشَرْ

إن مرضاة الخلائقْ غاية ليس تُدرَكْ قد جرىٰ ذا بالقدر

واقبل العذر ولو من كاذب واكتم السر ولا تُفشِ خبر

وخذ العفو ومر بالعرف وأنـ ـهَ عن المنكر وانصح للبشر

وصِلِ الأرحام وأهل الخير وأهـ ـل الضرورات وصِلْ من لَكْ هجر

وبحق الجار لا تغفل ولا ... تنتصر ممن ظلمَكْ أو قهرْ
واحتمل كل أذى الناس وخذ ... من جميع الناس أيسر ما بدر
وتوسط في الأمور كلها ... وتواضع لتحوز المفتخر
وتأنَّ في الأمور فلقد ... طال حزن من بِذا لم يؤتمر
كل ما يُعييك أن تُسْدِدَهُ ... فالحذر من فتحه كلَّ الحذر
أحزمُ الناس الذي لا يقرب الـ ... ـورد حتىٰ يَعرِفَنْ كيف الصَّدَرْ
وازرع الخيرات تحصدْها وهل ... يحصد الإنسان إلاَّ ما بذر
واستخر في كل أمر شئته ... واستشر أهل البصائر والعبر
كل شخص ما له من قلبه ... واعظ فالوعظ فيه كالحجر
واعبدِ الله ولازم أمره ... وتجنب كلَّ ما عنه زجر
واشكرِ الله علىٰ آلائه ... ولدى البلوىٰ فكن مَعْ من صبر
والزم التوبة لا تنقضها ... إنها أول باب للممر
كل من سُرَّ بشرٍّ سوف إذ ... يدخل القبر يسوءُهُ ما أَسَرّْ
والهوىٰ دعه فمَن تابعَهُ ... سوف يُهويه هواه في سقر
وثِقَنْ بالله في كل أمل ... واعملَنْ بالعلم وارض بالقدر
واحذر الشح وحرصاً والحسدْ ... والطمع والغش مَعْ كل قذر
كالعُجُبْ والكبر والغيبةِ والـ ... ـشتمِ والغدر فبئسَ من غدر
ذه نصيحة فاستمعها واحمدِ اللّٰـه ربي إذ بها الخلقَ أمر
ربنا يا ربنا يا ربنا ... كن لنا حال الإقامةْ والسفر
وأعطنا من فضلك الواسِع ما ... لا علىٰ قلبٍ من الناس خطر
واختم الأعمار بالحسنىٰ إذا ... حان منا الانتقال للحفر
وصلاة الله تغشىٰ أحمداً ... والسلام كلما نجم ظهر
تتغشاه وتغشىٰ آلَهُ ... نِعْم الأقوام المصابيح الغرر
وعلى الأصحاب دأباً سرمداً ... عدد الرمل وأوراق الشجر

* * *

وقال رضي الله عنه لما أتاه خط من الشيخ رضوان بن أحمد بارضوان يكثر فيه الشكاية من حوادث الزمان هٰذه الأبيات :

رضوان لا زلت راضي بالقضاءْ والقدرْ ... ذاكرْ وشاكرْ مجانبْ للقذر والكدرْ
واعلم بأن المقدر ليس عنه مفر ... وليس ينجي من المكتوب حزمْ أو حذر
سلم وفوض وكن شاكر مع من شكر ... واحذر وإياك من هٰذا الجزع والضجر
اشهد وراقب وكن حاضر مع من حضر ... فالكل فِعْلُهْ تعالىٰ في الذي ساءْ وسَر
وأهل ذا الوقت صاروا كلهم محض شر ... تجردوا للعداوهْ والأذىٰ والضرر
إلاَّ قليلاً ولا حكمٌ علىٰ من ندر ... دائرْ وحائر يفكر في المفر والمقر
فما ترىٰ يا محبي هل عندك خبر ... يجلِّي الهم ذي عندي ظهر وانتشر
ودعوةٌ من فؤاد مشفقٍ في السحر ... يصلح بها كل أمري من جميع الصور
ولا أرىٰ بأسْ في الدنيا ولا المستقر ... عسىٰ عسىٰ من عظيم الفضل نَلقىٰ الظفر
نُقْسَمْ مَعَ من شكر ربهْ ومَعْ من صبر ... يا رب يا رب يا خالق لكل البشر
وفق وسدد وأَصلح ما بطن أو ظهر ... واختم بخيرٍ إذا حان الظعنْ والسفر
وكن لنا عندما يُرصَفْ علينا المدر ... وارحم إلٰهي إذا صرنا بطون الحفر
عِبْرَهْ وفِكرَهْ لمن يسمع ومن لُهْ نظر ... لمن لَهُ قلب يُفْكِرْ في فنون الفكر
يا رب صل وسلم في الأُصُلْ والبُكَر ... على النبي والصحابهْ النجوم الغرر

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته في الدارين هٰذه القصيدة في سنة (١٢٤٨هـ) :

عليك بذكر الله يا طالب الأجرِ ... ويا راغباً في الخير والفضل والبرِّ

عليك بهِ تعطى الرغائب كلَّها ... وتُكفىٰ به كلَّ المهمات والضر

فمن يذكر الرحمٰن فهو جليسه ... ومن يذكرِ الله يكافئْهُ بالذكر

ومن يعشُ عن ذكر الإلٰه فإنه ... قرينٌ له الشيطان في داخل الصدر

ومن ينس مولاه الكريمَ فربُّهُ ... له ناسياً أعظِمْ بذلك من خسر

له استحوذ الشيطان نَسَّاه ذكرَ من ... تفضل بالإيجاد في أول الأمر

وقد جاء في ذكر الإلٰه فضائلٌ ... تسامت عن الإحصاء والعد والحصر

ألا إنه خيرُ الخصال جميعِها ... وأزكى الذي يدنيك للواحد البَرِّ

وأرفعُ ما يُعليك في الجنة التي ... أعدت لأهل الله من حاملي السر

وأفضل من إنفاق تبرٍ وفضةٍ ... وأَخْيَرُ من ضرب الرقاب لذي الكفر

ولا شيءَ في الأعمال أنجىٰ لمسلم ... كذكرٍ كثيرٍ من عذابه في القبر

ومن يذكرِ الله وناسٍ له أتى ... كحي وميت فاعتبر يا أخا الفكر

عليك بذكر الله تَحظىٰ بقربه ... عليك بذكر الله في العسر واليسر

عليك بذكر الله في كل حالة ... عليك بذكر الله في السر والجهر

وأفضل ذكر الله علمٌ مقرِّب ... إلى الله بالترغيب والخوف والزجر

تسير به سيراً إلى الله تبتغي ... بذلك وجه الله تخشىٰ من المكر

به تَعرف الآفاتِ تُعنىٰ بتركها ... به تعرف الخيرات كالزهد والشكر

به تعرف المأمور تطلب فعله ... به تعرف المحذور تأخذ في الحِذْر

به تعرف المولىٰ تعالىٰ عُلاؤه ... وإن كان لا تقدر حقاً على القدر

به تعرف الدنيا وخسة قدرها ... وحُبّاً لها رأس الخطيات والشر

به تعرف الأخرىٰ وعِزَّ نعيمها ... فتسعىٰ لها سعياً حثيثاً مدىٰ العمر

به تهدي ضُلاَّلاً وترشد غاوياً ... به الفوز بالعليا به الجبر من كسرِ
هو المؤنس الخل الرفيق المعين في الـ ... ـمهمات فاستوص به يا أخا الحجر
وقد قال حداد القلوب يحثنا ... على العلم فاسمع قول بيت من الشعر
فخذ من علوم الدين حظاً موفراً ... فبالعلم تسمو في الحياة وفي الحشر
وكن عاملاً بالعلم تَحظىٰ بنوره ... وتعلو به ما دمت حياً وفي النشر
إلٰهي بمحض الجود والفضل هب لنا ... هداك وأيدنا بعونك والنصر
واختم لنا بالخير عند وفاتنا ... وسامح وقابلنا بعفوك والغَفْرِ
بجاه رسول الله نَحظىٰ بسؤلنا ... ونُكفىٰ جميع الشوش من كل ما يجري
عليه صلاة الله ثم سلامه ... عِداد حبوب النبت والطش للقطر
مع الآل والأصحاب والحمدُ ختمها ... لرب عظيم قابل التوب والعذر

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه في جواب كتابٍ وصل إليه من مكة المشرفة من السيد الشريف حسين بن عبد الرحمـٰن الجفري نفعنا الله بهما ، آمين :

وصل الكتاب مسجَّعٌ ومحرَّرُ	ومحَكَّمٌ ومنظَّم ومحبَّرُ
وكيف لا وهو أتىٰ من سيد	منه العلوم فنونها تتفجر
ذاك الحسين إلى الحسين أصوله	أَحسِنْ به نعم الشريف الأفخر
أكرم به وبرهطه وببيته	بيتٌ عظيم طيب ومطهَّرُ
أحسينُ لا تنسىٰ أخاك فإنه	قاسٍ وناس مذنب ومقصر
فاعطف عليه بدعوة مقبولة	تنجيه مما يختشيه ويحذر
وإذا وقفتم بالمشاعر فاذكروا	عبداً بعيداً واشفعوا لي تؤجروا
إن الكرام إذا توفر حظهم	عطفوا به وتصدقوا وتبرروا
كيف بأهل ودادهم وإخائهم	فتفضلوا وترحَّموا واستغفروا
لمحبكم مسكينكم وفقيركم	فادعوا أَلِحُّوا سادتي لا تضجروا
وإذا رأيتم بيت ربي فاطلبوا	عفواً لمن مِن بُعدِهِ يتحسر
لا تغفلوا يا سادتي لا تغفلوا	هيا اذكروني بالدعا هيا اذكروا
لا تعجزوا لا تسأموا لا تكسلوا	لا تُهملوا لا تحرموا من ينظر
حاشاكمُ أن تخبؤوا لنفوسكم	أو تكنزوا أو تبخلوا أو تَحكِروا
إني وإن كنت المقصِّرَ فالأسى	حالي وشأني ليس شيئاً يحصر
يا ربنا يا ربنا يا ذا العلا	يا ذا العطا يا ذا الكرمْ يا قادر
نسألْكَ فضلاً واسعاً متتابعاً	شيئاً كثيراً ما بقلب يخطر
ليس بجُهدٍ لا ولا بل لا ولا	إلاَّ امتناناً محضَ فضل يمطر
واختم بخير يا إلٰهي عندما	تدنو الوفاة ونزع روح يخطر
ثم الصلاة معَ السلام على الذي	يشفعْ لنا يوم الجزا إذ نحشر
وعلىٰ صحابته الكرام وآله	وعلى الذي في إثرهم يتأثر

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا والمسلمين من بركاته في الدارين ، آمين :

تجري الليالي ولا تدري بعدتها ... وهِيْ مطايا بنا تمشي إلى القبر
فيها الغنائم والخيرات مُودَعَة ... أيضاً وفيها فنون الإثم والخسر
فمن تغانَمَها بالخير فاز بها ... ومن عصى الله فيها باء بالوزر
فاعمل لنفسك يا هٰذا فإنك لا ... تدري بماذا عليك في غدٍ يجري

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به مذيلاً للبيت الأول وهو قوله[1] :

إن هم أتوك أرادوا منك أوطارا ... فلا تبالِ بمن جا منهمْ أو طارا
إن تعتزلهم تجدْ في قلبكْ أمطارا ... وإن ترد جمعهم فاضرب لهم طارا
لٰكنْ مجالسهم تكسب لك أخطارا ... ومن تباعد عنهم شم أعطارا

* * *

(١) أي : الشاعر .

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين ، آمين :

يـا خليلـي إن شئـت كـل السـرورِ — والهنـا هـٰهنـا ويـوم النشـورِ
اتـق الله فـي الخفـا والظهـور — واتبـع الشـرع فـي جميـع الأمـور
والخمول الخمول إن شئت تنجو — إن فـي ذا الظهـور قصـم الظهـور
والفضـولَ وكـلَّ مـا ليـس يعنـي — لا تجئـه تنـالُ كـل الخيـور
واتـرك النـاس فِـرَّ عنهـم فـراراً — لا تجئهـم سـوىٰ لأمـر ضـروري
إن فيهـم شـراً وفيـك شـرور — فـاعتـزلهـم تُكفـىٰ جميـعَ الشرور
واطلب العلم في صباح ومَمْسىٰ — وبليـل وبـالعَشِـيْ والبكـور
إن فـي العلـم كـلَّ فـوزٍ ونُجْـحٍ — إن فـي العلـم كـل خيـر ونـور
فبـه تعـرف الإلـٰه وتعـرف — كـل أمـرٍ فـي ورده والصـدور
والعمـلْ بـالعلـم شـرط وإن لـم — فهـو بـذر لكـل هُلْـك وبـور
واذكـر الله واتخـذه جليسـاً — لا تجالـس سوى الرحيـمِ الغفور
الجـوادِ الكـريـمِ معطـي العطـايـا — فضلـه عـم للـوَطَـا والـوعـور
بـاسـطٌ فضلـه علـىٰ كـل عبـد — مِـن تقـيٍّ ومـن ظلـوم كفـور
مظهـرٌ للجميـل يستـر قبحـكْ — غـافـر الـذنـب شـاكـر للشكـور
رب إنـي ظلمـت نفسـي كثيـراً — واعتـرفـت بكـل إثـم وزور
فـاعـف عنـي وتـب علـيَّ متـابـاً — جـالـبَ النـور شـارحـاً للصـدور
واختـم العمـر يـا إلـٰهـي بخيـر — حيـن تـأذنْ بسيـرنـا للقبـور
والصـلاة مـع السـلام علـىٰ مـن — نـوره قـد طمـا علـىٰ كـل نـور
أحمـد المصطفـىٰ وآل وصحـب — دائمـان علـىٰ ممـر الـدهـور
ولـك الحمـد يـا إلـٰهـي كثيـراً — عَـدَّ نعمـاك فـي جميـع العصـور

* * *

وقال رضي الله عنه :

إذا شئت السلامهْ فالزم الدارْ ... وكف النطق مَعْ سمعٍ وإبصار
ولا تسأل علىٰ ما الناس فيهِ ... ولا تكشف ولا تبحث عن أخبار
عسىٰ تَسلمْ عسىٰ تنجو وتُحفظْ ... عسىٰ تُكفىٰ عسىٰ تحمىٰ من أشرار
فلا خير في النجوىٰ مع الناس ... سوىٰ أمرٍ بمعروف أو انكار
وما أجملَ ما أحسنَ شخصاً ... شُغِلْ بالبر في سرٍّ وإظهار
وكن حِلساً لبيتك امتثالاً ... لأمر المصطفىٰ في جملة أخبار[1]
وخذ لك من علوم الدين حظاً ... يقيك الإثم والآفاتِ والنار
به تعرفْ فروضك والمحرَّمْ ... به تُبصرُ أسراراً وأنوار
به كل السرور وكل خير ... به تحفظُ من آفات الأغيار
به تعطى المطالبَ والمواهب ... به تكتبُ في ديوان الأبرار
به تُرفعْ همومكْ مع غمومك ... ولا يبقىٰ عليك أحزان وأكدار
وذكر الله لازمه وواظب ... عليه في عشيات وأبكار
ففيه النور والخيرات أجمع ... جليس الله مَن دَيدنُهْ أذكار
به النفحات والجذبات تأتي ... من الله مع الرحمات مدرار
بَخٍ غرس الجنان فكن حريصاً ... علىٰ غرس بها من كل الأشجار
فأغرس في حياتك قبل موتك ... لتجني منها بعد الموت أثمار
قطوفاً دانياتٍ دائمات ... منعَّمْ ما ترىٰ ألاّ كل شيْ سار
مخلد لا ترىٰ بؤساً بعمر ... طويل ليس يُشبهْ كل الأعمار
وإن شئت العلوم بكل فنّ ... كتابَ الله رتله بتكرار
ففيه الشرح للصدر ففيه الـ ... ـهدىٰ فيه الشفا من كل شيْ ضار

---

(١) قوله : (في جملة أخبار) أي : جملة أحاديث مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « ليسعك بيتك » ، وفي حديث آخر : « الزم بيتك » ، وفي آخر : « كف نفسك ويدك وادخل دارك » وغيرها مثل : « كونوا أحلاس بيوتكم ». اهـ من خط المؤلف .

ألا يـا رب أرشـدنـا وسـدد ... ووفقنـا لملـة خيـر مختـارْ

علىٰ هَـدْيِ النبـي نسيـر جمعـاً ... ونمشـي فـي ورود بـل وإصـدار

فـإن الله ذو فضـل عظيـم ... فكـم أعطـىٰ بـلا حـدٍّ ومقـدار

فـلا تقنـط ولا تـأمـن وكـن بيـ ... ـن ذين الخصلتين طريق الأخيار

وسلمنـا إلٰهـي مـن شـرور ... بهـا يمشـي كثيـر الحلـم محتـار

فسلمنـا بمحـض الفضـل منهـا ... كمـا عـوَّدتنـا يـا خيـر غفـار

فكـم شـرٍّ كَفيـتَ وكـم كـروب ... زويـت ومـا بقـي مـن تلـك آثـار

فمـا أرجـو سـواك لكشـف ضـري ... ولسـت أخـاف إلاَّ النـافـع الضـار

كفـىٰ علمـكْ ولٰكـن مـا صبـرنـا ... وأيضـاً فـي الـدعـاءِ جملـة أسـرار

خطـابٌ وافتقـار والتعبُّـدْ ... لأمـرك بِـهْ بقـرآن وأخبـار

فيـا ستـار يـا غفـار استـر ... وأغفـر كـل عصيـانـي والأوزار

وسلمنـا مـن المكـروه فـي ذِهْ ... وفـي الأخـرىٰ مـن الأهـوال والنـار

وهـب لـي سيـدي قلبـاً سليمـاً ... صحيحـاً طـاهـراً جهـراً وإضمـار

فنمشـي بِـهْ صـراطـاً مستقيمـاً ... صـراط الله فـي علـن وإسـرار

وخُلْقـاً طيبـاً حسنـاً عظيمـاً ... بـه نُحفـظُ مـن ضـرٍّ وإضـرار

وحسـن الخـاتمـهْ للكـل منـا ... إذا تمـت ليـالينـا والأعمـار

بهـا تـرضـىٰ عـن الكـل جميعـاً ... بهـا نـوقـىٰ جميع الخـزي والعـار

بجـاه المصطفـى الهـادي محمـد ... شفيـع الخلـق تقضـىٰ كـل الأوطـار

عليـه صـلاة ربـي كـل حيـن ... وسلَّـمَ مـا تحـرك غصـن أشجـار

تعـم الآل والأصحـاب جمعـاً ... مهـاجـرهـم وبـاديهـم والأنصـار

ولله الكـريـم أجـلُّ حمـدٍ ... يكـرر دائمـاً فـي كـل الأعصـار

وختـم القـول خـذ نصحـاً عجيبـاً ... إذا شئـت السـلامـهْ فـالـزم الـدار

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به :

مـن يعمـر الـدنيـا فقيـر مقمـور　　　وعـامـر الأخـرىٰ غنـي مغمـور

* * *

وقال رضي الله عنه في شهر صفر سنة (١٢٦٥هـ) :

ألا يـا صـاحبـي قـد ضـاق صـدري　　　بما في الوقت من أحوال تجري
وأعمـــال وأقـــوال وأشيـــا　　　علمـت بهـا وأشيـا لسـت أدري
أمـور تجعـل العُقَـلاَ حيـارى　　　سُكـارىٰ غـائبيـن بغيـر خمـر
فخـذ عنهـم ومـل منهـم إلـىٰ مـن　　　لـه الشـان العظيـم وكـل قهـر
إلـٰهُ الخلـق وهـاب العطـايـا　　　عظيـم الفضـل مصلـحُ كـل أمـر
إلـٰهـي خـالقـي ربـي غيـاثـي　　　أنيسـي حيـن أُوضـع وسـط قبـري
رفعـت إليـه حـاجـاتـي وفقـري　　　وشكـواي وأحـوالـي وضـري
وأرجـو خـالقـي يَمنُـنْ علـيّ　　　بمطلـوبـي بمحيـاي وحشـري
إلـٰهـي لا تخيبنـي فـإنـي　　　مقـر أننـي ضيعـت عمـري
بـأشيـا كلهـا لعـب ولهـو　　　وزور مـوجبـاتٌ كـلَّ خسـر
فعفـواً ثـم عفـواً ثـم عفـواً　　　وإحسـانـاً وصفحـاً عـن مُقِـرِّ
وهـب لـي تـوبـة مـن كـل ذنـب　　　بهـا يصلـحْ فـؤادي وشـرح صـدري
وحَسِّـنْ لـي الختـام وأهـل ودِّي　　　وكـل المسلميـن بكـل قطـر
بجـاه المصطفـىٰ خيـر البـرايـا　　　وأشكـرِهِـمْ وأدمغهـم لكفـر
عليـه الله صلـىٰ ثـم سلَّـمْ　　　عـددْ مـا هـب ريـحُ ونـاح قمـري

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا والمسلمين من بركاته في الدارين :

قـالـوا غـداً عيـدُ مـاذا أنـت لابسـه　　　فقلـت فقـر وذل واعتـرافـي كبيـرْ

بأنني ليس عندي في المحاسن نقير　　　وليس لي في الفضائل شيْ كبير أو صغير

ما عندي إلاَّ المعايب والدعاوىٰ الكثير　　　ولـٰكِنِ الظن في الرب الكريم القدير

عظيمْ وافرْ وحسن الظن أحسنْ خفير　　　واستر كما قد سترتَ يا العليم الخبير

* * *

وقال رضي الله عنه لما رأىٰ قول الشاعر :

عليّ نحـت القـوافي مـن معـادنهـا　　　ومـا علـيّ إذا لـم تفهـم البقـر

* * *

وقال رضي الله عنه : وأنا أقول :

تركت نحت القوافي من معادنها　　　لأن لـي مقصـداً أن تفهـم البقـر

* * *

وهٰذه الأبيات للناظم نفعنا الله به[1] :

مـن أراد الهـم والغـم الكبيـرْ　　　فليقـع سلطـانْ للنـاس أو وزيـرْ

أو أراد الشـر والضـر الكثيـر　　　والكـدر والإثـم والـوزر الغـزيـر

والمحـن والفقـر والحـال الضـريـر　　　والألـم فـوراً وفـي اليـوم الأخيـر

فهـو فـي ذي القَبْـوَلِـهْ يـا مستشيـر　　　اجتمـعْ فيهـا المَنـاكـر والنكيـر

والـزَّرَا كلُّـهْ كبيـرُهْ والصغيـر　　　كلهـا شـرٌّ شـراره مستطيـر

مـا بهـا خيـرٌ فتيـلٌ أو نقيـر　　　مـا لهـا مـن جملـة الشـر نصيـر

بئـس أوّلْهـا ويـا بئـس المصيـر　　　فـالحـذر منهـم فـإنـي لـك حـذيـر

ونصيـح ومشيـر ونـذيـر　　　لا تخـالطهـم فهـم بئـس العشيـر

أو تجـالسهـم تكـن منهـم تصيـر　　　خالفوا شرع النبيْ الهادي البشير

وكتـابَ الله والحـق المنيـر　　　ثـم طـوبـىٰ للـذي قلبـه نـويـر

خاملٌ في الناس ما يُعرَف حقير　　　يـذكـر الله بقـولـه والضميـر

مـا لَـهُ هـم سـوى الله الكبيـر　　　وعبـادةْ ربـه الفـرد الخبيـر

خيـرُهُ مبـذولْ للنـاس كثيـر　　　كلـه نفـعٌ قعـودُهْ والمسيـر

ينصـح الجـاهـلْ ويـرحـم للضـريـر　　　يُنكـر المنكـرْ وللحـق نصيـر

ضـره مـأمـون مـن خـوف القـديـر　　　رَبِّ أجـرنـي إننـي بـكْ مستجيـر

مـن جميـع الشـر يـا نعـم المجيـر　　　أنـت لـي نـاصـرْ ويـا نعـم النصيـر

وارحـم المسكيـن والطفـل الصغيـر　　　تـب علينـا واكفنـا نـار السعيـر

وصـلاة الله ذي الفضـل الكبيـر　　　تتغشـى المصطفـى البـدر البشيـر

❊ ❊ ❊

---

(١) قوله : (للناظم . . . الخ) قد نسب المؤلف في رسالته المسماة « تذكرة العاقل من القبائل » هٰذه الأبيات لغيره ، فليحرر . اهـ مصححه .

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

يا حسين اعلم أن الشيطنهْ قد لها ناسْ	قد لها ناس قاموا في بناها علىٰ ساسْ
احكَمُوها ولا بالَوْا على الرِّجل والراس	دأْبهم في بحور الشر من كاس إلىٰ كاس
ما هم إلاَّ لهم في غَيَّةِ الظلم غنطاس	خَلَّها فُكَّها وانذُقْ بها فوق الانجاس
مـا نُـواتـي ولا تـأتـي لخيـرٍ بمقيـاس	ما هي إلاَّ تُحِبُّ إلاَّ الضرر والتِّعِكَّاس
والـذنـوب العظيمـهْ والخَـزا والتِّنِكَّـاس	تَرْكَتِ المشي بالأرجل وتمشي على الراس
في الخفا والنجاسهْ والخساسه والارجاس	معـدن الغـم والغفلـهْ ووسـواسْ خنـاس
كلها ٱلاَّ خَرَجْ ماشي بها ما بِهِ بأس	طهِّرِ القلب منها وارمها كن لها ناس
لم تواتي عليَّ المرتضىٰ خيرة الناس	فـي زمـانـه ووقتـه ذاق منهـا تِمِـرَّاس
خذ نصيحةْ خبيرٍ عَسَّسَ الوقت عِسَّاس	جَرَّبَ الوقت وأهلهْ مارَسَ الوقت مِرَّاس
شاف أشيا مزيلهْ للعقولِ والاحساس	فـاعتـزَلْ بعـد لَمَّـا شَيَّبـوا منـه بـالـراس
وامتثل ما أتىٰ عمن دعا لابن عباس	قدهْ أحسنْ وأسلم من ظنونْ أو تجساس
رب سلِّمْ وكن لي في حياتي والارماس	وأصلح أهلي ومَن لي بِهْ تعلُّق وإمْساس
واختم العمر بالخيرات يا خالق الناس	والصلاة علىٰ خير الورىٰ عدَّ الأنفاس

والصحابةْ وآلهْ من أطاعوه في الباس

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

ذا وقـتْ مـا فيـه شـيْ يعجـبْ　　إلاَّ عــدمْ خِلْطتــكْ بــالنــاسْ
فخــذ مــن النــاس فــي جــانـبْ　　وكــن لهــم يــا خليلــي نــاس
ففــي حــديــث النبــي : كــونــوا　　لــدُوركــم والبيــوت أحــلاس
وقــد وردْ : ولْيَسَعْــكَ البيــتْ　　فكــن بــه يــا فتــىٰ جــلاس
ولازم الــذكــر للخــالــق　　عسـىٰ يكــنْ لــكْ بــه إينــاس
فــالــذكــر لله مــا مثلــه　　تُبعِــدْ بــهْ إبليــس والخنــاس

＊　＊　＊

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا والمسلمين من بركاته ، آمين :

الدنيا عبورْ — كم قد عبر قبلنا ناسْ
لكْ فيها مرورْ — فاحذر تكن للفَناءْ ناس
هيْ رأس الشرور — للجاهل الغافل القاسْ
فيها كم خيور — لمن عَمِلْ قبل الارماس

بيت

فاذكر للمماتْ — واعمل ومهِّد لأخراكْ
لا تمسي رُفات — ولم تصلِّح لمثواك
قم قبل الفوات — واكسَبْ وشمر لعقباك
واطلب كل نور — فَجْرَكْ وهَجْرَكْ والاغلاس

بيت

وأصلح للفؤاد — تَصْلُحْ به كل الأحوالْ
تظفر بالمراد — ولا ترىٰ قط الأهوال
واترك للعباد — واطلب علوماً وأعمال
تُحمَدْ في النشور — إذا نظَرْتْ أهل الإفلاس

بيت

يا معطيْ الجزيل — يا رب يا رب يا ربّْ
انظر للعليل — أصلحه من قبل يَخْرَب
جَمِّلْ يا جميل — واجعله عندك مقرب
يمسي في سرور — دائمْ وفرحَهْ وإيناس

بيت

بـــالهـــادي البشيـــر عليـــه صلـــىٰ وسلَّـــمْ

الـــرب القـــديـــر مـــا حَبْـــر ذكَّـــرْ وعلَّـــمْ

والجـــمِّ الغفيـــر آل النبـــيِّ المعظـــم

والصحـــب البـــدور الصـــابـــريـــنَ لـــدى البـــاس

* * *

وقال رضي الله عنه لما سمع أخبار الناس تنتقض في شوال سنة (١٢٦٦هـ) :

كـلام النـاس مـا لُـهْ راس فـاتـرك　　كـلام النـاس لا تَحمِـلْ بِـهِ راسْ
ولا تنطـق بـه تمسـي كـذوبـاً　　وتُخـزَىٰ بيـن كـل الجـن والنـاس
واِحـذر أن تقـل لا بـاس فيـه　　فكـل كـلام هـٰذا النـاس بِهْ بـاس
كـلام النـاس كـل الشـر فيـه　　كلام الناس حاويْ كل الأرجاس
فطـوبـىٰ ثـم طـوبـىٰ ثـم طـوبـى　　لمـن ذَكَـرَ الإلـٰـه غـداً لُـهْ أنفـاس
وأمسـىٰ للـزمـان ومـا حـواه　　مـن الأخبـار والأكـدار لُـهْ نـاس
فـذلـك فـائـز فـي الحـال نقـداً　　ويُغبَطُ حين يُمسي بطن الارماس
أَلاَ إن السـلامـة فـي خمـول　　وفي ترك الفضول وترك الاجناس
أَلاَ يـا ليـت شعـري مـا لقلبـي　　يَعِظْ للنـاس وهْـوَ الغـافـل القـاس
عسـى التـواب يمنحنـا بتـوبـهْ　　ويصلـح قلبنـا والـراس والسـاس
ويحفظنـا مـن الأشـرار والشـر　　ويُذْهِب ما بنا من عيبْ وأدناس
ويهـدينـا صـراطـاً مستقيمـاً　　بـه الخيـرات والإبـريـز والمـاس
بـه الأنـوار والأسـرار نَلقـىٰ　　به ما ليس يخطر قط فيْ أحساس
وفـي عـدم السلـوك لـه عـذاب　　ونـار لا يقـاس لهـا بمقيـاس
ألا يـا ربنـا يـا خيـر كـاف　　أجرنـا مـن عـذاب النـار والبـاس
واِختـم عمـرنـا بـالخيـر فضـلاً　　ومَنّـاً قبـل أن نقنـطَ بـاليـاس
وعفـواً يـا كثيـر العفـو عفـواً　　وغفـرانـاً لعـاصـي الجـن والنـاس
وصـلِّ يـا إلـٰهـي ثـم سلـم　　علـى الهـادي محمـد عـد الأنفـاس
مـع أصحـابِـهِ والآل جمعـاً　　عددْ ما الريح حرَّكْ غصن أو ماس

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

خيـــر الأمـــور أوســـاطهـــا ... فـــالـــزم مـــن الأشيـــا الـــوسَـطْ
واحـــذر مـــن الإفـــراط والـ ... ـتفـــريـــط إنهمـــا شطـــط
وهْـــيَ طـــريـــق المصطفـــى ... اَلمجتبـــى الهـــادي فقـــط
وكـــذا صحـــابتِـــهِ فهـــم ... سلكـــوا علـــىٰ هـٰـذا النَّمَـط
وكـــذلـــك التـــابـــعْ لهـــم ... فـــي كـــل سيـــرٍ أو مَحَـــط
واحـــذر ســـواهـــا إنهـــا ... عيـــن الغلـــط عيـــن الغلـــط
مـــن حـــاد عـــن سَنـــن النبـــيْ ... فعلـــىٰ منـــاخـــره سقـــط
فـــاشـــدد يـــديـــك بهـــا ولا ... تعـــدلُ عنهـــا قـــط قـــط
واحـــذر مـــن العـــادات والـ ... ـبـــدع التـــي بهمـــا ارتبـــط
كـــم مـــن فتـــىٰ فغـــدا بهـــا ... فـــي أسفـــل السُّفْـــل يُحَـــط
وكـــروبُـــهُ لا تنتهـــي ... وهمـــومـــه نحـــو البطـــط
فـــانبـــذ لهـــا واتـــرك لهـــا ... إن كنـــت مـــن أهـــل النشـــط
واتـــرك جميـــع النـــاس مَـــن ... يـــرضـــىٰ ومـــن هـــوْ فـي السَّخَـط
والـــزم إلـٰهـــاً واحـــداً ... مـــن فـــاز بِـــهْ، بِـــهْ يُغتَبَـــط
ثـــم الصـــلاة علـــى الـــذي ... عليـــه جبـــريـــل هبـــط
وعلـــى الصحـــاب وآلِـــهِ ... مـــا كـــاتـــب للحـــرف خـــط
والحمـــد لله علـــى ... إفضـــالـــه عـــدّ النقـــط

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

إنمـــا الـــدنيـــا حـــرافُ — وهُـــــــــــــراف وزرافُ
إنهـــا كـــذب وريـــشٌ — ولهـــا ســـمّ زعـــافُ
مـــن أتتـــه شغلتـــه — ولهـــا عنـــه انصـــراف
لا تُـــرِدْهـــا لا تُجِبْهـــا — إن آخـــرهـــا التـــلاف
واطلبـــوا الخيـــر تفـــوزوا — فـــاغنمـــوه وتـــلافـــوا
واتـــركـــوا الـــدنيـــا ٱرفضـــوهـــا — وٱقـــذَروا الـــدنيـــا وعـــافـــوا
إن أردتـــوا أن تَصِحُّـــوا — وأردتـــوا أن تَعـــافـــوا
واجعلـــوهـــا كعـــدوّ — لا تَـــوَدّوهْ أو تُصـــافـــوا
مـــا بهـــا خيـــرٌ ولٰكـــنْ — خيـــر مـــا فيهـــا الكفـــاف
مـــن حـــلالٍ فـــي عفـــافٍ — ولقـــد عَـــزَّ العفـــاف
واتـــرك النـــاس جميعـــاً — إنهـــم فســـدوا وزافـــوا
وفشـــا فيهـــم ضـــلال — وبـــدا فيهـــم خـــلاف
غيـــر آحـــادٍ قليـــلٍ — اتقـــوا الله وخـــافـــوا
يـــا إلٰهـــي ومليكـــي — نجِّنـــا ممَّـــا نخـــاف
واختـــم العمـــر بخيـــرٍ — حيـــن يـــأتينـــا التـــلاف
وصـــلاة وســـلام — مـــا عفـــا الـــرُّحَمـــا ورافـــوا
أو أتـــى البيـــتَ حجيـــج — قبَّلـــوا الـــركـــن وطـــافـــوا
يَغشَيَـــان المصطفـــىٰ والـ — آلَ مـــن ســـادوا ونـــافـــوا

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا والمسلمين من بركاته في الدارين ، آمين :

يقول أخو طاهر عسى الله يعينْ ... في ذا الزمان العوف الأكشفْ

زمان بأهله ما هو إلا مَحِينْ ... معاد حد في الخير له شَف

راحوا قفا ابليس الرجيم اللعين ... قليلْ ذي منهم تخلَّف

وعاد أشيا غايبهْ ما تبين ... يعرفْ لها العاقل إذا أنصف

والآن نرجو خالق العالمين ... ندعو عسىٰ ذا الضر يكشف

عسىٰ عسىٰ هٰذا البلاءُ المبين ... يزول عنا قبل نخسف

نطلب من الله الكريم المعين ... من هو بنا أرحمْ وألطف

نرجعْ ونترك ديدن الغافلين ... ونعتكف في خير مَعْكَف

نتوب توبهْ توبةَ الصادقين ... نَصُوح ما تُنقَضْ وتُنسف

والقلب يُعمَرْ بالتقىٰ واليقين ... ومِن سوى المولىٰ يُنَظَّفْ

نصبح ونمسي بالرضا فائزين ... ومن شراب الحب نَرشَف

نَزهَد في الدنيا مع الزاهدين ... نَحظىٰ بصفوٍ ليس يوصف

فضلاً من الله أرحم الراحمين ... ماهُوْ بجهد الزند والكف

رجاي في ربي قويٌّ حسين ... في جانب الإعطا وفيْ الكف

والخوف للراجين نعم القرين ... فخَفْ إلٰهكْ صاحبي خَفْ

واطلب من الله القوي المتين ... ذي بحر جودهْ ليس ينشف

ذي فضلُهُ في كل وقتٍ وحين ... هاطلْ لمن يلقُط ويَلقَف

حذار لا تيأس كما الكافرين ... واحذر تَخلَّف أو تَوقَّف

واسرح ورح واصبر مع الصابرين ... واطرد وراهم خُبّْ والْهَف

وارم الخلائق كلهم أجمعين ... وصَفِّ قلبك مِنُّهم صَفّْ

واشرب شراب السادة العارفين ... وحِبَّهُم إن فاتك السف

إن المحبهْ لاهل عين اليقين ... يَسعَدْ بها من كان مُشغَف

عسىٰ نكن معهم من الآمنين | في جاههم ندخل ونلتف
واليوم أخو طاهر مضت لُهْ سنين | والعمر قد صَغَّرْ وصَرَّف
ولا كَسِبْ دنيا ولا حُسنْ دين | إذا نظرْ كسْبُهْ تحَسَّف
فهل ترىٰ مِن بعد ذا يا ظنين | يُنظَرْ إلىٰ قلبي ويُلطَف
إني لأرجو خالق العالمين | يُثَقِّلِ الميزان إنْ خَف
والكُتْب يُعطينا غداً باليمين | ويغفر الزلَّهْ ويرأف
يا رب كن لي عند رَشْح الجبين | والساقُ بالسَّاقِ قدِ ٱلْتَف
والموت قد حانَ وزاد الأنين | وليس لي عن ذاك مَصْرَف
ما لي سوىٰ وجهكْ إلٰهي معين | لست إلىٰ غيرِهْ تُشَوَّف
فاختم بخيرٍ لي وللمؤمنين | يا من بكل الخير يُعرف
ياالله بها قولوا جميعاً أمين | عسىٰ بها نَسْعَد ونُسعَف
ببركةْ أحمد سيد المرسلين | من قد أتىٰ بـ(الطور) و(الصف)
صلىٰ وسلَّمْ ربنا كل حين | عليه ما مشجون غطرف
والآل والأصحاب والتابعين | ما رعد حن أوبرق رفرف

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه مشيراً بهٰذه الأبيات إلى السيد أحمد بن محمد السقاف نزيل مكة مع سفره إليها :

أحمد السقاف أبشِرْ لا تخافْ ... واغنم الألطاف في ذاك المطافْ

والتزم للبيت وأحرِم واحترم ... والْثَمِ الركنَ وكُنْ ذا قلبْ صاف

والزم البيضا النقيهْ ملةَ الـ ... ـمصطفى المختار واحذرْ لِنْحِراف

ملة ما مثلها في حسنها ... كل من يمشي عليها لا يخاف

ملة فيها السلامةْ والهنا ... غيرها فيها البلايا والحراف

خيرُ هَدْيٍ في البرايا هَدْيُه ... سيد السادات من آل مناف

فعسىٰ لي منه قسمٌ وافر ... وكُتِبْ لي حين يَقْسِمْ سهم واف

رب وفِّقنا وسددنا له ... واكفنا يا ربنا شر العواف

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه بتاريخ شهر ذي القعدة سنة (١٢٦٨هـ) :

يا طالب السكنىٰ بوادي الأحقافْ ... اسمع وصيةْ للحبيب سقافْ

يوصي لأولاد كرامْ أشراف ... فقال قولاً فيه عدلْ وإنصاف

ارموا بهٰذهْ من وَرَا جبلْ قاف ... يعني الولايهْ للقضا والأوقاف

لأن فيها كَمْ حرَجْ وأخواف ... فخَفْ إلٰهكْ يُدركَكْ بأَلْطاف

وجنَّتانِ يا فتىٰ لمن خاف ... واعرف زمانكْ واجتنب للأعواف

المُظهِرين الكِبْر والتعِجْراف ... الظالمين بالفعل والتخوّاف

يؤذون للمسلمْ بحَيفْ واجحاف ... الله يكفي شرهم وهُوْ كاف

كم كَفَّ عنا كَفَّ حاسدٍ حاف ... يا ربنا استرنا بسترك الضاف

وهب لنا من محض فضلك الواف ... فضلاً عظيماً فيه كل اِتحاف

يَصْلُحْ به الظاهرْ ويصلُحُ الخاف ... يمسي فؤادي من كُدُورتهْ صاف

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه : هٰذه أبيات قلتها بالمدينة المنورة سنة ست وثلاثين ومئتين وألف هجرية:

يـــا غيـــاثَ المستغيثيـــنَ أغـــث ... مـن أتـاك اليـومْ مـا يـرجـو سـواكْ
وأتـــاك هـــاربـــاً ممَّـــا بـــه ... يـرتجـي فضـلاً وبِـراً مـن نَـداك
يـا عظيـم الفضـل يـا ذا الجـود يـا ... حـي يـا قيـوم هـب لـي مـن عطـاك
يـا عظيـم الشـان مـا لـي غيـرُكـم ... لسـت أرجـو غيـرَكـم لا ذا وذاك
فاعطف الطف بي ورَفْ بي دائماً ... وأذقنـــي بـــرد عفـــوك وشفـــاك
واعطنـي سـؤلـي ومـأمـولـي وزد ... نـي مـن الخيـرات شيئـاً مـن هنـاك
جئـت أرجـوكـم وأرجـو فضلكـم ... ربِّ لا خيبـــتَ راجٍ مِـــن رجـــاك
معتـرفْ بـالـذنـب والعيـب وبـالـ ... ـوزر حقـاً صِدْق لَستُ فيـه شـاك
فـاغفـر اصفـح مُـنْ وأَعتـق فـالجفـا ... وَصْـفُ عبـدكْ مـا لَـهُ عنـه انفكـاك
مـــا لنـــا فـــي كـــل أمـــر هـــالَنَـــا ... أو عـــرانـــا أو دهـــانـــا ٱلاَّ نِـــداك
يـــا كـــريمـــاً يـــا رحيمـــاً عـــالمـــاً ... أدركَـــنْ عبـــدكَ مـــن قبـــل الهـــلاك
يـــا إلٰهـــي ومليكـــي سيِّـــدي ... أعطنـــي ســـؤلـــي وداركنـــي دراك
إننـــي يـــا سيـــدي فـــي كـــربـــة ... صـرت منهـا مثـل طيـرٍ فـي شـراك
وأنـت أعلـمْ بـالـذي فـي بـاطنـي ... مـــن همـــوم وغمـــوم واحتـــراك
وكـــروب وأمـــور جمـــة ... مـــا لِـــداهـــا سيـــدي إلاَّ دواك
فـــأغثنـــي بغيـــاث عـــاجـــل ... وأرحنـــي ببشـــارهْ مـــن سنـــاك
واهـدنـي الحسنـىٰ ووفقنـي لهـا ... لا هـــدىٰ يـــا سيـــدي إلاَّ هـــداك
واحمنـــي مـــن كـــل مـــا أحـــذره ... واكفنـــي الشـــر وحطنـــي بحمـــاك
واحفـظ اهلـي وأُحيبـابـي ومَـن ... ودَّنـــا فيـــك ووفـــق لـــرضـــاك
قـــد أتينـــاك إلٰهـــي خشعـــاً ... خضعـــاً نطلـــبُ رفـــداً مـــن نـــداك
وأتينـــاك مـــن البـــاب الـــذي ... منـه يـوصَـلْ كـل عبـد منـه جـاك

سيد السادات مولانا الذي — خُصَّ بالإسرا وخُصَّ بلقاكْ

أحمد المختار طه المصطفى — جئتُه طالب خلاصي والفكاك

من ذنوب وأمور جمة — وهموم أشرفت بي للهلاك

فتشفع يا رسول الله في — وآحْبِني من فيض فضلك بحباك

فتشفع في أموري كلها — والذي أمَّلتُ من هٰذا وذاك

رب شَفِّعْ سيدي فيَّ وقل — فوق ما أملت يا مسكين هاك

رب هب لي منك غاياتِ المنى — وأعطني فضلك وعفوك ورضاك

وصلاة الله تغشى المصطفى — أحمداً من قد علا فوق السماك

وعلىٰ آل وأصحاب له — ما ترنمْ حادٍ أو رعدٌ هناك

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فهـٰذه قصيدة ركيكة الألفاظ والمباني ، موضوعة علىٰ لسان العوام ، لا يستقيم وزنها إلاَّ مع تسكين أكثر ألفاظها ، ووصل مقطوع وقطع موصول ، فمن نظر بعين العذر وطلب المعنىٰ . . انتفع بها ، ومن تطلب عثراتها . . وجدها أكثر من أن تحصىٰ ، فالمطلوب ممن وقف عليها دعوة صالحة ، وأن يؤوّل ما يقبل التأويل ما وجد إلىٰ ذلك سبيلاً ، وما لم يقبل تأويلاً . . فليصلحه ولينبه عليه ، وإلاَّ . . فلينبه عليه إن لم يصلحه ، وقد تضمنت أكثر معاني رسالة سيدنا الحبيب أحمد بن زين الحبشي علوي رضي الله عنه ونفعنا به ، وهي هـٰذه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمـد لله حمـداً مُـوفيـاً بـالنـوالْ ... وللمـزيـد يكـافـي دائمـاً فـي تَـوالْ

ثم الصلاة مع التسليم ما غصن مال ... على النبيْ المصطفى الهادي وصحبِهْ وآل

وعنه جا : طلبُ العلم فريضهْ وقال ... فرضٌ علىٰ كل مسلمْ من نِسَا أو رجال

ومن سلك في طريقٍ يطلب العلم نال ... من ربهِ مسلك الجنهْ ونعم الحلال

وذه مسائلْ قريبهْ من كلام الغزال ... نرجو لعارفْ لها عامِلْ بها أن ينال

منازل أهل المحبه والرضا والكمال ... كذا كذا قال أهل المعرفه بالمعال

أركان الإسلام خمسهْ فاستمع للمقال ... تَشْهـدُ للهِ بـالتـوحيـد فـي كـل حـال

وللنبي بالرساله ثم ثاني الخصال ... تصلِّي الخمسْ والثالث زكاتكْ لمال

والرابع الصوم للشهر العظيمِ وتال ... الخمس حجك لبيت الله جل جلال[1]

إن استطعتَ مع أخلاصٍ وتصديق بال ... من لم يكن مخلصاً فهو منافق وضال

وكل من لم يصدق فهو كافرْ حلال ... الدمْ مستوجبٌ للنار بئس الوبال

ثم اعتقد أن رب العرش محصيْ الرمال ... موجودْ بل مُوجدُ الأشيا ولا لُهْ زوال

منفردٌ ما لَهُ مِثْلٌ ولا لُهْ مثال ... حيٌّ سميع بصير عالمٌ لا يزال

مريدْ قادرْ قديمٌ ليس يخفاه حال ... هوْ خالق الخير مَعْ ضدهْ وداءٍ عضال

يُشقي ويُسعِدْ وظلم الخلق عنه استحال ... باري البرايا ومحييهم بعمرٍ ومال

وقدَّر أرزاقهم وآجالهم بالكمال ... فلا تزيدُ ولا تنقصْ لهم باحتيال

وخالقْ أعمالهم مِن فِعْلهم والمقال ... فليس يحدثُ حادثْ في العلا والسفال

إلاَّ وسابقْ قضائهْ قد جرىٰ بهْ وجال ... وأَنه بعث المنقذْ لنا من ضلال[2]

رسولْ صادقْ أتىٰ بالمعجزات الجِلال ... صدِّقْ بما قال من أَخبار يوم السؤال

مثل الصراطِ ومِن وزنٍ ومِن حوضْ حال[3] ... وكالنعيم المقيمِ أو أليم النكال

صدِّقْ بذلك وبالقرآن ما في المحال ... وبالرسُلْ والكتبْ لله مولى الموال

آمن وصدِّق تفز بالخير آجلْ وحال ... فصلٌ[4]: فروض الوضو ستهْ أتت بالتوال[5]

نيهْ مع غسل وجهكْ كلِّهِ بالكمال ... ثم اغسلْ أيديك وأخرِجْ للخطايا الثقال

ثم أمسح الرأس أو بعضه ولو ما يزال[6] ... واغسل لرجليك والترتيب ختم الخلال

ولُهْ سننْ فاز فاعلْها بحسن المآل ... ومن عليهِ حدثْ أكبرْ لزِمْهُ اغتسال

فليَغسِلِ الجسم كله لايبَقِّي خلال ... وَلْيَنْوِ فرض اغتساله عند صب الزلال

وينقض الوضو : ما يخرجْ علىٰ أي حال ... من القبلْ والدبرْ فاحفظ كُفيتَ الخَبال

---

(١) جلال : أي (جلاله) وهـٰذا من باب الاكتفاء .

(٢) قوله : (وأنه) معطوف علىٰ قوله : (ثم اعتقد أن). اهـ بخط المؤلف .

(٣) أي : حالي . اهـ من خط المؤلف .

(٤) قوله : (فصل) هو كلمة من شطر البيت وكذا باقي الفصول . اهـ من خط مؤلفه .

(٥) أي : بالتوالي اهـ .

(٦) أي : ولو شعرة واحدة . اهـ مؤلف .

كذاك للعقل بالنومْ أو بغيرهْ زوال ... إلاَّ بنوم ممكِّنْ أليتهْ بالمَحال[1]

ومسُّ فرجْ آدميٍّ أيِّ شخص يقال ... ببطن كفيك فاحفظ لا تقع في اختلال

كذا التقا بشْرتَيْ جنسيْن ولا شيءَ حال ... مَعَ كِبَرْ وأجنبيه غير سِنْ أو سِبال[2]

فصلٌ : وشرطُ الصلاةِ الوقتُ مثلُ الزوال ... للظهر علماً يقيناً لا بشكْ أو خيال

أو ظنَّهُ باجتهادٍ صَحَّ واطلب حلال ... ساترْ لعورتكْ طاهرْ والتوجه قبال

البيت واحذر نجاسات المحل والمُشال[3] ... أو البدنْ غيرَ معفوْ أُنظرُهْ في الطوال

وانوِ وكبِّرْ لاحرامٍ وقم باستقال ... و(الفاتحهْ) فاقْرَها واحذر يكون ابتدال

حرفٍ بحرف ولو ضادٍ بظاءٍ مُشال ... واركع ورِضْ[4] وانحنِ بالظهر حتىٰ تنال

راحتُكْ ركبتَكْ ثم ارفع إلى الاعتدال ... ورِضْ بِهْ واسجد إلى الأولىٰ مَعَ احتمال

بالرأس من غير حائلْ مَعَ رفع السِفال ... ورِضْ بِهِ واطرح الأعضا وخذ في السؤال

واجلس جلوساً ورض فيهِ وقل ما يقال ... ثم اسجد أخرىٰ كما الأولىٰ وهـٰذه كمال

لركعةٍ ثمٍ يفعلْ ما نوْاهُ مثال ... وبعد يجلسْ ويتشهدْ علىٰ تَمِّ حال

ثم يصلي على الهادي حميد الخصال ... ثم يسلِّمْ مع الترتيب في ذي الفعال

ثم السنن هاتها أجمعْ كفعل الرجال ... وأخلِص وقم صلِّها لله جل جلال[5]

خاشعْ وخاضع مَعَ أفعالها والمقال ... تدبر القول وافهم للمعانيْ الغَوال

فليس لكْ من صلاتك غير ما أحصاه بال ... واحذر تصلي لأجل الناس فهْوَ وبال

وهو الرياء المحرم بالنصوص العوال ... والقول بالعمد يبطلها ولو (خا) و(ذال)

أو ناسياً إن كثرْ تبطل كذلكْ توَال ... ثلاث حرْكات لو سهواً فخَفْ ذا الجلال

كذلك الأكل والمشروب لو كالخِلال ... إن كانَ عمداً وإلاَّ بالكثير ابتطال

كذا انكشافٍ لعورَهْ ليس تُستَر بحال ... كذا وقوع النجاسهْ ليس فوراً تُزال

---

(١) أي : المكان . اهـ من خط المؤلف .

(٢) أي : شعر الشارب ، والمراد : أي شعر كان . اهـ من خط المؤلف .

(٣) أي : المحمول . اهـ من خط الناظم .

(٤) رضْ : أي اطمئن

(٥) قوله : (كفعل الرجال) أي : ﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾ الآية ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ ﴾ الآية ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الآية . اهـ من خط المؤلف .

من غير حملٍ كذا ركنين من ذي الفعالْ ... تسبقْ بهن الإمامَ أو بغير اشتغالْ
بالعذر تَخْلُف بهنَّ فأفْتَقِهْ فِقْهَ عال ... فصلٌ : صلاة الجماعةْ يا مريد الوصال
فرضُ كفايهْ علىٰ أحرارٍ أصحَّاءْ رجال ... وهم مقيمون والجمعةْ عليهم يقال
هيْ فرضُ عينٍ فلا تسقطُ عنهم بحال ... إلاَّ لمعذورْ شرعاً صِدقْ لا باحتيال
وللجماعةِ والجمعه فضائل طوال ... عظيمةُ القدر معروفه لدانٍ وعال
وجاءَ في الترك تشديد عظيم النكال ... ثم السنن هاتها وأَدِّها بالكمال
كالعيد والوتر صَلِّهْ والكسوفَ وتال ... لِذهْ فِي الفضل ما هوْ للفرائضْ بحال[١]
ثم الضحى والتراويحْ إن أردت النوال ... وشهرُ رَمْضان ركنٌ صمهُ كلهْ تنال
الفضل وانوه قبيل الفجر كل الليال ... وأمسك عن الأكل والمشروب بل والبعال[٢]
ولا تباشر فتُنْزِلْ أو تَقايا وطال ... ما أبطل الصومَ مَن يولغْ بقيل وقال
وغيرها من معاصٍ أو بترك الحلال ... فأكثر من الصوم واخصُصْ كلَّ ما الشرع مال
لفضلِهِ ثم رابعْ ركنْ تطهيْر مال ... من النَّعَمْ والنقودِ أو تجارهْ وحال
الحولُ وهْيَ نصابٌ أو بلغْ ما يكال ... من الثمرْ والحبوبْ خمسةَ أوسقْ فحال
ما أمكن الدهر بادرْ قبل حايلْ بحال ... وزكِّ جسمكْ زكاة الفِطر لكَ والعيال
صاعٌ من القوت للواحدْ إذا المال طال[٣] ... عن مسكن الشخص والكسوةْ ودَين الرجال
وخامس أركان دينِ الله مُنشي الجبال ... حجكْ لبيته كذا العمرهْ علىٰ حُرٍّ نال
ما يوصِلُهْ ويردهْ للوطن والحِلال ... وقوت أهله إلىٰ عنه المُغوبَهْ تُزال
وهوْ فِي العمر مرَّهْ فاقضِهِ بالكمال ... ووقتُهُ بعدما شوّالْ يبدو الهلال
تَحْرِمْ به وتقفْ عَرْفات بعد ليال ... تسعٍ مضت شهر ذي الحجةْ بُعَيدَ الزوال
واحلق وطف للإفاضةْ بعدَهُ السعي تال ... وغيرٍ وَقْفَتكْ فافعل عمرتكْ في المثال
وإنما الحلق تاليها فكن ذا اعتقال ... وهات واجبُهْ لا تهمل تقع في الوبال
احرِمْ بكلٍّ لميقاتِهْ بتلك المحال ... وقف بمزدلفه ساعةْ إذا الليل مال

---

(١) أي : يضاف إليها أراد به الرواتب القبلية والبعدية . اهـ من خط المؤلف .
(٢) كنىٰ به عن الجماع . اهـ من خط المؤلف .
(٣) قوله : (طال) أي : زاد . اهـ مؤلف .

وارْمِ لعقبتكْ يوم النحر للانحلالْ   وبـتْ ليـالـي مِنـىٰ بهـا مُنـاكَ تنـالْ

وارم الجمار الثلاثَ بعدما الظل زال   وطف وداعاً وهـٰذا ٱجعله ختم الخصال

وغير هـٰذي سنن فيها فضائلْ جزال   فمن تركْ ركنْ، ما حجُّهْ صحيحاً بحال

ومن تركْ واجباً صحَّ بغير جدال   لـٰكنْ عليه الوبال والدمُ للاختلال

والستر للرأس والحائطْ حَرُمْ للرجال   والمرأةُ الوجهَ لا تَستُرْ وهاكَ خلال

عليهما الطيب مَعْ دهن الشعرْ في محال   كالراس مَعْ لحيةٍ كذاك ظفرٌ يزال

أو الشعَرْ من جميع الجسم ثم البِعال   وعقـدُهُ وكـذا القبلـهْ وقتـل الحـلال

من صيدْ بريْ مع الفديهْ بمثلْ أو بمال   وحفظك القلبْ واجبْ من معاصي ثقال

كذا الجوارحْ وهـٰذا فرضُ عينٍ يقال   فمِن معاصيهْ شَكُّهْ في العليْ ذي الجلال

والأمنُ من مكرِهِ كذا القنوطُ لضال   من رحمة الله والكبرُ الكثير الوبال

كذا الريا والعُجُبْ بطاعة المتعال   وحقدُهُ والحسدْ للخلق إذ جا نوال

يكرهُ للمسلمين الخيرَ بئس الخصال   والاستهانهْ بما عَظَّمه محصيْ الرمال

كذاك اصرار عاصي ما تَراجَعْ وآل   وسـوءُ ظـنٍّ بـربٍّ أو بخلقـهْ تعـال

والبخلُ بالواجب المفروض فعلُ النذال   كذاك تصغير ما الرحمـٰن عظَّمْ مثال

تحقيـرُهُ طـاعـةً أو معصيـهْ أو فعـال   أو علماً أو جنةً أو نارْ أوْمن محال

فكل ذلكْ معاصي موجبهْ للنكال   بل بعضُ ذلكَ كفرٌ مُدخِلٌ في الضلال

وطاعةُ القلب إيمانٌ وتصديق بال   كذا يقينٌ وإخلاصٌ تواضعْ وقال

بالنصح للمسلمينَ والسخا واحتمال   والحُسْن للظن والشكرُ العزيزُ المنال

على الهدايهْ وإسلامٍ وكمْ من خصال   وللشعائرْ فعظِّمْ وٱتْلُ إن كنت تال

واصبر علىٰ ما ابتلاكْ الله في كل حال   من فقرْ أو من أذىٰ أو ضرٌّ فيكْ أو عيال

واصبر علىٰ طاعة المولىٰ ودَعْ للمَلال   وعـن معـاصيـه والأهـوا تنـال الكمـال

وثق برزقكْ من اللهِ كما ٱوعدْ وقال   وٱبغِضْ لدنياك والشيطان عادِهْ وقال

ولا تطع نفسْ أمارهْ بسوء الخلال   واعلم بأن صلاح القلب عند الرجال

ألاَّ يُحبَّ سوى الله العليْ ذي الجلال   وطـاعتـهْ ورسـولـهْ والصحـابـهْ وآل

يرضىٰ عن الله سبحانهْ بمُرٍّ وحال ... عليهِ في كل أحوالهْ عظيمُ اتكال

يصيـر يلتـذ بـالطـاعـه ولاقـطّ مـالْ ... في حبها يقطع القاطعْ وإن كان غالْ

هٰذه هي المُنجيهْ والمُسعدهْ في المآل ... ومـن يكـن قلبـهُ يميـل أدنـىٰ ميـال

إلى الهوىٰ فهو لا شكَّ بِهِ اِعتلال ... علىٰ حَسَبْ ذاك مِن كَثْرَهْ ومن اقتلال

فصلٌ : معاصي الجوارحْ هاك فيها المقال ... فالبطن يعصي بأكل السحت من أي مال

وشرُبِ خمرٍ وما يورثْ لعقلكْ خبال ... وما يضرُّ ولو كان العسل والزلال

ومن معاصي اللسانِ غيبةٌ وهْيَ قال ... ذكرُكْ أخاكَ بما يكرهْ ولو كان زالّْ

والشتمُ والسبُّ والنمِّهْ بإيغار بال ... والكذب والإفك والبهتان شر الخلال

والعين تعصي بأن تنظرْ لغير الحلال ... كالأجنبيات والعورات أو مَعْ ميال

لأَمردٍ والنظرْ مستحقِراً شخص ذالّْ ... أو النظرْ في بيوت الغير لاباحتفال

والأذن تعصي إذا سِمْعت لقيلٍ وقال ... من كل ما لا يجوزُ قولهُ من ضلال

أو استماع المحرَّمْ من ملاهي النِّذال ... واليد تعصي بنقص الكيل مما يكال

والوزن بل والخيانهْ والأذىٰ والقتال ... بغيـر حـقٍّ وغيـرهْ مـن قبيـح الفعـال

والرِّجْل تعصي بمشيٍ في ذميم الخصال ... كالمشي في ظلم مسلمْ لا بأخذِ حلال

والفرج يعصي بأن يزني بأُنثىٰ اَو رجال ... أو كان باليد يستمني فكن ذا امتثال

أما معاصي البدَنْ كلهْ فأشيا طوال ... منها الفرارُ من الزحفِ كبيرَهْ يقال

والعـق للـوالـديـنِ مـوجـبٌ للنكـال ... كـذا قطيعـهْ لأرحـامٍ كعـمٍّ وخـال

والظلم للناس واعرف نحوها في المثال ... يا رب يا رب يا معطي العطايا الجزال

اِختم بخيرٍ إذا جا اَلموت والانتقال ... وهب لنا كلَّ سُولٍ يا مجيب السؤال

وامنُنْ بوالٍ يقيم الشرع يا خير وال ... وأَيِّـد الكـل فـي حـالٍ وفعـلٍ وقـال

لما تحبُّ وترضىٰ في الظواهر وبال ... مَعْ عافيه وسلامه في الدنا والمآل

واغفر وسامح بفضلك يا كثير النوال ... وكُـفَّ عنـا أذايـا كـلِّ مـؤذٍ وزالّْ

وصلِّ ربي وسلِّم ما حُدِي بالجمال ... علىٰ رسولكْ أبي القاسم مزيل الضلال

والآل والصحب والأتباع في كل حال ... والحمـد لله حمـداً عَـدَّ ذر الـرمـال

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به : وهٰذه أبيات قلتها راغباً في الله سبحانه وتعالىٰ :

أنخت بباب الكريم الأملْ ... لعل الفرجْ منهُ عاجلْ يَصَلْ
فمن لي ومن للبلايا ومَن ... لضري وكربي إذا بي نزل
ومن ذا الذي ٱدعوهُ وٱسألُهُ ... ومن أطلبُهْ عند سد الحيل
سوى الله ربي كفىٰ بِهْ كفى ... كفىٰ بِهْ كفىٰ بِهْ كفىٰ بِهْ وهل
سواه يرَجَّىٰ فحاشاه عن ... مقالةِ من قد تعدَّىٰ وضل
فما شا يكونُ وما لم يشا ... فليس بكائنْ ففيم الوجل
وما ليس لكْ لم تكن تدركُهْ ... وما قد كُتِبْ لكْ فعِدُّهْ حصل
فيا ربنا يا سميع الدعا ... ومن مِنُّهُ الخير يأتي جُمَل
ويا كاشف الضر يا ذا العلا ... ويا من يفرِّجْ إذا خطبُ حل
بأسمائك اللهُ يا خالقي ... سألتكْ وكلِّ كتاب نزل
وبالهادِي المصطفى المجتبى ... وآلِهْ وأصحابِهْ أهل العمل
وبالأنبياءِ وأصحابهم ... وأتباعهم من جميع الملل
بأملاككَ اللهُ يا رازقي ... وبالأوليا أن تقينا الزلل
وكن لي إلٰهي علىٰ كل حال ... ومن أنت لُهْ فوق سؤلُهْ ينل
وفرِّج عَلَيَّ فرجاً عاجلاً ... قريباً سريعاً ففيك الأمل
وفيك الرجا وإليك اللجا ... ومنك النجا إن غَشَتْني الظلل
وٱختم لعبدكْ بخير الختام ... إذا حان حين انقراض الأجل
وصلِّ وسلِّم ربَّ العُلا ... علىٰ من يشفَّعُ يومَ الوَجَل
وآلهْ وأصحابهْ أهل الهدى ... ومن سار في سَيْرهم وامتثل

* * *

وقال رضي الله عنه :

الحمد لله ظني في الجميل جميلْ ... ولي رجاءٌ بفضل الله واسعْ طويلْ

وكيف لا وهْوَ في الله الكريم الكفيل ... المحسن المفضل المعطي العطايا الجزيل

سبحان ربي تعالىٰ عن شبيهْ أو مثيل ... حسبي إلٰهي فما أبغي بربي بديل

كم جاد كم عاد مِنْهُ الفضل يهطلْ هطيل ... فمنه الإحسان كلهْ دِقُّهُ والجليل

تبارك الله لا يُحصىٰ ثناه فقيل ... يا رب عفوك عن العبد الحقير الذليل

فلست أرجو سوى العفوِ الوفيِّ الجميل ... أما نجاتي بأعمالي فهُوْ مستحيل

أستغفر الله من ذنبي العظيم الثقيل ... ورحمةَ الله أرجوها ليومي الطويل

ثم الصلاة علىٰ أحمد بالبُكَرْ والأصيل ... والآل والصحب والتسليم عد النخيل

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين ، آمين :

إليك المعذرهْ يا عالم الحالْ ... مِن الأفعال والأقوال والحالْ
فأنتَ أعلمْ بما قد كان مني ... بتحقيقهْ وتفصيلهْ والإجمال
فيا من قد سترني جُد بعفو ... وغفرانٍ وإحسان وإفضال
فأنت المرتجىٰ في كل حال ... إليك الملتجىٰ في المُرِّ والحال
ويا حنان يا منان يا من ... علينا فضله صَيِّبٌ وهطال
إليكَ أشكو منَ أوزاري وذنبي ... فلست أشكو إلىٰ عمٍّ ولا خال
ولا خلقٌ قريبٌ أو بعيد ... ولا قاضٍ ولا سلطانْ أو وال
كفاني علم ربي عن سؤالي ... عن التبيين بالهَذَيان والقال
فكم قد جاد لي من غير قول ... وكم خيرٍ حَبَا من غير تَسْآل
وكم ضُرٍ أزاح بمحض فضل ... وأشيا لم تكن تخطرْ على البال
فحمد ثم حمد ثم حمد ... لمولانا الكريم المفضل الوال
إلٰهي سيدي كن لي فإني ... فقير مستجير بكْ من أهوال
فمَن لي يا الكريم الوجه من لي ... إذا خانتني أعمالي والأحوال
فكن لي يا عظيمَ الفضل كن لي ... وهب لي من عظيمْ اَفضالك اِفضال
ولا خيبتَ يا مولاي ظني ... ولا كذَّبتَ أطماعي والآمال
واِختم لي بإحسان وخير ... إذا كَمُلَتْ لنا أعمارْ وآجال
وصلى الله ربي كلَّ حين ... وسلَّمَ ما تثنَّىٰ غصنْ أو مال
علىٰ طه المشفعِ في البرايا ... وأصحابهْ مع الأنصار والآل

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه :

الحمـد لله ذا سُـؤْلـي وذا أملـي ... أتـىٰ إلـيَّ بـلا كـدٍّ ولا عمـلِ
جـاء البشيـر بـأن الأخَّ يـذكـرنـي ... وناب عني ويدعو لي ويشفعُ لي
فيـا حسيـن الـذي الإحسـان سِيْمتُـهُ ... أحسـنْ لخـلٍّ خلـيٍّ ظـاهـرِ الخلـل
عسـىٰ عسـىٰ ولعـل اللهَ يـرحمُـهُ ... يـزيـلُ عنـه جميـع العيـب والعِلـل
يتـوب تـوبـةَ صـدق لا انتكـاث لهـا ... يُمحَـىٰ بهـا سـائـرُ الأوزار والـزلـل
فقد مضىٰ عمرهُ في الترهات وقد ... آن الرحيل إلى الأخرىٰ علىٰ عجل
فما اعتذاري وقد جاء النذير فلم ... آلـو إليـه وأَخلـدتُ مـع الكسـل
فقل إذا طفتَ بالبيت العتيق وفي ... مـواطـن الخيـر بـالتفصيـل والجمـل
يـا رب نسـألْـكَ للعبـد الفقيـر رضـا ... ترضىٰ به عنه في الدنيا وفي الأزل
واْختـم بخيـر لنـا يـاسيـدي ولـه ... وهـب لنـا ولـه مـن أفضـل النِّحَـل
وصـل ربـي وسلِّـمْ دائمـاً أبـداً ... علىٰ رسـولـك طـه خـاتـم الـرسـل
والآل والصحب ما سار الحجيج إلى الـ ... ـبيت العتيق على التعجيل والمَهَل

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

يـا طـالبـاً جنـةَ الـدنيـا وراحتهـا فأسمع وأنصت لأخباري وأقوالي

علـى الـرضـا بقضـاء الله خـالقنـا في كل ما كان من مُرّ ومن حالي

فـلا تُـرِدْ غيـرَ مـا المولـىٰ أراد ولا تسخط لشيءٍ قضاه المالك الوالي

فـإنمـا أنـت عبـدٌ والإلـٰهُ لنـا ربٌّ ومـالـكُ للحـال وللمـال

فـالـزم لطـاعتـهِ واشكـر لنعمتـهِ واصبـر لنقمتـهِ فـي حـال أو مـال

وأَحسِن الظن بالمولىٰ يكونُ كما ظننتَ فاسمع حديثاً مسنَداً عالي

واحـذر وإيـاك إنكـاراً علـىٰ مَلِـكٍ فـي ملكـه فعلُـهُ عـدلٌ عَلِـيْ عـالـي

وطهـر القلـب مـن غيـر الإلـٰه ولا تُبـقِ سـوى الله فـي سِـرٍّ وفـي بَـالِ

ولازم الـذكـر لله الكـريـم ولا تدخُلْ مع الناس في قيل وفي قال

فـالأنـس بـالنـاس إفـلاس وآخـرُهُ كرب فكن لهمُ يا صاحبي قالي

والـذكـر لله بـاق لا نفـادَ لـه فـاعكـف عليـه بـإبكـار وآصـال

واطلب من الله ما تحتاج منه ولا تسأل سوى الله جَلَّ الحافظ الكالي

وكن حليف التقىٰ والعلم فٱعْنِ به والعلـم يـربـو بـإخـلاص وأعمـالِ

واحـذر وإيـاك مـن دنيـا تـزولُ ولا تبقـىٰ بحـال وتَـدْهُـوكَ بـأهـوالِ

وتحجُبَنَّـك عـن دار النعيـم وعـن كـل جمـال وإحسـان وإفضـالِ

يـا رب يـا حـي يـا قيـوم يـا صمـدٌ وفق وسدد وكن لي عند ترحالي

وصـل ربـي وسلـم دائمـاً أبـداً علـى النبـي المخفِّـفْ كـلَّ أثقـالِ

والآل والصحـب ثـم التـابعيـن لهـم على الخلائق ماضيهِمْ مع التالي

* * *

وقال رضي الله عنه هٰذه القصيدة في جمادى الآخرة سنة (١٢٣٩هـ) :

طلب الراحةِ في الدنيا مُحالْ ... وأرى الأنس بها عينَ النكالْ
وأقلُّ العيب فيها أنها ... دارُ موت وانتقال وزوال
ليس تبقىٰ لك أو تبقىٰ لها ... ليس للمَطْمَع في هٰذا مجال
كيف ترضاها وتستوطُنها ... وهْيَ لم تُخلَق محلاً للحِلال
خاب عبدٌ قد شراها بدلاً ... عن جنان ومقامات عَوال
فارْمِها من قبل ترميك ومِلْ ... عن مزاياها حرام أو حلال
إنما الدنيا عقاب أو حساب ... ليس تَسْوىٰ عند ذي العقل عِقال
فاز بالراحة من يتركها ... راحة الدنيا مع أهل الكمال
راحة الدنيا مع أهل الرضا ... غَنِموا بالأنس حالاً ومآل
فالزهادةْ والقناعه ما لُهم ... بختهم طوبىٰ لهم نعم الرجال
هم رجال الله فاْقْفُ إثْرَهم ... واْتَّبعهم في المقال والفعال
واحتَقِبْ زاداً بقاءً حسناً ... عُدَّهُ ذخراً لأهوالٍ طوال
والنجاةَ إن تردها إنها ... في خمول وسكوت واعتزال
فاتركِ الناس ومِلْ عنهم إلى ... ذكر مولاك الكبير المتعال
إن ذكر الله للقلب شفا ... إن ذكر الله للقلب صقال
إن ذكر الله خيرُما اْقتنىٰ الـ ... ـمرء في الدنيا وما حصَّلْ ونال
إن ذكر الله أُنس دائمٌ ... ما له عنك انفصال وارتحال
إن ذكر الله نورٌ وهدًى ... ما له في جملة الخير مثال
كل بِرٍّ شَرَعَ اللهُ إلى ... ذِكْر مولانا إذا حققتَ آل
يَذكُر الرحمٰنُ من يذكره ... وله يحفظُ في حال ومال
فاذكر الله مدى الدهر ولا ... تَعدِلَنْ عنه إلىٰ قيل وقال
فجليس الله من يذكرهُ ... هكذا عن ربه المختار قال

فـاْلـزَمِ الله وجـالِسْـه وكـن لســواه مــن جميــع الغَيْــر قــالْ

كـل مـا ألهـاك عـن كسـب التقـى فهــو لا شــكَّ بــلاء ووبــال

واحفــظ الأنفــاس لا تُنفِقُهــا غيـرَ فـي كسـب الفضـائلْ والمعـال

إن لَحْظـاتِـكَ لـو تعـرِفُهـا جـوهـرٌ أرفـعُ مـن عـالِ الـلآَّل

فتغـانـمْ وقتـك الفـائـتَ مـن قبـل يـأتيـك أوانُ الانتقـال

يـا لـه أمـرٌ مهـول مـزعـج لـك عـن مـالٍ وأهـل وعيـال

رب وفقنـا وسـددنـا لمـا تَـرضَـهُ منـا علـىٰ أحسـن حـال

واْختـم الأعمـال بـالحسنـىٰ ولا تُخـزِنـا فـي يـومْ نـأتـي للجـدال

وصـــلاةٌ وســـلام دائـــمٌ مـا حـدا حـادٍ ومـا سِـرْنَ الجمـال

تتغشـــىٰ أحمـــداً والآلَ والـ ـصحبَ ما مُزْنٌ هَمَلْ أو غصنْ مال

ولـك الحمـد إلٰهـي دائمـاً عــدَدَ القطـر وذرات الـرمـال

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

فاز المخففون في اليوم العظيم الطويلْ ... وخاب من كان وِزرُهْ فوق ظهره ثقيلْ

تراه في الحشر ما بين الخلائق ذليل ... يلوم نفسهْ ويُكثِر في البكا والعويل

يقول: هل لُهْ رجوعٌ أو مردْ أو سبيل ... فيا لها من ندامه دائمه ما تميل

وسوف يأوي مع الكفار شرَّ المقيل ... نيران فيها من التعذيب أمرٌ مَهيل

هٰذا لمن يعصِيَ الربَّ الكريم الجليل ... تراه مشغولْ عن دينهْ بِقالٍ وقيل

وهَمٍّ دنيا دنيَّهْ ما تساوي فتيل ... بالهَجْر والفجر يلفحْ مجتهدْ في هَشِيل

وليس لُهْ من جميع المال إلا القليل ... والباقي إلاَّ لغيرهْ نقدُهُ والنخيل

وهُوْ لُهْ اَلاَّ حسابهْ والعذاب الوبيل ... والخوف من كل ظالمْ مثل قاتلْ قتيل

شُغِلْ بماله عن العلم الشريف الفضيل ... ما يَعرِفُ الفرض واللازم وما يستحيل

ولا المحرَّمْ ولا المبطِلْ ولا ما الدليل ... ما يعرف اَلاَّ جرابُهْ والبِطَطْ والصَّمِيل

أو البقرْ والحراثهْ والعمل والنقيل ... أو في بَطالهْ ومنها الصبرُ يا صاح عيل

إن البطالهْ هِيَ أَرْدَأْ خَلَّةٍ[1] في الخليل ... طوبىٰ لمن كان شغلهْ كلَّ فعلٍ جميل

عبادةُ الله همُّهْ بكرةً والأصيل ... يتابِعِ ٱلشرعْ في فعلٍ وتركٍ وقيل

وقد تركْ كلَّ شغلٍ عن إلٰههْ يَحِيل ... يؤدِّي الفرضْ بالوجه الصحيح البجيل

ويترك الإثم كلهْ جُلَّهُ والدقيل ... هٰذا له الفوز بالجنهْ وظلٍّ ظليل

شرابها الخمر والكوثرْ مع السلسبيل ... يا رب يا رب يا معطي العطاءِ الجزيل

اِختم بخيرٍ ووفق عبدك المستقيل ... وصل ربي على الهادي النبيِّ النبيل

والآل والصحبْ تعدادَ الشجر والنخيل

* * *

---

(١) بمعنىٰ أنها خَلةٌ أو خصلة رديئة .

وقال رضي الله عنه : رأيت في المنام أني أنشد هٰذا البيت وأحدو به ولم أكن سمعته قبل ذلك وهو :

بـالله يـا طـالـب التقـوىٰ ونيـل القبـولْ خذ لك من الناس في جانبْ وخل الفضولْ

فذيلت عليه أبياتاً فقلت :

بـا الله يـا طـالـب التقـوىٰ ونيـل القبـول خُذْ لكْ من الناس في جانبْ وخل الفضول
ولازم الذكرْ والفكرْ إنْ أردتَ الوصول ودُمْ عليهـا فـلا نـال المعـالـي مَلـول
ولا الذي عن علوم الدين لا هِيْ غَفُول عليك بالعلم خذ لكْ من علوم الأصول
وخذ من الفقهْ ما تَرشُدْ به يا جَهول واجعل علوم التصوفْ شرعها والنقول
فَنَّكْ وشأنكْ وكن بالعلم عاملْ فَعول لا تحسب العلم يا مغرورْ تُحسِنْ تقول
وإن أردت السلامـهْ مـن زمـان الكُلـول فـإنهـا في القنـاعـهْ والـرضـا والخمـول
وترك ما ليس يعني من فِعالْ أو مقول فاصمت إذا شئت تلحقْ بالرجال الفحول
واقتَدْ بأهل المعارف والحِجا والعقول وجانب الناس بالمَرَّهْ تنل كل سول
وأقْرَ القرآن الذي أُنزِلْ وقول الرسول واحـذر وإيـاك مـن دنيـا قـريبـاً تـزول
فحُبُّهـا للخطـايـا رأسهـا والـرجـول مُحِبُّهـا فـي الكـدر والهـم دائـمْ يجـول
وسـوف ينـدمْ إذا حـان السفـر والقفـول ولا يفيـد التنـدمْ فـاستفـق يـا ضَلُـول
وارجع إلى الله بالتوبه وصدق الدخول في سيرة القوم من قبل القواطع تحول
خذها نصيحه وكن في الخير مسرعْ عَجول ما أدري وَرَا القلبْ ما يسمعْ لما لُهْ أقول
قاسيْ وناسيْ تقَضَّىٰ وقتُهُ في الذهول يا رب نسأَلَكْ توبه صادقه والحلول
في جنة الخلد مَعْ طه النبيْ والبتول صلـىٰ وسلَّـمْ عليـهِ الله عَـدَّ السيـول

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

أيهـــا الشخـــص العَقـــولُ ... استمــع مـــا لَـــكْ أقـــولُ
جنـــة الـــدنيـــا الخُمـــول ... وجهنَّمْهـــا الفَضـــول
فـــي مَقـــالٍ أو فعـــال ... فـــالحـــذر نحـــوهْ تجـــول
لا تجـــي مـــا ليـــس يَعنـــي ... أو تـــــراهُ أو تقـــولُ
أوْ لَـــهُ تسمـــعُ شيئـــاً ... إنـــه هـــولٌ مَهُـــول
إنـــه ضـــرٌّ بحـــال ... ولـــهُ بَعْـــدُ قفـــول
يـــا إلٰهـــي ومليكـــي ... يـــا كـــريـــمُ يـــا جليـــلُ
فـــأدرك أدركنـــي إلٰهـــي ... إن قلبـــي لعليـــل
إننـــي عبـــد فقيـــر ... وحقيـــر وذليـــل
ضـــاع عمـــري فـــي معـــاصٍ ... ودنـــا منـــي رحيـــل
نحـــو قبـــر ثـــم حشـــر ... سفـــرٌ عَسِـــرٌ طـــويـــل
ضـــاق صـــدري عِيـــلَ صبـــري ... فُـــكَّ أســـري يـــا جميـــل
أصلـــح امـــري شـــد أزري ... أُمْـــحُ وزري يـــا دليـــل
واهـــدنـــي لسبيـــل طـــه ... إنـــه نعـــم السبيـــلُ
واختـــم العمـــر بخيـــر ... حيـــن يـــأتينـــي الـــرســـول
وصـــلاة الله تتـــرى ... وســـلامٌ لا يحـــول
يَغشَيَـــانِ خيـــرَ هـــادٍ ... مـــن لـــه مجـــد أثيـــل
وعلـــىٰ آل وصحـــب ... مـــن فضـــائلهـــم تطـــولُ

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

حصحـص الحـق يـا فـلانْ ... بـالمسيـرِ وبـالـرحيـلْ

وأيقـن القلـب والجنـان ... بـالمصيـر إلـى الجليـل

كيـف لـي صـاحِ بـالأمـان ... مـن وبـا ذنبـي الثقيـل

يـا إلٰهـي وسيِّـدي ... ارحـم المـذنـف العليـلْ

وأمـحُ يـا رب زلتـي ... واعـف عـن عبـدك الـذليـل

واكفنـي مـا أَهمنـي ... وأكسُنـي ستـرك الجميـل

حسبـيَ الله خـالقـي ... لسـت أبغـي بـه بـديـل

قـد كفـانـي بفضلـه ... عـن حميـم وعـن خليـل

ربِّ أسـألْـكَ يـا كـريـم ... فضلـك الـوافـر الجـزيـلْ

أعطنـي ربـيْ مطلبـي ... دِقَّـهُ[1] ربـي والجليـل

لا تبَـقِّ ولا تـذرْ ... ربِّ مـن مطلبـي فتيـل

إننـي تحـتَ بـابكـم ... لسـت عـن بـابكـم أَحِيـل

قـاصـدُ اللهِ لا يَخيـب ... خيـرِ مَـن أكـرم النـزيـل

واختـم العمـر سيـدي ... عنـدمـا يـدنُـوُ الـرحيـل

بـالـوفـاةِ علـى الهـدى ... ملـةِ الهـادِي الـدليـل

لـي وأهلـي وكـلِّ مـن ... صـار قلبـي لَـهُ يميـل

والصـلاة مـع السـلامْ ... عـددَ الـزرع والنخيـل

دائمـانِ علـى النبـيْ ... فـي البكـور وفـي الأصيـل

وعلـىٰ صحبـه الـذي ... بـذلـوا الـروح فـي السبيـل

وعلـىٰ آلـه الـذي ... جـاء فـي فضلهـمْ دليـلْ

---

(١) أي الدقيق أو الصغير .

فـي الكتـابِ وفـي الحـديـثْ فـــاتخِــذْ حُبَّهــمْ خليــلْ
جنـــــة تتقـــــي بهـــــا مــن كُــرَبْ يــومـك الطـويـل
ولـــك الحمـــد ربَّنـــا دائمـــاً والثنـــا الجميـــل
حمـــدَ عبـــدٍ مقـــرٌّ بـــالنـ ـقـص فـي الشكـر عـن فتيـل

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به هٰذه الأبيات لما وردت عليه أبيات من الشيخ العارف العالم الرباني عبد الله بن سعد بن سمير نفع الله بهما ، آمين :

الحمد لله مسعفْ كلِّ سّائل بِسُولْ ... وغافرِ الذنب للعبد الظلوم الجهولْ

وقابل التوب ممن تاب قبل الأفُول ... ومبتديْ بالعطايا الجم من غير حَوْل

ولا وسيله ولا حيله سوىٰ محضْ طَوْل ... ربّـاك غـذّاك بَقّـلْ لـكْ فنـون البقـول

وأعطاك علماً وأعمالاً وتُحسِنْ تقول ... تَسمعْ وتُبصِرْ وتمشي يا فتىٰ بالرجول

أَظهَرْ جميلكْ وارْخَىٰ فوق قبحكْ ذيول ... تأكلْ وتشربْ ويخرج وأنت ذاهل ذهول

وكمْ نِعَمْ والعُبَيدُ الخامّْ عنها غَفول ... مـا يعـرفْ إلاَّ أنَّـهُ يـأكـلْ وأَنُّـهْ يبـول

يأكل لِنُورَهْ مَعَ فوفَلْ وسَطْ تانبول ... يشكي ويسخطْ وأصناف النعم بهْ تزول

وذِهْ ذنـوبٌ كبـائِـرْ عنـد أهـل العقـول ... كن عبدْ مملوك راضي وأيشْ لكْ من فضول

الزم لخدمتكْ واسمع ما إلـٰهكْ يقول ... يا رب يا رب امنن بالرضا والقبول

والعفـو عنـا وعـن أولادنـا والأصـول ... ومن طلبْ للدعا منا فصِلْ يا وصول

واغفر وسامح وبرِّدْ للوَهَجْ والكلول ... وامنن بتوبه صحيحه قبل حايلْ يحول

وأَصلح القلب تَصلُحْ بهْ جميع الفصول ... يَشغَل بيَدِّهْ ويترك كل ما هو فضول

ولا تفتِّش علىٰ من جا بصُورَهْ حمول ... وأدخله يا رب يا ستار بين العدول

وٱختم بخيرٍ إذا حان السفر والقفول ... بجاه طه وآلِهْ والصحاب الفحول

عليه صلىٰ إلـٰهي ما جرين السيول

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين ، آمين :

قَلَّتِ الراحة في هٰذا الزمنْ ... إن بقي شيءٌ يكن بطن الخمولْ
والمتاعبْ والمخاوفْ والحزَن ... كلها بطن المظاهرْ والفضول
إن تُردْ كل المواهب والمنن ... فاتَّبِعْ سنةَ سيدنا الرسول
واترك الناس ومِلْ عنهم وعن ... كل ما هم فيه تظفرْ بالقبول
وبهِ يبقىٰ لك الظن الحسن ... وبه تسلَمُ من جهل الجَهول
وبه تُحفَظُ من شر الفتن ... وبه تُحرس من هول المهول
واطلبِ العلمَ وخذ من كل فن ... منه ما استحسَنَهُ أهل العقول
والعمل بالعلم مشروطٌ لمن ... يبتغي القرب ويطلبْ للْوصول
والزم الذكر بسركْ والعلن ... تُحفَظُ الآن وفي حال القفول
جالبٌ للنور مُذهِبٌ للدرن ... قائدٌ للخير موصلْ كل سول
يُؤْنِسَكْ في حين موتك والكفن ... وكذا في القبر فاذكر يا غَفول

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به مشيراً بهٰذه الأبيات إلى السيد أحمد السقاف :

أحمد السقاف إن شئت الوصالْ ... والظفر بالسُّولْ حالاً ومَآلْ

احمَدِ الله مدى الدهر على ... كل ما تلقاه من مُرٍّ وحال

واعلم أن الخير كلّهْ في الرضا ... والسخَطْ هوُ في السخَطْ شر الخصال

واتقِ الله ففي التقوىٰ خُبِيْ ... كلُّ خير وهْيَ مطلوب الرجال

واطلبِ العلم ففي العلم الهدى ... وبه تُنقَذُ من كل ضلال

نِعْمَكَ الخِلُّ الذي ما مِثْلهُ ... يهدِي الخلَّ إلىٰ خير الخلال

واعمَلَنْ بالعلم تدعىٰ عالماً ... وبه تَسعَدْ وترقىٰ للكمال

ثمرات العلم أعمالُ التَّقِيْ ... إن عَدِمْها فهْوَ حُجَّهْ ووبال

واحذرِ الكِبْر وأَخْواتٍ له ... تُحبِطُ الأعمال توجبْ للنكال

واترِكِ الناس ومِل عنهم ففي ... ذا الزمنْ فرضٌ عليك الاعتزال

لا تخالط يا فتىٰ إلاَّ لِمَا ... لا غنىٰ لكْ عنهُ من دِينٍ ومال

واحذر العادات لا تَقْربَها ... إنها سُمٌّ به داءٌ عضال

واترك الدنيا فلا تطلبْ بها ... غيرَ سَتْر الحال من مال حلال

واغتنم عمرك من قبل الفَنا ... واغنم الصحة من قبل الكلال

صحح النية من قبل العمل ... إنما النيةُ روحٌ للفعال

وأخلِصِ الأعمال لا تقصُدْ سوى ... وجهِ مولانا الكبيرِ المتعال

وتواضَع وافْنِ عن كل السِّوَىٰ ... واكسَبِ الخير لأيام طوال

واتَّبِعْ هدي النبي المصطفى ... في اعتقادٍ وفعال ومقال

خذ بهِ واعمل بهِ واسلك بهِ ... كلُّ شيءٍ غيرُهُ فهوَ ضلال

وأصحَبِ الرفق ولا تعدلْ به ... فهو كاللطف به الخيرُ ينال

واحذر الخَرْقَ وما أشبهَهُ ... فهو كالعنف مثير للجدال

جـالـسِ العُقَّـال واعقِـلْ عنهـمُ حِكَماً فـاقـت علىٰ غـالـي الـلآّلْ
حَسَـنُ الأخـلاق يحيـا سـالمـاً ومعـافـىٰ مـن معـاداة الـرجـال
وسِّـعِ البـال وطـوِّلْـهُ فقـد فـاز بـالخيـرات مَـن بـالخُلْق طـال
واعـرفِ الـوقـت وكـن قـرمـاً ولا تُهمِـلِ الحـزم فتنَشَـبْ فـي الحبـال
يكفِـي الإنسـان مـا قـد ذاقَـهُ أو رآه إن يكـن صـاحـبَ بـال
واذكـر الـرحمـٰن يـذكـرْك وفـي ذِكْـرِهِ غـرسٌ تجـدْهُ فـي المـآل
وعـذاب الله لا أنجـىٰ لنـا منه مِن ذِكْر المهيمنْ ذي الجلال
والصـلاةَ فـي الجمـاعـةِ أدِّهـا أوّلَ الـوقـتِ علـىٰ أكمـل حـال
والصـلاةُ خيـر مـوضـوعٍ أتـى عـن رسـول الله فـي إسنـادْ عـال
وٱحفـظ القـول فمـا كَـبَّ الـورى فـي جهنـم غيـرُ أقـوال رذال
فٱصمُتِ ٱسكتْ لا تقل شيئا سوى قـولِ خيـرٍ يـرتجـىٰ منـه نـوال
واذكـر المـوت عسـىٰ تعمـلْ لـه عمـلاً ينجيـك فـي يـوم السـؤال
وٱقصِـرِ الآمـال لا تبسُطَهـا إنـه آتيـك يـومـاً لا محـال
واسـأل الـرحمـٰن دأبـاً سـرمـداً وتـذلـلْ فـي تضـرعْ وابتهـال
وافتقـارٍ وانكسـار دائمـاً للعظيـمِ ذي الجـلال والجمـال
ربنـا يـا ربنـا ٱغفـر ذنبنـا واعـفُ عـن أوزارنـا الجَـمِّ الثقـال
وٱصلِـحِ القلـب ليَصْلُـحْ أمـرنـا كلُّـهُ دنيـا وأخـرىٰ بـالكمـال
إن قلبـي قـد عـراه سَقَـمٌ وَلَهَـا عـن طلـب الخيـر ومـال
هـب لنـا نـوراً وعقـلاً كـامـلاً وافـراً نبلُـغْ بـه أعلـى المعـال
وقنـا الأسـوا وجنِّبنـا الهـوى واجعـل التقـوىٰ غِـذانـا والـزُّلال
واختِـمِ العمـر بخيـر وقنـا فتنـةَ القبـر وثبِّـت فـي السـؤال
رب ثبتنـا علـىٰ ديـن النبـي خيـرِ خلقـكْ أحمـدٍ مـولـىٰ بـلال
صلـوات الله تغشـاه وتغـ ـشـى النبييـنَ وأصحـابَ وآل
وسـلام الله فـي كـل نَفَـسْ عـدد الأنفـاس مـا دُمْـنَ الليـال

ولـــك الحمـــد إلٰهـــي دائمـــاً   عـــدد النَّعمـــاءْ ومـــا سِـــرْنَ الجمـــالْ

وادعُ لـــي أَحمـــدْ عســىٰ أُحمَـــدْ غـــداً   يـــومَ لا ينفـــع مـــال أو عيـــال

غيـــرَ مَـــن يـــأتـــي بقلـــب طـــاهـــر   وسليـــمٍ هٰكـــذا قـــال تعـــال

* * *

وقال رضي الله عنه :

يـا طبيـب القلـوب قلبـي عليـلُ ... يـا دليلـي مـا لـي سـواك دليـلُ
يـا غيـاثـي ويـا مـلاذي وعـونـي ... أنـت حسبـي وأنـت نعـم الـوكيـلُ
أنــت أعلــمْ بحــال قلبِـيَ منـي ... أنــت نعـم النصيـر نعـم الكفيـل
أصلح الحـال جمِّل الحال واستر ... يـا الـذي فضلـه علينـا جـزيـل
قـد سترت القبيـحَ فضـلاً وأظهـر ... ت الجميـل فمـا سـواك جميـل
شـأنِـيَ النقـص والإسـاءة وصفـي ... حـالِـيَ العجـز لسـت عنـه أميـل
ففِـيَ العيـب كلُّـهُ فـاستـرونـي ... وارحموني من قبلِ يبدو العويل
رب تـوبـاً تـوبـاً نصـوحـاً نصـوحـاً ... خـالِصَـهْ صـادقَـهْ لقـربـكْ تُنِيـل
قبـل يـوم يضيـق فيـه احتيـالـي ... منه كيـف الخـلاص كيـف السبيـل
حــالــه كلُّــه مَهُــول عظيــم ... كــل خِــلٍّ يفــرُّ منــه الخليــل
يــا إلٰهــي أدركنــي إنــي فقيــر ... مــدنــف مشـرف وذنبـي ثقيـل
مُثقَلُ الظهـر بـالـذنـوب ومـا لـي ... مــن مُعيــنٍ إلاَّ الغفــور الجليــل
ليــس لــي غيــرُهُ ولســت ببــاغ ... غيــرَهُ مــا بــه تعــالــىٰ بــديــل
قــد أيسـت مـن الخـلائـق طـراً ... وأنــا تحتَكُــمْ طــريــح ذليــل
فــاغفـروا لـي وجمِّلـونـي ومُنُّـوا ... وعلَــيَّ بعَثْــرتــيْ فــأقيلــوا
واختِـمِ العمـر يـا إلٰهـي بخيـر ... حيـن يـأتـي قفـولنـا والـرحيـل
واعـف عنـي وعـافنـي واقـض عنـي ... مــا علــيَّ وقــل أنــا بِــهْ كفيــل
رب إنــي ظلمــت نفســي كثيـراً ... مــا لظلمــي فِــيِ الأنــام مثيــل
اقتـرفـتُ ومـا اعتـرفـت ولـو أنـ ... ــي اعتـرفـت صـدقـاً لبـان دليـل
مـن خشـوع ومـن خِضـوع وخـوف ... وانكســار ومــن دمــوع تسيــل
وفــرارٍ مــن الأنــام وتــرك ... للــذي عنكــمُ يعــوق أو يحيــل
وتــلافٍ لكــل فعــل فضيــل ... واجتهــاد لمــا لــدائـي يـزيـل

فعسىٰ نظرةٌ وصفح جميلٌ ... لا بكسبي فإن كسبي قليل
وصلاةٌ على النبيْ وسلام ... ما همى المزن واستقام النخيل
وعلىٰ آله الكرام وصحبهْ ... سادةٍ مجدهم أصيل أثيل
ولك الحمد يا إلٰهيَ حمداً ... لا يُحَدُّ وليس يحصيه قِيل

* * *

وقال رضي الله عنه مشيراً بهٰذه الأبيات إلىٰ سالم عوض باحويرث :

سالم عوض باحويرث بالسلامه وَصَلْ ... لقىٰ قصيده عجيبه ما لها من مَثَلْ
الله يوفقه وأيانا لأَحسَنْ عمل ... ويغفر الذنب مولانا لنا والزلل
تعلَّم العلم يا سالمْ لتُكفىٰ الخطل ... واحذر بلا علمْ تُفتِي كن عظيم الوجل
احذر تثبَّتْ توقَّفْ من فسادْ آوخلل ... لا تُفتِ إلا بعلمٍ سالمٍ من عِلل

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا ببركاته في الدارين ، آمين :

كُفُّوا السؤالَ عن الزمان وأهله ... لا تسألوا لا تسألوا لا تسألوا
لا تَشْغَلوا عن بُدِّكم بفضوله ... لا تشغلوا لا تشغلوا لا تشغلوا
وتيقظوا وتعلَّموا ثم اعملوا ... لا تغفلوا لاتغفلوا لا تغفلوا
هٰذا المنادي كلَّ يوم صارخاً ... هيا ارحلوا هيا ارحلوا هيا ارحلوا
إن الممات مآلُكم ومصيركم ... وكأنكم لم تؤمنوا أو تعقلوا
لا تَشْغَلوا بالرزق عن رَزَّاقكم ... وثقوا بصدق ضمانه وتوكلوا
وكتابَ « إحياءٍ » لنا فتعلموا ... وتفهموا ما قاله ثم اعملوا
إن شئتمُ الكنز الذي ما مثله ... فجميعَ وقتِكُمُ بدرسهْ فاشْغَلوا
أو شئتم النفحاتِ تغشىٰ لُبَّكمْ ... فاصغُوا إلىٰ أحكامه وتأملوا
أو شئتمُ لضمانةٍ من عارف ... فلِنَسْخِهِ أجزاءْ كُلَّهْ حصلوا
أو شئتم الحسناتِ تجري بعدكم ... فعلىٰ إشاعته ووقفِهْ عوِّلوا
ميراث كل المرسلين به الذي ... قد شُرِّفوا وعلى الخلائق فُضِّلوا
فيه اعتنوا يا طالبيْ ميراثِهم ... وتبحروا في علمه وتغلغلوا
وارموا كلام العاذلين وراءكم ... إن كَثَّروا في عَذْلهم أو قللوا
وتعرضوا للفضل من فضل الذي ... قد قال ما معناه من فضلي اسألوا
يا ربنا يا ربنا يا ظاهرٌ ... يا باطنٌ يا آخر يا أول
هب لي وهب للمسلمين مواهباً ... لا تُحتصَىٰ أو تنقضي أو تُعقَل
إني لِيَ الظنُّ الجميل بفضلكم ... ما لي عملْ ما لي سواه مَعقِل

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به :

مـن عـرَفْ يـا نـاس حـالـي ... لـم يلمنـي فـي اعتـزالـي

والـذي لـم يـدر حـالـي ... شـا يعنِّـفْ فـي المقـال

فليقـل مـا شـا فـإنـي ... عنـه مشغـولٌ بحـالـي

يـا عظيـمَ الفضـل يـا مـن ... شـأنُـه فيـض النـوال

اِهـدنـي للخيـر وأصلـح ... يـا كثيـر المـن بـالـي

واختـم العمـر بخيـر ... ثـم ثبـت لـي مقـالـي

عنـدمـا يـأتـي نكيـر ... لاختيـاري وسـؤالـي

إن لـي رجـوىٰ عظيمـاً ... فيـك يـا مـولـى المـوالـي

محـض جـود محـض فضـل ... لا بحـولـي واحتيـالـي

لا بفعلـي لا بقـولـي ... قـد يئسـتُ مـن فعـالـي

إن أعمـالـي هبـاءٌ ... كلهـا تُـوجـبْ نكـالـي

فـاْغفـرِ اصفـح واعـف عنـي ... تـب علَـيْ يـا ذا الجـلال

تـوبـةً خَلْصـاءْ نصـوحـاً ... تـوبـةْ أصحـاب الكمـال

وكـذا أهلـي وودِّي ... والقـرابـةْ والعيـال

يـا كـريمـاً يـا رحيمـاً ... يـا جـواداً لا يبـالـي

هـب لنـا عقـلاً ونـوراً ... وعيـاذاً مـن ضـلال

واتبِّـاعـاً لنبيـكْ ... فـي اعتقـاد ثـم حـال

وفعـال ومقـال ... بـل وفـي كـل الخصـال

فعليـهِ الله صلـى ... وعلـىٰ صحـب وآل

وسـلامٌ كـلَّ حيـن ... مـا حـدا حـادي الجمـال

ولـك الحمـد إلٰهـي ... عَـدَّ ذرات الـرمـال

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

يا من عوائدكَ الجميل يا ربّْ ... نســألُــكْ تستــر يــا جميــلْ
إليــك ربــي ملجئــي ومهــربْ ... يــا رب يــا معطــي الجــزيــل
وأنــت مـن كـل قـريـبْ أقـربْ ... أدرك لمـــن ذنبـــهْ ثقيـــل
دُعــاك ربــي لــي أعـزُّ مشـرب ... فــاعطِـف علـى العبـد الـذليـل

بيت

يـا غـافـر الـزلات والـذنـوب ... والإثـــم والـــوزر العظيـــمْ
أسـألْـكَ تغفـرْ يـا غفـور حـوبـي ... وجُـــرمِـــي الجـــم الجسيـــم
أشكو إليكْ يا رب من عيوبي ... قلبـــي بهـــا أمســـىٰ سقيـــم
فأصلح فؤادي ربِّ قبل يخرب ... وأدرِكِ الـــدَّنِـــف العليـــل

بيت

وامنـن بتـوبـه صـادقـه صحيحـهْ ... تَصُلـــحْ بهـــا كـــل الأمـــورْ
تمشــي بهــا أحــوالنــا مليحــه ... وتنـــدفـــعْ كـــل الشـــرور
ولا نـــرىٰ عـــاراً ولا فضيحـــه ... وليـــس يُغـــوينـــا الغَـــرور
مـا نغبـط إلاَّ مَـن لكـم تقـرَّبْ ... بـــالعلـــم والفعـــل الفضيـــل

بيت

واسلك بنا شرعَ النبيْ المكرَّمْ ... ذي الخَلْـق والخُلُـق العظيـمْ
نسيـرْ فـي ذاك السبيـل الأقـوم ... علـــى الصـــراط المستقيـــم
عسىٰ فِي اليوم العظيم الأعظم ... نـــأتيـــك بـــالقلـــب السليـــم
في ظل من هو عندكم مقرب ... ذاك النبـــيْ الهـــادي الجليـــل

* * *

وقال رضي الله تعالىٰ عنه ونفعنا به في الدارين ، آمين :

راحت الراحات أجمعْ — ما بقي إلاَّ الخمولْ
وانفرادٍ واعتزالٍ — وانزواء وذبول
واشتغل بالدين جهدكْ — ما سوىٰ هٰذا فضول
هكذا جاءت نصوصٌ — هكذا جاءت نقول
وأتت آثار جمهْ — وكذا الشارع يقول
إن ترىٰ شُحاً مطاعاً — وهوىً فيهم يصول
وترىٰ كلاًّ برأيهْ — معجباً بهْ لا يحول
فاشتغل عنهم بنفسك — وبمن منهم تعول
ودع الغير وذرهم — لا تقل كيف يقول

* * *

وقال رضي الله عنه : هٰذه الأبيات قلتها تسلياً وتروحاً عند ورود بعض المشوشات :

الهـــــاشمـــــــي قـــــال	إنـــي لاهـــل وقتـــي قـــال
بـــــاْشبـــــعْ تفِنْقـــــال	واتـــركْ قِيلَهــــمْ والقـــال
ليـــــش أحمــــل أثقـــال	مـــا بـــاْحْمـــل ولا مثقـــال
إن التِّهقَّـــــــــــــــــال	مـــا هـــوْ شيمـــة العُقَّـــال

بيت

شـــا بـــاْتْـــرك النـــاسْ	تـــاجـــرْهـــم مـــع الكنـــاس
مـــا فيهـــم إينـــاس	بـــل هـــم جـــانـــب الخنـــاس
فكـــن لهـــم نـــاس	إلاَّ بعـــض مـــن الأجنـــاس
تنـــــال أحـــــوال	لا تتـــرك تصبـــك أهـــوال

بيت

ذا وقـــت يـــا صـــاح	ممـــا بـــهْ فـــؤادي صـــاح
خـــذ قـــول نَصَّـــاح	لا سكـــرانْ بـــل هـــوْ صـــاح
أفصحـــت إفصـــاح	هـــل مـــن يسمـــع الإنصـــاح
فكـــن لهـــم مـــال	ينـــدم مـــن إليهـــم مـــال

بيت

شـــا بَـــاْلْـــزَم الـــدار	مـــا بـــاْخْـــرج أنـــال أكـــدار
قـــد رِزْقنـــا دارٌّ	دايـــرْ حيـــث شخصـــكْ دار
فكـــن بـــذا دار	يـــا ذا دارِ[1] قلبـــكْ دار

---

(١) قوله : (دار) الأولىٰ أراد بها استمرار الرزق ، والثانية أراد بها الدوران والسعي ، والثالثة أراد بها الدراية والمعرفة ، والرابعة أراد بها المداراة .

وأصلِحِ البال | لا يمسي فؤادك بال

بيت

يجمَعْهمُ طار | ومَعْ ذلك لهم أوطار
فافرح بمن طار | منهم لو معهْ قنطار
واطلب لأَ مطار | في عزلتك مع إعطار
من محض إفضال | ذي الإحسان والإفضال

بيت

إن تطلب الهمّْ | كلّهْ يا فتىٰ والغم
وكربك الجم | ذي يبقىٰ ولا ينْتَمّْ
والإثم والسم | في دينك وذهْ معْ ثَمّْ
تَسَمَّعْ أقوال | أهل الوقت والأحوال

بيت

لأنها أوزار | فيها الضرر والاضرار
والزور والعار | والآفات والأكدار
والخزي والنار | هل يرضىٰ بذا الأخيار
يا بخت من مال | عنهمْ فاز بالآمال

بيت

إن قلت بالخيرْ | قالوا لُهْ مَطالبْ غيرْ
أو مَسَّهم ضير | جعْلوا غيرهم له طير
ما ساروا السير | ذي ساروا بهْ أهل الخير
يا رب يا وال | سلِّمنا من الأهوال

بيت

ذا فصل والشان | بانطلب عظيم الشان

أن يصلـــــــح الشـــــــان يكفـــي حـــاســـدي والشـــان
تختـــــم بـــــإيمـــــان لـــــي والأهـــل والإخـــوان
تكـــــون فـــــي حـــــال مـــا نحشر علىٰ أحسن حـال

بيت

يـــــا فـــــرد قهـــــار اكـــف الشـــر والأشـــرار
وكـــــل جبـــــار قَصِّـــرْ شَـــرَّهُ قِصَّـــار
وكـــــل نَصَّـــــار للشـــرع انصـــره يـــا بـــار
مَنّـــــاً وإفضـــــال يـــــا ذا الجـــود والإجـــلال

بيت

وصـــلِّ ســـرمـــدْ وسلِّـــمْ كلمـــا غـــرد
قُمْـــري علـــىٰ أحمـــد وآلِـــهْ مـــا سحـــاب انجـــد
لله تَحمَـــــــــــد علـــىٰ إحســـانْ لا يَنْعَـــد
بخـــــط أو قـــــال جـــل الـــواحـــد المتعـــال

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه :

الحــذرْ كــل الحــذر كــل الحــذر	من دخولكْ يا فتىٰ في ذا الفضولْ
مــن مقــالٍ أو سمــاع أو نظــرْ	لا تجــرب واستمــع مــا لــكْ أقــول
إن فيـــهِ كـــل محظـــورٍ وشَـــرْ	فالحذر منه الحذر يا أهل العقول
والــذي يعنيــكَ فــاعْــنِ بــهْ وذر	مــا ســواه لا تجــي نحــوهْ تَجُــول
والعــوافــي والسلامــه مــن ضــرر	فــي سكــوتٍ واعتــزال وخمــول
والتُّقَــىٰ فيمــا بطــنْ أو مــا ظهــر	فَبِهــا تبلــغْ مقــامــات الفحــول
وبهــا تسْلَــمُ مــن كــل كــدر	وتنــالُ كــلَّ مطلــوبٍ وسُــول
والظفــرْ كــل الظفــر كــل الظفــر	في اتّباعكْ للنبيْ الهاديْ الرسول
في جميع الأمرِ مِن وِرْدْ أو صَدَرْ	مــن فعــالٍ واعتقــاد ومقــول
ذا بــإجمــالٍ وقــولٍ مختصــر	ثــم إن شئــتَ تفــاصيــلَ الجمــول
فهيَ في « الإحيا » بذا العِلم اشتهر	هكــذا قــال المحبــون العــدول
أوليــاءُ الله فــاْتْبَــعْ فــي الأثــر	لا تَمِلْ عن سِرْبِهم أدنىٰ عدول
واذكــرِ الله وذر كــل البشــر	لازم الــذكــرَ بسَيْــرٍ ونــزول
ذاكـــرُ الله لَـــهُ اللهُ ذَكَـــرْ	وجليــسُ الله مــن يــذكــرْ يقــول
إن فضــل الــذكــر جــاءَ فــي الســور	وبــه الأخبــار جــاءت والنقــول
فــاْلــزَمِ الــذكــر تنــلْ مــا لا خطــر	في قلوب الناس في حين القفول
وصـــلاة الله تعـــداد المطـــر	مــا بــرقْ بــرقٌ ومــا سِلْــنَ السيول
تتغشــى المصطفــىٰ صفــوةْ مضــر	مــن هــدى اللهُ بِــهِ كــم مــن جهــول
وعلـــىٰ آلٍ وأصحـــاب غـــرر	وعلــى الأزواج والبنــت البتــول
ولــربــي الحمــدُ تعــداد المطــر	والنِّعَمْ مــا هــب ريحٌ فــي الفصــول

* * *

وقال رضي الله عنه : الحمد لله هـٰذه أبيات قلتها لما وصل خط من المدينة المنورة من السيد الشريف عمر بن عبد الله الجفري نفعنا الله بهما سنة (١٢٦٤هـ) ألف ومئتين وأربع وستين هجرية :

يـا عمـر إنْ زرت سيدنـا الـرسـولْ ... وكـذا الشيخيـن والـزهـرا البتـولْ

وبقيـع الغـرقـد المشهـور ذي ... فيه أهل البيت والصحب الفحول

سلِّمـوا عنـي وزوروا واذكـروا ... مَـن ذنـوبـهْ قيـدتْـهُ بـالكُبـول

وارحَمـوني وٱسعفـوا لـي تؤجَـروا ... وارتجـوا من فضـل مولانـا القبول

وإذا زرتـم قُبَـا أو أُحُـداً ... فهَبُـوا لـي وفـروعـي والأصـول

دعـوةً صـالحـة جـامعـة ... تَجمَـعُ الخيـرات تَشمَلْهـا شمـول

ولكـم مثـلُ الـذي تـدعـون لـي ... جـاءَ فـي الأخبـار هـٰذا والنقـول

ثـم ذَكِّـرْ زيـنْ بـاعلْـوي بنـا ... وكـذا هـاشـمْ ومَـن ثَـمَّ حلـول

مـن محـبٍّ أو رحيـم مشفـقٍ ... حَـلَّ في تلـك المـواطـن والطلـول

يـرحـمُ المسكيـن يـرثـي للـذي ... ضـاع عمـرُهْ فـي ذنـوب وفضـول

يـرتجـي منكـم دعـاءً صـالحـاً ... يـدفـعُ المكـروه يجلـبْ كـلَّ سُـول

وصـلاة الله تغشـى المصطفـى ... مـا همَـىٰ المزن ومـا سِلْـنَ السيـول

وعلـىٰ آلٍ وأصحـاب لَـهُ ... وعلـى التـابـع فـي وِرْدْ أو قفـول

وسـلام الله يغشـاه ويغـ ... ـشاهُـمُ مـا سِـرْنَ عِيـسٌ بـالحمـول

ولـك الحمـد إلـٰهـي والثنـا ... ولـك الشكـر بـأحسَـنْ مـا نقـول

وادع لـي يـا عمـر الجفـريْ عسـى ... نفحـةٌ تـأتـي بمـا فـوق العقـول

مِـن قِـرىً ليسـت علـىٰ قلـبِ بشـر ... يـا عمـرْ تخطُـرْ ولا فيهـا تجـول

نسـألُ الـرحمـٰنَ لـم نسـأل بشـر ... لم يَخِبْ من يسألِ البَرَّ الوَصول

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته في الدارين ، آمين :

الحمــد لله لا سيبــي ولا حــولــي ... لا نا على الناس لاقاضي ولا والي

إلاَّ أنِي أَنصحْ لمنْ بايستمعْ قولي ... فإنْ أبىٰ ذاكْ، لُهْ حالُهْ ولي حالي

يا رب يا رب يا ذا الفضلِ والطَّوْلِ ... اغفر ذنوبي واَصْلِح بالِيَ البالي

* * *

وقال رضي الله عنه :

عســىٰ عســىٰ نفحــةُ الــرحمٰــنْ ... تــأتــي مــن الــواحــد الــوالــي

فضــلاً مــن المُفْضِــلِ المنــان ... تَصْلُــحْ بهــا كــل أحــوالِ

فــي القلــب والجســم والأركــان ... والحــال والفعــل والقــالِ

والــوُلْــدِ والأهــلِ والإخــوان ... والجــار والعــم والخــال

* * *

وقال رضي الله عنه : هٰذه الأبيات نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم :

شرُّ المذاهبْ مذهب القبائلْ ... يقتلْ بريْ من غير ذنبْ غافلْ

وعادْ أشيا كلها رذائل ... حرامْ سحتٌ ما لها مَحامل

في الشرعْ يَلقاهُ لها يقاتل ... فرحانْ ما يرجعْ لقول قائل

قبيلتُهْ في الظلم لُهْ تجادل ... ما تُنكِر المنكرْ ولا تناضل

هل يرتضي ذا الفعلْ شخصْ عاقل ... لا والمهيمنْ لو يكون جاهل

ما يعرف الواجبْ ولا الفضائل ... فاحذر تجيهم أَوْ لَهُم تخالل

ومن يشابههمْ فِي ٱلشمائل ... لا بد ما يدخلْ فِي ٱلمداخِل

كمِثْل مَن قد قال شيخْ عاقل ... حَلْق الذقونْ في ذا الزمان حاصل

طوبىٰ لعبدٍ في الأنام خامل ... عارفْ وعالم بالعلوم عامل

لَهُ فِي الخيرات شغل شاغل ... عابدْ وعن كل الفضول مائل

يَتْبعْ طريق السلف الأوائل ... مثل الصحابهْ ثم كل كامل

من سار سِيْرتهم فِي الفعائل ... والقولْ والأحوال والمناهل

في كل حالٍ للإلٰهْ سائل ... خائفْ وراجي يبتغي الوسائل

يبكي علىٰ ذنبهْ بدمعْ سائل ... خاشعْ وخاضعْ عن هواه ذاهل

صامتْ وساكت عن كلام باطل ... بالحق ينطقْ ما يخاف عاذل

ذاكرْ فِي البُكرهْ وفي الأصائل ... شاكرْ لربه للنصيح قابل

هٰذا هو الفائزْ بكل طائل ... يا ربنا يا من عطاه هاطل

وفضله للحادثات واصل ... نسألكْ توبهْ تُذهِبُ الرذائل

وتَعمرُ الأركان بالفضائل ... ولا ترينا يا كريم هائل

واغفر لنا والأهل والحلائل ... وفروعِنا وأصولنا الأوائل

بجاه طه خاتم الرسائلْ صلاة ربي عَدّ كل وابلْ

مع السلامْ ما هبت الشمائل عليه مَعْ أصحابه الأماثل

والآل والأزواج ذي المنازل

* * *

وقال رضي الله عنه بتاريخ سلخ صفر سنة (١٢٦٥هـ) :

يـــا لطيـــفْ الطـــف بـــي　　　فـــي جميـــع أحـــوالـــي

يـــا عظيـــمَ الفضـــلِ　　　يـــا الكـــريـــم الـــوالـــي

يـــا كثيـــر المـــنِّ　　　والعطـــا المتـــوالـــي

يـــا غنـــي يـــا وهـــابْ　　　دائـــمَ الإفضـــال

يـــا لطيـــف الطـــف بـــي　　　فـــي جميـــع أحـــوالـــي

أشتكـــي مـــن ذنبـــي　　　وكثيـــر أوزاري

وهمـــومٍ جَمَّـــهْ　　　مـــن شـــرور أشـــرارِ

فـــاْكشـــف اكشـــف كـــربـــي　　　يـــا قـــوي يـــا بـــاري

وأعطنـــي مطلـــوبـــي　　　فـــي جميـــع أحـــوالـــي

يـــا لطيـــفْ الطـــف بـــي　　　فـــي جميـــع أحـــوالـــي

ضقـــتُ ربـــي ذرعـــاً　　　والسبـــبْ مـــن كسبـــي

تـــب علـــيَّ تـــوبـــهْ　　　تَمْـــحُ كـــل الـــذنـــب

وتفـــرج همـــي　　　وتنـــور قلبـــي

وبهـــا تَصلُـــحْ لـــي　　　نيتـــي وأفعـــالـــي

يـــا لطيـــف الطـــف بـــي　　　فـــي جميـــع أحـــوالـــي

يـــا قـــويْ قـــد رَدَّ　　　كيـــد أصحـــاب الفيـــل

أهلَكَتْهُـــمْ طيـــرٌ　　　بحجَـــرْ مـــن سجيـــل

فـــاعتبـــر كيـــف أمســـى　　　كيـــدهـــم فـــي تضليـــل

نســـألُـــكْ تحفظنـــا　　　مـــن عـــدوٍّ قـــالـــي

يـــا لطيـــف الطـــف بـــي　　　فـــي جميـــع أحـــوالـــي

رب سلِّـــمْ سلِّـــم　　　دعـــوةُ المُمَجَّـــدّ

إذ رأىٰ جهنـــم　　　والتعـــب قـــد اشتـــد

والصراطُ ممدودْ   فوقها محدَّدْ
يا سلامُ سلِّم   من شرور أعمالي
يا لطيف الطف بي   في جميع أحوالي
وهنا صراطٌ   قد وجبْ عبوره
حادٌّ ودقيقٌ   كيف لي عبوره
في زمانٍ مظلمْ   كثُرَت شروره
رب وفِّقْ سدِّد   وٱحْمِ عن ضُلاَّل
يا لطيف الطف بي   في جميع أحوالي
لست أرجو غيركْ   يا علي يا موجودْ
يا كثير الإحسانْ   يا الإلٰه المعبود
يا أَحدْ يا منان   يا صمد يا مقصود
هب لنا كل الخير   وٱكف كل أهوال
يا لطيف الطف بي   في جميع أحوالي
صلوات اللهِ   والسلام الدائمْ
تتغشى الهادي   الرسول الخاتم
والصحابهْ والآلْ   ما تيقظ نائم
أو ترقَّىٰ ناسكْ   للمقام العالي
يا لطيف الطف بي   في جميع أحوالي

* * *

وقال رضي الله عنه سلخ شهر صفر سنة (١٢٦٦هـ) :

الحذرْ كل الحذر كل الحذرْ ... من معاداة الأماثل والنِّذالْ
إن فيها الشرَّ كلهْ والضرر ... وهموماً وغموماً لا تزال
وبها كل الكروبِ والكدر ... وبها ذنبٌ وأوزار ثقال
لا تجيها لا تُقارِبْها وذَرْ ... كلَّ شيءٍ منهُ ما يحدثْ جدال
خذ نصيحهْ من نصيحٍ قد خَبَرْ ... وعرَفْ أن بها الداءَ العُضال
لا تخالف فتواقِعْ محضَ شر ... لا تجد عنه خروجاً وانفصال
واتقِ الله ودع كل البشر ... واعتزل إن السلامَ في اعتزال
والزمِ الصمت كما جا في الخبر ... إنما الآفات في قيلٍ وقال
واطلبِ العلم مساءً والبُكر ... إن أردت الخير حالاً ومآل
واقرأِ « الإحيا » وأمعِنْ في النظر ... في الذي فيهِ من أعمال عوال
واعملَنْ بالعلم تظفرْ بالوطر ... لا تظن العلمَ إحسانَ المقال
اغتنم من قبل أن تمسي خبرْ ... اغتنم من قبل أهوال طوال
تب إلى اللهِ وكن مَعْ من صبر ... والرجا والخوف فالزم كلَّ حال
واشكرِ الله مَعَ من قد شكر ... واذكر النعماءَ في جسم ومال
واحمَدِ الرحمٰن وارضَ بالقدر ... واذكرِ الله تنل أعلىٰ منال
منها أن الله يذكرْ مَن ذَكَرْ ... ولُه يُعطيْ عطاياه الجزال
رب يا ذا الفضلِ يا رب البشر ... اعف عنا كلنا يا ذا الجلال
واستر استر أنت أكرم من ستر ... لا كشفتَ الحال يا مولى الموال
واغفر اغفر أنت أفضل من غفر ... لا تحاسبنا فيظهرْ شرُّ حال
واختم العمر بخير إن حضر ... حَيْنُنا والطف وثبِّتْ في السؤال
وصلاة الله تعداد المطر ... وسلامٌ دائم ما غصن مال
يَغشَيَانِ أحمداً سيِّدْ مضر ... وعلىٰ صحبهْ وآلهْ خير آل
ولك الحمد عدَدْ كلِّ الحجر ... والمَدَرْ والخلق مَعْ ذر الرمال

وقال رضي الله عنه سنة (١٢٦٧هـ) :

مسكينْ عثمانْ لُهْ حالُهْ وللناس حالْ　　　حالتُهْ زينهْ وحال الناس فيها مقالْ

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا والمسلمين من بركاته في الدارين آمين سنة (١٢٦٧هـ) :

هــل تــرىٰ يــا كــاحِــلَ المُقَــلِ　　　بعــدَ هٰــذا البُعــدِ يَصلُــحُ لــي
أن أرى البيـــــت العتيـــــقَ وأن　　　أشتفــي فــي الــركــن بــالقُبَــل
وٱلتْـــــزامٌ لـــــي بمُلتَـــــزَمٍ　　　وأنـــالَ غـــايـــة الأمـــل
والـــدُّعـــا فـــي المـــدَّعـــىٰ وأرى　　　كـــلَّ خيـــر قـــد أتـــىٰ قِبَلـــي
وأَنَـــلْ فـــوق المُنـــىٰ بمِنـــى　　　وصَفَـــا لـــي فـــي الصَّفـــا عملـــي
وٱعـــرفُ المعـــروفَ فـــي عـــرَفَـــهْ　　　وأنـــال السُّـــولَ فـــي سُبُلـــي
فضـــلُ مـــن ربـــي بـــلا سبـــب　　　لا بكسبـــــي لا ولا حِيَلـــــي
ليـــس هٰـــذا بـــالعجيـــب ولا　　　بغـــريـــبٍ مـــن كـــريـــمٍ مَلِـــي
ثـــم مطلـــوبـــي وغـــايتُـــهُ　　　نيـلُ مـا فـي القلـب فـي عجـل
وكفـــىٰ علـــم الكـــريـــم بـــه　　　حسبـــي اللهُ ونِعـــمَ الـــولـــي
يـــا أُهَيـــل الفضـــل والكـــرم　　　استـــرونـــي واغفـــروا زللـــي
ســامحــونــي وارحمــونــي ولا　　　تهملـــونـــي وأصلحـــوا خللـــي
إننـــي بـــالـــذنـــب معتـــرف　　　وبكـــل العيـــب والخطـــل
فـاعـفُ واصفـح يـا كـريـمُ وكـن　　　لـــي إذا حـــان انقضـــا أجلـــي
والصـــلاة والســـلام علـــى الـ　　　ـشـافـع المقبـولِ فـي الـوجـل
وعلـــى الأصحـــاب كلِّهـــمِ　　　وعلـــى الآل وكـــلِّ ولـــي

* * *

وقال رضي الله عنه ليلة الجمعة (٢٥) شهر شوال سنة (١٢٦٧هـ) :

عن الناس لا تسألْ ولا عن فعالهمْ ... وعن كل ما يَعنيكَ يا صاحِ فاسألِ
ومل عن جميع الناس لا تَقرَبَنَّهم ... وخذ عنهمُ في معزِلٍ أيِّ معزل
وكن صامتاً إلاَّ بخيرٍ وحكمةٍ ... وأمرٍ بمعروف ونهيٍ لمُعْضِل
وخذ من علوم الدين حظاً وموفراً ... وعلِّمهُ للجهال للهِ واعملِ
وكن نائباً عن خاتم الرسل إنه ... أمرْ نحنُ بالتبليغ عنه فحَصِّل
وليس على الإنسان أن يعلموا به ... وليس عليكْ إلا البلاغُ فأوصِلِ
أَلاَ هل محبٌّ للحبيب محمدٍ ... يبلِّغُ عنه شرعَهُ كلَّ جاهل
وإن كان ذا سيفٍ فيسلُلُ سيفه ... ويحملهم قهراً لشرع المفضَّل
وإلاَّ فلا أدنىٰ من القول بالتي ... هِيَ أحسنُ فاعلمْ ما أقول وافعَلِ
فكلٌّ عليه ما يُطيق لفعله ... وإلاَّ بقلبٍ ذاك أسفلُ منزل
تأمَّلْ لما قال النبيْ في وداعه ... بحَجَّته فاعمل عليه وعَوِّلِ
وكن شاكراً لله قلباً وقالَباً ... لتُعطىٰ مزيداً من كريمٍ ومن مَلي
وسلم لأمر الله في كل ما قضى ... وفي كل حال من خَفيٍّ ومن جلي
وكن بقضاء الله ربك راضياً ... تفوزُ برضوانٍ بدنيا وآجل
ومن سَخِطَ المقدورَ يُجزَىٰ بسُخْطه ... وحُكمُ القضا يجري بعال وسافل
سواءً سَخطتَ أم رَضيتَ وإنما ... يفوت الثوابُ في عوالي المنازل
وكن ذاكراً لله في كل لحظة ... فتُجزىٰ بذكر الله في خير محفل
ولا تَنسَهُ سبحانه جل ذكره ... فتُنْسَ وتُقرن باللعين كما تُلي
ولا تسألْ إلاَّ اللهَ في كل حاجة ... ولا تَرْجُ إلاَّ الله تُمسي له ولي
ولا تخش إلاَّ الله في كل مؤلم ... وخذ باليقين في الأمور لتعتلي
ولا تطلب إلاَّ الله في كل مطلب ... تنل فوق مطلوبكْ وهمُّكَ ينجلي
ولا تستعِنْ إلاَّ به أيها الفتى ... تعلَّقْ بهِ تَظفرْ بعزٍّ أماثل

فلـو أن كـلَّ الخلـق رامـوا ضـرورة بشخص ولا شيءَ عليه من العلي

لـرُدُّوا وعــادوا خــائبيـن جميعهــم كـذلـك فـي الخيـر فكـن ذا تَـوَكُّـل

فنســـألـــه سبحـــانـــه أن يقيمنـــا علىٰ سنة الهادي لنا خيرِ مرسل

ويختــمْ لنـا بـالخيـر عنـد ممـاتنـا وغفــرانِ للمَيْــتِ وحــيٍّ ومقبــل

ويكفـي جميـع الشـر فضـلاً ومنـة ويحفظُنـا مـن كـل ضـر وجـاهـل

وصلَّىٰ إلـٰهـي كـل حيـن وسـاعـة وسلَّـمَ مـا هبـت ريـاح الشمـائـل

علـىٰ أحمـد المختـار والآل كلهـم وأصحـابـه الغـرِّ الكـرام الأمـاثـل

ولله ربــي الحمــدُ والشكـر والثنـا علىٰ نِعَـمٍ لـم يحصها قـول قـائل

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته في الدارين :

زينـــة العلـــم العمـــلْ والتـــواضـــعْ والخمـــولْ
والـــزهـــاده فـــي الـــذي للفَنـــا يـــرجـــعْ يـــؤول
واعتـــــزالٌ للـــــورى مَـــعَ تـــركٍ للفضـــول
والتعلـــقْ بـــالكـــريـــم ربِّنـــا البَـــرِّ الـــوصـــول
إن أردتَ أن تعيـــــــشْ فـــي نعيـــمٍ لا يـــزول
ثـــم تُبعَـــثْ فـــي أمـــان ولـــك الجنـــه حلُـــول
فـــاذكـــرِ الله دوامـــاً لا تكـــن عبـــداً غَفـــول
إن ذكـــــر الله خيـــــر مـــا ٱقتنـــاهْ أهـــل العقـــول
واتـــــق الله وكـــــن تـــابعـــاً طـــه الـــرســـول
فـــي الفعـــال والتـــروك والمقـــاصـــدْ والمقـــول
رب وفقنـــــا لمـــــا تـــرتضـــي عنـــد القفـــول
واعـــفُ واغفـــر ذنبنـــا واكفنـــا كـــل مَهـــول
والصـــلاة والســـلام كلمـــا ســـار الحمـــول
يغْشَيَـــــان أحمـــــداً وكـــــذا الآلَ الفحـــــول

* * *

وقال قدس الله روحه بتاريخ صفر سنة (١٢٦٨هـ) :

ضاعت الأعمار في قيل وقالْ ... وأمورٍ ترّهات وضلالْ

وفضول واعتراض للقضا ... وخُبَاط وخُراط[1] وخَبال

تورث الأحزانَ في الدنيا وفي ... حشرنا والقبرْ توجبْ للنكال

هل ترىٰ يرضىٰ بهٰذا عاقل ... ينفق الوقت وأنفاساً غَوال

في هموم وغموم عاجلاً ... ثم تسقيهِ غداً كلَّ وبال

فاصمت اسكت لا تَكَلَّمْ واعتزل ... واترك المذمومَ في قولْ أو فعال

واتركِ الناس ومِلْ عنهم ولا ... تختلط بالناس فاسمع للمقال

والخُمولَ ٱلزَمْ ودع كل الفضول ... واتق الله الكبير المتعال

إنه الكنز الذي ما مِثْلُه ... ينفع الإنسانَ حالاً ومآل

فالغنىٰ كل الغنىٰ كل الغنىٰ ... في التقىٰ يا صاح خذهُ رأس مال

إنه الباقي وغيرهْ هالك ... وهْوَ لَكْ خل رقيق لا يزال

وٱصحَبِ الرحمٰن لا تَصحَبْ سواه ... واسألِ الرحمٰن تظفرْ بالنوال

واطلب الرحمٰن جلَّ ذكره ... إن تُرِدْ تُعطىٰ العطيات الجزال

واذكر الرحمٰن سرّاً وعلَنْ ... في جلوسكْ ومقامٍ وارتحال

كل شيءٍ هالكٌ إلا الإلٰهْ ... فاز مَن يذكرُهُ في كل حال

ما سوى اللهِ الكريمِ ميِّتٌ ... إنما الباقي إلٰهُكْ ذو الجلال

إنما تُجزىٰ بما تعملْ فكن ... بالذي ينفَعْكَ يا ذا، ذا ٱشتغال

رَبَّنا يا ربنا يا ربنا ... رب ثَبِّتْنا إذا جا الانتقال

واختم الأعمار بالحسنىٰ وكن ... غافراً يا رب أوزاراً ثقال

لا تؤاخذنا بسُوءْ أعمالنا ... إنها يا ربَّنا شَرُّ الخصال

---

(١) أي : هَذيان .

وصـــلاة الله تغشـــىٰ أحمـــداً وســـلامُ الله مـــا هـــب الشمـــالْ
وعلـــىٰ آلٍ وأصحـــاب لَـــهُ وعلـىٰ أزواجـه مـا غصـنْ مـال
ولـربـي الحمـدُ والشكـر علـى نِعَـمٍ تتـرىٰ وفضـلٍ لا يـزال

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

إن الفتنْ فيها المحنْ من كل فنْ فتَـوَقَّهـا يـا صـاحبـي وخليلـي
هـٰذا وقـد جـاء الحـديـث بـأن مَـن يـوقـظُ نَـوْمَتَهـا بفعـلْ أو قِيْـلِ
ملعـونْ مطـرودٌ بقـولِ محمـدٍ إن لـم يَتُـبْ بَشِّـرْهُ بـالتنكيـل
فيهـا الـرزايـا والبـلايـا كلهـا فيهـا هـلاك الـديـن بـالتعجيـل

* * *

وقال رضي الله عنه هٰذه القصيدة بالمدينة المنوّرة علىٰ مشرِّفها أفضل الصلاة والسلام سنة (١٢٣٦هـ) :

رَبِّ يـا عـالـمْ بحـالـي يـا عليـمْ ... رب يـا ذا الجـود والفضـلِ العظيمْ
رب يــا عــالــمْ بحــالــي إننــي ... ســائـلٌ واقـفٌ علـىٰ بـابـكْ مقيـم
لسـت أرجـو غيـركـم يـا سيـدي ... قـد يئسـتُ مـن صـديـقٍ والحميـم
وكفـىٰ علمُـكْ بحـاجـاتـي كفـى ... عـن سـؤالـي ونـدائـي يـا كـريـم
غيــرَ أنــي ضقــت ذرعــاً وأرى ... شَرْحَ بعـضِ الحـال يُـورِثْني نسيم
فشكـوت بعـض حـالـي عنـدَكـم ... لسـت أشكـو لقـريـبٍ أو حميـم
فتــداركنــي إلٰهــي سيــدي ... وٱشفنــي إنــي عليــل وسقيــم
واقـضِ حـاجـاتـي جميعـاً كلهـا ... وأقمنـي فـي الصـراط المستقيـم
واهـدنـي الحسنـىٰ ووفقنـي لهـا ... واحمني مـن شـر إبليـس الـرجيـم
واحفـــظ أولادي ووفقهـــم لمـــا ... تـرتضيـهِ إنـك الـرب الـرحيـم
وكــذا الأهــلَ وأصحــابــاً لنــا ... مـن محـب أو مُـودٍّ أو نـديـم
واكفنــا يــا سيــدي كــل البــلا ... والأذىٰ والـذنـب والفعـل الـذميـم
واختــم الأعمــار بــالحسنــىٰ إذا ... جـاءت السكـرةُ واشتـد اللـزيـم
واجعــل الجنــاتِ مــأوانــا ولا ... تُــرِنــا يــا رب أهــوال الجحيـم
وصـــلاة الله دأبـــاً ســـرمـــداً ... وســـلام الله مـــا هـــب النسيـــم
تتغشـى المصطفـىٰ خيـر الـورى ... صـاحـبَ الـرحمـة والقلـب السليـم
وعلـــى الأصحـــاب والآل وخَتْـ ... ـمُ المقـالْ استغفـر الله العظيـم

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به : وهٰذه الأبيات قلتها سابقاً ، وهي قوله قدّس الله روحه :

اِلْزَمِ البيتْ لا تخرجْ من البيت تَندمْ	الزم البيت لا تخرج من البيت تَهتَمْ
الزم البيت يا مسكينْ تَحظىٰ وتغنم	الزم البيت وٱفكِرْ في الذي قد تقدم
من ذنوبكْ وما أنت عليهِ ستقدَم	مـن أمـورٍ عظـامٍ مِنَّهـا الطفـلْ يَهـرَم
واتقِ الله واشكرهُ علىٰ ما بِهْ أنعم	وٱغنَمِ العمرْ يا مغرور من قبل يَخرَم
واحذر احذر لسانكْ كُفَّهُ ضُمَّهُ ضَمّْ	مِنُّهْ الشر ما أحسَبْ أحدْ مِنُهْ يسلم
غيرْ إن كان مُرسَل أو يكن شخصْ أبكم	فاصمت اصمت إذا شئت النجا لا تَكَلَّم
إنـه مثـل مـا قـال النبـيُّ المكـرَّم	ما يَكُبُّ الخلائقْ غيرُهُ في جهنم
والحديث : إن تكن بالله واليوم الأعظم	تؤمنْ اصمت وإلاَّ خيرْ قل فافهم افهم
بل ومن حسن إسلام الفتىٰ ترك ما لم	يَعْنِـهِ والـذي يَعنيـك فـاطلبُـهْ والـزم
واترك الناس واحذرهم كما تَحذَر السَّم	لا تجيهم سوىٰ إن كان خالك أو العم
للصِّلـهْ والـزيـاره أو تكـن بـاتَعَلَّـم	منهم العلم فاطلبْهُ وكن كأنَّكْ أعجم
والزم الجوعْ إن شئت النَّجا والظفَرْ ثم	واعلم أنُّهْ أتانا في الحديث المعظم
ما مَلا اِبنْ آدمْ من وِعا شَرّْ وأوخم	مِن مَلا البطنْ فاعلم ما بقُولُهْ لكْ اعلم
والشِّبَعْ من حلالٍ رأسْ للشر والذم	ذا إذا كان من حِلِّهْ فكيف المحرّم
وٱسهر إن كنت في خيرٍ وإلاَّ فنَمْ نَمْ	واعلم أن الزمان اليوم جهلُهْ تحكَّم
ما هُوَ ٱلاَّ قليل الخير والشر بِهْ جم	قل فيه التُّقىٰ والصدق قد كاد يَعدَم
رب نسـألـكْ تستـرنـا وتجبـرْ وتـرحـم	واغفر أوزارنا يا الله وجُرْم الذي ٱجرم
واختم العمر بالحسنىٰ لنا حين يُختَم	واجعل الجنة المأوىٰ وصُنْ من جهنم
واختم القول صلى الله علىٰ أحمدْ وسلَّم	ما سرىٰ نجمْ أو حادي حَدا أو دُجىٰ ٱظلم

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به :

الحمـــد لله الجـــواد الكــريـــمْ المعطِـي المُفْضِـلْ بكـل النعيـمْ

وآستغفــر الله الغفــور الــرحيـم مـن كـل ذنـبٍ حـادثٍ أو قـديم

يـا قلبِـي السُّـوءْ أمـا تستقيـم كـي تـأتـيَ اللهَ بقلـب سليـم

أمـا تـرى المـوت الفظيـع الشنيـع يغشـى البعيـدَ والـرَّحِـمْ والحميـم

ولا تغــركْ صحتــكْ كــم فتــى أصبـح صحيحـاً ثـم أمسىٰ سقيم

وبعــد أيـــام قضـــىٰ نحبــه إمَّـا إلـى الجنـةِ أو للجحيـم

واحـذر مـن المـوتِ وكـن مشفقـاً منـه أخـا حُـزْنٍ كئيـب كظيـم

عسىٰ عسـى الـرحمٰـن يغفـرُ لـي ولا يـؤاخـذنـي بفعلـي الـذميم

فليـس لـي منجـي سـوىٰ فضلـه كفـىٰ كفـىٰ يكفـي الجـواد الكـريم

كـم قـد بـداني بـالنـوالِ بمـا لـم يَخطُـرِ البـالُ بِـهِ يـا نـديـم

أرجـو إلـٰهـي والـرجـا فهْـيَ لـي ذخـري وكنـزي والخَفَـرْ واللـزيـم

ثـم الصـلاة والسـلام علـى مـن خَصَّـهُ اللهْ بـالمقـام العظيم

والآل والأصحـاب مـا غـرَّدت الاطْيـارُ بـالآصـال أو بـالعتيـم

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

الحمـــــد لله ذي الآلاء والنِّعَـــــمِ والفضل والجود والإحسان والكرمِ
حمـداً كثيـراً كبيـراً دائمـاً أبـداً لا يحتصـي بمـداد الخلـق والكَلِـم
مكـرَّراً كـلَّ حيـن لا نفـادَ بـه يـدوم دأبـاً مـدى الآبـاد كـالقِـدم
سبحـانـهِ جـل لا أحصـي ثنـاه ولا أرجـو سـواه لنفسـي بـل ولـلأمـم
مـاذا أقـول ومـا أُثنـي عليـه بـه ما حَدُّ قولي وما حَدُّ نطاق فمي
إنـي بعجـزي وتقصيـري لمعتـرف وبـالكبـائـرِ مـوصـوف وبـاللَّمـم
أرجو إلٰهي بمحض الفضل يرحمُني ويَعْـفُ عنـي ويحفظْنـي مـن النقـم
ويختِمُ العمر بالحسنىٰ ويغفرُ لي ويشفِيَ القلبَ والجسمَ من السقم
يـا رب يـا حـي يـا قيـوم يـا صمـدٌ يا عالمَ الحال في وُجدي وفي عدمي
أشكـو إليـك أمـوراً أنـت تعلمهـا فأَقضِ لي حاجتي يا قاسمَ القِسَم
وألفَـا صـلاةٍ مـع التسليـم يتبعهـا علـى النبـيِّ الـرسـول المفـردِ العلـم
والآل والصحب ما سار الحجيج إلى الـ ـبيت العتيق وما اشتاقوا إلى الحرم

* * *

وقال رضي الله عنه مع زيارته لبعض الصالحين :

عبـــادَ الله جينـــاكـــمْ　　قصـــدنـــاكـــم طلبنـــاكـــمْ
تعينـــونـــا تغيثـــونـــا　　بهمتكـــم وجَـــدواكـــم
فـــأَحْبُـــونـــا وأَعطـــونـــا　　عطـــايـــاكـــم هـــدايـــاكـــم
فـــلا خيبتُـــمُ ظنـــي　　فحـــاشـــاكـــم وحـــاشـــاكـــم
سَعِـــدْنـــا إذ أتينـــاكـــم　　وفـــزنـــا حيـــن زرنـــاكـــم
فقـــومـــوا واشفعـــوا فينـــا　　إلـــى الـــرحمٰـــن مـــولاكـــم
عســىٰ نَحظــىٰ عســىٰ نُعطــىٰ　　مـــزايـــا مـــن مـــزايـــاكـــم
عســىٰ نظـــرةْ عســىٰ رحمـــه　　تَغَشَّـــانـــا وتَغْشـــاكـــم
ســـلام الله حَيَّـــاكـــم　　وعيـــن الله تـــرعـــاكـــم
وصلـــى الله مـــولانـــا　　وسلَّـــمْ مـــا أتينـــاكـــم
علـــى المختـــارِ شـــافعِنـــا　　ومنقـــذِنـــا وإيـــاكـــم

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين ، آمين :

يا طالبَ الإيصا هداك الله خذ مني كلامْ ... إني خَبَرت الوقتْ فاسمع ما أقولُهْ والسلامْ
إني رأيت الناس في العادات كالبهم السوام ... هيْ دِينهم هيْ هَمُّهم هيْ عندهم كل المرام
مَن أحكَمَ العادات قالوا ذا بلغْ أعلىٰ مقام ... لو يترك الواجبْ ولو كان المُلابسْ للحرام
ومن يعاديها رمَوْهُ بالفواحشْ والعظام ... فاتركهم اتركهم وجانبهم ومِلْ عنهم دوام
واسلك على البيضا النقيهْ شمسْ ما فيها قتام ... مِلَّـهْ حنيفيـه بيِّنـه واضحـه تهـدي الأنـام
للروح والراحات في الدنيا وفي دار السلام ... والأنس والأسرار والأنوار ما فيها ظلام
ولا حرجْ فيها ولا إصْرٌ ولا فيها اغتمام ... سهله لسالكها شريعةْ سِيْدنا مسك الختام
أحمدْ رسول الله ختم الأنبيا بدر التمام ... من كانت أخلاقهْ هيَ القرآنْ فانصت يا غلام
واقرأ أحاديثهْ تجده الدر محكوم النظام ... وانظر شمائلَهُ التي فيها الشفاءُ للسقام
منه تلَقَّاها الصحابهْ نِعْمَ ساداتٌ كرام ... وآلُهْ وأزواجُهْ وأنصاره خذوا عنه أخذْ تام
سَلْكوا عليها صِدقْ جَعْلوها غِذاهم والإدام ... ما زاغوا أو راعوا ولا سَمِعوا لعَذْلِ أو ملام
بَذَلوا لها الأموال والأرواح سامُوها الحمام ... نَصَروا الشريعهْ بالقلوبِ واللسان والحسام
ثم أَخَذْ عنهم وسارَ نحو سِيرَتْهم وقام ... التابعونَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم القيام
فاقرأ تراجِمْهم وصيِّرهم قيادكْ والزمام ... واعلم بأن الدين ينقصْ بعد طه كل عام
وأمسَتْ عُرا الإيمان من بعد الصحابهْ في انخرام ... فافزع إلى المولىٰ وقل يا اللهْ عسىٰ حسن الختام
يا الله بحسن الخاتمه لي حان حين الانصرام ... يا اللهْ بها يا اللهْ بها بحق من صلىٰ وصام
والختم صلى الله علىٰ أحمدْ ما سجع طيرٌ وحام ... والآل والأصحاب مَعْ أزكى التحيه والسلام

* * *

وقال رضي الله عنه : وهذه الأبيات قالها لما طلب منه الشيخ سالم بن أحمد الدعاء بالمهمة بتاريخ (١٣) شهر ربيع سنة (١٢٣٢هـ) :

يا سالم إن تشتت السلامهْ — فحضر مسلم السلامْ

لا تعتذر قلتْ الملامهْ — فلعن تعضّنْ الملامْ

وإن تشتت تخلفْ بالحمامه — فلمحت بالأقوام حلام

أهل الثُّقة والاستقامه — من هل بعه القوم استقام

محبّهم يوم القيامه — مقعد يعفي حلّ الخيام

وْلـــمعاا نلـــه اغإ رْـــفي ... هـــاللـــن نـــه مْـــلسيِع نْـنْـــحيْ
والـــتسماا وكلـــساا رـــه ... هـــاالـــتسه يـــب تااهـــلـه
والـــحاا بـــعحاام ناآام ... هـــلـــمغالـــب ىلـــللغماا رـــلد
ولـــتخ نـــسعأ لـــنا مـــتخام ... هـــلـــدنـــاام هْـــلـــهإكا ىلـــهأ
والـــتجأ ىلـــح لـــنا بـــفذام ... هـــاىـــحنا نلـــه غإ بـــمعلا
ولـــلغنام يـــهكلـــح يـــنداْ ... هـــلـــتخ ﷲ ىلـــمعاام

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين ، آمين :

باسمك اللهُ أبتدي ... في افتتاحي وفي الختامْ
ولك الحمد سيدي ... عدَّ آلائك الجسام
والصلاة على النبيْ ... ببركته يحصل المرام
احذر احذر أخي تكن ... تابعاً مذهبَ اللئام
الموحِّدُ عندهم ... كل من يأكل الحرام
والذي يؤذِي الورى ... والذي يَثلُبُ الكرام
واتَّبِعْ سنة النبي ... أحمدٍ سيدِ الأنام
والصحابةِ بعده ... نعمك السادةُ الرحام
والذي سارَ نحوهم ... من وليٍّ ومن إمام
الموحِّدُ عندهم ... مسلمٌ مؤمنُ آستقام
يعبد اللهَ وحده ... ما له بالسِّوَىٰ آهتمام
لا يرىٰ غيرَ ربه ... فانياً فيه في الدوام
ثم بعد الفَناءْ بَقَاءْ ... ثُمَّ كم فوقَ ذا مقام
همه الله وحده ... تاه في حبه وهام
كل شيء يراه أو ... يسمعُهْ يورثُهْ غرام
يذكر الله دائماً ... في قعودٍ وفي قيام
باللسان وبالجَنان ... قد هجرْ طيِّبَ المنام
يأمر الناس بالتُّقى ... والصلاةِ وبالصيام
والزكاةِ وحجِّهم ... والتحابُبْ والالتئام
والتراحم والتوادْ ... والتواصل للرحام
والمحاسنِ كلِّها ... ثم ينهىٰ عن اقتحام
الفواحشِ كلها ... والمآثمِ والحرام

لا بفَـــــظٍّ ولا غليـــــظْ لا ولا يظلـــــم الأنـــــامْ

أمِـــنَ النـــاسُ شـــرَّه فـــي فعـــال وفـــي الكـــلام

خيـــرَهُ يـــرتجـــونـــه للخصـــــوص وللعـــــوام

يبـــذل النصـــح للـــورى لا بعنـــــف ولا خصـــــام

مـــا لَـــهُ مطلـــبٌ ســـوى نصـــرة الحـــق والســـلام

ذا المـــوحِّـــدُ لا ســـواهْ فـــافهـــم القـــول يـــا غـــلام

غـــربـــةُ الـــديـــن قـــد بـــدت مثـــل مـــا فـــي الخبـــرْ تمـــام

أيـــن مـــن يـــرحـــم الغـــريـــبْ ويقـــومْ أفضـــلَ القيـــام

ينصـــر الـــديـــن وأهلـــه بـــاللســـانِ وبـــالحســـام

قبـــل مـــوتـــي بحســـرتـــي واكتـــرابـــي والاغتمـــام

يـــا إلٰهـــي وسيِّـــدي يـــا مهيمـــنُ يـــا ســـلام

هـــب لنـــا عنـــد مـــوتنـــا يـــا كـــريـــمْ أحســـن الختـــام

والصـــلاة علـــى النبـــيْ بعـــدهـــا أفضـــل الســـلام

وعلـــىٰ آلـــه الجميـــعْ وعلـــىٰ صحبـــه الكـــرام

وعلـــىٰ كـــل تـــابـــع أَمَّهُـــم أحســـن ائتمـــام

ولـــك الحمـــد دائمـــاً مـــا همـــى المـــزن والغمـــام

* * *

وقال رضي الله عنه في الحث علىٰ صلة الأرحام بالتعليم :

صلـة الأرحـام بـالعلـم الـذي ... ينفـع الأرحـام فـي يـوم القيـامْ
صلــة مــا مثلهــا مــن صلــة ... يسكن الشخص بها دار السلام
وبهـــا يَعـــرِفُ مـــا ينفعـــه ... ويَقِيــهِ كـــلَّ محظـــور حـــرام
فـــاز مـــن أصغـــىٰ إليـــه سمعـــه ... واتَّبَـعْ للنُّصـح مـن ذاك الإمـام
ربنــــا يُلهِمُــــهُ للسعــــدا ... ودعـاة الخلـق سـادات الأنـام
والجفـــاة الأشقيـــا تُحْـــرَمُـــهُ ... تَـرَكـوا النـور ومـالـوا للظـلام
إنمـا العلـم جليـس مـؤنـسٌ ... وخليـــل فـــي مسيـــرٍ ومقـــام
ورفيـــقٌ بـــكْ رقيـــق مشفـــقٌ ... نـافـع مـن غيـر أجـرٍ أو طعـام
ودليـــل وخفيـــر حـــارس ... يحفـظ العهـد ويـرعـىٰ للـذمـام
وَهْـوَ ظـل وهْـوَ نـور وهـدىً ... وحيـاة ليـس يَعْـرُوهـا حِمـام
قَلِّـد العلـمَ ولا تعـدل بـه ... ولَـهُ أَلْـقِ قيـادكْ والـزمـام
نِعمَـكَ القـائـدُ للخيـر الـذي ... هُـوَ ميـراث النبييـن الكـرام
عـروة مـا مِثْلُهـا مـن عـروة ... مـا لهـا قَـطُّ ٱنفصـام وانخـرام
واعلـمْ أن العلـم مـا تَعمَـلْ بـه ... لا بمـا تـرويـه فـي ذاك الكـلام
إنمـا العلـم هـو الخشيـةُ كـن ... خـاشيـاً ربَّـك حقـاً يـا غـلام
رب وفقنـا وسـددنـا وخـذ ... بنـواصينـا إلـىٰ أعلـىٰ مقـام
واختـم العمـر بخيـر وقِنـا ... كـلَّ سـوء وبـلاء يـا سـلام
وٱعمُـرِ القُطْـر بـوالٍ عـادلٍ ... يبسـط العـدل ويقهَـرْ للطغـام
بـالنبـيِّ المصطفـىٰ خيـر الـورى ... أحمـدَ المبعـوثِ رحمَـهْ لـلأنـام
صلـوات الله تغشـاه مَـعَ ... آلـه والصحـب دأبـاً والسـلام
ولـربـي الحمـدُ حمـداً طيبـاً ... وكثيـراً عـدد النِّعَـمِ الجسـام

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

يا تاركاً لصلاة الفرضِ كم ذا حرامْ ... أَمَا سمعت بما جا عن مُزيل القتامْ
من الوعيد الشديد اللي يهِدِّ العظام ... من حينْ موتِهْ يلاقي للأمور العظام
وكم أحاديث في كفرِهْ وكم من إمام ... أَخَذْ بها وفَتىٰ بالكفر بين الأنام
ولم يفصِّل ولم يسمع لقائلْ كلام ... وجا بأَنْ ليس لُهْ عهدٌ ولا لُهْ ذمام
وأنــهُ ليــس لُــهْ دِيــنٌ ولا احتــرام ... فاحذر تضيِّعْ لها وقم بها بالتمام
وصَلِّها بالجماعهْ في الضيا والظلام ... وٱحضُر لتكبيرة الإحرام عند الإمام
مكبــراً بعــدَهُ فــوراً مــواظــبْ دوام ... فـإن فـي ذاك أسـراراً كثيـرهْ جسـام
منها البراءهْ من النيران وهو المَرام ... ومـن نفـاقٍ تخـوَّفْ مِنْـهُ قـوم كـرام
أتىٰ بذا النصُّ ما هـٰذا مقالَ الطغام ... وقال بَحْرَقُ في «آداب كسب الطعام»
تفـوِيْتُهـا مـا يغيظـكْ فيـه دنيـاكْ تـام ... وكل من قد تشهَّدْ ثم صلىٰ وصام
والمالَ زَكَّىٰ وحج البيت وهو الختام ... لخامسْ أركان دينهْ واجتنَبْ للحرام
بَشِّرْهُ بالخير في الدنيا ويومَ القيام ... واحفظ لسانكَ حِفظاً زُمَّهُ بالزِّمام
من كل قولٍ يحرَّمْ أو فضول الكلام ... إنَّ اللسانَ هو المهلِكْ لهـٰذا الأنام
فكن ضنيناً بأقوالكْ شديدَ اهتمام ... إن كنت تؤمنْ وتخشى البطش والانتقام
وجانِبِ الناس تظفرْ بالنَّجا والسلام ... وفَرَّ منهمْ فرارِكْ من شديد السقام
إلاَّ بخيرٍ يخصكْ أو لإصلاحْ عام ... وما اللِّقا بعد ذا إلاَّ لكسب المذام
وكُلْ حلالاً وجانِبْ للشُّبَهْ والحرام ... ولا تَشَهَّىٰ وخذ مِنُّهْ بقصد القوام
واحذر تفوِّتْ زمانكْ في فضولْ أو منام ... تغانم العمر في الخيرات قبل الحِمام
وٱحسن إلى الناس في الجُملهْ وخُصِّ الرِّحام ... وإن عجَـزْتَ فكُـفّ الشـرَّ عنهـم دوام
لا تُؤْذِ مسلمْ فللمسلمْ كثيرُ ٱحترام ... والوالِي العدلْ فرضٌ بِهْ يتم النظام
وأَمْر ذا الدينْ والدنيا بهـٰذا استقام ... أَمَـرْ بِـهِ اللهُ والمختـارُ بـدرُ التمـام
وإن عُـدِمْ آل مـا نَبنِيـه لـلانهـدام ... وخذ من العلم ما يُرشِدْ لدار السلام

واحذر عوايدْ رَدِيِّهْ حاويهْ للملامْ مخالفةْ هَدِيْ أصحاب النبيِّ الكرامْ

فيها النَّصَبْ والتعَبْ كلُّهْ مع الاغتمام يرائِي الناسْ يطلبْ مطلباً لا يرام

يا كلِّ سامعْ لقولي بَلِّغُوهْ العوام وسَمِّعُوهْ المَكالِفْ والجنود الغِشام

عسىٰ عسىٰ يَقَعُ التذكير للناسْ عام نتوبْ توبهْ صحيحهْ ليس فيها انفصام

نفوز بالسُّوْل في الدنيا ويوم الزحام يا رب يا رب يا معطي العطايا الجسام

نسألكْ فضلكْ وغفرانكْ وحسن الختام والعفو والعافيه في كل حالْ أو مقام

ثم الصلاة على الهادي وأزكى السلام وآلِـهِ والصحابـهْ عـد طـش الغمـام

والحمد لله تعدادَ النعم والنعام

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به :

نطلبْ من الله أن نتركْ فضول الكلامْ ... ولا نخالط سوىٰ للخيرْ هـٰذا الأنامْ

ولانضيِّعْ عزيز العمر في ذا المنام ... ونَفْطِمُ النفس من هـٰذا الشَّرَهْ للطعام

وكل ما ليس يعني نتركُهْ في المقام ... ونعمر الوقت بالطاعهْ وترك الحرام

يا رب يا رب يا معطي العطايا العظام ... أُمنُنْ بتوبه وعند الموت حسن الختام

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه في مكاتبة إلىٰ بعض إخوانه وهم متوجهون إلى الحج :

أيهـا الـوفـدُ إلـى البيـت الحـرامْ ... آمّيـن البيـتَ يـا نعـم المَـرام

بلـــدٌ عظمــه الله بـــه ... كعبــةُ الله وزمــزمْ والمقــام

والصفـا والحِجْـر والبـاب الـذي ... بينـه والـركـن طـاب الالتـزام

فـإذا طـاب اللقـا والملتقـىٰ ... فـاذكـروا الصَّـبَّ البعيـدَ المستهـام

واذكـروهُ بـالـدعـا فـي المـدَّعـىٰ ... وكـذا كـل المحـلات العظـام

فـاذكـروا ذاك هنـاك فعسـى ... نظـرةٌ مـن ربنـا يحيـي العظـام

فنحـوزُ تـوبـةً مقبـولـة ... وبحُسْـن الخـاتمـه عنـد الحمـام

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين ، آمين :

فوضت أمري إلىٰ من هُوْ بحالي عليمْ ... الله مولاي ذو الفضل العظيم العميمْ

الخالقُ الرازق المعطي الغنيُّ الكريم ... الواحد الماجد المغني الحميد الرحيم

القابض الباسط المحييْ المميت الحليم ... الواهب القادر الرب الجليل العظيم

يا فرد يا حي يا قيوم أنت القديم ... الأول الآخر المحصي المعيد الحكيم

أرجوك أرجوك تحت الباب قائمْ مقيم ... ما لي سوىٰ وجهك الباقي خفيرْ أو زعيم

إني أنا البائس العبد الحقير الذميم ... ذو الفعل والقال والحال الوخيم الشتيم

لا الجسم صالحْ ولا قلبي صحيحٌ سليم ... ظلمت نفسي وقلبي من ذنوبي سقيم

بَعُدْتُ جداً عن النهج السويِّ القويم ... فهل تراني حبيبي بعد ذا أستقيم

وٱرجع إلى الله وٱخزي اللعين الرجيم ... كم ذا وانا في المخازي والمعاصي أَهِيْم

فما رغبتُ لدار الخلد دار النعيم ... ولا رهبتُ لتذكار اللظىٰ والجحيم

يا رب يا رب يا محيي العظام الرميم ... أَحْيِ فؤادي واختِمْ لي بأَحسنْ ختيم

وصل ربِّ وسلِّمْ ما تنسَّمْ نسيم ... على النبيْ ذي أتانا بالقرآن العظيم

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في شهر جمادى الأول سنة (١٢٦٥هـ) ألف ومئتين وخمس وستين هجرية :

يا قريبَ الفرَجْ يا رب يا فارجَ الهم ... ياقريب الفرج يا رب يا كاشفَ الغم
يا قريب الفرج فرِّج علىٰ كل مهتم ... يا قريب الفرج نسألكْ تغفرْ وترحم
يـا قـريـب الفـرج فـرج علينـا تكـرَّم ... استر الحال قبل الصبر يا رب ينتَمّْ
استر الحال يمسي الحال كاملْ متمَّمْ ... استر الحال لا تَكشِفُهْ يظهرْ مشَتَّم
استـر الحـال إنـا ربَّنـا ضُعْفُنـا جـم ... ما لنا غير ستركْ يستر العيبْ والذم
فاستر الحال يا ستار في ذِهْ وفي ثَم ... رب وامنُنْ بتوبه تَمْحُ ما قد تقدم
يمسِي القلب بالطاعه منوَّرْ منعَّم ... واكفنا كل مؤذي شرَّهُ ضُمَّهُ ضَمّْ
واطف نار الفتنْ إن الفتنْ شرُّها عَمّْ ... اصلح القلب إن القلب يا رب مُسْقَم
أعطني مطلبي ذي أنت ربي بِهْ أعلم ... منك جوداً وإحساناً من الفضل الأعظم
لا بحولي ولا قوهْ ولا قول بالفم ... واختم العمر بالحسنىٰ إذا عُمْرنا تم
والصلاة مع التسليم ما عبدْ سَلَّم ... دائمـانِ علـىٰ طـه الشفيـع المكـرم
والصحـابـه وآلِـهْ حبهـم خيـر مَغْنَـم ... تـم قـولـي وبسـم الله نبـدَأْ ونختـم

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه بتاريخ يوم الإثنين (٢٦) شهر الحجة سنة (١٢٦٥هـ) :

يــا حــي يــا قيــومْ   يــا حــي يــا قيــومْ
يــا حــي يــا قيــوم   فــرج علــى المغمــوم
يــا رب يــا رحمٰــنْ   يــا فــرد يــا منــان
يــا غــافــر العصيــان   فــرج علــى المهمــوم
يــا رب يــا غفــارْ   يــا رب يــاستــار
نســألــك بــالمختــار   أن تنصــر المظلــوم
وتكفِــيَ الأشــرار   عــن ربعنــا والجــار
فضــلاً عــن أهــل الــدار   يــا نــاصــر المَضْيُــوم
يــا مــن رحــمْ يعقــوب   ومــن شفــا أيــوب
فــرج علــى المكــروب   ذي قلبُــهُ مسقــوم
يــا غــافــر الــزلاتْ   وقــاضــي الحــاجــاتْ
ومنــزل الآيــات   سلِّــم مــن الــزقــوم
يــا رحمــة الــرحمٰــن   هيــا إلينــا الآن
أغيثِــي المــلآن   بفعلــه المــذمــوم
عســىٰ عســىٰ تــوبــه   تمحــو لَــهُ حــوبــه
وتحســن الأوبــه   للــواحــد القيــوم
يَصلُــحْ بهــا قلبــي   يُغفَــرْ بهــا ذنبــي
يــرضــىٰ بهــا ربــي   عنــي وينفــي اللــوم
تَصلُــحْ بهــا الأحــوال   تُختَــمْ بهــا الآجــال
بــأحســن الأعمــال   عنــد القضــا المحتــوم
ثــم صــلاة الله   مــع ســلامِ الله
علــىٰ رســولِ الله   الهــادِي المعصــوم

والآل والأصحـــــــــاب وكـــــل عبـــدٍ تـــاب
راضٍ عـــن الـــوهـــاب بـــرزقـــه المقســـوم
والحمـــــد للغـــافـــر الـــرازق القـــاهـــر
مَـــن يـــرزق الســـائـــر والقـــاعـــدَ المحـــروم

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

إذا قلَّ نبت الأرض يُرعىٰ هشيمها وفقـــدك للمـــاء يبيـــح التيممـــا

* * *

وقال رضي الله عنه سنة (١٢٦٧هـ) :

إلى الله أشكو ما بقلبي من الهمِّ ... وما بِيَ من كربٍ وما بيْ من الغمِّ
علىٰ أنني في نعمةٍ أيِّ نعمةٍ ... وفضل عظيم ليس يُحصَرُ بالنظم
ولا غيرِهِ من كل قولٍ لأنه ... عدَدْ ذَرِّ كلِّ الرملِ في الكُثْرِ والعُظْم
فاستغفر الله العظيمَ عِداد ما ... جنينا من الأوزار والذنب والإثم
ولله ربي الحمدُ والشكرُ والثنا ... علىٰ نِعَمٍ تترىٰ علينا بلا حسم
ونسأله سبحانه أن يغيثنا ... بتوبة صدق تشفِي القلب من سُقْم
ونُمسي بها نمشي علىٰ خير ملة ... علىٰ ملة المختار بالقلب والجسم
ويُختَمْ لنا بالخير عند مماتنا ... ويُغفَرْ لنا كلُّ المآثم والجُرم
ويُرفعُ عنا كلُّ ضُرٍّ ومحنة ... وشر وبلوىٰ فهو ذو الفضل والحلم
طلبنا كريماً واسع الجود مُفْضِلاً ... يجود بما فوق المطالب والوهم
فكم قد حبانا واجتبانا بفضله ... وكم قد حمانا من شرورِ ذوي الظلم
بلا عمل منا وعِلْمٍ ولا ولا ... سِوىٰ محضِ فضل ساقَهُ سابقُ العلم
ونسأله عفواً لنا وأصولِنا ... ولـلأهل والأولاد والخال والعم
وكلِّ مُودٍّ أو محبٍّ وصاحب ... وللمؤمنين الكل من عُرْبٍ أو عُجْمِ
وصلىٰ إلٰهي ثم سلَّمَ دائماً ... على المصطفى الداعي إلى الخير والسلم
مع الآل والأصحاب ما هبت الصَّبا ... وما فرّج الرحمٰن للكرب والهم

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

جـــاء الفــــرَجْ زال الحــــرجْ مــن فضــل مــولانــا الكــريــمْ
جـــاء الهنـــا زال العنـــا مــن رحمــة الــرب الــرحيــم
فضـــلاً ومَنَّـــاً منـــك يـــا ذا الجــود والفضـــل العظيــم
واستـــر الٰهـــي بـــالفـــرَجْ مــن قبــل يظهــرْ شَــرُّ خِيــم
واغفــر وســامــح واعــف عــن ذنبـــي ووزري يـــا حليـــم
إنـــي أنـــا العبـــد الفقيـــرْ ذو الــذنــب والفعــل الــذميــم

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين ، آمين سنة (١٢٦٩هـ) :

رَبِّ لكَ الحمد يا محيي العظام الرميمْ ... سبحانك الله يا معطي الجزيل العظيمْ
نسألكْ نطلبكْ ترزقْنا النعيم المقيم ... والاستقامه علىٰ متن الصراط القويم
نلقاك يا رب بالقلب الصحيح السليم ... مَعَ كمال التأَسِّي بالنبيِّ الكريم
وحَسِّن أخلاقنا يا ربنا يا رحيم ... ووسع أرزاقنا يا ذا العلا يا حليم
ووفق الكل للشكرِ لهٰذا النعيم ... وٱختم بخيرٍ إذا حان الأجلْ يا عليم
ذا فصل والثاني اسمع يا اللبيب النديم ... تعلَّمِ العِلم إن العلم نِعْم الحميم
يرُشِدَكْ للخير يا نِعْم الحميم اللزيم ... يحفظكْ من شر إبليس اللعين الرجيم
يَهديك إن كنت سائرْ أو بدارك مقيم ... ينوِّر القلب يشفي للفؤاد السقيم
واعمل بعلمكْ لتحظىٰ بالثواب الجسيم ... وانصح وعلِّم ففي التعليم فضلٌ عظيم
واذكر إلٰهكْ صباحكْ والمسا والعتيم ... فالذكر لله ينجي من عذاب أليم
وذاكرُ الله يذكرْهُ العزيز الحكيم ... جليسه الله ذو الفضل الكبير العميم
واحذر زمانكْ ووقتكْ إنَّ خِيمُهْ وخيم ... كن حِلْس بيتكْ وجانب كلَّ شخص ذميم
واحفظ كلامكْ فإن القول كلهْ شَتِيم ... إلاَّ كلاماً يسركْ في المقام العظيم
واحذر من الظلم إن الظلم نارُ الجحيم ... يَصْلَىٰ بها كلُّ ظالمْ في عذاب مقيم
ما يظلم الناس إلاَّ كلُّ فاجرْ غشيم ... مافيه رحمهْ على المسلم عُتُلٌّ زنيم
ومَن ظلمْ قد ظلمْ نفسه وعادُهْ قَسِيم ... في كل ظلمٍ يقعْ في الناس مثل الرجيم
كأنه ليس مؤمنْ بالإلٰه الكريم ... والبعث والنشر والحشرِ ليوم عظيم
يا غافلْ اِذْهَنْ تيقَّظْ إن قلبكْ سقيم ... تب قبل موتكْ ومن قبل العذاب الأليم
وٱتْبَعْ طريق النبيِّ الهادِي المستقيم ... عليه صلىٰ إلٰهي ما تَنَسَّمْ نسيم
والآلِ والصحب والتسليمُ عَدَّ الرَّذِيم ... والحمد لله حمداً موجباً للنعيم

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين بتاريخ شهر رمضان سنة (١٢٦٩هـ) :

يـا كـريـم الـوجـه ضـاقـت ... وأنـت بـالعـالَـمْ عليـمْ

ضـاقـت أخـلاق الخـلائـق ... واليتـامـىٰ والحـريـم

رب فـرجهـا قـريبـاً ... إنـك الـرب الكـريـم

لا تـؤاخـذهـم بـذنبـي ... إن ذنبـي جيـم ميـم

واعـف عنـي وامـحُ ذنبـي ... أصلـح القلـب السقيـم

تـب علينـا يـا إلٰهـي ... أدرك ادرك يـا رحيـم

بِتـوبـةِ الصـدق المنَجِّـي ... قبـلْ مـا نمسـي رميـم

يـا عظيـم الفضـل يـا مـن ... شـأنُـهُ الستـر العميـم

نسـألـكْ تستـرْ وتغفـر ... لا تـؤاخـذ يـا حليـم

واهـدنـا يـا ذا المـواهـب ... للصـراط المستقيـم

واختـم العمـر بخيـر ... يـا مهيمـن يـا عليـم

وصـلاة الله تتـرى ... كلَّمـا هـب النسيـم

تتغشـى المصطفـىٰ أحمـدْ ... والسـلامُ المستـديـم

وعلـىٰ آلٍ وصحـب ... للنبـيْ الهـادي الكـريـم

ولـك الحمـد إلٰهـي ... عـد مـا طـش الـرذيـم

* * *

وقال رضي الله عنه : قلت هٰذه الأبيات أوائل سنة (١٢٢٦هـ) ست وعشرين ومئتين وألف هجرية :

الحمد للواحد الرحمٰنْ ... المحسنِ المُفْضِل المنانْ
ذي الجود والبِر والإحسان ... ذي جودُهُ لم يزل هَتَّان
يا رب يا رب يا وهاب ... يا مبدِي الخلقْ والأسباب
يا غافر الذنب يا تواب ... أسألكْ توبتكْ والغفرانْ
يا رب يا من يرىٰ قلبي ... وما بباطني من كَرْب
عِلمُكَ حسبي كفىٰ حسبي ... من كُثْر شكواي والهذيانْ
ما لي سوىٰ حيلةٌ إلاَّ ... فقري دواماً إلى المولى
فذا بِيَ أحرىٰ وذا أولى ... ما حازه العاقل الإنسانْ
فهل ترىٰ أيها العاقلْ ... غيرهْ معهْ عاقل أو فاعلْ
حاشاه حاشاه من جاهلْ ... يقول بالإفك والبهتان
إني وإن كنتْ أنا المسرفْ ... الظالم الجاهل المُجْنِف
أرجو إلٰهي عَلَيْ يعطف ... باليُمن والأمن والإيمان
والفضل والجود والإكرام ... والبر والمن والإنعام
في لطف في حفظ في إتمام ... علىٰ خزا الحاسد الشَّنْآنْ
ويكفِي الشر والأشرار ... ويُذْهِبُ الهم والأكدار
ويحفظ الأهل لي والجار ... مع المحبين والإخوان
ويأتِي الفتحْ من فتاح ... فضلاً بلا كسبْ أو مفتاح
فسَيْل فضلِهْ علينا ساحْ ... سقىٰ جميع العرب في آن
يا رب واختم لنا بالخير ... إن حان حِينُ أوان السير
واَكفنا كلَّ بؤسْ أو ضير ... واَحمنا من لظى النيران
ثم الصلاة على المختار ... مع السلامِ عددْ الأمطار
وآلِهْ وأصحابِهِ الأطهار ... ما غرد الطير في الأغصان

* * *

وقال رضي الله عنه : وهٰذه أبيات قلتها مستغيثاً به سبحانه عز وجل :

أشكو إلى الواحد الرحمٰنْ ... ما قد علاني من الأحزانْ
والهم والغم والكَرْبِ ... والضر والشوش والأدران
ما أرفعْ شكايتي إلاَّ لُهْ ... سبحانه المُفْضِل المنان
وليس ينفعْ أحدْ غيرُهْ ... إنْ هُوْ حبيبكْ وإن هُوْ شان
وإن سَكَتُّ كفىٰ علمُهْ ... سبحان ربي عظيم الشان
لٰكنْ دعائي علىٰ فقري ... وإنني عاجزٌ عنوان
عسىٰ فرَجْ عن قريبٍ لي ... فإنني بالحَزَنْ ملآن
لٰكنَّ ظني حَسَنْ في الله ... بأن يجيني فرَجْ في الآن
وأُدرِكُ السُّولْ والمأمول ... بل فوق ما يطلب الإنسان
ما خاب عبدٌ طلبْ ربهْ ... سبحانه الواحد الحنان
يا رب يا رب يا ربَّاه ... يا رب يا مَن تَفُكُّ العان[1]
يا مَن إذا ضاقْ أحدْ بُهْ حال ... دعاه جاه الفرَجْ صنوان
يا خالقي قد علمتَ الحال ... ففرِّج الآن يا رحمٰن
وكن لعبدكْ في أحواله ... لكي يكُنْ منكَ في رضوان
ويسِّرْ أمرهْ بلا عُسرٍ ... ولا تفرِّحْ بِهِ الشَّنْآن
وهَبْ لَهُ الخير والخيرات ... وكن له أينما قد كان
ويا قريب الفرَجْ فرِّجْ ... على الذي حُزْنُهُ قد بان
ما لي إلٰهي سوىٰ فضلكْ ... وجودكْ الدائمُ الهتان
كفىٰ كفىٰ بكْ إلٰهي مِن ... عليمْ بي مُفْضِلٌ منان
رفضتُ حولي مع القوهْ ... بنيتُ أمري على التُّكْلان

---

(١) أي : العاني ؛ وهو الأسير ، حذفت ياؤه للوقف . اهـ من خط الناظم .

على الـذي بِيْـدُهْ الأقـدار وبيـده الفضـل والإحسـان
أرجـوه يغمـرْنـي إفضـالُـهْ وإن كَثُـر منـي العصيـان
وأن يَجِيْنِـيْ فـرَجْ عـاجـلْ كثيـرْ وافـرْ كبيـر الشـان
مـا قـط يخطـرْ لنـا بـالبـال بمحـض جـودٍ مـن الحنـان
يـا ذا الجـلالِ وذا الإكـرام قُـلْ مـا طلبتـهْ فعُـدُّهْ كـان
قريـبْ عـاجـلْ بمحـض الجـود لا بـالعمـلْ لا ولا الهَـذْيـان
يـا رب واختـم لنـا بـالخيـر لكـل مـن حَيْنُـهُ قـد حـان
ثـم الصـلاة علـى المختـار اَلمصطفـىٰ مـن ولـدْ عـدنـان
والآلِ والصحـبِ والتسليـمْ عليهِـمُ مـا جـرى المَلْـوان

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به مخمساً لأبيات الحريري التي أوردها في « المقامات » ؛ وذلك أن السيد الشريف الفاضل عبد الله بن أبي بكر بن سالم مولىٰ عيديد علوي لما كثرت عليه المحن وهو بمحله بعيديد ، ولم يطب له المقام به ، وأراد النقلة بعد تكرار الاستخارة . . فخطر له : أن خُذ أحد الكتب وانكُشه[1] وأوّل سطر تجده ففيه الإشارة ، فقام إلى الكتب فوقعت يده علىٰ « مقامات الحريري » فنَكَشَها فإذا أوّل سطر :

وجُـــبِ البــــلادَ فــــأيُّهـــا أرضـــاك فـــاختـــره وطـــنْ

أحد هـٰذه الأبيات ، فلما أخبرني بذلك . . اشتقت إلىٰ تخميس تلك الأبيات وإرسالها إليه تكميلاً للفائدة فقلت :

يـــا مـــن لـــه الخُلُـــقُ الحَسَـــنْ
والخَلْـــــقُ والعقـــــلُ ومَـــــنْ
يحـــوي العلـــومَ بكـــل فـــنْ
لا تـــأسَفَـــنَّ علـــىٰ وطـــن فيـــه تُضـــامُ وتُمتَهَـــنْ

يكفـــي كفـــىٰ مـــن أســـوةٍ
طـــــه وكـــــلِّ مخبـــــتٍ
كـــم هـــاجـــروا مـــن بلـــدةٍ
وارحـــل مـــن الـــدار التـــي تُعْلِـيْ الـوِهـاد علـى القُنَـنْ

وكُـــنِ التَّقِـــيْ كـــل التَّقِـــي
واجلـــس إلـــىٰ كـــلِّ تَقِـــي
واحـــذر تـــرىٰ كـــلَّ شقـــي
واهـــرب إلـــىٰ كِـــنٍّ يقـــي ولـــو أنّـــهُ حِضْـــنٌ حَضَـــنْ

---

(١) أي : افتحه .

إن الفتى الحرَّ الكريم

لا يرتضي الفعل الذميم

والهُون للنذل اللئيم

واربأ بنفسك أن تُقيم   بحيث يغشاك الدرن

وإذا بلادُكَ غيُّها

عَمَّ وطَمَّ وبَغْيُها

زادَ ففرضُكَ طيُّها

وجُبِ البلادَ فأيُّها   أرضاكَ فاخترهُ وطنْ

وٱسْعَ كما من قد سعىٰ

ودَعِ الخلائقَ أجمعا

واغنم زمانك مسرعا

ودَعِ التفكر للمَعا   هِدِ والحنينَ إلى السكن

كم قد رأينا مِنْ وَفِي

في أرضِهِ دارسْ خَفي

وهمومهُ لا تنتفي

واعلم بأن الحُرَّ في   أوطانه يَلقَى الغَبَنْ

واجعل فراغ البال أُسّْ

وانظر ترىٰ كم حَبْر دُسّْ

ببلادِهِ وٱخْزِيْ وخُسّْ

كالدُّرِّ في الأَصداف تُسْـ   ـتَزْرَىٰ وتُبْخَسُ في الثمن

* * *

وقال رضي الله عنه : قلت هٰذه الأبيات لما وصلت إليَّ مكاتبة من المعلم الشيخ علي بن أحمد عتيق قال في ظهرها أبياتاً من جملتها :

متىٰ متىٰ يا ساكنينْ سمعون متىٰ متىٰ إلى الوطنْ تعودون

إلىٰ آخر ما قال ، فأنشأت هٰذه الأبيات علىٰ منوالها فقلت :

يا سادةً حَلُّوا بقُرب دمُّونْ كم وَسْط زنبلْ من إمامْ مدفونْ
صافي مصَفَّىٰ بالغرام مشحون لفقدِهْ أهل المعرفهْ يحنُّون
آل النبيِّ المتقون الاخيار أهل المعارف والصفا والاسرار
أهل المحبهْ والهدىٰ والانوار كم سر فيهم مُكْتَتِمْ ومصْيُون
بيت الندىٰ والعلم والعباده بيت الشرف والفضل والسياده
بيت الرضا والأنس والزهاده مَن حَبَّهُم سَعِدْ ومَن يُحِبُّون[1]
تراهمُ في الليل في المساجدْ ما بين قائمْ خاشعٍ وساجدْ
وذاكرٍ مراقِبٍ مُشاهِدْ إذا فُنوا في ذكرهم يذوبون
وكم لهم أحوالْ أي أحوال تُصانُ عن أهل الهوىٰ والانذال
ما شانَها المَخرَجْ ولا التِبذّال لم يَدْرِها مثلي غبيُّ مغبون
ولم أُطِقْ وَصْفَ الذي عرَفتُهْ من شانهمْ أيضاً وما خبَرْتُه
وما تحققتُهْ وما سَبَرْتُه من المكارم ذي لها يعانون
وكم بأكدر والفُرَيْط[2] سادات أهل الورع والفقه والعبادات
وكم أتت في فضلهم مقالات وصِدْقْ فيهم كل ما يقولون
والأنبيا والأوليا أهل الإحسان يكون كائنهم بأَيْنْ ما كان
فرضٌ علينا حبُّهم للإيمان أوثقْ عراهُ عندما يعدُّون

---

(١) أي : ومن يحبونه كذلك يسعد . اهـ مؤلف .

(٢) **أكدر والفريط** : من المقابر المشهورة بتريم .

إنـي أحـب الصـالحيـن الاخيـارْ عسىٰ يقعْ لـي وَسْـط دُورهـم دارْ
أكـون معهـم وأكـنْ لهـم جـار نفـوز معهـم عنـدمـا يفـوزون
عسىٰ مـن أخـلاق الكـرام أخـلاقْ نـذوقهـا مثـل الـذي لهـا ذاق
ونـرتـوي مـن الـذي لهـم راق نحـوز فـي العقبـى الـذي يحـوزون
عسىٰ مـن فضـل واسـع الجـودْ أحظـىٰ بمطلـوبـي بغيـر مجهـود
وأحتـوي مـن قـرب ربٌّ معبـود يفـوق مـا هـٰذا العـرب يظنـون
إنـي طلبـت الله مـا طلبتـكْ يـا لائمـي كـلا ولا قصـدتـكْ
بـالشـح والبخـلِ لقـد عـرفتـكْ فلسـت أسمـع للـذي يلـومـون
إنـي وإن كنـت كثيـرَ الاوزار أرجـو كـريـمَ الـوجـه خيـر غفـار
يغفـرْ ذنـوبـي جَهْـرَهـا والاسـرار يفـكُّ مَـن هـوْ بـالـذنـوب مرهـون
فهـل تـرىٰ تُسعِـدُنـي الليـالـي ويـأذن الـرحمٰـن بـاتصـالـي
وأرتقـي كـلَّ مقـام عـالـي بمحـض فضـل الله بـاري الكـون
يـا رب يـا تـواب تـب علينـا ولا تـؤاخـذنـا بمـا جنينـا
ممـا كتمنـاهُ ومـا أبـدينـا يـا رب إنـي قلـت قـول ذي النـون
واختـم لنـا عنـد الممـات بـالخيـر وكـن لنـا حـال المقـام والسيـر
ولا تكلنـا للنفـوس والغيـر ولانـرىٰ بـأسـاً ولانـرىٰ هُـون
والفـا صـلاةِ الله مـع سـلامِ علـى النبـيِّ المصطفـى التهـامـي
وآلِـهِ وصحبِـهِ الكـرام وكـلِّ مـن دانَ بمـا يـدينـون

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته في الدارين ، آمين :

يا ذاكرَ الله يا بشراك نلتَ الأمانْ ... يا ذاكر الله قد حزتَ غراس الجِنانْ
يـا ذاكـر الله ذكـر الله يحـي الجَنـان ... يا ذاكر الله نلت الأنس في كل آن
يا ذاكر الله لا تخشىٰ بَوَارْ أوْ هوان ... ربكْ جليسكْ أنيسكْ فزت به يا مُعان
فاذكر إلٰهكْ وفكّْ الخلق إنساً وجان ... ولازم الذكر يا مسكين طول الزمان
بالقلب واظب عليهِ يا فتىٰ واللسان ... ثـابـر عليـهِ ولا تعـدل بـهِ قـط ثـان
اعكف على الذكر لا تبرحْ على الباب حان ... فـالـذكـر لله يَصلُـحْ بـه لنـا كـل شـان
والذكر لله يكفي كلَّ حاسدْ وشان ... والذكر لله فضلُهْ قد أتىٰ في القُران
والذكر لله يَجلِي القلب من كل ران ... فضائلُ الذكر لا تحُصىٰ بعدٍّ أو بيان
ولا تُكَيَّفْ ولو أرخيت فيها العِنان ... قد فاق فضلُهْ علىٰ كل الفضائلْ وبان
ما يُكثِر الذكر إلاَّ عَبدْ مؤمنْ مصان ... ذَكَـرُهْ ربُّـهْ وذا مَبـدَا السعـاده عِيـان
عليك بالذكر يا طالبْ لحورٍ حسان ... عليك بالذكر يا راجي جَنىٰ ثُمرْ دان
عليك بالذكر كي تفرحْ إذا الحَيْنُ حان ... تغانَمِ العُمرْ يا ميِّتْ وهالِكْ وفان
تغانَمِ العُمر قبل القبر والامتحان ... تغانم العمر من قبل الخَبَرْ فيكْ كان
تغانم العمر ما زالَكْ بهـٰذا المكان ... من قبل تندم وتتحسر بِعَضِّ البنان
هـٰذهْ نصيحهْ وأنا أولىٰ بها يا فلان ... يا فردْ يا حيُّ يا قيومْ يا مستعان
يا رب يا رب يا ذا الجود والامتنان ... نسألكْ تمحو الصغائرْ والكبار الرزان
وتختِمُ العمرْ بالحسنىٰ لقاصٍ ودان ... ثـم الصـلاةُ مـع التسليـمْ يَتْعـاقبـان
على النبيِّ المشرِّعْ للوضو والأذان ... والآل والصحب والتابع لهم بامتعان

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

يا تاركاً للمدارسْ ليس هٰذا حَسَنْ ... مجالس الخيرْ ما تُترَكْ وفيها المِنَنْ

مجالس الخير فيها كلُّ فضلٍ ومَنّْ ... مجالس الخير تَدفَعْ للفتنْ والمحن

مجالس العلم تحوي الخير في كل فن ... طـوبىٰ لعبـدٍ جَعَلْهـا مـالَـهُ والسكـن

مجالس العلم تُذهِبْ بالكَدَرْ والدرن ... بها بها يَصلُحُ الظاهرْ وما قد بطن

ذا الحق صدقاً يقيناً ليس حَدْساً وظن ... كم جات آياتْ معروفهْ لأهل الفطن

وكم أحاديثْ مرويَّهْ لجَدِّ الحسن ... شِيْ في «البخاري» وفي «مسلمْ» وشِيْ في السُّنن

حضورُ مجلِسِ علمٍ خيرْ مِن أَلف أَنْ ... تعـودَهُـمْ أو تشَيِّعْهـم وأن تـركَعَـن

والعلمُ فرضٌ على المسلمْ طَلَبْهُ ومَن ... سَلَـكْ طـريقـاً إليـهِ فهْـوَ فـائـزْ ولـن

يُضِيْعَـهُ الله والجنـاتْ نِعـمَ الـوطـن ... مأواهْ فاعلَمْ وعلِّمْ واعمَلَنْ وٱخلِصَن

وزاحِمْ أهل الفضائلْ بالرُّكَبْ وٱقربَن ... ولا تضيِّعْ فقد ضيَّعتَ كم مِن زمن

تغانم العمر من قبل الحُنُطْ والكفن ... يا رب يا رب وفقنا لأحسنْ سَنن

واختِمْ بخيرٍ إذا حان السفرْ والظَّعَن ... وصَلِّ ربي وسلِّمْ كلما رعدْ حن

علىٰ رسولِكْ أبي القاسم مُجَلِّي الفتن ... والآل والصحب والتابع لهم في الرَّسَن

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته في الدارين هٰذه الأبيات راجياً من ربه قبول دعائه :

يا أرحمَ الراحمين ... يا أرحم الراحمين
يا أرحم الراحمين ... فرج على المسلمين
يا ربنا يا كريم ... يا ربنا يا رحيم
أنت الجواد الحليم ... وأنت نِعمَ المعين
وليس نرجو سواك ... فأدرك إلٰهي دَراك
قبل الفَنا والهلاك ... يعم دنيا ودين
وما لنا ربَّنا ... سواك يا حسبنا
يا ذا العلا والغنى ... ويا قويْ يا متين
نسألكْ والي يقيم ... العدل كي نستقيم
علىٰ هداك القويم ... ولا نطيع اللعين
يا ربنا يا مجيب ... أنت السميع القريب
ضاق الوسيع الرحيب ... فانظر إلى المؤمنين
نظرهْ تزيلُ العَنا ... عَنَّا وتُدني المُنَىٰ
مِنَّا وكل الهنا ... نُعطاه في كل حين
سالَكْ بجاه الجدود ... واليْ يقيم الحدود
عنا ويكفي الحسود ... ويَدفَعُ الظالمين
يزيل للمنكرات ... يقيم للصلوات
يأمرُ بالصالحات ... محبٌّ للصالحين
يزيح كل الحرام ... يقهر كل الطغام
يعدلُ بين الأنام ... يؤمن الخائفين
رب اسقنا غيث عام ... نافعْ مبارك دوام

يـــدوم فـــي كـــل عـــام	علـــىٰ ممـــرّ السنيـــن
رب احْيِنـــا شـــاكـــريـــن	وتـــوفنـــا مسلميـــن
نُبعَـــثْ مـــن الآمنيـــن	فـــي زمـــرة الســـابقيـــن
بجـــاه طـــه الـــرســـول	جُـــدْ ربنـــا بـــالقبـــول
وهـــب لنـــا كـــل ســـول	رب استجـــب لـــي آميـــن
عطـــاك ربـــي جـــزيـــل	وكـــل فعلـــكْ جميـــل
وفيـــكْ أملْنـــا طـــويـــل	فجُـــد علـــى الطـــامعيـــن
يـــا رب ضـــاق الخنـــاق	مـــن فعـــل مـــا لا يطـــاق
فـــامنـــن بفـــك الغَـــلاق	لمـــن بـــذنبـــهْ رهيـــن
واغفـــر لكـــل الـــذنـــوب	واستـــر لكـــل العيـــوب
واكشـــف لكـــل الكـــروب	وٱكْـــفِ أذى المـــؤذييـــن
وٱختـــم بـــأحســـن ختـــام	إذا دنـــا الانصـــرام
وحـــان حِيـــنُ الحمـــام	وزاد رشْـــحُ الجبيـــن
ثـــم الصـــلاهْ والســـلام	علـــىٰ شفيـــع الأنـــام
والآل نعـــم الكـــرام	والصحـــب والتـــابعيـــن

❊ ❊ ❊

(وقال رضي الله عنه هٰذه الأبيات لما وصلته مكاتبة أرجوزة من أخيه السيد الفاضل حسين بن عبد الرحمٰن الجفري نزيل مكة مطلعها :

الحمـــد لله علـــىٰ مـــا أولـــى وهـو بحمـد الحـامـديـن أولـىٰ) :

جـاء الكتـاب فـأجلىٰ كـلَّ أحـزانـي وأذهَبَ الشَّوشَ من قلبي مع الرانِ

أنزِّهُ الطرف فيما قد حوىٰ وطوى واجتنـيْ مـن جَنـاهُ اليـانـع الـدانـي

مـن كـل فـاكهـة حسنـاءَ حـاليـة تيـــنٍ وخـــوخ وبطيـــخ ورمـــانِ

وكـــلِّ زهـــر ونَـــوْرٍ فـــائـــق أنِـــقٍ وردٍ وآسٍ وكـــافـــور وريحـــان

حـديقـةٌ مـا لهـا مِثْـلٌ يشـابههـا فاقت علىٰ جنسها من كل بستان

فكيـف وهـو كتـابٌ صـاغـه عَلَـمٌ شيـخ إمـام شـريـف حَبْـرُ ربـانـي

السيد الفاضل ٱبنُ السادة الفُضلا من حازَوُا السبقَ في زهد وعرفان

أعَظِـمْ بهـم ومحبيهـم وصـاحبهـم ذا النَّـصُّ ليـس بتخميـن وحسبـان

أعنى الحسينَ الفقيهَ ابنَ الوجيه أبا الـ ـعفيـف يـا نِعـمَ مـن خـل ومعـوان

نـزيـلُ مكـةٍ المحـروسِ سـاكنُهـا أمِّ القرىٰ مأمَنِ الخائفِ والجاني

أعظم به من بلاد فيه كم نزلت آيٌ مـــن الله يتلـــوهـــا بقـــرآن

يؤمه الناس من كل الجهات لهم إليـه شـوق كمثـل المـاءْ لظمـآن

وفيـه كعبـة ربـي قبلـةٌ جُعِلـت للعـــابـــديـــن بتعظيـــم وإحســـان

به المناسك قامت والمشاعر للـ ـحج وللـديـن يـا طـوبـىٰ لسكـان

بـه الـدعـاءُ يجـاب والـذنـوب لهـا تجـــاوزٌ ولهـــا محـــوٌ بغفـــران

عليـه رحمـة ربـي كلمـا غـربـت شمـسٌ تـزول لـوُفَّـادٍ وقُطَّـان

لا زلت يا بلد الرحمٰن ترفل في ملابس الحسن من عَيْش وأَديان

مغمورُ معمورُ بالخيرات أجمَعِها مصانُ محفوظُ من رجس وأوثان

يـزيـدكَ الله تشـريفـاً وتكـرمـة في كـل وقـت وفـي حـال وفـي آن

إنـي إليـك لمشتـاق وقيَّـدَنـي عنـك ذنـوبـي وأوزاري وعصيـانـي

لٰكنني أرتجي ربي بمِنَّتِهِ … وصلاً لحَجَّات بِرٍّ قبل أكفاني
مَعَ قبول وإحسان وتوفية … لكل حق أتىٰ عن خير عدنان
وأرتجي أن يقومَ إخوتي بمِنىٰ … عني إذا لم يقع لي نيلُ ذا الشان
فيُسْهِموا لي بسهمٍ من دعائهِمُ … ويرحموني لهجراني وحرماني
إن الكرام لدى الإثراءِ همَّتُهمْ … وَصْلٌ لأهلٍ وجيران وإخوان
فيا حُسين الحَسِين أحسن فحَسْنَتُكم … تربو على الألف ممَّن شأنه شاني
ويا حبيبي شجاعَ الدين يا عمرُ الـ … ـمعمور قم فادعُ لي إني بكم عاني
ويا أبا بكرِ لا تنس محبَّكمُ … حاشاكمُ أن تضيعوا بي بنسيان
حسينُ ذكِّرْهُمُ بيْ إنني دَنِفٌ … علىٰ شفا جرف فخذوا بأرداني
فقد أتىٰ: أفضلُ المعروف غوثُكَ للـ … ـملهوفِ هٰذا وإني أيُّ لهفان
قولوا إذا جئتمُ عند الحطيم وعنـ … ـد الباب والملتزمْ في كل الاحيان
كذاك بالحِجْر بل والصحن أجمعِهِ … وعند ركن الحَجَرْ بل كل الاركان
يا ربِّ يا ربِّ يا أَللهُ يا ملكاً … يا من إذا جئتُهُ أدعوه أعطاني
نسأَلْكَ ربي لعبدٍ قد قسا وأسا … عفواً وتوباً وتطيهراً منَ ادران
وهب لَهُ حالة يحيا بها أبداً … ينسىٰ بها الغيرْ من قاص ومن دان
وٱرزقه أعلىٰ مقامٍ في متابعة الـ … ـرسولِ أحمدَ في سر وإعلان
مع السلامةِ واللطف وعافيةٍ … وحسن خاتمةٍ وأمنٍ وإيمان
وافعل كذلك في أهل لَهُ وذوي … ودٍّ ووُلْدٍ وإخوان وخلان
كذاك والمؤمنون أينما سكنوا … واغفر لنا ولهم يا خير حنان
فضلاً ومَنّاً وإحساناً فليس لنا … سوى الرجا فيك ما لي غيرُهُ ثان
وصلِّ ربي وسلِّم دائماً أبداً … ما حرك الريح في الدنيا لأغصان
على النبيِّ رسول الله شافعنا … والآل والصحب والتابعْ بإتقان

* * *

وقال رضي الله عنه طالباً من ربه وراغباً فيه :

يــا رب يــا رب جينــا طــامعيــن   يــا رب يــا رب جينــا طــالبيــن
قُـل بـالمطـالـبْ رجعتـم فـايـزيـن   وقـد صَلَـحْ شـانكـم دنيـا وديـن
لا بــاجتهــاد ولا كســبِ اليميــن   إلاَّ بمحـض الكـرمْ يـا سـامعيـن
فضــلاً مــن الله رب العــالميــن   فــلا تخيِّــب رجــانــا يــا معيـن
وهــب لنــا الصبـر يـا اللهْ واليقيـن   وأَحينــا يــا إلـٰهــي شــاكــريــن
وكــن لنــا ربَّنــا فــي كــل حيــن   لا سيمـا عنـدمـا يحمـى الجبيـن
تــوفنــا يــا إلـٰهــي مــؤمنيــن   نبعـثْ ونحشـرْ مـن الخـوف آمنيـن
نــدخــلْ مـع الأنبيـا والسـابقيـن   والأوليــا والكــرام الصــالحيــن
طَلَبْتــكَ اللهْ لــم أطلــب ظنيــن   لســت أبــالـي بقـول المنكـريـن
وصــلِّ ربــي علــى الهــادي الأميـن   خَتْــم النبييــن خيــر الشــافعيــن
والآل والصحــب هُــم والتــابعيــن   مــع الســلامِ علــىٰ مــر السنيــن

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وعامله بالفضل والإحسان وكان له في كل شأن، تذييلاً علىٰ قصيدة سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنهما وأعاد علينا من بركاتهما ، آمين :

يا سعد قلبي ما سَلاَ ولا طاب   وزاد حُزنُهْ والحنينْ
من بعدما فارقْ ربوع الاحباب   وصار بين النازحين
وحَلَّ بين الباديه والاجناب   أهل الجفاءِ الغافلين
في البعد عن أُلآفِهِ والاصحاب   أهل المحبه واليقين

بيت

رعى الله أوقات الوصال يا صاح   ساعات راحات الفؤادْ
أيام كنا في سرور وافراح   والأنس مَعْ صفو الوداد
نُسقىٰ بكاسات الهنا من الراح   مَعَ أهله في خير ناد
ما نختَشِيْ مس الوَصَبْ والأوصاب   ولا أذايا المؤذيين

بيت

يا سعد سِرْ بي نحو ربع حِبِّي   قم بي وعَجِّل يا سعيدْ
فالشوق قد قَطَّعْ نياط قلبي   وزاد في جوفي وَقِيد
وليس يبرد حر نار كربي   من بعد ذا الوَهَج الشديد
إلا نزولي بين تلك الاطناب   بين الهداة الفائزين

بيت

الله جاري من جفا الحبايب   نعوذ بالله الكريمْ
إنُّهْ مصيبهْ دونها المصائب   لأنَّهُ نار الجحيم
وهل ترىٰ تصفو لِيَ المشارب   وعندهم أُمسي نديم
من بعد طول البعد والتغِرَّاب   وقد مضت كم من سنين

بيت

أرجو إلٰهي ذا الكرمْ والإفضال ... الله رب العـــــالميـــــنْ
يفتحْ عليٰ قلبي سَنِيَّ الأحوال ... مـــن محـــض فضلـــهْ آميـــن
مما منـحْ أوتـادهـا والأبـدال ... ممَّـــن سبـــقْ والـــلاحقيـــن
وأغـواثها وأفـراداها والأقطاب ... نســألــك جـودك يـا معيـن

بيت

أولـئـك الأقـوام هـم مـرادي ... وبغيتـــي بـــل والمَـــرامْ
ومطلبـي مـن جملـة العِبـاد ... وأُنـــس روحـــي فـــي الأنـــام
وحبهـم قـد حـل فـي فـؤادي ... وعـــم لحمـــي والعظـــام
أهل المعارف والصفا والآداب ... ورَّاث علـــم المـــرسليـــن

بيت

المخلصـون الصـادقـون الأبـرار ... التـــائبـــون العـــابـــدون
الطيبـون الطـاهـرون الأخيـار ... الـــراكعـــون الســـاجـــدون
العـارفـون الـذائقـون الأحـرار ... الحـــامـــدون الشـــاكـــرون
الكـل منهـم مخبـتٌ وأوَّاب ... سلكـــوا سبيـــل الســـابقيـــن

بيت

يـا الله بـذرَّهْ مـن محبـة الله ... يـــا رب يـــا معطـي الجـزيـلْ
أفنىٰ بها عن كل ما سوى الله ... يـــا مـــن عـــوائـدك الجميـل
ولا أرىٰ مـن بعـدهـا سـوى الله ... الخـــالـــقِ الفـــرد الجليـــل
الـواحـد المعبـود رب الأربـاب ... محيـــي قلـــوب العـــارفيـــن

بيت

فمـا أُرَجِّي اليـوم كشف كُربَهْ ... ورَفْـعْ مـا بـي مـن شـرورْ
إلاَّ آن صَفـا لـي مشرب المحبه ... وعـــم قلبـــي كـــلُّ نـــور

ونلت من ربي رضا وقُربَهْ وكل خصلهْ لن تبور
يكون فيها قطع كل الاسباب ممَّا سوى الله المتين

بيت

علىٰ بساط العلم والعباده على الصراط المستقيمْ
والغيب عندي صار كالشهاده بالروح والقلب السليم
هـٰذا لعمري منتهى السعاده طلبتُ ذا الفضل العظيم
سبحان ربي مَن رجاه ما خاب والنجح للراجي ضمين

بيت

يا طالب التحقيق قم وبادر واسلك بحالك والفعالْ
وانهض علىٰ ساق الهممْ وخاطر وأرْقَ إلىٰ أوْجِ المَعال
واصبر علىٰ قمع الهوىٰ وصابر ولا تطع عاذل وقال
واْصدُقْ ولا تبرح ملازم الباب تعطىٰ كمثل الصادقين

بيت

واعلم بأن الخير كلهْ أجمعْ في حال موتك والحياه
ضمن اتباعك للنبي المشفع شفيعنا عند الإلـٰه
صلىٰ عليهِ الله ما تشعشع بدرٌ وما أبدىٰ سناه
فجرٌ وما سالت عيون الاشعاب[1] فاخضر عيش المجدبين

* * *

(١) الاشعاب : جمع شِعب .

وقال رضي الله عنه لما ذكر له المحب عبد الله بن زين باسلامة أنه له نية :

إن كـــان لـــكْ نيــهْ فلــي نيتيــنْ	فــاسمـع لقــولــي يــا وَلَــدْ زيــنْ
وٱحمَـدْ لمـن فعلُـهْ جميـلٌ وزيـن	وكـــن قـــريـــر الطـــرف والعيـــن
ووحِّـد المـولـىٰ وبِـنْ كـلَّ بَيْـن	واتــرك جميــع الكــذب والمَيــن
وطهــر القلــبَ وتــب تــوبتيــن	ومـــا أرى الشَّنَّيْـــن يكفيـــن
واطلـب من المولىٰ ومُدَّ اليدين	مــن خــالــص التــوبــات ألفيــن
عسىٰ بهـنْ يُغسَـلْ دَرَنْ كـل دَرَيْـن	وتـــذهـــب الأدنـــاسْ والشَّيـــن
وتنمحـي التبعـات مَـعْ كـل دَيـن	حتـــىٰ لنـــا الحسنـــات يبقيـــن
فــلا نقــل يــوم الجــزاء عيهــوَيْـن	ولا نقـــل أيـــن المفـــر أيـــن
ببــركــة المختــار جــد الحسيــن	صلـــــىٰ عليـــــهِ الله لَكَّيـــــن
مــع الســلامْ أضعــافهــا مــرتيــن	تعــداد مــا الســاعــات يمضيــن

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه لما أتاه كتاب وأبيات من السيد محمد بن السيد الفاضل عبد الله بن أبي بكر عيديد هٰذه الأبيات في جوابه :

يقول ابنْ هاشمْ وصلني كتابْ ... منظومْ مفهوم المعاني
فيه الطَرَبْ فيه العجيب العُجاب ... أنعَشْ لجمسي مَعْ جَناني
نَظْمُ الولَدْ لا زالْ عالي الجناب ... محفوظْ من كل امتحانِ
في مجلسهْ في مذهبهْ والإياب ... مطهَّراً من كل رانِ
ووالدهْ أُنسيْ ولُب اللباب ... نسيجْ وقتهْ والزمان
لا زال يرقىٰ في العلوم الرحاب ... ونَفْع للقاصي ودان
يا رب يسِّرْ لُهْ جميع المَحاب ... وهب لَهُ فوق الأماني
قف يا محمدْ تحتَهُ بالركاب ... لا تشتغل عنُّهْ بثاني
وما يقولُهْ فهْوَ عين الصواب ... فٱتْبَعْ وإياك التواني
هٰذه نصيحهْ من محبٍّ لحاب ... خذها ولا تُصغِي لشاني
ويحصلُ المطلوبْ من كل باب ... في ذِهْ وفي تلك الجنان
واحفظ إلٰهي لي جميعَ الصحاب ... بجاه سيدنا اليماني
صلىٰ عليهِ الله منشي السحاب ... ما ناح قمريْ فوق بان
وآلِهْ وصحبهْ والذي قد أناب ... لله مُحسِنْ للحسان
والحمد للهِ علىٰ ما أثاب ... من فضلِهِ والامتنان

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته : وهٰذه قصيدة قلتها في الحث علىٰ حفظ اللسان من الأقوال المذمومة والكلمات المشؤومة :

أيهـا العبـد إن شئـت الأمـانْ … والـرضـا والإقـامـهْ فـي الجنـانْ

احـذر احـذر مـن آفات اللسـان … إنهـا المـوجبـهْ دار الهـوان

لا تجـي يـا أخـي قـالاً وقيـل … إنهـا مُـورِثَـةٌ شـرَّ المقيـل

والبكـا والفضيحـهْ والعـويـل … والحَـزَنْ والكـدر والامتحـان

أيهـا العبـد دع هٰـذا الكـلام … إنـه جلُّـهُ لـومْ أو حـرام

والزم الصمت إن شئت السلام … مـن مضـراتِـهِ فـي كـل آن

كـم وَرَدْ فـي مَـذَمَّـات الفضـول … عن شفيع الورى الهادي الرسول

فاقرأ « الإحيا » و« تيسير الوصول » … تعتـرفْ أن حفـظ القـول شـان

وهل يَكُبُّ الخلائقْ في الجحيم … للمَنـاخِـرْ سـوى القـول الـذميم

ثـم مَـن كـان يـؤمـن بـالـرحيـم … فليقـل خيـرْ أو يصمـت يُصـان

بـل ومـن حسـن إسـلامـكْ تـرى … تـرمـي مـا ليـس يعنيـكَ وَرَا

وابـكِ ذنبـكْ ودَعْ قـول الـورى … ولْتَسَعْـكَ الـدويـرهْ والمكـان

رُبَّ لفظَـهْ بهـا يهـوي الأنـام … فـي جهنـمْ كـذا سبعيـن عـام

والسَّخَـطْ كـم وقـعْ دائـمْ دوام … مـن كلَيْمـهْ بهـا المـرءُ استهـان

أبغـضُ الخلـق للهـادي تـراه … أكثـر النـاس فَكّـاً لِلَّهـاه

فـي فضـولٍ وشـيءٍ مـا عنـاه … هكـذا جـاءت أخبـارٌ حسـان

والحـديـث إن أَشـرار الأنـام … مَـن تغـذَّوْا بـألـوان الطعـام

هَمُّهـم فـي التشـدق بـالكـلام … والتفيهـق بهـا فـي كـلْ أوان

واعلم أن السلامه في السكوت … والتحصُّـنْ بـأجـواف البيـوت

والقنـاعـه مـن الـدنيـا بقُـوت … مـن حـلالٍ وتتـرك كـل فـان

وحـذيفـهْ يقـول كـان الـرجـلْ … فـي زمـان النبـيْ خيـرِ الـرُّسُـلْ

يتكلـــم بِكِلْمَـــهْ لـــم يقـــل غيـرَهـا شـؤمُهـا يبقـى الـزمـان
إنهـــا مِنْكُـــمْ فـــي كـــل يـــوم ظـاهـرهْ فـاشِيَـهْ مـن غيـر لـوم
عشـر مـراتْ تـأتـي أيـن قـومْ يحـذرون أو يخـافـون افتتـان
قـال بعـض الصحـابـه إنكـم تفعلـــونَ لأَشيـــا عنـــدكـــم
كـالشَّعَـرْ والـذيـن قبلكـم عنـدهـم مـن كبيـرات الـرزان
واعلـم أن المصـايـبْ كلهـا فـي جلـوسـك إلىٰ مَـن قـد لَهَـا
وابتعـادكْ عـن أربـاب النُّهـىٰ مَـن يـرقِّيـكْ حـالُـهْ والمعـان
فـالخليـلُ كخلِّـهْ فـي الخـلال والجليـسُ جليسُـهْ لُـهْ مثـال
يشبهُـهْ فـي صفـاتـهْ والفعـال هكـذا قـال مـن لا قَـطُّ مـان[1]
فـاستمـع قـول سيـدنـا الـوجيـهْ حين يوصي عبود بْن الفقيْه[2]
ويحـذِّرْهُ مـن كـل سفيـهْ هـاك كـل القصيـده يـا فـلان
يـا عبـود انقبـض في ذا الـزمـان مـن رجـال اللقـالِـقْ بـالِلسـان
تنظـرْ أبـدانهـم تبـرقْ زيـان والبـواطـنْ مَـلاَنـهْ بـالـدمـان
وَصْفهـم مِثلْ أوصـاف الـذيـاب لابسيـنْ فـوق ٱلاجسـاد الثيـاب
يدخلونْ بالنفاقْ في كل باب وٱطلقـوا فـي المضـرّات العِنـان
يشبهـون العقـاربْ والحنـاش والبقـرْ والأبـاعـرْ والكبـاش
ليتهم كانوا في أقصىٰ الحِباش كـدَّروا صفُـوْ أنـوار المكـان
مـا لهـم لـذهْ إلاَّ فـي الشقـاق والعلاقْ والوقاوِقْ في الرقاق
والنِّمَـمْ والتَّغـاري والنفـاق مـا لهـم قـطْ فـي الخيـر امتعـان
نطلـب الله مـولانـا الكـريـم اللطيف العطوف يحرسْ تريم
مـن خبـاث الطبـايـعْ والحـريـم حسبنـا الله نعـم المستعـان
يجْلِـيَ الله هَـم المسلميـن يكفِـيَ الله شـر الظـالميـن

---

(١) أي : كذب .

(٢) أي : الحبيب عبد الرحمـٰن بن علي . اهـ من خطه

المهيمـــنْ إلٰــه العـــالميـــن كــل مــا قــدَّر الــرحمٰــن كــان
وأســألُ الله تــوبــه خــالصــه فــالهِمَــمْ فــي العبــاده نــاقصــه
والنفوس في المعاصي راقصه يكفِـي المـوت واعـظْ والقُـران
ثم صلوا على الهادي الرسول أحمـد المصطفـىٰ زاكـي العقـول
والحسـن والحسيـن ثـم البتـول والصحـابـه هُـمُ القـوم الحسـان
انتهـىٰ قـول سيِّـدْنـا النصيحْ الـــذي قـــولُـــهُ كلُّـــهْ مليـــح
قـد خـرجْ مـن فـؤادٍ لُـهْ صحيح كــلُّ قــولٍ لَــهُ حــال الجَنــان
بخـتْ مـن يستمـعْ للصـالحيـنْ الهـداةِ الـدعـاةِ النـاصحيـن
ذاكْ سعيـدٌ بهـم دنيـا وديـن وينـال المنـىٰ فـي كـل شـان
مثـل أقـوال سيِّـدْنـا الحبيـبْ ذاك حــدَّادهــم نعــم الطبيــب
فـأتَّبِـعْ قـولَـهُ تـدعـىٰ منيـب مثـل مـا قـال نظمـاً كـالجُمـان
كيـف تـرضـىٰ بـدنيـا لا تـدومْ حَشْـوُهـا الشغـل دأبـاً والهمـوم
والعنـا والبـلايـا والغمـوم فـأرفُضـوهـا إنهـا النَّـزْرُ المهـان
هـٰـذه الــدار مــا فيهــا ســرورْ قـط يخلـو عـن أخـلاط الشـرور
كـل مَـن حبهـا عقلُـهْ يـدور فـي خـلال المَـزابِـلْ والهـوان
كم وكم من نصايحْ من إمامْ دأبُـهُ الـوقـتْ فـي نصـح الأنـام
مِثـلْ ذاك الغَـزَالـيِّ الإمـام فاقرأ « إحياه » خُصَّهْ بامتعان
فأقرأ « الإحيا » إذا شئت الحياه اِقرأ « الإحيا » إذا شئت النجاه
اِقـرأ « الإحيـا » يقـرِّبْـكَ الإلـٰه وتـرى الحـقَّ حقـاً كـالعِيـان
اقرأ « الإحيا » وصيِّرْهُ الجليس إنــه النــاصــحُ الخــلُّ الأنيـس
إنـه المـالْ والكنـزُ النفيـس خيـرْ صـاحـبْ يعلِّمـكَ البيـان
لا تجـالـس سـواه الآنْ قـطْ تُلْهَـمِ الـرُّشْـدْ تُحفَـظْ مـن غلـط
إنـه القسـطُ مـا فيـهِ شَطَـطْ كـل وازِنْ بـذا الميـزان زان
يـأتِـيَ الله بـالقلـب السليـمْ قـد سلـكْ للصـراط المستقيـم

وٱتَّبَـعْ سنـةَ الهـاديْ الكـريـم إنـه شَـرْحُهـا بـل والقُـران
قـال ذا القـولَ سـاداتٌ عـدولْ نُصْـحُ لِلّـه حقـاً والـرسـول
أهل الاسرارْ والصدقِ الفحول استقـامـوا علـىٰ حـد السنـان
واذكـرِ الله يـذكُـرْك الجليـلْ ربُّـكَ الله ذي يُعطـي الجـزيـل
قـف علـىٰ بـابِـهِ واحـذر تميـل خـابَ مـن يشتغـلْ عنـه بشـان
خاب في خاب مَن نَسِيَ الكريم خاب في خاب من نسي الرحيم
خاب في خاب من نسي العظيم ذاك غـافـلْ عليـه الخُسْـرُ بـانْ
لا تجـالسُـهْ إنـي لـكْ نصيـح لا تجيـهْ إنَّـهُ الضـر القبيـح
لا تخـالطُـهْ يعـديـك الجـريـح مَـن يـدانـي لـدانٍ فَهْـوَ دان
نسـأل الله يُصْلِـحْ للقلـوب نسـأل الله يَغفِـرْ للـذنـوب
وعلـىٰ عبـدِهِ المـذنـبْ يتـوب تـوبـةَ الصـدقْ تمحـو كـلَّ ران
وٱختِـمِ العمـرْ يـا ربِّ بخيـر واكفنـا كـلَّ مكـروهٍ وضيـر
واحفـظ القلـب لا يَـدخلُـهُ غيـرْ صُنُـهْ عـن غيـركـمْ كـلَّ الصـوان
مـا لنـا ربَّنـا معطـيْ سـواكْ مـا لنـا مـن هُـدىٰ إلاَّ هـداك
مـا لنـا مـن شفـا إلاَّ شفـاك جُـدْ لمـن لا لَـهُ فـي شَـيْ يَـدان
ثـم صـلِّ وسلِّـم دائمـا مـا سرى البـرق أو مُـزْنٌ همـىٰ
تتغشـى النبـي مُـروِي الظَّمَـا مـن يـديـهِ بمـاءْ نـابِـعْ عِيـان
والصحـابـات والآل الكـرام مَـن تـرقَّـوا إلـىٰ أعلـىٰ مقـام
ذكـرهـم رحمـةٌ تجلـي الظـلام حبهـم فـرضْ ديـنٌ بِـهْ يُـدان
ولـك الحمـد حمـداً لا يُعَـدّْ عَـدَّ فضلـكْ وجـودكْ والمـدد
إن نَعمـاكَ لا تُحصـىٰ بحـدّْ لابقـولٍ ولا رقـم البنـان
تَـمْ قَـولـي وٱسـألْ بـالـرسـول أن يَمُـنَّ إلٰهـي بـالقبـول
والعمـلْ بـالـذي أعلَـمْ وٱقُـول نسـأل الله فـرداً ذا امتنـان

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته ، آمين :

اللهُ كـــانَ ولا شـــيءَ معَـــهْ   وهُـــوْ علـــىٰ مـــا عليـــه الآن كـــان
سبحـــانــهُ عـــزَّ مـــولانـــا وجَـــلّْ   عـن أن يكـونَ لَـهُ فـي الكـونْ ثـان
اللهُ اللهُ لا تشهـــــــد ســـــــواه   وكـن بـهِ عـن جميـع الغَيـرْ فـان
تبــــارك الله لا أُحصــــي ثنــــاءْ   نعــم الــولــيُّ النصيـرُ المستعــان

* * *

وقال رضي الله عنه مرة أخرىٰ في كتاب آفات اللسان :

رأيـــتُ كتـــابَ آفـــات اللســـانِ   مـن « الإحيـاءِ » مقطـوعَ اللسـانِ
فقلـت مـاجـرىٰ لـكَ تَقطَعَنْهُ   وأنـت أخـو الفصـاحـة والبيـان
فنـــادانـــي لســـان الحـــال منـــه   بـأن الشـرَّ مـن هـٰذا أتـانـي
وليـــس لـــه دواءٌ غيـــرَ قطـــع   أو الإبعـــادِ مـــن إنـــس وجـــان
وإن قلـتُ سـأصمـتُ فـي اختـلاطٍ   فهـٰذا ليـس يحصـل بـالأمـانـي
وهـــل إلاَّ حصـــائـــدُهُ أَكَبَّـــتْ   لهـٰـذا الخلـــق فـــي نـــارٍ وران
وكـم مـن كِلْمَـةٍ لـم يُلـقِ بـالاً   بهـا شخـصٌ رمتـه بـالهـوان
فِـيِ الـدنيـا وفـي الأخـرىٰ جميعـاً   فهـل فَطِـنٌ سميـعٌ ذو جَنـان
يـريـد نجـاتَـهُ مـن قبـل هُلْـكٍ   وفـــوتٍ لادَرَاكَ لـــهُ بشـــان
يشمِّـرُ فـي احتـرازٍ عـن منـاه   ولا يسلـكْ سبيـلَ ذوي التـوانـي

* * *

وقال رضي الله عنه هٰذه الأبيات في الشكوىٰ إلى الله من منكرات الزمان مع عدم السلطان :

أشكو إلى الله مولانا عظيم الشانْ من منكرات القرىٰ والبدو والبلدانْ
والأصلْ والراسْ بل والساسْ والبنيان في كل منكرْ علىٰ ما قال ذو العرفان

أُم المناكير أرضٌ ما لها سلطان

لا يستقيمُ لهم دينٌ ولا دنيا ذو الحقِّ والصدقِ عندَ عارفِ الأشيا
فانظر إلى الناس أَحْيَا ليسَ كالأحيا ما تنظرْ إلاَّ سوىٰ فزعانْ أو حيران

أم المناكير أرضٌ ما لها سلطان

يدخلْ يصلي وهوْ ذاهلْ من الأخوافْ وَسَطْ بلادهْ وفي بيتهْ وهوْ مختافْ
ما حد يصدِّقْ بما قلتُهْ سوىٰ من شاف يا رب يا رب اِرحم هٰؤلا الصبيان

أم المناكير أرض ما لها سلطان

وٱمنُنْ إلٰهي بوالٍ يَقلَعُ الباطلْ ويرفع الحق عارفْ قاهرٌ عادلْ
يقومُ لِلّٰه يطلبْ أجرَهُ الكامل يبغي بذلكَ وجهَ الواحد المنان

أم المناكير أرض ما لها سلطان

ولم يخَفْ عند قول الحق من لايمْ أو يختشي عند دفع الظلم من ظالمْ
بالحق للحق ناصرْ مسعدٌ قائم نطلبْ من الله لم نطلبْ بخيلْ أوضانّْ

أم المناكير أرض ما لها سلطان

* * *

وقال رضي الله عنه هٰذه الأبيات لمَّا رأىٰ كثرة من مات من أقرانه ولم يتأثر بذلك ، ولم يشمر لزاد الآخرة ، غفر الله له ولجميع المسلمين :

كلٌّ تزوَّد ووَلَّىٰ وينْ جا بِنْ حسين ... ما شوفْ شِيْ زادْ عندهْ وين زادُهْ فيينْ

ما شوف عندهْ سوىٰ ذنبٍ وغفلهْ ومَيْن ... أظنُّـهْ إلاَّ إذا وَلَّـىٰ يقـلْ يـا هـوَيْـن

والآن قد جاك يا مولىٰ الخَزَيْن المَلَيْن ... فقيرْ محتاجْ خالي الجيب والراحتين

ما شِيْ معهْ قط جاك اليومْ صِفْر اليدين ... طَلاَّبْ سائِلكْ من فضلكْ وجودكْ عُوَين

فاغفر لَهُ الذنبْ واستر كلّ عيبٍ وشين ... وأدِّ يـا رب عَنُّـهْ كـلَّ حـقٍّ وديـن

واغفر لأهلهْ وأصحابهْ وللوالدَين ... ولا تُرِيْهِ سوى الخيراتْ في الحالتين

وٱمنُن عليه بتوبةْ صِدقْ بل توبتين ... ولا تُبَـقِّ عليـهِ مـن معـايبُـهْ ريـن

وحَلِّـهِ مـن عطـايـاك السنيَّـهْ بـزَيـن ... واختم لنا رب بالحسنىٰ بجَدِّ الحسين

عليه صلىٰ إلٰهي ما الليالي مَضَين

* * *

وقال رضي الله عنه مشيراً إلىٰ عرشة لبعض بناته :

ذهْ عَـرْشِـهْ مـا مِثْلها عـرشِـهْ ... والعـرشِـهْ هِـيْ خـاطـر الإنسـانْ
فـالـراضـيْ شُـفْ قلبـهْ يـاضـي ... والسـاخـطْ مَـلآن بـالأحـزان
كـم غُـرْفـهْ فيهـا تـرى الكُلْفَـهْ ... كـم جَـذْرٍ صـاحبُـهْ بـهْ فـرحـان
كـن ذاكـرْ وحـامـدْ شـاكـرْ ... كـن صـابـرْ تسلَـمْ مـن الخسـران
يـا بختـهْ مَـن آنسُـهْ ربـهْ ... يـا فـوزهْ مَـن ذِكْـرُهُ الـرحمٰـن
والـدنيـا ممـرٌّ لـلأَحيـا ... والمَـرجـعْ للقبـرْ والـديـدان
أفْكِـرْ لَـكْ فيمـن مضـىٰ قبلـكْ ... عَـرِّبْ لَـكْ مـن قبـلْ كـانـوا كـان
والحَسْنـهْ تـدخـلْ بهـا الجنـهْ ... فـي الكَفَّـهْ يثقُـلْ بهـا الميـزان
يـا قلبـي كـمْ لـكْ كـذا تِصْبـي ... فـاْشفِـقْ بـي واْحـذر مـن النيـران
يـا ربـي أَسـأَلَـكْ تَلطُـفْ بـي ... واْرفِـقْ بـي واْحفـظ مـن العصيـان
واْسـتـرنـي يـا ربّْ واْجبـرنـي ... واْرحمنـي يـا ربّْ يـا حنـان
واغفـر لـي يـا خـالقـي واْهلـي ... واْحبـابـي وهٰـؤلا الصبيـان
عَلِّمْهـمْ ربـي وفَقِّهْهُـم ... واْحفظهـمْ مـن كـل ذي شَنْـآن
واسـتـرهـم يـا رب واجبـرهـم ... واعمـرهـم بـالعلـم والعـرفـان
واْرشـدهـم للخيـرِ وفقهـم ... واْغمـرهـم بـالفضـل والإحسـان
واختـم لـي يـا ربّْ بـالحسنـى ... واْولادي والأهـلْ والإخـوان
صَلَـواتـي وأزكـىٰ تحيـاتـي ... تتغشـىٰ سيِّـدْ وَلَـدْ عـدنـان
واْنصـارهْ أيضـاً وأَصهـارهْ ... واْصحـابـهْ والآل والأخـدان

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به لما تذكر من مات من أهل الفضل :

يا علي ماتوا اللي ما نُباهُمْ يموتونْ ... ماتوا اللي بَقاهُم مَيِّتَ الدين يُحْيُونْ

ماتوا اللي أمان الأرضْ هم حينْ يَحْيون ... إنهم ما بَقَوُا للدينْ فالدين مَصْيون

إنْ رُؤوا يُذكَرُ المولىٰ بهم حينْ يُرْأَوْنْ ... ذِكْرُهم تنزل الرحمهْ بِهِ حين يَحكُون

مَن تَشَبَّهْ بهم بَختُهْ ولو كان هُوْ دُون ... أو نَظَرْهم ولو مَرَّهْ بِهِ إذ يَمُرُّون

إنْ تَظنُّوا بهم خيراً لكم ما تظنون ... أو يَظُنُّ بهم شراً فهُوْ عبدْ مفتون

مَن يُعاديْ لهم حارَبُهْ مَن كَوَّنَ الكون ... كل مَن حَبَّهُم منهمْ يُعَدّْ إذ يُعَدُّون

أو جَلَسْ عندهمْ جلسَهْ وللذِّكْر يَتْلُون ... ذاكْ يُغفَرْ لَهُ معهمْ كذا جاءَ يَرْوُون

ليتني مَعْهُمُ أو عندهمْ حين يَدعون ... بَختْ مَن هوْ بهمْ صَبٌّ مُوَلَّهْ ومفتون

وصار كلهْ بهم قلبُهْ وقالبُهْ مرهون ... الدعاةُ الهداة الراسخون المحبون

وارثوا الأنبيا في عِلمْ مخزونْ مكنون ... حُبُّهم عندنا مفروضْ لا نَفْلْ مسنون

ما هم إلاَّ خبايا للبلايا يزيلون ... ما هم إلاَّ دَوَا مِن كل علةْ يداوون

كل من لُهْ نَظَرْ في حبهم ما يرىٰ هُون ... فاستمعْ ذِكْرَ كلبِ الكهفْ في حينْ يقرون

ينفعون الورىٰ في كل شيءْ ما يضرون ... هل ترانا نراهم أو بنا يومْ يَرْضَون

ما أظنْ وإنْ ظَنَّيْتُ ذا صرتُ مجنون ... كيف يرضون مَن هُمْ عُمْرهُمْ مَرّْ يعصون

عُمرُهمْ مَرّْ في غفلهْ يصلون ساهون ... ربنا تب علينا إنني جيتْ محزون

طالب العفوْ يا مَن مِنُّهْ العفوْ مسهون ... وٱغفر الذنبْ يا مَن فضلُهُ غيرْ ممنون

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته ، آمين :

يــا ربّْ أعنـا يـا معيـنْ ... وهـب لنـا حُسْـن اليقيـنْ

وهـب لنـا الفضـل العظيـم ... والعـافيـهْ دنيـا وديـن

وٱرشِـدْ وسـدِّدْ يـاكـريـم ... وكـن لنـا فـي كـل حيـن

واغفـر لنـا والـوالـدِيـنْ ... والمسلميـنَ أجمعيـن

* * *

وقال رضي الله عنه : وهٰذه أبيات قلتها بمكة المشرفة ، أواخر سنة (١٢٣٥ هـ) مع العزم علىٰ زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

رسـولَ الله جئنـا زائـرينـا ... وبـالأوزار جئنـا مُثقَلينـا
ومـن أمـرٍ مَهـولٍ قـد عـرانـا ... أتينـا هـاربيـن وشـارديـنـا
أنـاسٌ قـد طغـوا وبغـوا علينـا ... ولاراعَـوا حقـوق الأقـربينـا
ونـالـوا مـا تمنَّـوْا مـن أذانـا ... ولا قَنِعـوا بمـا فعلـوه فينـا
تشفَّـعْ أرحـمَ الثقليـن فينـا ... فمـا زلـتَ شفيـعَ المـذنبينـا
تشفـع سيـدي فينـا فـإنَّـا ... مـن الأهـوال جئنـا حـائـرينا
تشفـع يـا رسـول الله إنـا ... بكـم ياسيِّـدي مستشفعـونـا
ألسنـا بـالقـرابـة حيـن نُـدعـىٰ ... وبـالأولاد نُـدعـىٰ والبنينـا
أيـرجـو النفـعَ منـك بنـو فـلان ... ويُحـرَمُـهُ بَنـوك الأقـربـونـا
فحـاشـا فضلكـم أن تهملـونـا ... ونـرجـعَ عـن نَـداكـم خـائبينـا
وأنـت أرحـمُ الثقليـن قلبـاً ... وأَرْأَفهـم بهـم رفقـاً ولينـا
وأَوْصَلُهـم إلـى الأرحـام طُـرّاً ... وأكـرم مـن أتـىٰ بـك مستعينـا
رسـولَ الله إنـا قـد نـزلنـا ... بكـمْ يـا خيـر كـل المُنـزَلينـا
رسـول الله ضقـتُ الآن ذرعـاً ... وصـار القلـب مكتـربـاً حـزينـا
رسـول الله إنـا قـد أتينـا ... إليكـم نـاظـريـن وطـامعينـا
ونـرجـو أن نفـوز بمـا رجـونـا ... وبـالمطلـوب نـرجـع فـائـزينـا
فقـل يـا سيـدي حقـاً نُصِـرْتـم ... وفـزتـم بـالمطـالـب أجمعينـا
وقـم يـا سيـدي وٱقمـع عـدانـا ... وبـدِّد شملهـم شيئـاً مبينـا
وإن كنـا عصينـا أو أسـانـا ... فـإن الله خيـر الغـافـرينـا
وجينـا بـافتقـارٍ وانكسـارٍ ... وذُلٍّ خـائفيـن ونـادمينـا
وقفنـا تحـت بـابِكـمُ خضـوعـاً ... ومـن أوزارنـا مستغفـرينـا

ولـم نُطِـلِ المقـالـة بـالشكـاوى وإكثـــار التـــوجُّـــعِ والأنينـــا

لأن الحـــال لا يخفـــىٰ عليكـــم وأنتـم بـالحــوادث عــارفـونـا

ولـٰكنـــا تَـــرَوَّحْنـــا بهـٰــذا لأنـــا سيــدي مستـــوجعـــونـــا

فعفــواً سيــدي منكــم وصفحــاً فحِلْمُكـــمُ يعـــم الجـــاهلينـــا

وقل قُضِيَتْ حوائجكم جميعاً صَلَحْنـــا شـــأنكـــم دنيـــا ودينـــا

عليــك الله صلــىٰ كــلَّ حيــن وسلَّـــمَ عَـــدَّ أيـــام السنينـــا

وآلِـكَ والصحــاب ونَختِمَنْهــا بحمـــد الله رب العـــالمينـــا

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين، آمين في شهر شعبان سنة (١٢٦٣هـ):

يـا مــن لـه الحــول والقــوَّهْ ... يـا مــن إذا شــاءَ أمـراً كـانْ
يـا مـن لـه الطَّـوْل والقــدره ... يـا ربنـا يـا عظيـم الشـان
يـا دائـم الفضـل والمعـروف ... وإنْ كَثُــرْ مِنَّـا العصيـان
يـا عـالـم الحـال يـا ستـار ... يـا غـافـر الـذنـب يـا رحمـٰن
نسهــو ونلهــو ولا تقطــعْ ... عنـا عطـايـاك يـا منـان
نعصــي فتستــر ولا تُظهِــرْ ... سـوى الجميـلِ مـدى الأزمـان
يـا رب يـا بَـر يـا تـوَّاب ... امنـن بتـوبـة علينـا الآنْ
تـرضـىٰ بهـا يـا عَلِـيْ عَنَّـا ... رِضـاً بـه نبلـغ الإحسـان(١)
فـالعمـرُ يـا ربنـا ولـى ... وفـات فـي اللهـو والنسيـان
بـل فـي معـاصـي وفـي أشيـا ... ذي فعلُهـا يُـرضِـي الشيطـان
نعـوذ بـالله خـالقنـا ... نلـوذ بـالمُفْضِـل الحنـان
مـن كـل شـيءٍ يبَعِّـدنـا ... عـن ربنـا كـائنـاً مـا كـان
ونســأَلُ الله يصلحنـا ... فـي القلـب والقـول والأركـان
ويختـم العمـر بـالحسنـى ... ويكبـتُ الحـاسـد الشَّنْـآن
ويكفِـي البـاغِـيَ الظـالـم ... بمـا يشـا إنـه ذو الشـان
فكـم مَنَـعْ كـم دَفَـعْ عنـا ... ورَدَّ كيـدَ العـدىٰ خَسـران
فضـلاً ومَنّـاً وإحسـانـاً ... مـن واسـع الجـود والإحسـان
عَـوَّدْتنـا ربَّنـا زدنـا ... مـن فضلـك الفـائـض الهتَّـان
وهـب لنـا الشكـرَ للنَّعمـا ... لكـي تـدومَ مـدى الأحيـان

(١) أي: مقام الإحسان؛ وهو: أن تعبد الله كأنك تراه كما في الحديث. اهـ مؤلف.

واشـفِ إلٰهـي لنـا مـرضـىٰ   من كـل أوجـاعهـم بـأمـان
أصلـح قلـوبـاً وأجسـاداً   فـي شكـرْ في عفـوْ في غفران
وأَصلِـحِ الـوالـي أَرشِـدْهُ   للعـدل فـي البَـدْو والبلـدان
سـدِّد ووفِّـق وأيِّـدْهُ   بـالمـال والجنـد والخـلان
ونُصـرَةِ الشـرع والمظلـوم   والجبـرِ والغـوث للهفـان
ننـالُ بـالشـافـع المقبـول   مـا ليـس يخطـرْ بقلـب انسان
صلـىٰ وسلَّـمَ ذو العـرش   عليـهِ والآل والأخـدان
مـا هبـتِ الـريـح واهتـزَّتْ   مـن أجلهـا النخـل والأغصـان
والحمـد لله لا نُحصِـي   ثنـاهُ بـالحـد والحسبـان

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

لـــك الحمـــد إلٰـــهَ العـــالميـــنَ   علـــىٰ فَـــرَجٍ أتـــىٰ بعـــد سنيـــنَ
زوال المفســـديـــن مـــن تـــريـــمٍ   بـــلاد الصـــالحيـــنْ والعـــارفيـــنَ
فكـــم قـــد أخـــربوا فيهـــا وعـــاثـــوا   وكـــم قـــد أهلكـــوا دنيـــا ودينـــا
وكـــم قـــد عَلَّمـــوا أخـــلاق ســـوء   فشـــت فـــي الأبعـــديـــنْ والأقـــربينـــا
وكـــم قـــد رَوَّعـــوا مـــن غيـــر جُـــرْمٍ   أنـــاســـاً صـــالحيـــنَ وعـــابـــدينـــا
لـــك الحمـــد إلٰهـــي مـــا حَيِيْنـــا   علـــىٰ هٰـــذا يـــدوم ومَيِّتِينـــا
ووفقنـــا لشكـــرك مـــا بقينـــا   وعبِّـــرْنـــا علـــى الخـــوفْ آمنينـــا
ولا تُـــرِنـــا إلٰهـــي قـــطُّ ســـوءاً   ولا فـــي أهلنـــا والـــوالـــدينـــا
ولـــلأعمـــارِ اِختِمْهـــا بخيـــرٍ   ويـــوم البعـــث نُبعَـــثُ فـــائـــزينـــا
ببـــركـــة أحمـــدٍ خيـــر البـــرايـــا   إمـــام الأوليـــنْ والآخـــرينـــا
عليـــهِ الله صلـــىٰ كـــلَّ حيـــن   وسلَّـــمَ عَـــدَّ ذِكْـــر الـــذاكـــرينـــا
وتغشـــى الآلَ والاصحـــابَ دأبـــا   وكـــلَّ تـــابـــعٍ والمسلميـــن
ولله الكـــريـــمِ أجَـــلُّ حمـــدٍ   يـــدوم عِـــدادَ حمـــدِ الحـــامـــديـــن

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته في الدارين ، آمين :

يا رب يا رب فرِّج حُزْنَ ذا المحزونْ   إن الفرجْ عندَكم في كافكم والنونْ
وأنت عالمْ بما في باطني مخزون   أقول ما قال عبدكْ يونسٌ ذو النون

بيت

يـا رب يـا رب يـا وهـاب يـا ستـار   يا رب يا رب يا ذا العفُوْ يا غفار
اغفر وسامح لذي الآثام والأوزار   فرِّجْ عليه إلٰهي باسمك المكنون

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه هٰذه الأبيات بتاريخ يوم الخميس ، العاشر من شهر جمادى الأولىٰ ، سنة (١٢٦٥هـ) بعد دخول يافع سيؤن ، وفعلهم فيها ما فعلوا ، قال مبشراً بحصول الفرج ، ووقع كما ذكر رحمه الله تعالىٰ :

جاء الفرَجْ مَرَّةْ ... من غير ما حُسبانْ
جاء الفرَجْ كلهْ ... رَحْمَةْ من الرحمٰن
جاء الفرج عاجلْ ... مَنّاً من المنان
فضلاً وإحساناً ... من ربنا الحنان
فالحمد لكْ يا رب ... يا دائمَ الإحسان
كم قد كفىٰ ربي ... من حاسدٍ شَنْآن
وكم كفىٰ أعدا ... بفضلِهِ الهتان
يُظْهِرْ مَحاسِنَّا ... ويسترُ العصيان
يُخفِي قبائِحْنا ... والزور والبهتان
نسألكْ يا ستار ... كما سترت الآن
تُدِيمُ هٰذا الجود ... يا ذا الكرم يا مانّْ
ذا فصل والثاني ... أوصيك يا إنسان
خذ من علوم الدين ... شيئاً عظيم الشان
واعمل بِهِ تنجو ... غداً من النيران
واسلك إلىٰ ربك ... سلوكَ ذي الإحسان
واطلب حلالَ القوت ... وكسوةَ الأبدان
وعادَنا أوصيكْ ... احذر من الهذيان
واترك جميع الناس ... إنْسِيَّهم والجان
وكن جليسَ الله ... بالذكر والقرآن
وكن سليم البال ... من سائر الأَدران

وأصمُـــتْ وكـــن خـــامــل   فـــي هـٰــذه الازمـــان
زمـــان كلُّـــهْ جَــــوْر   فيـــه الفتــــنْ أفنــــان
الخيـــر بِــــهْ كـــاسـِـدْ   يَــــرَوْنــــهُ خســـران
والشـــر بـــه نـــافـــقْ   يُبــــاعُ بــــالميـــزان
فـــأبعِـــدْ ومِــلْ عنهـــم   بعيـــدهــم والـــدان
وأغْـــنِ بمـــا يعنيـــك   بـــالقلـــب والأركـــان
تَحمَـــدُ عنـــد المـــوت   والـــدَّرْج فـــي الأكفـــان
يـــا حـــافـــظ احفظنـــا   واحفـــظ لنـــا الإيمـــان
واغفـــر لنـــا الأوزار   والإفْـــكَ والعصيـــان
واختـــم لنـــا بـــالخيـــر   عنـــد انقضـــا الأَحيـــان
ببَـــرْكـــةِ الهـــادي   سيِّـــدْ ولَـــدْ عـــدنـــان
عليـــه صلــــى اللهْ   والآلِ والخــــلان
مَـــعَ ســـلامِ الله   مـــا ســـارتِ الـــركبـــان
والحمـــــــد للهِ   الـــواحـــد الـــرحمٰـــن

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه بتاريخ شهر المحرم سنة (١٢٦٦هـ) جواباً لقصيدة أرسلها إليه السيد محسن بن حسين العطاس :

محسنْ أحسِنْ عسىٰ ربكْ يجازيكْ باحسانْ　　واعمل الخير تُحمَدْ في عواقبك والآنْ

واطلب العلمْ واعمل بهْ وكن خيرْ إنسان　　في الصِّلةْ للرحِمْ بالمال في كل الاحيان

والصِّلَهْ للذي يجهلْ بتعليم الاديان　　نِعْم تلك الصله تُوصِلْ لجنات رضوان

ذه صِلَهْ باقيهْ تبقىٰ معه بعد الاكفان　　ذه صله تنفع الإنسان من حر نيران

ذه من الباقيات الصالحه ذي لها شان　　فادعُ يا محسن القاصي إليها مع الدان

واسلك اسلك طريق الصالحين أهل الاديان　　أهل عِلْم الشريعه والحقيقه والإيمان

واقرأ « إحيا علوم الدين » واعرفه عرفان　　واتخذه دليلاً في مسيركْ وربان

في قدومكْ وإحجامكْ بقلبكْ والاركان　　لا تخالفُهْ في شِيْ كن معه أينما كان

مَذهَبْ اسلافْ سادوا بهْ على الإنس والجان　　واذكر الله يَذْكرْك العليْ عالِي الشان

واذكرِ الله تَحظىٰ من إلٰهكْ بغفران　　واذكر الله تُجزىٰ كلَّ خير وإحسان

واذكر الله يغرسْ لكْ شَجَرْ ثُمْرُها دان　　واذكر الله لا تغفل يقارنَكْ شيطان

من نسي رَبَّهُ جازاه ربُّهْ بنسيان　　يا عظيمَ المواهبْ يا رحيمٌ ورحمان

يا جزيل العطايا يا كريماً ومنان　　يا سميع الدعا يا فردْ غفارْ حنان

اِختِم العمرْ بالحسنىٰ وخيرٍ وإيمان　　لي وأهلي وأولادي وصحبي وإخوان

وأهدنا وأكفنا يا ربنا كل عدوان　　وأعطنا السُّؤْلْ والمطلوبْ يَالواحد المانّْ

واعف عنا ونَقِّ القلب من كل الادران　　طهِّرِ القلب من شكٍّ وغش ومِنْ ران

طهِّرِ القلب من كل المعايبْ وعصيان　　واحفظ القولْ من زورٍ وإفك وبهتان

واغتيابٍ ومن كل المعاصي والاركان　　كلها كن لها حافظْ بفضلكْ والاحسان

وأمنُنْ امنن بتوبهْ مُوجِبَهْ كلَّ عرفان　　ماحِيَهْ للقبائح مُثْبِتَهْ كلَّ ما زان

مُوجِبَهْ الاسْتقامه في مقاماتْ الايقان　　واتِّباع النبيْ الهاديْ بسِرٍّ وإعلان

صلِّ ربي عليهِ كلما فجرْ قد بان　　والصحابهْ وآلِهْ والذي دِيْنَهم دان

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

سامحوني واعذروني ... من رأىٰ حالي عذرني
والذي لم يَرَ حالي ... ربما يوماً شتمني
لَمْ أَلُمْ هٰذا ولا ذا ... كلهم في حل مني
إنني عبد فقير ... وصفِيَ النقص وفني
غير أن الله أظهرْ ... كل حُسْن وسترني
فأَدِمْ سترك ربي ... وٱمحُ ذنبي واعف عني
ما معي إلاَّ ظنوني ... فيك قد أحسنت ظني
إن يكن ذنبي عظيماً ... رحمة الله تسعني

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين سنة (١٢٦٧ هـ) :

أدركـــونـــي أدركـــونـــي ... قبــل مــا تَغْلَــقْ رهُــونِــيْ
واغفـــروا ذنبـــي ووزري ... واستـــرونـــي وارحمـــونـــي
يـــا أهيـــل الفضـــل مُنُّـــوا ... أصلحـــوا فضـــلاً شـــؤونـــي
وأجبـــرونـــي واقبلـــونـــي ... واعـــذرونـــي وارفعـــونـــي
إننـــــي عبـــــد فقيـــــر ... ومَعِيـــبٌ فـــاصلحـــونـــي
يـــا أهيـــل الجـــود مَنّـــاً ... منكـــمُ أن تحـــرســـونـــي
وارفقـــوا بـــي والطفـــوا بـــي ... ســـادتـــي لا تهملـــونـــي
يـــا أولـــي المعـــروف جـــوداً ... ســـايـــرونـــي واحفظـــونـــي
إننـــي كلـــي عيـــوب ... وذنـــوب فـــاستـــرونـــي
يـــا أهيـــل الصفـــح صفحـــاً ... وافـــراً فـــوق الظنـــون
أرتجيكـــم يـــا رجـــائـــي ... بـــالفضـــائـــلْ تعمـــرونـــي
والمحـــاســـن والمعـــارف ... واللطـــائـــف تغمـــرونـــي
واختمـــوا بـــالخيـــر عمـــري ... عنـــدمـــا تـــدنـــو مَنـــونـــي
والصـــــلاة والســـــلامُ ... عَـــدَّ تحـــريـــك الغصـــون
يغشيـــان الهـــادِيَ أحمـــدْ ... قـــرنُـــهُ خيـــر القـــرون

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته ، آمين :

إلى الله أشكو ما هُوَ أعلم به مني ... وذاك سببْ ذنبي فيا ربِّ اِرحمني
وتـب تـوبـة مقبـولـة وصحيحـة ... عَلَيَّ بها ترفعْ جميع الذي أمْحَنِّي[1]
تفضـل تفضـل يـا إلٰهـي وسيـدي ... فمـا لـي سـواكَ مـن بليتـي ينفعنـي
تفضل كريمَ الوجه وامنن برحمة ... بها من جميع الكرب والهم تحفظني
فـإنـي وإن كنـت مسيئـاً ومـذنبـاً ... فلي حُسن ظنّ فيك أنك تسترني
فـإنـك أظهـرت الجميـل وزدتنـي ... بأشيا حسانٍ لم تكن فيّ أو مني
فيا رب عاملني بفضلك واهدني ... بمنِّك واغفر لي بجودك واجبرني
واِختِـم لنـا بـالخيـر عنـد ممـاتنـا ... ولا بـذنـوبـي يـا إلٰهـي تـؤاخـذنـي
وصـل إلٰهـي كـل حيـن وسـاعـة ... وسلِّم على الهادي النبيْ المصطفى العدني

❊ ❊ ❊

(١) أي : أَمْحَنِّي و الذي امتُحِنت به .

وقال رضي الله عنه في (١٨) شهر ربيع الثاني سنة (١٢٦٨ هـ) :

الحمـــــد لله حمـــــداً كـــــلَّ آن ... حمـداً يفـوقُ لحمـد الحـامـديـن
علـى الهـدىٰ والكفـايـه والأمـان ... فـــالحمـــد لله رب العـــالميـــن
وكـم نِعَـمْ ليـس تُحصـىٰ بـاللسـان ... ولا تُعَـــدُّ بعـــدّ العـــاديـــن
في الحال والمال والدين المصان ... وأهلنـــا والقـــرابـــه والبنيـــن
يـــا رب يـــا ذا العـــلا والامتنـــان ... والفضـل والجـود للنـاس أجمعيـن
يـا سـامعـاً للـدعـا يـا مستعـان ... يـا مـن إليـه الشكـايـه يـا معيـن
يـا عـالمـاً بـالظـواهـر والجنـان ... فـرِّج علينـــا وكـــل المسلميـــن
وارفـع جميـع الفتـن والامتحـان ... واستـر فـإنـكَ خيـر السـاتـريـن
واغفـر وسـامـح وأصلـح كـل شـان ... وارحـم فـإنـكَ خيـر الـراحميـن
وتـب علينـا عسـىٰ نـرجـعْ زِيـان ... فـإننـا فـي المعـاصـي غـارقيـن
فـــامنـــن علينـــا وإن كنـــا شِيـــان ... نـرجـع بفضلـكْ وجـودكْ طـائعيـن
واحفـظ إلٰـهـي مـن آفـات الـزمـان ... وكـن لنـا ربَّنـا فـي كـل حيـن
واختـــــم بخيـــــرٍ إذا آن الأوان ... لـي والقـرابـه وكـل الطـالبيـن
فـي لطـفْ وافـرْ وأسكِنّـا الجِنـان ... وهـب لنـا يـا إلٰهـي حُـورْ عيـن
(ذا فصل) والثانِي ٱسمع يا فلان ... إن كنـت تسمـعْ لقـول النـاصحيـن
تـب تـوبـةً قبـلْ تمسـي مَيْـتْ فـان ... مـا ينفعـك طـول حـزنـك والحنيـن
واعمـل لأخـراك أعمـالاً حِسـان ... يـرضـىٰ بهـا عنـك رب العـالميـن
واطلـب علـومـاً بهـا يَحيـا الجَنـان ... واسلـك عليهـا سلـوك الصـادقيـن
وٱبعِدْ مـن النـاس قـاصيهـم ودان ... واحـذر تسَمَّـعْ مقـال القـائليـن
يـورثَـكْ همـاً وغمـاً وامتحـان ... والخسـر والنقـص فـي دنيـا وديـن
واذكـر إلٰهـكْ بقلبـك واللسـان ... وجـالـسِ الله تظفـر بـاليقيـن
فـالـذِّكْـر لله يَجلـي كـل ران ... ويبعـد الشـر وإبليـس اللعيـن

وذاكـــرُ الله محفـــوظ مصـــان | جليســـه الله خيـــر الخـــالقيـــن
والله يحفظُـهْ مـن حـاسـدْ وشـان | فـاذكـر وكـن دائمـاً فـي الـذاكـريـن
ونـــاسِـــيَ الله فيـــه الخُســـر بـــان | قـــرينـــهْ إبليـــسْ راس الفـــاسقيـــن
ينســـاه ربـــهْ وذا راس الهـــوان | فاحذر تكن يا فتىٰ في الغافلين
واحفـظ مقـالـكْ إذا شئـت الأمـان | إلاَّ بخيـــرْ أو بمعـــروفٍ مبيـــن
واســـأل مـــن الله لا تســـأل لِثـــان | رب الأوائـــلْ ورب الآخـــريـــن
يعيطـك سـؤلـكْ ومطلـوبـك بـآن | احـــذر تَعَلَّـــقْ بغيـــره يـــا ظنيـــن
فـاحفظُـهْ يحفظَـكْ جـا ذا فـي بيـان | عـــن خـــاتـــم الأنبيـــا والمـــرسليـــن
صلـــىٰ عليـــه الإلـٰــهُ المستعـــان | والآلْ والصحـــبْ بـــل والتـــابعيـــن
مَـــعَ الســـلامِ عـــدَدْ كـــلِّ أذان | وعَـــدِّ أنفـــاس خلقـــه أجمعيـــن
ومطلبـي رب قـل لُـهْ كـن فكـان | والحمـــد لله رب العـــالميـــن

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

أستغفـــر اللهَ مـــن ذنـــوبـــي ومـــن عيـــوبـــي وكـــلِّ شَيْنـــي

عِـــدادَ ذنبـــي عـــداد عيبـــي عـــداد إثمـــي وكـــلِّ مَيْنـــي

* * *

وقال رضي الله عنه مذيلاً علىٰ هـٰذين البيتين الأولين :

(احـــذر لســانـك أيهــا الإنســانُ لا يَلْـــدغَنَّـــكَ إنـــه ثعبـــان

كـم فـي المقـابـرِ مـن قتيـلِ لسـانـه كـانـت تَهـابُ لقـاءَهُ الشجعـان) :

بل ما يكب الناسَ في قعر لظَىٰ إلاَّ حصـــائـــدُهُ فهـــل يقظـــانُ

يُصغِـي لمـا يُلقِـي إلـٰهـي فيحْـذَرَنْ مـن قبـلِ مـا يَستَهْـوِهِ الشيطـان

مـن كـان يـؤمـن بـالإلـٰه فـلا يقـل إلا الـذي يـرضـىٰ بـه الـرحمـٰن

* * *

وقال رضي الله عنه :

جـاء نصـر الله والفتـح المبيـن مـن إلـٰه الخلـق رب العـالميـن

فضلٌ من ربي على الناس أجمعين لا بجَهْـدِ الكـف أو كسـب اليميـن

فـاحمَـدوا الله وكـونـوا طـائعيـن وأصبِحـوا لله وأمسـوا شـاكـريـن

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين ، سلخ جمادى الأولىٰ سنة (١٢٦٩ هـ) :

كلنا أمواتْ لـٰكنْ بخت مَن قَدَّمْ احسانْ ... مِن فعالهْ ومِن قولهْ وفي قلبهْ إيمان

بالإلـٰه العظيم الخالق الرازق المانّْ ... والنبيِّ الرسول المصطفىٰ نَسلْ عدنان

والملائكْ وكُتْبِ الله ذي الفضلْ والشان ... والرُّسُل كلّهمْ أيْ أيقِنْ بهم أيَّ إيقان

والقَدَرْ خيرِهِ والشرّ من فَرْد مَنّان ... والقيـامـه ومـا فيهـا وجنَّـهْ ونيـران

ثم صلَّىٰ فروضهْ بالشروطِ والاركان ... ثم أدَّىٰ زكاة المال من غير نقصان

ثم صام المعَظَّمْ كلَّهُ شهرَ رمضان ... ثم حَجَّ إذا هُوْ ذو استطاعهْ وإمكان

ثم جانَبْ لماهُوْ إثمْ أو كان عصيان ... يكسَبْ الاَّ حَلالاً بل ولا يؤذي إنسان

شغلُهْ إلاَّ بما يَعنيهْ في كل الاحيان ... يطلب العلمْ يعملْ بهْ بقلبهْ والاركان

يتقـي اللهْ يخشـاهُ بسـرٍّ وإعـلان ... جانَبَ الخلقْ من إنسٍ وجنٍّ وشيطان

ما لَهُ هَمّْ إلاَّ ذِكرْ مولاه ذي الشان ... ذاك عبـدٌ منـوَّرْ قلبُـهُ فيـه عـرفـان

ذاك يُبشِـرْ بـألطـافٍ وعفـو وغفـران ... ثم جناتْ فيها كلُّ خير ورضوان

واحذرْ احذرْ تكن يا ذا غبيْ غِرّْ كسلان ... ناسِيَ الموتْ والقبر الذي فيه فتان

كَسْبُهْ إلاَّ معاصي ما كَسِبْ خيرْ وإحسان ... يظلـم النـاس يـؤذيهـم ببغـي وعـدوان

إن تَكلَّـمْ فقـولُـهْ زورْ كلـهْ وبهتـان ... أو تحرَّكْ فحَرْكاتُهْ ذنوبٌ وخسران

كم ظَلَمْ من مساكينَ ضعافٍ ونسوان ... كم مساجدْ وأيتامٍ وفُقْرا وصبيان

فِقْ وتب من ذنوبكْ قبل موتكْ والاكفان ... قبـل تُبعـثْ وتحشـرْ ثـم تُصْلـىٰ بنيـران

نسـأل الله يغمـرْنـا بتـوبـه وغفـران ... يَعمرُ القلب يمسي في تلاوة القرآن

يـذكـر الله سبحـانَـهْ وبـالنـورْ مـلآن ... يترك الناس لا يَذكُرْ لإنس ولا جان

يجعـل اللهْ جليسـهْ فـردْ حنـان منـان ... يتَّبِعْ سنة الهادي النبيْ نسلْ عدنان

في فعالٍ وفي قولٍ ونيه وعرفان ... صلِّ رب عليهِ مَعْ سلام ورضوان

والصحابه وآلِهْ والذي دِينَهم دان ... واختم العمر بالحسنىٰ ورَوحٍ وريحان

* * *

وقال رضي الله عنه : وبعد فهٰذه قصيدة في الحث على الصلاة والتحذير من تركها :

الحمد لله لا يُحصىٰ على الله ثناه ... سبحانَهُ عز سلطانهْ تعالىٰ علاه
كلٌّ يسبحْ بحمدهْ ما ذراهْ أو براه ... طوعاً وكرهاً ويسجدْلُهْ علىٰ ما يشاه
ثم الصلاة مع التسليم عَدَّ العِضاه ... على النبيِّ رسول الله ختمْ أنبياه
والآل والصحبْ والأتباع لُهْ وأولياه ... وبعد فالنصحْ ينصتْ لُهْ مَنِ اللهْ هداه
يا صاحْ بانصحكْ قاطعْ قاطعين الصلاه ... هم الشياطين والقوم العتاةُ العصاه
هم جندْ إبليسْ والحزب القساةُ النُّساه ... احذر تجالسهم أو ترضِيْ الطغاة البغاه
احذر تخالطهم إني لكْ نصيحٌ وناه ... احذر تجيهم سوىٰ للنصحْ خذها وصاه
اقرأ كلام اللهْ إن كنتَ من أهل القراه ... واسمع أحاديث طه ذي روتها الرواة
من لم يصَلِّ فهُوْ كافر ويومَ لقاه ... للهِ يلقاه غضبانَ عليه الإلٰه
هِيْ راس الاسلامْ من يقطعُهْ ما لُهْ حياه ... من لم يصَلِّ فقد أخطأْ طريق النجاه
من لم يصَلِّ مع فرعونْ يُبعثْ نراه ... ويُكتَبْ اسمهْ بباب النارْ دار الشُّقاه
وإبليسْ صاحبهْ ما لُهْ مِنُهْ مَيل أو تَباه ... يلقيه في كل ورطهْ ذي تقطِّعْ عُراه
هيْ ركن الإسلامْ يا ذا لا تكن عَنُهْ ساه ... وهيْ عمودهْ كذا جا عن رواة ثقاه
ما يترك الفرضْ إلاَّ مَن قد اللهْ عَماه ... وسوف يندمْ إذا غَرغَرْ وجات الوفاه
وزاد دفنوهْ في قبرهْ وجا يسألاه ... فيهِ نكيرٌ مع منكرْ وبهْ عذَّباه
يصيحْ في القبرْ يا ويلاه يا حسرتاه ... يظل يبكي ولا ينفعُهْ شيئاً بكاه
عَلاهْ تترك صلاتكْ يا بن آدم علاه ... قم صَلِّ ما دمتْ عادكْ في فسيح الحياه
قم صل من قبل موتكْ والكفن والنُّعاه ... قم صل من قبل تأتيك المَنِيَّهْ فجاه
قم صَلِّها في الجماعهْ واستمع للدُّعاه ... تَفْضُلْ على المنفردْ عشرين وأزيد صلاه
واستنجِ ثم انوِ نِيَّتْكَ الوضو للصلاه ... وعَمِّم الوجهْ وأبعد ما تَجِد من أذاه
ثم اغسل أيديكْ وابلغْ في العَضُدْ منتهاه ... ثم امسح الراس وأحسِن غسل رجلك وراه

ومَن عليه حَدثْ أكبرْ لموجِبْ أتاه ... فليغسِلِ الجسمْ كلهْ لا يبقِّيْ قَذاه
شَعْراً وبَشْراً وينوي رفعَهُ في ابتداه ... وطهِّر الجسم والثوبَ الذي قد علاه
والبقعةْ اللي عليها باتناجي الإلٰه ... من النجاسات والحُرمه أو الاشتباه
واستر لعورتَكْ واحذر من صلاة العراه ... يُبطلْ صلاتُهْ بكشف السِّترْ والله عطاه
وصَلِّ في الوقتْ لا قبلُهْ ولا هِيْ قفاه ... إلا لنومٍ وإكراهٍ وجمعٍ وساه
ومَيِّز الفرضْ من مسنونها باقتفاه ... واستقبل الكعبةَ الغَرَّا بحسن انتباه
واحذر تَحَرَّكْ وجانِبْ مبطلات الصلاه ... كالأكل والشرب والأقوال لَوْ نحوْ آه
واغِسل القلب سبعاً من جميع الدَّناه ... وأقبل على الله واترك كل شيءٍ سواه
وأنوِ وكبِّر وقم واقرأْ بأحسنْ قراه ... لـ(الفاتحة) وافهم المعنىٰ لِما اللهْ تلاه
واركع ورِضْ في ركوعك لا تكن صاحْ لاه ... ثم اعتدل واحمَدِ المولىٰ علىٰ ما حباه
واسجد وأَحسن وسبِّح مَن تعالىٰ علاه ... واجلس ورِضْ واسأل الغفران ربكْ عساه
ثم اسجد أخرىٰ وعَفِّر في التراب الجباه ... ذه ركعةٌ ثم يفعل مثلها ما نواه
وبعده اجلس مَعَ حُسن الأدب للإلٰه ... واقرأْ التحيات خذها من ثقاةٍ كُماه
ورح تعلَّمْ ولا ترضىٰ بجهل العُماه ... وبعد صلِّ على الهادي بأفضلْ صلاه
ثم ادعُ ربكْ بأذكارٍ روتها الرواه ... وبعد سلِّم ورتبها علىٰ ما حكاه
في النظمْ واسلُكْ سبيل العلم نهج النجاه ... عليك بالعلم واعمل به تنل ما تشاه
دنيا وأخرىٰ وتُعطىٰ من إلٰهكْ رضاه ... فالعلمُ نورٌ وإبصارٌ وظلُّ حياه
والجهلُ موتٌ عمىٰ ظُلْمَهْ بذا الله هجاه ... والجهل علَّهْ وليس إلاَّ التعلمْ دواه
ما أَقبح الجهلَ ما أشتَمْهُ وما أوحَشْ رُباه ... فرضٌ علىٰ كل مسلمْ عِلِمْ وصف الإلٰه
وأنه فردْ عالمْ قادرٌ ما كماه ... وأنَّهْ أرسلْ رسول الله سِيْدَ الهداه
محمداً ابنَ عبدِ الله خيرَ الدعاه ... وُلِدْ بمكةْ ووَحْيُ الله فيها أتاه
وهجرتُهْ للمدينهْ ثم فيها الوفاه ... وعِلْم أحكام شرِع الله مما نهاه
عَنْهُ ومما أَمَرْ بهْ حَتمْ لا ما سواه ... أو شَيْ أرادهْ كمثل أحكامْ بَيْعِهْ شِراه
وعِلْم أحوال هٰذا القبرْ واللي وراه ... أمرٌ مهولٌ يشيب الطفل حين يراه

كالحشرِ والنشرِ والوزنِ لما قد جناه ... والجسرِ والحوض والنيران دار الشقاه

مـع جِنـان خَلقهـا ربُّنـا لاوليـاه ... ثم على الشخص فرضٌ أن يُعلِّمْ نِساه

وأولادَهُ ثـم جيـرانُـهْ ومـن قـد رآه ... تاركْ لشَيْ من أمور الدين أو شيْ أتاه

وهُـوْ محـرَّمْ فينهـاهُ كمـا اللهْ نهـاه ... بالرفق واللطف نصحاً لا يعنِّف أخاه

واكسَبْ حلالاً وجانِبْ جانِبَ الاشتباه ... وزَكِّ مالكْ فثالثْ ركنْ ركن الزكاه

وصم لفرضكْ وحِجَّ البيت طُف في فِناه ... ولازم الـذكـر للهْ إن أردتَ وَلاه

فالذكر لله يَجلِيْ عن فؤادكْ صداه ... والذكر لله يُحي القلب بل هُوْ غذاه

يستثمر الذِّكرَ مَن يذكرْ قريبَ جناه ... وللمساجدْ بيوتِ الله حُرمَهْ وجاه

وقد بُنِيَتْ للعباده فأعطها مقتضاه ... وزائرُ الله في بيتهْ وَجَبْ لُهْ قِراه

فعظِّموها بفعل الخير مما ارتضاه ... وعطِّروها بكلِّ رائحهْ مشتهاه

ونزِّهوها عن أقوال الخَنَا والدَّناه ... وكل مستقذرٍ أو رائحهْ مُشْتَناه

وكل شيءٍ فهُوْ ينضحْ بما في إناه ... وعادَني أوصيك يا طالبْ سبيل النجاه

وراغباً في السلامه كُفَّ هٰذي اللَّهاه ... فما يَكُبُّ الخلائقْ في جهنمْ سواه

وكل من كان يؤمنْ يا فتىٰ بالإلٰه ... واليوم الآخرْ فيصمتْ أو يقُلْ ما يراه

خيراً محقَّقْ ويتركْ كلَّ قول عداه ... هٰذا ومِن حُسن إسلام الفتىٰ أن تراه

تاركْ لما ليس يعنيهِ مجانبْ حِماه ... وصُنْ بطنكْ ولا تطلقه فيما اشتهاه

فما مُليْ قطُّ شرٌّ من وعاءٍ خَلاَه ... حَسْب ابن آدمْ لقيماتٌ يُقِمْنَ قواه

وكلُّ شر فمِلْءُ البطن أصلُ ابتداه ... ذا من حلالٍ فكيف السُّحْت والاشتباه

إنَّ الورعْ ساسْ هٰذا الدين فأحكِمْ بِناه ... يا ويل من قد قسا قلبهْ كأنهْ حصاه

ما عاد يسمعْ ولا يرجعْ لداعٍ دَعاه ... لا هِي بدنيا دنيَّهْ هام فيها وتاه

غَرته الآمالْ وإبليسهْ وقادُهْ هواه ... ولا معهْ قط من دنياه إلاَّ عَناه

والهمّ والغم والشَّغلهْ وظلم الولاه ... إن الهَنا والغنىٰ الأكبرْ وطِيْب الحياه

لكل قلب سليم زاد نورُهْ صفاه ... طوبىٰ لعبدٍ من الطاعات نَحرُهْ ملاه

محبةُ الخير وأهل الخير قُوْتُهْ وماه ... آيبْ وتايبْ من الذنب الذي قد جناه

خائفْ ذنوبهْ ويرجو الله يغفرْ خَطاه
صابرْ وشاكر وراضي بالذي لُهْ قَضاه

مشغولْ بالله لم يُشْغَلْ بشيء سواه
وليس لُهْ قصدْ أو مطلوبْ إلاَّ رضاه

ينوحْ يبكي علىٰ تقصيرِهِ آهْ آهْ
خَذَا من الناس في جانبْ عَطاهم قفاه

ولم يقل إيشْ قال الناسْ أو فَعَلَوْا آه
مُراقِبَ اللهْ كأنُّهْ للمهيمن يراه

تراه في الليل ساهِرْ ما تهَنَّىٰ كَراه
خاملْ فِي الناسْ مِن دنياه ما جا كفاه

كنز القناعهْ مَتاعُهْ فاض منها وعاه
تجرع الصبرْ أيام البقا والحياه

فما الشجاعهْ سوىٰ ساعهْ وجات البَتاه[1]
هٰذا هو العِزّْ ليس العزُّ مالاً وجاه

ولا بِلُبْس الحريرِ والذهبْ والهَياه[2]
وأعلمْ بأنكَ في وقتٍ كثيرٍ بلاه

قد قَلّْ دينُهْ ومعروفُهْ وقَلَّ حياه
وزادْ شاعَ التبرُّجْ في النسا والجَراه

ما خافَوُا اللهْ ولا خافُوْامقال الشِّناه
فلا يجوزُ لِمَرْأَهْ مؤمنهْ بالإلٰه

تظهَرْ علىٰ أجنبيٍّ قد تعدىٰ صِباه
هٰذا ولو لم تكنْ رِيْبَهْ ولا مُشتهاه

ولا البروزُ مَعَ عطرٍ يفوحُ شذاه
ولا التبرُّجُ بالزينهْ كفِعْل الجُفاه

ولا الخروجُ مَعَ كشفٍ لشيءٍ أباه
الشرعُ فاتْبَعْ لشرع اللهْ دَعْ ما عداه

وفِعْلُ ما يمنعُ التطهيرَ عند الصلاه
وكالنياحهْ على الميِّتْ وصوت النُّعاه

كذاكَ تقصيرْ وجه الثوبْ ما أقبح زَراه
مكَشَّفاتٌ كما جا كاسياتٌ عُراه

اخْسِسْ بها حالةً حازت لكلّ رداه
زَيَّنْها إبليس حَسَّنْها لهم بأغْتِواه

قد خابْ مَن تابَعَ العادَهْ وضَيَّعْ هداه
إن العوايدْ لدين الله سُمُّهْ وداه

يطلبْ رضا الناس منهم ليسْ يُدْركْ مُناه
بل فاز بالذم من ربهْ ومنهم شِفاه

فهل ترىٰ يرتَضي ذا الحالْ كاملْ حِجاه
وسورةُ (النور) فيها أيُّ زاجرْ وناه

وعاد آيهْ فِي (الأحزاب) تَهدِي العُماه
لكل من كان يخشى الله يرجو النجاه

إني أرى الوقت فيه أشيا تَمَلُّ الحياه
من التهاونْ بأمر الله فيما تلاه

وكلُّ شخصٍ عَطا شَقُّهْ ورأسُهْ ملاه
وتابَع الشُّحّْ والأَهوا وكُثْر العَكاه

---

(١) أي : الخلاص والموت .

(٢) أي : المظهر الحشيم .

فالظلم ظُلْماتْ في يوم القيامه جزاه — وسوفَ يندمْ علىٰ ما قَدَّمَتْهُ يداه

وأهل الربا حَلَّ حرب اللهْ لهم مَعْ بلاه — ولعنةُ اللهْ على المربي مَعَ شاهداه

والسَّحْق والمَحْق والإفلاس عاجِلْ يراه — والعار والنار في أُخراه عادُهْ وراه

ورأسْ كل الخطايا حُبّْ دنيا الدَّناه — فاسمع نصيحتي لا تسمعْ مقال الوشاه

وإن شئت الإكسيرْ والكنز الذي ما كماه — فاسلك علىٰ سنة المختار سِيْدِ الهُداه

خذها بالاجمالْ والتفصيلْ مَن هُوْ يشاه — عَلَيهْ بـ« إحيا علوم الدين » يَلْقَ مُناه

وكل زارعْ سيحصدْ في غدٍ ما ذَراه — فمَن ذَرَىٰ بُرّْ جالُهْ بُرّْ أو شوكْ جاه

وما يَحُوْكُهْ فهُوْ يوم القيامه كِساه — فلا يَلُمْ غير نفسهْ مَن وَجَدْ ما أَساه

وليحمَدِ الله ربهْ مَن بفضلهْ حَباه — هٰذا مقالي وما قولي كقول النُّحاه

قد قال لي قال: شُفْ، كلّْ كلامُهْ كَماه — وقد تعذَّرَتْ من نظمي ورِكَّةْ بِناه

فاستر عيوبي وإن شئتِهْ فقل ما تشاه — دع المقالاتْ والقائلْ وخذ ما عَناه

يا رب يا رب يا سامعْ دُعا مَن دعاه — نسألَكْ تختمْ لنا بالخير عند الوفاه

وكن لنا عندما نُحشَرْ حُفاةً عراه — وعافنا واعف عنا وأعْطِ كُلاً رجاه

وأَنقِذ الكُلّْ مِنَّا من مهاوي هواه — وكل ظالمْ إلٰهي كُفّْ عنا أذاه

وأستغفر الله من قولٍ كثيرٍ أفتِراه — يُبدي أُموراً ويُخفِيْ ضد ما قد بداه

وصلِّ ربي وسلِّمْ بالمسا والغداه — علىٰ رسولِكْ أبي القاسمْ شفيعِ العُصاه

والآلْ والصحبْ والتابعْ لهم في اقتفاه — والحمد لله مَبْدَا قولنا وانتهاه

تمت القصيدة المباركة إن شاء الله تعالىٰ ، وعدة أبياتها مئتان وستة عشر ، جعل الله ذلك له وإليه .

* * *

وقال رضي الله عنه : هٰذه الأبيات قلتها مع ورودي إلىٰ مكة المشرفة سنة (١٢٣٥هـ) ألف ومئتين وخمسة وثلاثين :

أرجـو مـن الـرحمٰـن سبحـانَـهُ   مـواهبـاً تتـرىٰ وإحسـانَـهُ
والجـودَ والبـرَّ وإفضـالَـهُ   وعفـوه الشـامـلْ وغفـرانَـهُ
واللطـف والعطـف مـع مَنِّـهِ   وقـربَـهُ الأسنـىٰ ورضـوانَـهُ
والـود والحـب الـذي مَـن حَظِـيْ   منـه بشـيءٍ فـي الـورىٰ زانَـهُ
يـا رب يـا مـولاي يـا خـالقـي   أَذْهِـبْ عـنِ القلـب الـذي رانَـهُ
يـا سـاتـرَ العيب علـىٰ مـن أَسـىٰ   وكـاشفـاً للعبـد أشجـانَـهُ
أتيـتُ بُـالأوزار زائـرْ إلـى الـ   ـبيـت الـذي عظَّمْـتَ أركـانَـهُ
هـديتـي فقـري وذلـي لكـم   فـاعطـف علـىٰ مَنْ شـانـه شـانـه[1]
وامنـن علـىٰ عبـدكْ يفـوز المنـىٰ   ولا تَـدِنْـهُ بـالـذي دانَـهُ
وصـلِّ يـا رب وسلِّـمْ علـى   طـه الـذي أرجَحْـتَ ميـزانَـهُ
والآلِ والصحـب نجـومِ الهـدى   مـن أظهـروا للـديـن بـرهـانَـهُ

* * *

(١) أي : شانَهُ شأْنُهُ ؛ فالأولى فعل والثانية اسم ، أو : شأْنُهُ شانَهُ ، فالأولى اسم والثانية فعل . وكلاهما صحيح .

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين ، آمين : وهـٰذه أبيات قلتها ، وسببها : أني حضرت وسيدي الأخ طاهر جنازة ، فأراد وليها أن يؤمّ الناس ، فنازعه آخر وقال : الصلاة لي ، واشتد الخصام وصارت الغلبة مع المبطل ، وساعده أكثر الناس ، وطلبوا من الأخ طاهر أن يساعدهم ، فقال لهم : الشرع يأبىٰ ذلك وولي الميت أولىٰ بالصلاة عليه ، فلم يزدهم ذلك إلاَّ إصراراً وقالوا : هـٰذه عادة وأنتم مرادكم تغيير ما الناس فيه :

عجبـاً للـزمـان مَـعْ أهليـهِ ... فانظروا ما جرىٰ وما صار فيهِ

هل سمعتَ أو رأيتَ خيراً بهِ لا ... تنظـرْ أو تسمـعْ إلاَّ كـلَّ كـريـهِ

عُطِّـل العلـمُ بُطِّـل الشـرع فيـه ... والتُّقـىٰ قـد ذهـبْ ومـن يبتغيـهِ

مَن أمرتْ أو نهيتْ قال مجيباً ... عـادتـي عـادتـي كـذا مِـلْءَ فِيـهِ

مـا ٱتـركَنْهـا ولـو نمـوتُ جميعـاً ... ما ٱقبلُ الشرعَ ما ٱستمعْ قائليه

قال مَن يسمعون قد قال صدقاً ... هـٰـذه عـادةٌ لِمَـهْ تَـؤذيـه

قـد ورثهـا مـن أمـه وأبيـهِ ... أتـريـدُوا تغييـر مـا النـاس فيـه

والعـوائـدْ أحكـامهـا نـافـذاتٌ ... فَـدَعُـونـا مـن قـولِ كـلِّ فقيـهِ

أيها الناس دينَ الإسلام أم ديـ ... ـنَ الطـواغيـتِ أنتـمُ تـابعيـهِ

فـاتِّبـاعُ الهـوىٰ هـوانٌ وخـزي ... وسيجنـي ثمـارَهُ زارعيـه

لا حيـاءَ تَبَّـتْ يـداه وسحقـاً ... ثـم بُعـداً لـه مـع نـاصـريـه

قـاتَـلَ اللهُ مَـن يشيـدُ بِنـاه ... أهلـك الله كـلَّ مـن يـرتـديـه

عجبـاً للـزمـان يـزداد سـوءاً ... كـلُّ يـوم أشـرُّ مـن سـابقيـه

آه يـا حسـرتـي وكـربـي وحـزنـي ... مِـن تَنـاصُـرِ كـلِّ شخـص سفيـه

مَوْتُ زُرْ إن أردتَ فالموت عندي ... صـار للحُـرِّ خيـرَ مـا يقتنيـه

أيهـا المـرء إن أردت المعـالـي ... فـاتَّبِـعْ سُبْـل مـن يكـن سـالكيـه

فالمعالي غوالِيَ المَهْرِ ليست ... بـالتجـاهـلْ ولا بكِبْـرٍ وتِيْـهِ

والمقامُ الرفيع والعز أجمعْ   في اتباع الرسول يا مقتفيهِ
قلبِيَ السوء كم تَوانَىٰ وتلهو   فاحذر الموت قبل أن تحتسيه
واتركِ الناس والذي هُمْ عليه   ليس تُجِزىٰ بما هُمُ كاسبيه
الأمانَ الأمانَ يا رب إني   هاربٌ جئتُ مطلبي فأعطنيه
ثم وفِّقْ لما تحبُّ وترضى   ناظمَ القول مَعْ جميعِ ذويه
وصلاةٌ تخص خير البرايا   والصحابَ والآلَ مَعْ تابعيه
وسلام ما قال قائلُ وأنشد   عجباً للزمان مَعْ أهليه

* * *

وقال رضي الله عنه لما طلب منه عمر بن إبراهيم مَشْغان الوصية هٰذه الأبيات :

يا عمرْ بنْ براهم كيف تطلبْ وصيهْ ... من فتىٰ همُّهُ كسب الأمور الدنيهْ

مـا لَـهُ فِعـلُ خيـرٍ لا ولا حُسـن نيـه ... ما هو إلاَّ مخرِّبْ ظاهِرُهْ والطويه

ما ترىٰ يا عمرْ في شأن هٰذي القضيه ... هل لها من دوا من قبل تأتي المنيه

أو دُعاءْ من محبٍّ صِدقْ مشفق عَلَيَّهْ ... يَدْعُ لي في ظلامٍ أو صباحْ أو عشيه

دعـوةً ذي تـردُّهْ لـلأمـور العليـه ... والتُّقىٰ والهدايه والطريق السويه

والسلـوكُ علـىٰ مِلَّـهْ نَـوِيْـرهْ نقيـه ... هيا هيا عسىٰ نفحه من اللهْ قويه

فضلْ من ربنا نمحو الخلال الرديه ... كلهـا كلهـا مـا عـاد تبقـىٰ بقيـه

ثم نُكسىٰ ونَحظىٰ بالصفات السنيه ... ثم نُسْقَىٰ شرابَ القوم شربه هنيه

والختام الحَسَنْ يا نِعمْ تلك العطيه ... يا سميع الدعا يا سامعاً للشكيه

كُثْـرَتْ أوزارنـا يـا ربنـا والخطيـه ... شِيْ جَلِيَّهْ وشيْ منها غميضهْ خفيه

فاغفر الكل يا كاشفْ لكلِّ رزيه ... يـا رحيمـاً بنـا يـا كنـزنـا والخبيـه

عافنا واعف عنا وٱكْفِ كلَّ أذيه ... واكشـف الجَـور عنـا والبَـلا والبليـه

وٱعطنا السوْل والمأمول والأُمْنِيَّه ... بالنبيِّ المشفعْ في الورىٰ والبريه

والصحابه وآلِهْ والولي والوليه

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا والمسلمين من بركاته في الدارين ، آمين :

يـا اهـل العقـول السـالمـه   واهـل القلـوب العـالمـه
قـولـوا بهمـه عـازمـه   وبصـدقْ نيـه جـازمـه

يا الله بحسن الخاتمه

فَهْـيَ إليهـا المنتهـى   قـد قـال أربـاب النهـى
يـا الله بهـا يـا الله بهـا   دعـوَهْ عجيبـه تـامـه

يا الله بحسن الخاتمه

يـا ربنـا يـا ربنـا   الطـف بنـا واغفـر لنـا
واختـم بخيـر إن دنـا   إبَّـان يـوم الطـامـه

يا الله بحسن الخاتمه

فـالمـوت آتٍ عـن قـريـب   كـلٌّ لَـهُ مِنُّـهْ نصيـب
مـن كـان دانٍ أو نسيـب   فَهِـيْ مصيبـه عـامـه

يا الله بحسن الخاتمه

ثـم إذا مُتِّـهْ أتـوكْ   وغسَّلـوك وكفنـوك
وشيَّعـوك وأَلْحَـدوك   وصـرت جِيفـهْ خـامَّـه

يا الله بحسن الخاتمه

يـا رب كـن لـي يـا معيـن   إذا رَشَـحْ عظـم الجبيـن
واختـم إلٰهـي بـاليقيـن   مـن قبـل لـوم الـلائمـه

يا الله بحسن الخاتمه

دنيـــاك مـــا هِـــيْ للمقـــر وإنمـــا هِـــيْ للممـــر
فـــأفكـــر وأَمعـــن فـــي النظـــر ولا تكـــن كـــالســـائمـــة

يا الله بحسن الخاتمه

يـــا رب مـــا معنـــا عمـــلْ وكَسْبُنـــا كلُّـــهْ زلـــل
لٰكـــنْ لنـــا فيـــكَ أمـــل تُحْيِـــيْ العظـــام الـــرامَّـــه

يا الله بحسن الخاتمه

قـــد حـــان حيـــن الانتقـــالْ والعمـــر ولَّـــىٰ فـــي ضـــلال
لٰكـــنَّ نـــرجـــو ذا الجـــلال بجـــاه والـــدْ فـــاطمـــه

يمنن بحسن الخاتمه

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه وعفا عنه وأصلح أهله وصحبه وكل من أحبه :

زينـــةُ العلـــم العبـــادهْ　　　والتـــواضـــعْ والـــزهـــادهْ
فـــاعمَلَـــنْ بـــالعلـم تُمسـي　　　كـــلَّ يـــومٍ فـــي زيـــاده
واتـــــــــقِ الله إذا شِئْـــ　　　ــــتَ المسَـــرَّةْ والسعـــاده
واتـــرك النـــاس وذرهـــم　　　إنهـــم أصحـــاب عـــاده
صـــار كـــلٌّ يَتَّبعهـــا　　　ولهـــا ألقـــىٰ قِيـــاده
هَمُّهـــم قـــالٌ وقيـــلٌ　　　جُلُّهـــم غَـــوْغـــا وقـــاده
فـــٱعتـــزلهـــم وٱجتنبهـــم　　　ثـــم جِـــدَّ فـــي الإراده
وٱلْـــزَمِ الله جليســـاً　　　وحـــدَهُ وٱتـــرك عبـــاده
وٱفْـــنَ عـــن غيـــر الإلٰـــهِ　　　واجعـــل الغيـــبَ شهـــاده
وٱرضَ بـــالمقـــدور حقـــاً　　　والـــذي المـــولـــىٰ أراده
واحـــذر الـــدنيـــا ودَعْهـــا　　　بئـس مـــن كـــانـــت مـــراده
قـــد عَمِـــيْ قلبـــاً ولُبّـــاً　　　ولقـــد أخطَـــا رشـــاده
وخســـرْ دنيـــا وأخـــرى　　　وحـــوىٰ أعظـــم بَـــلاَده
ولقـــــد عـــــزَّ دَواهُ　　　والـــذي يُصلِـــحْ فســـاده
فـــاز عبـــدٌ مـــا تهَنَّـــا　　　ليلـــةً فيهـــا رقـــاده
يتفكَّـــرْ فـــي فَنـــاهـــا　　　وفَنـــا جُنـــدٍ وســـاده
ثـــم ينهـــضْ للمعـــالـــي　　　والتعلُّـــــمْ والإفـــــاده
رُبَّ شخـــص فـــي ســـرورٍ　　　أو حليـــف للـــوســـاده
مـــا تقَضَّـــىٰ الليـــل حتـــى　　　جـــاءه المـــوت وصـــاده
كيـــف يَهْنَـــا العيـــشَ فيهـــا　　　مـــن يـــرىٰ هٰـــذا مَعـــاده
عجبـــاً لـــي ولمثلـــي　　　يـــرتضـــي الـــدنيـــا مِهـــاده
وهْـــوَ فـــانٍ عـــن قـــريـــبٍ　　　ولَـــهُ بَعْـــدُ إعـــاده

وعقـــــابٌ وثـــــوابٌ   بـــالإســـاءه والإجـــادهْ
مـــا لجهلـــي كـــلَّ يـــوم   يتفنـــنْ فـــي الإشـــاده
جـــاوز الافـــراطَ جهـــلاً   أوَ مـــا آن اقتصـــاده
يـــا لقـــومـــي مـــا لقلبـــي   تـــركَ الـــدهـــرَ جهـــاده
رب أصلـــح لـــي فـــؤادي   ولمـــن يشكـــو فـــؤاده
واختـــم العمـــر بخيـــرٍ   عنـــدمـــا تُـــدنـــي حصـــاده
وصـــلاةٌ وســـلامٌ   كلمـــا غصـــن أمـــاده
ريـــحُ أو حَـــنَّ غـــريـــبٌ   عنـــدمـــا ذَكَـــروا بـــلاده
تتغشـــى المصطفـــىٰ أحمـــدْ   مـــن حُبِـــيْ أعلـــى السيـــاده
وعلـــىٰ آلٍ وصحـــبٍ   حبهـــم أعظـــمْ عبـــاده

* * *

وقال رضي الله عنه هٰذه الأبيات لما طلب منه السيد الشريف علي بن محمد باعبود الوصية :

يا طالباً للوصيهْ ... خذها بهمَّه قويهْ
وصِدقْ وٱخلاص نيه ... هِيْ تقوىٰ رب البريه
وهِيْ ٱمتثالُ الأوامرْ ... مع اجتناب الزواجرْ
في كل باطنْ وظاهرْ ... جَلِيِّها والخفيه
بها حياة الجَنانِ ... بها تَفُزْ بالجِنان
بها تَنال الأماني ... وكل خصلهْ عَلِيَّه
فكن لها الدُّوبْ طالبْ ... واحرص عليها وواظب
تفز بكل المطالب ... مع العطايا السنيه
يا طالب الخير أجمعْ ... هُوْ في التقىٰ فٱنصتْ اسمعْ
فاعمل وكن عبدْ أَوْرَعْ ... واحذر تجي للدَّنِيَّه
واذكر مماتكْ ورمسكْ ... واقهر هواكَ ونفسكْ
وصلِّ فرضكْ وخمسكْ ... فتَرْكُها ٱكبرْ بليه
وقم لها كل ساعه ... وصَلِّها في الجماعه
فإنها ٱحسنْ بضاعه ... تنفعك بعد المنيه
وزَكِّ يا صاح مالكْ ... تَحْمَدْ وتَشكُرْ مآلكْ
وطهر الدُّوبَ بالَك ... ولا تُبَقِّ بقيَّه
وصم لشهر الصيامِ ... وقم بأحسنْ قيامِ
واحذر قبيح الكلام ... وٱسلك سبيلاً سويَّه
وحج بيت الإلٰهِ ... واترك جميع المناهي
ولا تجي للملاهي ... وكل خصله رَدِيَّه
وذِكْرَ مولاك لازمْ ... عليه قاعد وقائِمْ

تحظىٰ بكل الغنائِمْ ... ونيل تلك المَعِيَّهْ
الذكرُ نِعْمَهْ وجَنَّه ... الذكرُ ترسٌ وجُنَّه
من شر إنسٍ وجِنَّه ... الذكر نعم المطيه
فلا تزل صاحِ ذاكرْ ... لله حامدْ وشاكرْ
في كل لحظه وخاطر ... تنالُ للأُمْنِيَّه
في الذكر كل الجوائزْ ... هنا وبعد الجنائزْ
ما يتركُهْ غير عاجز ... أخطا الطريق النقيه
وخذ من الناس جانب ... تُكفىٰ جميع المصائِب
وكن فِي الخير راغب ... فعلاً وقولاً ونيه
وقم بحق الأقارب ... وكلِّ جارٍ وصاحب
والمسلمين الأجانب ... وكن سليمَ الطويه
وقم إذا الليل جَنَّا ... واطلب من الله مَنَّا
فضلاً وعفواً وأمْنَا ... تَحظىٰ بنيل العطيه
ولا تكن صاح غافل ... ولا عن الخير ذاهل
ولا تجالس لجاهل ... تجيكْ كم من أذيه
وإن ترد صاح تُحمَدْ ... في هٰذه الدار فٱزهد
وارغب إلىٰ الله وٱجهد ... بالسيرة العلويه
وٱعرفْ أُخَيَّ زمانك ... وكُفَّ جُهْدَكْ لسانك
واجعل همومك وشأنك ... للعِيشة الأخرويه
وكُفَّ سمعكْ وعينك ... واشهد عيوبكْ وشَيْنك
وافكر وقَوِّ يقينك ... وكن من الأشعريه
وٱعْنِ بتطهير سِرِّ ... من كل عُجبٍ وكِبْرِ
ومن رياءٍ ومكر ... وحبِّ هٰذي الدنيه
فشُغْلها ليس ينفَدْ ... وحُبُّها فيه مُسْنَدْ
عن النبيِّ محمدْ ... رأسٌ لكلِّ خَطِيَّه

وٱرْضَ وفَــوِّضْ لتغنــم　　وسلِّــمِ الأمــر تَسْلَــم
ولا تعــارض فتنــدم　　وسِــرْ مــع الشــاذليــه
وإن أردت الهــدايــهْ　　فـاعمـل بمـا فـي « البـدايـه »
وإن أردت النهــايــه　　فهِــيْ بـ« الإِحيـا » حَــرِيَّــه
ومــن يــريــد المعــالــي　　ينفــقْ لهــا كــل غــالــي
وٱيــامَــهُ والليــالــي　　فيهــا بنفــسٍ أبيَّــه
واطلــب علــومـاً كــريمـه　　واعمــل تَنــالُ الغنيمــه
ولا تكــن كــالبهيمــه　　فــي غَــدْوَتــكْ والعشيــه
يمضــي زمــانــكْ بَطَــالــه　　وفــي اللعــب والجهــالــه
فــإنَّ ذا لا محــالــه　　نــدامــةٌ أبــديــه
وانصــح لكــل العبــاد　　وٱرْشِــدْهُــمُ للــرشــاد
وٱنْــهَ لكــل فســاد　　فــي الملــة الحنفيــه
وحِــبَّ للصــالحينــا　　وجــالــس المتقينــا
وكــن مــن المحسنينــا　　واعمــل بهٰــذي الــوصيــه
أستغفــر اللهَ ربــي　　مــن شــؤم جهلــي وذنبــي
ومــن أمــور بقلبــي　　تطــول فيهــا الشكيــة
وأنــت عــالــمْ بحــالــي　　ومــا إليــه مــآلــي
علمــكْ كفــىٰ عــن ســؤالــي　　فــٱستــر إلٰهــي القضيــه
يــا رب واختــم بخيــر　　واكْفنــا كــلَّ ضيــرِ
ولا تكلنــا لغيــرِ　　وٱصلــح نفــوســاً غَــوِيَّــه
وصــلِّ ربــي وسلِّــم　　دابــاً وبــارِكْ وكــرم
علــى النبــي المتَمِّــم　　لكــل خُلْــقٍ رضيــه
وآلِــهِ والصحــابــه　　وٱنصــاره والقــرابــه
يــا نِعْــمَ تلــك العصــابــه　　أهــل العقــول الــزكيــه

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه : وهـٰذه الأبيات ركيكة المبنىٰ ، كثيرة اللحن جداً إلاَّ أنها لا تخلو عن فوائد لمن طلب الادكار والاعتبار إن شاء الله تعالىٰ :

يـا مـريـديـنَ السعـادهْ والتعلـمْ والعبـادهْ
اطلبـوهـا بـاجتهـادٍ مـا علـىٰ حَـدِّهْ زيـاده
مـن طلـبْ يعطيـه ربـي فـوق سُـولِـهْ ومـراده
فـاطلبـوا دابـاً علـومـاً فَضْلُهـا فـوق الشهـاده
واتـركـوا قيـلاً وقـالاً واغتيـابـاً لعبـاده
خـاب عبـدٌ ضـاع عمـرُهْ فـي البطـالـه والبَـلاَده
والسَّفـالـه والخَسـاسـه مـا تيقَّـظْ مّـن فسـاده
مـا ذَكَـرْ مـوتـهْ وقبـره مـا تـزوَّدْ لمعـاده
مـا حَمِـدْ ربـهْ تعـالـى مَـن حَمِـدْ مـولاه زاده
يـا غُبُـونـهْ يـا شجـونـه مـا تنبـه مـن رقـاده
اِنْ نَصَحْتَـهْ أو وعَظْتَـهْ ليـس يـرجـعْ مـن عنـاده
سـوف يخسـرْ سـوف يحسـرْ عنـدمـا يمسـي رَمـادَه
سـوف ينـدمْ حيـن يقـدَمْ ويـرىٰ حـرقـةْ فـؤاده
وهْـوَ وسْـط القبـر جيفـه مـا لَـهُ فـرشْ أو وسـاده
ويـنْ خَـرْشُـهْ ويـن لُبْسُـه ويـن هـاتيـك القـلاده
ويـن مَسْحُـهْ ويـن زَيْنُـه ويـن زنـدُهْ وعضـاده
ويـن أهلـه ويـن وُلْـدُهْ مَـن يَفُكُّـهْ مـن قيـاده
راحـت الـدنيـا عليـهِ مـا معُـهْ منهـا جـراده
مـا معُـهْ غيـرْ اكتسـابـه مِـن شـرورٍ أو إجـاده
يـا عيـالـي يـا بنـاتـي أيـن مـن يبغـي السيـاده
أيـن خُطَّـاب المعـالـي مـن هُـمُ للخيـر قـاده

ويـــن مـــن يهـــوىٰ نعيمـــاً	لا سبيـــــــلَ لِنَفـــــادَهْ
فـــاسمعـــوا لـــي وانصتـــوا لـــي	واحفظـــوا حِفْـــظَ استفـــاده
تَحْمَـــدوا القـــولْ إن عملتـــم	وأخـــذتـــم فـــي اعتمـــاده
كـــلَّ خيـــر فـــالـــزمـــوهُ	واتـــركـــوا لـــي كـــل عـــاده
واطلبـــوا مـــرضـــاةَ ربـــي	فـــي استتـــارٍ وشَهـــاده
واتـــركـــوا النـــاسَ ومـــا هـــم	فيـــه تَحْظَـــوْا بـــالسعـــاده
واذكـــــروا اللهَ كثيـــــراً	فـــاز مَـــنْ ذِكْـــراه زاده
ذاكـــرٌ فـــي كـــل حـــال	ذاك تَحْظَـــــىٰ بـــــوداده
فـــاشكـــروا اللهَ أحمَـــدوه	يـــا مـــريـــديـــن الـــزيـــاده
والـــــذي ينســـــاه يُنسَـــىٰ	غـــرَّهُ أبليـــسُ وكـــاده
إن ذِكْـــــرَ اللهِ بـــــاقٍ	غيـــــرُ ذكـــــرِ الله عـــاده
والقنـــاعـــه خيـــرُ مـــال	بَخْـــت مَـــن مـــالُـــهْ زهـــاده
ليـــس يُحـــرَقْ ليـــس يُســـرَقْ	ليـــس يُخشـــىٰ مـــن فســـاده
واجتهـــد مـــا دمـــت حيـــاً	بخـــت مَـــن هَمُّـــهْ جهـــاده
وعلـــومَ الـــديـــن حَصِّـــلْ	لخـــلاصـــكْ والإفـــاده
فـــاز عبـــد قـــد تيقَّـــظْ	ثـــم شمَّـــرْ لـــرشـــاده
وعلـــــى الله تـــــوكَّـــــلْ	وإلـــــى الله استنـــــاده
يـــا ســـرورهْ يـــا حبـــورهْ	إنْ خُتِـــمْ لُـــهْ بـــالشهـــاده
يـــا كـــريمـــاً يـــا رحيمـــاً	يـــا لطيفـــاً بعبـــاده
هـــب لنـــا فضـــلاً عظيمـــاً	ليـــس نَحْصِـــيْ لِعِـــداده
وأصلِـــحِ القلـــبَ وأذهِـــبْ	لفســـــادِهْ وســـــواده
واختـــم العمـــر بخيـــر	عنـــد ختمـــهْ وحصـــاده
وصـــــلاة الله ربـــــي	عَـــدَّ طشـــات الـــرهـــاده
تتغشـــىٰ خيـــر خلقـــهْ	وعِبـــادِهْ فـــي بـــلاده

* * *

وقال رضي الله عنه مخاطباً لابنته نور نفعنا الله بهما ، آمين :

يا نورْ إن شئتِ النورْ ... ويمسِي القلبْ معمورْ
والصدرْ مشروحْ مسرور ... دُومي علىٰ طاعةِ الله
وصلِّي الفرضْ كامل ... وأُتركي كل شاغل
من كل عالي وسافل ... من كل ما يُسخِطُ الله
وأُتركي للمقالات ... فإنها كلها آفات
وموجِبَهْ للندامات ... إلاَّ لمن يذكر الله
ولا تشوفين للناس ... فالأُنسْ بالناس إفلاس
وأذكري حال الارماس ... وحين نرجعْ إلى الله
ولازمي الذكر سَرمَدْ ... من غير عَدٍّ ولا حد
ينفَعْكِ في حين تُلحد ... وليس يبقىٰ سوى الله
وأهلِكْ ومالِكْ يوَلُّون ... وفوقَكِ الطين يَحْثُون
وأموالَكِ الكلَّ يَحْوُون ... فاطلب خلاصِكْ من الله
بالزهد في ذي الدنيه ... وكل خصلهْ عليَّه
بأخلاصْ مَعْ صدق نيه ... في كل لحظه إلى الله
ولازمي للعباده ... وأُتركي كل عاده
وأرفضي للوساده ... في وقت ما ينزل الله
قومي اطلبي ما تريدين ... من أمرْ دنياكِ والدين
يعطيك في الساع والحين ... ذا صدقْ تحقيقْ والله
فنسألُ اللهَ يرحم ... ويُذهِبُ الهم والغم
ويغفرْ أوزارنا الجم ... يا غافر الذنب يا ألله
يا الله بتوبه صحيحه ... من كل خصله قبيحه
وكل موجِبْ فضيحه ... في يوم نحشر إلى الله

يـــا ٱللهُ بحســـن الختـــامِ — عنـــد نـــزول الحمـــامِ

نـــزل بـــدار الســـلامْ — جنـــاتْ فيهـــا رضـــا اللهْ

وأَهلنـــــا والمحبيـــــن — وأهـــل المـــودات فـــي الـــدين

مـــن غيـــر حصـــرٍ وتعييـــن — فضـــلٌ ومـــنٌّ مـــن الله

ثـــم الصـــلاة علـــىٰ أحمـــدْ — طـــه النبـــيِّ الممجـــد

مـــا نـــاح قمـــري وغـــرَّدْ — ومـــا ذَكَـــرْ ذاكـــرُ الله

* * *

وقال رضي الله عنه : وهٰذه ثلاثة أبيات قديمة لبعض الصالحين[1] وهي :

مـن كـانَ همَّتُـهُ الـدنيـا ليجمعَهـا — فسـوف يـومـاً علـىٰ رغـمٍ يخَلِّيهـا

لا دارَ للمـرءِ بعـد المـوت يسكنهـا — إلاَّ التـي كـان قبـل المـوت يبنيهـا

فـإن بنـاهـا بخيـرٍ طـاب مسكنـه — وإن بنـاهـا بشـر خـاب بـانيهـا

فزدت بعدها هٰذه الأبيات :

وليس للمرء بعد الموت من شجر — غيـر التـي كـان فـي الـدنيـا يـربيهـا

فبـاذرُ الشـوكِ يَلقـىٰ الشـوكَ ينخَـزُهُ — ومـن بَـذَرْ طيبـاتٍ سـوف يجنيهـا

وليـس للمـرء مـن أثـوابِ يلبسِهـا — بعد الممات سوىٰ ما كان يُنشيها

فمـن يكـن نـاسجـاً شـراً سيلبسـه — ونـاسـجُ الخيـر يغـدو رافـلاً فيهـا

وسـوف يُلقـىٰ بقبـرٍ لا أنيـس بـه — إلاَّ الأمـور التـي كـان يعـانيهـا

فعـامـل الخيـر يلقـىٰ الخيـرَ يؤنسـه — وعـامـل الشـر تـأتيـه أفـاعيهـا

ومـا لَـهُ مـن مِهـادٍ بطـنَ حفـرتـه — غيـر التـي كـان مـن دنيـاه يهـديهـا

إن قـدم الخيـر يلقـىٰ مـا يُسَـرُّ بـه — مـن الأمـور التـي يشكـرْ مُـلاقيهـا

ومـن جنـىٰ سيئـاتٍ سـاء مضجعـه — ينـدمْ نـدامـةَ لا يُمكـنْ تـلافيهـا

والمـال والأهـل والخـلان كلُّهُـمُ — عنـد البـلايـا يفـرُّ مـن دواهيهـا

فـإن أردت مُعينـاً تستعيـن بـه — على المهمات فاطلب من يجليها

هو الجليس الذي يصحَبْك في سفر — وكـلِّ شـانـك قـاصيهـا ودانيهـا

ولا يفـارقُ فـي الحـالات أجمَعِهـا — ولـو تظـلُّ علـى الأوزار تـاتيهـا

تَعصـي فيُحسِـنُ تنسـاه فيـذكـرُكَ — تُـدْبـرْ فيُقبـلُ بـالنعمـا يـواليهـا

وهْوَ الغنيُّ الذي يصحَبْكَ لا طمعٌ — فيـك ولا لأمـورٍ أنـت تسـديهـا

---

(١) والذي يظهر أنها منسوبة لسيدنا علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه .

يعلمْ عيوبك يسترها عليك ولا يذيعها والمحاسنْ منك يُبديها

وكل خيرٍ فهُوْ منه إليك أتى ومن يَقِيْ السيئاتِ أن تقعْ فيها

الخالق الرازق البَرُّ اللطيف بنا رب البرية منشيها ومحييها

وهو الودود الشكورُ والغفور لمن أتىٰ إليه منيباً من مساويها

وهو الكريم الرحيم المستغاث به من العطايا علينا الدُّوْبْ يُوليها

خذه جليساً أنيساً دائماً أبداً واطلب لباقٍ ولا يغرُرْكَ فانيها

ولازم الذكرَ والإفكار في ملأٍ وفي خلاء وعادِ من يعاديها

وكن أديباً لبيباً في مجالسةٍ مؤدَّباً بعلوم راق صافيها

وهي العلوم التي تميطُ كلَّ ردي عن القلوب وبالحسنىٰ تُحَلِّيها

تَحَلَّ منها بأخلاق تَحُلُّ بها من المقامات أقصاها وعاليها

واقطع لكل مَعُوقٍ عن مداركها وغِبْ عن الغير تبدو لكْ مباديها

ومُت إذا شئت تحيا هٰكذا ذكروا وأفْنَ لتبقىٰ تَحَقَّقْ في معانيها

إن الحياة حياة الصالحين وما عدا حياتِهِمُ كلُّ الكَدَرْ فيها

فكن جليسَهُمُ واسلك سبيلَهُمُ وكن حريصاً على التقوىٰ وأهليها

واطلب من الله تُعطىٰ ماطلبت ولا ترجو الخليقة تُحْرَمْ ما بأيديها

يا ربِّ يا ربِّ يا رحمٰنُ يا صمدٌ يا عالمَ الحال ظاهِرْها وخافيها

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها كثيرةً ليستِ الأشعار تُحصيها

ولي حوائجُ أجناساً منوعةً أسأَلْكَ يا قاضِيَ الحاجات تقضيها

ولي فؤاد به الأمراض فاشية أسأَلْكَ يا شافِيَ الأمراض تشفيها

واغفر وسامح ووفق للصواب ولا تُخَلِّي النفس تهوي في مهاويها

واختم بخير ختام للجميع إذا حان القفول ونادانا مناديها

الله حسبي غياثي خالقي وكفى علمُهْ بحالي فلَسْتْ أحتاج أُفشيها

فليس لي ملجأٌ أرجوه أو وَزَرٌ سواك يا خالق الأشيا ومبديها

فارزقنِي أعلىٰ مقام في متابعة الـ ـرسول أحمدَ خيرِ الخلق هاديها
عليه ألفا صلاةٍ والسلامُ كذا ما سارت العيس في البَيْدا وحاديها
والآلِ والصحب والأتباع كلِّهِم أهلِ السوابق من حازوا أعاليها
بحقهم يا إلٰهي جد لنا كرماً أشيا عظيمهْ جسيمهْ ليس نرويها
والحمد لله رب العالمين على نَعْمَا كبيرهْ كثيرهْ لستُ أُحصيها

* * *

وقال رضي الله عنه : وهٰذان البيتان قالهما أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه لما سأله رجل في المنام أن يعظه :

النـــاس بحـــرٌ عميـــق والبُعـــد منهـــمْ سفينـــهْ
وقـــد نصحتـــك فـــانظـــر لنفســـك المسكينـــه

فقلت تذييلاً لهما وإن لم تكن مثلهما :

فبحـــرهـــمْ شَـــرٌّ بحـــرٍ فيهـــا البـــلايـــا كمينـــه
بـــه التمـــاسيـــح جَمَّـــه وكـــم أفـــاعـــي سمينـــه
ففِـــرَّ منهـــم فـــراراً فـــالبعـــد حِصـــنٌ حصينـــه
فيهـــا الـــلآلـــيْ الغـــوالـــي مـــع العُلُـــوق الثمينـــه
مـــن كـــل ذِكْـــرٍ وفكـــر مـــع الهـــدىٰ والسكينـــه
والـــرفـــق مَـــعْ جملـــة أشيـــا علـــى المعيشـــهْ معينـــه
وتـــركُ عـــاداتِ ســـوءٍ فيهـــا الشـــرور دفينـــه
وهْـــيَ بكـــل بـــلاء وكـــلِّ فقـــر ضمينـــه
حَـــذارِ عنهـــا حـــذار مـــن قبـــل مِحْنـــه مَحِينـــه
واسلـــك سبيـــلاً ســـويـــاً علـــى الطـــريـــق المبينـــه
طـــريقـــةٌ مـــا كمـــاهـــا بيضـــا نقيـــه حسينـــه
طـــريقـــةُ المصطفـــىٰ أحمـــدْ بكـــل خيـــر قَمِينـــه

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

نِعَـــمُ الله علـــى الخلـــق كثيـــرهْ إنمـــا لـــم يحسنـــوا معهـــا العشيـــرهْ
والسبـــبْ فـــي ذاك إظـــلام البصيـــره وفســـادٌ فـــي الفـــؤادِ والســـريـــره

* * *

وقال رضي الله عنه :

أرى الشخص داباً ساعياً في حظوطه   يعـالـجُ أشيـا وهـي أيضـاً تعـالجُـهْ

❊ ❊ ❊

وقال رحمه الله : وهٰذا البيت للغزالي من « الإحياء » :

كَـدُودٌ كَـدودِ القـز ينســجُ دائمـاً   ويَهْلَـكُ غمّـاً بطـنَ مـا هُـوَ نـاسجُـهْ

وقلت تذييلاً له :

فيـا ربِّ يـا رحمٰـنُ أُمنـن بتـوبـة   لعبـدك مـن كـل الشـرور تُخـارجُـهْ

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به :

مسكينْ مسكينْ من قَرَّبْ إلى المجزرهْ   وقد دنا منه سُكنىٰ القبر والمقبرهْ
وليـس يـدري بمَـورِدْهُ ولا مَصـدَرَهْ   وهُوْ مع ذاك لاهي غافلٌ مَسْخَرَهْ
وليس يسمعْ لمن ينصحْ ومن حَذَّرَهْ   يتبعْ هواهُ كمثل السيل في المَنْتَرَهْ
ضيَّع زمـانـه بـأشيـا عـاقبتْهـا تِـرَهْ   وإنمـا هُـوَ يسـألْ واسـع المغفـره
يَمنُنْ بتوبه صحيحه باطنه ظاهره   يَمحي بها كلَّ ما أخفىٰ وما أظهره
فالفضل واسعْ وعفو الله ما أكبره   والجود فايضْ عسىٰ قسمي يقعْ وافِرَهْ
ويجعل العمرْ حُسن الخاتمه آخره   ولا نرىٰ باس يومَ الدين والساهره
والعفو والسترْ في الدنيا وفي الآخرهْ   لي والمحبين وأهل الدار والدائره

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه بتاريخ القعدة سنة (١٢٦٢هـ) :

ضـــاقــت أسبــاب البـــرايـــا　　مـــا بقـــي إلاَّ القنـــاعـــه
فـــألـــزَمـــوهـــا بـــاقتصـــادٍ　　واجعلـــوهـــا أعلـــىٰ بضـــاعـــه
فـــاز عبـــدٌ قـــد عـــرَفْهـــا　　ثُـــمَّ سَـــوَّاهـــا متـــاعـــه
واحـــذروا عـــاداتِ ســـوءٍ　　أوْرَثَـــتْ طـــول المجـــاعـــه
واغتـــــراب وافتـــــراق　　بـــل وللـــديـــن ضيـــاعـــه
فـــي بـــرورٍ وبحـــورٍ　　وبهـــا طـــال انتجـــاعـــه
عـــن قـــريـــب وحبيـــب　　لـــم يـــراهـــم بعـــضَ ســـاعـــه
والسبـــبْ فـــي ذا جميعـــهْ　　كلِّـــهِ تضييـــعُ طـــاعـــه
لعظيـــم الفضـــل ربـــي　　الـــذي منـــه القنـــاعـــه
وعَـــدَمْ حِفْـــظٍ لِهَـــدْيِ　　مَـــن أُمِـــرْنـــا بـــاتبـــاعـــه
سيـــد الســـادات مـــن قـــد　　خصَّـــهُ اللهُ بـــالشفـــاعـــه
رب وفقنـــا وســـدد　　واهـــدنـــا سُبْـــلَ الجمـــاعـــه
مـــن صحـــابـــيْ ووَلِـــيٍّ　　فـــي فِعـــالِـــهْ واستمـــاعـــه
واختـــم العمـــرَ بخيـــر　　عنـــدمـــا يـــدنـــو انقطـــاعـــه
وصـــلاةٌ وســـلامٌ　　دائمـــانِ فـــي ضـــراعـــه
يَغْشَيَـــانِ المصطفـــىٰ أحمـــدْ　　ذا الفصـــاحـــه والبـــراعـــه
وعلـــىٰ آلٍ وصحـــب　　مـــا لِغُصـــنْ الـــريـــحُ زاعَـــهْ

* * *

وقال رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته وعلومه في الدارين ، آمين :

اسأَلِ الرحمٰن لا تسأَلْ سواهْ　　الذي كل المواهبْ من عطاهْ
كل ذي خيرٍ فمن فضلِهْ أتاه　　واستعن بالله لا تطلب عَداه

جل مولانا الكريمْ
الذي فضلُهْ عظيمْ
والذي جوده عميم

القديمُ الواحد الفرد الإلٰهْ　　الذي في الملك يفعل ما يشاءْ

بيت

احفظِ الرحمٰن تُحْفَظْ ما بقيتْ　　احفظ الله تجدهُ حيث شيتْ
واذكرِ الله دواماً ما حَيِيْت　　إن من ينساه قد أخطا النجاه

أُذكر الذكر الكثيرْ
تَحْظَ بالملك الكبير
والفؤاد المستنير

واعبدِ اللهَ كأنكْ لُهْ تراه　　فَهْوَ مَعْكَ في حياتكْ والوفاه

بيت

واعلم أن الصبر للنُّجْحِ ضمين　　وكذا للعسر يُسْرانِ قرين
والفرَجْ يأتي مع الشدهْ يقين　　فانتظِرْهُ مثل ما قال الرواه

ثم إن شيت السرور
والهنا بَلْ والحبور
فوّض أمرك للغفور

وٱرض عن ربكَ تَظْفَرْ برضاه واشكر الرحمٰن تَحظىٰ بوَلاه

بيت

والذي أخطاك ليسَ لكْ يُصيب أو أصابكْ ليسَ يُخطيْ يا لبيب
فاعتقد هٰذا وكن عبداً منيب فـٱرْجُ مولاكَ ولا تخشَ سواه

واشكر الرب المجيد
تَحْظَ منهُ بالمزيد
لا تَعَلَّقْ بالعبيد

إنهم ضُعْفٌ فدع هٰذي الدَّناه وارفع الهمهْ إلى العالي عُلاه

بيت

واعتقد أن الخلائقْ أجمعين لو أرادوا نفعَكَ النفعَ المبين
ما استطاعوا فٱعلَمَنْ هٰذا يقين غيرْ بالمكتوب لكْ عند الإلٰه

أو أرادوا لكْ ضررْ
أو يكيدوكَ بِشَر
وٱجتمَعْ كلُّ البشر

لم يضروك بشيءٍ لو قَذَاهْ غير بالمكتوب كن ذا اِنتباه

بيت

يا عظيمَ الفضل يا معطي الجزيل يا كثير الخير جَمِّلْ يا جميل
يا إلٰهي أدرك العبد العليل واعف عنه إن عَفْوَكْ لُهْ دَواه

ما لَهُ إلاَّ دَواك
لا شفا إلاَّ شفاك
ما لَهُ ربٌّ سواك

أصلحِ القلب الذي قد عَمَّ داه وقسا أو مات مما قد جناه

بيت

وأشفِـهِ بـل أحيـهِ قبـل الممـات　　　تـب عليـه تـوبـةً قبـل الفـوات
وأرضَ عنه قبل أن يُمسي رُفات　　　وأَنِلْـــهُ مـــن مُنـــاهُ منتهـــاه

نطلـــــــــــبُ اللهَ دوام
أن يبلِّغْنـــا المـــرام
فهـــو وهّـــابُ الجســـام

عـــمّ جـــودُهْ للتَّقـــاةِ والعُصـــاه　　　ليـس يَيْـأَسْ رَوْحَـهُ إلاَّ الشُّقـاه

بيت

نسألكْ يا رب غفران الذنوب　　　واعف عنا وآمحُ عنا كلَّ حُوب
واهدنا للخير واكشف للكروب　　　لا تـؤاخـذنـا بفضلـكْ يـا إلـٰـه

واختِـــمِ العمـــرَ بخيـــر
واحمنـا مـن كـل ضَيْـر
لا تُـــوَلِّينـــا لغيـــرْ

صلـوات الله تغشـى المصطفـى　　　وعلى الأصحاب والآلِ الدعاه

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه هٰذه الأبيات والمخاطب بها السيد الشريف محمد بن إبراهيم بلفقيه بتاريخ شهر رجب سنة (١٢٦٣هـ) ألف ومئتين وثلاث وستين هجرية :

يـا محمـد إذا شيـت الهنـا والمبـرَّهْ — والسلامهْ وتكفىٰ من جميع المضرَّهْ

اتـرك الـرسـمْ والعـادات والخلـق مـرَّهْ — جامل الوقت لا تبحث على الوقت شَرَّهْ

سالم الناس تسلَمْ إنَّ لي بعضْ خِبره — لا تزاحم تكن شاردْ وهي ظَرْف خُبرَه

واطلب العلم واعمل بِهْ تنال المبره — عنـد ربـكْ وكـن طـايـعْ لنهيـه وأمـره

واشكرِ الله إذ أسبَلْ على الكل سِترَه — عـمَّ جـودهْ تعـالـى المسلميـنَ وكَفْـرَه

كلهم تحت حُكمِهْ كلهم تحت قهره — ما لِحَدْ شِيْ معهْ مثقال أو وزنْ ذره

فـاتخـذه جليسـكْ فـي مسـاءٍ وبكـره — واعتكف تحت بابهْ عَلَّ تلحقَكْ نظره

تبلغ السُّوْل والمأمول من غير عُسرَه — والخمولَ الخمول احذر ظهوراً وشُهرَه

واعتزل وانفرد من غير عُجْبٍ وكِبْرَه — لا تخـالـط تنـالَـكْ كـل ظُلْمـه وكُـدْره

واشتغل بالذي يعنيك فاعلَمُهْ وٱدْرَهْ — لا تعـرِّجْ علـىٰ غيـره تصيبَـكْ مَعَـرَّه

واجتهد في العمل قولاً وفعلاً وفِكْرَه — لا تَكاسَلْ ولا تلحقَكْ في الخير فتره

واتَّبـعْ سنـة الهـادي بعُسـرَه ويُسـرَه — لا تخـالفُـهْ فـي شـيءٍ بسِـرَّه وجهـرَه

صلِّ ربي عليهِ ما انثنىٰ غصنْ شَجْره — أو سرى الركب في الداجي يؤُمُّون قبره

❋ ❋ ❋

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

يـــا مجمِّـــلْ لا تهمِّـــلْ	إن عــادتــك الجَمــالــه
جمِّــل الــدنيــا والأخــرى	خَلّهــا تَعْبُــرْ سهــالــه
رب لا تكشــف لحــالــي	إن حــالــي خَسٌ حــالــه
كلهـــا إثـــمٌ وزور	وغـــرورٌ وجهـــالــه
كــل طــاعــاتــي بغفلَــهْ	حــاويَــهْ كــل الــرذالــه
مــا تــرىٰ فيهــا صحيحــاً	وسليمــاً مــن جهــالــه
رب أصلــح لــي فــؤادي	بــالنبــيْ الطــاهــرْ وآلــه

* * *

وقال رضي الله عنه : وهـٰذا البيتان سمعهما الحبيب عمر بن سقاف بن محمد السقاف ، والسبب : أنه جالس في غرفةٍ وهو مهموم ، فسمع واحداً جالساً تحت شجرة يغني بهـٰذين البيتين ، فخرج الحبيب يدوِّر له ولا وجده ، فزدت عليهما الأربعة الأبيات :

مَن شَلّْ بَقْعا علىٰ جنبيه ما طاقها	ما طاقها ألاَّ كريم الوجهْ خلاَّقها
أما ترى الطير ذي تسرحْ علىٰ أرزاقها	لا مالْ معها ولا هِيْ تدخُلْ أسواقها
إلاَّعلــى اللهْ خــالِقْهــا ورزّاقهــا	تسرحْ جُويعَهْ وتضويْ بِهْ إلىٰ أحلاقها
فأنذُقْ ببقعا إلى الحِذْبهْ علىٰ أشداقها	إنْ هِيْ بخُلعِهْ وإن هِيْ لِبْسَت أخلاقها
لا تَشْتَهيها وإن هِيْ كَحْلَت أحداقها	لأنهــا كُثْــرَت أَذْوَتْهــا ونِقْنــاقهــا
وزاد في الوقت هـٰذا كُثْرَت أشعاقها	ما عاد فيها سوى المحنهْ لمن ذاقها

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين ، آمين :

يا سميعَ الدعا نسألَكْ توبه صحيحه من جميع المعاصي والفعال القبيحه

قبل كشف الغِطا بين الملا والفضيحه

* * *

وقال رضي الله عنه ونفعنا به بتاريخ أحد وعشرين صفر سنة (١٢٦٨هـ) :

يا أيها الإنسانْ ... احذر من العدوانْ
والبغي والطغيان ... خَفْ من عقاب الله
الواحد القهار ... يعذبَكْ بالنار
تمسي مع الكفار ... في وَسْط نارِ الله
احذر من التَّبْعات ... فإنها ظُلْمات
في يوم حقٍّ آت ... يقتص فيه الله
يأْخذْ له الحَسْنات ... ويُعطِكَ السَّيْئات
فيا لها حَسْرات ... تخذلَكْ عند الله
لا تؤذِي المسكين ... فيورثَكْ تمحين
في القبرْ بل في الحين ... يغضب عليك الله
وليس لكْ شافعْ ... أيضاً ولا نافع
ولا تجدْ دافع ... لكْ من عذاب الله
وفي خبرْ مُسْلمْ ... عن النبي المسلم
مَن سَلِمَ المسلمْ ... مِنْهُ كذا والله
وجاء لن يؤمنْ ... مَن جارُهُ المؤمنْ
لا يأْمَنُهْ آمِنْ ... بقول عبدِ الله
إن لم يَصِلْ بِرُّكْ ... فلا يَصِل شَرُّكْ
لهم ولا ضُرُّكْ ... مَثِلْ جمادِ الله
خذ نُصحْ من ناصِحْ ... ينظرْ لكَ الصالحْ
ولا تكن طالحْ ... من شر خلق الله
إن لم تكن غانم ... عسىٰ تكن سالم
واحذر تكن ظالم ... مبغوضْ عند الله
إن شيت أن تُرْحَمْ ... للمسلمينْ اِرحم

فمن رَحِمْ يُرْحَم   جاءْ عن رسول الله
من يؤذِي المسلم   كان كمن يهدمْ
للبيت ذي عُظِّمْ   بخيرِ أرض الله
فكم أتىٰ تشديد   عظيمْ مَعْ تهديد
لا يَحصُرُهْ تعديد   لمؤذيْ خلق الله
كن نافعاً للناس   بالفعل والإيناس
لا تَك كالخناس   ذي قد لَعَنْهُ الله
كن راحماً نفسكْ   من قبل في رمسكْ
تُعَضِّضَنْ خمسك   ندامةً والله
فالمؤمنون إخوهْ   كذاك لَكْ أسوه
بالسادة الصفوه   ممن يحب الله
ممن يحب الخيرْ   لنفسِهِ والغير
ويكرهون الضَّيْر   لكل خلق الله
يطهرْ بذا قلبك   يرضىٰ به ربك
يُغفَرْ به ذنبك   تنال فضلَ الله
يا رب يا رحمٰن   اغفر لنا العصيان
وهب لنا الإيمان   مع الرضا بالله
واختم الأعمار   بالعفو يا غفار
نحشر مع الأبرار   في زمرةْ أهل الله
واكفنا الأشرار   والشر والأوزار
والهم والأكدار   من محض جود الله
ثم صلاةُ الله   مع سلامِ الله
علىٰ رسول الله   خاتِمِ رُسْلِ الله
وكلِّ مَن نُبِّي   والآل والصحب
وكلِّ ذي حُبِّ   لهم لوجه الله

وقال رضي الله عنه مشيراً لمحبه عبد الله بن زين باسلامة :

يـا بـاسـلامـه قـل عسى السـلامـه ... والفـوز والـرضـوان والكـرامـه

فـلا نـرىٰ حسـره ولا نـدامـه ... فـي هـٰذه الـدنيـا وفـي القيـامـه

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين :

يـا الله بـالعيـاده ... والفـوز بـالسعـاده

نعـود فـي زيـاده ... فـي العلـم والعبـاده

نتـرك لكـل عـاده ... تُنـاقِـض الـزهـاده

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه مشيراً إلى الشيخ عبدالرحمـٰن بن عبد الله صَبَّان :

يا وجيه انشرح لكْ فأنَّ هـٰذا بكَ أولىٰ ... إن صَلَحْ أمرْ ذي الدنيا وواتَتَكْ أو لا

سلِّـم الأمـر للـرحمـٰن قلبـاً وقـولاً ... والحذرْ الحذرْ من قول لِمْ لا ولولا

سِرْ بهـا شـاذليَّـهْ مـا تـرىٰ قـط هَـوْلا ... واعلـم أنـك مسخَّـرْ عَبـدْ والله مـولـى

ليـس لـكْ قـوّةٌ كـلاَّ ولا قـط حَـوْلا ... فاسكتْ اسكتْ تأدّبْ عند ذولا وذولا

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفعنا به : الحمد لله وقد نظمت معاني قول الشيخ الغزالي : (وبالجملة ماذا يقول القائل . . .) إلىٰ آخر المقالة فقلت :

مــاذا يقــول النــاس فــي طــريــقِ ... مبــداه طُهْــر القلــب بــالتحقيــقِ
عمــا ســوى اللهِ العظيــمِ ربِّنــا ... يــا ربِّ طهِّــر قلبنــا يــا حسبُنــا
وعَقــدُهُ ٱستغــراق كــلِّ القلــبِ ... بــذكــر مــولانــا الكــريــمِ ربــي
وختمُــــهُ الفَنــــاءُ بـــــالكليــــه ... فــي الله ربــي خــالــق البــريــه
هٰــذهْ طــريــق الأنبيــا والــرُّسْــلِ ... وأوليـــــاء الله أهـــــل الفضــــل
ثــم ٱعلمــوا أن صــلاح القلــب ... ألاَّ يُحِــبَّ الشخــصُ غيــرَ الــرب
تصيــــرُ قـــرةْ عينِـــهِ العبــــاده ... لأجلهـــا يتـــركُ كــــل عــــاده
يــرىٰ معــاصــيْ الله نــاراً مُحــرِقــهْ ... وكــالسمــوم والميــاه المغــرقــه
وكــلُّ قلــبٍ فيــه مَيــل للسِّــوى ... فــإنــه يــا صــاح عبــدٌ للهــوى
وإن أردت طلـــــب الكمـــــال ... والفــوزَ فــي العقبــىٰ وفــي المــآل
عليــك بــالعــزلــة بــالــرمــال ... وبـــالتخلـــي بـــاطــنَ الجبـــال
وادفــنْ وجــودكْ داخــلَ الخمــول ... واتــرك جميــع النــاس والفضــول
واذكــر إلٰهــكْ وٱنــسَ مــا ســواه ... فــي كــل وقــت وٱنْــفِ مــا عــداه
وإن أتــىٰ أمــر مـــن الـــرحمٰـــن ... فــٱرضَ بــه تفــوز بــالــرضــوان
والمـــــرءُ مكلـــــوءٌ بعيـــــن الله ... وبــالنِّعَــمْ مغمــورْ وهْــوَ ســاهــي
فـــواجـــبٌ عليـــه شكـــرُ الـــرب ... وصبـــرُهُ عنـــد البَـــلا والكـــرب
والصبـــر رأس الخيـــر والإيمـــان ... وهْـــوَ عـــزيـــزُ عنـــد الامتحـــان
فليحـــذر الشخـــص مـــن التبـــرُّم ... وكثـــرة الشكـــوىٰ لـــدى التـــألـــم
وليلتجـــي إلـــى العليـــم القـــادرِ ... بقلبـــــه وســـــرِّهِ والظـــــاهـــــر
وليعتمـــد عليـــه فـــي جميـــعِ ... أمـــوره مـــن هَيِّـــنْ أو رفيـــع
وليشهـــد الخِيْـــرَةَ فـــي القضـــاء ... وفـــي جميـــع الضُّـــرِّ والبـــلاء

وليُحسِنِ الظن بذي الاحسانِ ذي الفضل والجودِ عظيم الشانِ

ولا يُسِيءْ ظناً ولا يَستبطِي إجابةً من الكريم المعطي

وأعلم بأن كلَّ شيء بسببْ وللسببْ وقتٌ وعمرٌ مُكْتَتَبْ

وكل ضيقٍ سوف يتلوه فَرَجْ ويأتِيَ اليُسْر وينزاح الحَرَجْ

وأقنع من الدنيا بما تيسَّرَا ودَعْ لما زاد وما تعسَّرَا

ومن تيقنْ أن مولاه يراهْ استحيا أن يرجو ويخشىٰ من سواهْ

ومَن تيقنْ نظرَ الله إليهْ لم يَخترْ إلاَّ كلَّ ما يَقضِيْ عليهْ

والنافعُ الضارُّ المهيمنْ ربُّنا فاحذر تخافُ غيرَه يا مؤمنا

واترك جميع الناس لا تعبأْ بهم أيضاً ولا تركَنْ إلىٰ إخائهم

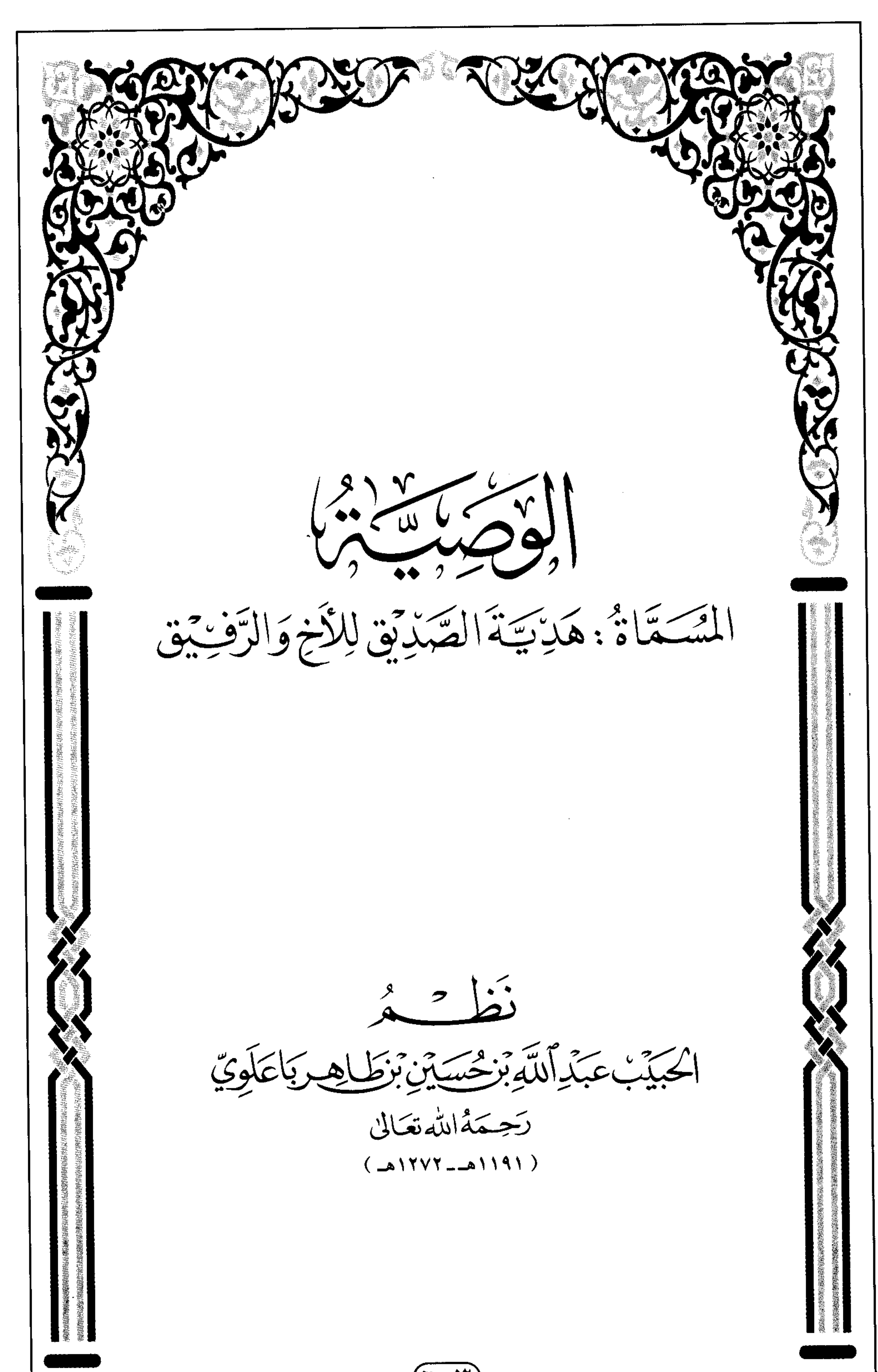
فإنهم لا يملكون بَرَّا[1] لنفسهم أو يدفعون ضُرَّا

* * *

تم رقم هٰذا الديوان الميمون ، والجوهر المكنون ، وهو من أنفاس سيدنا قطب الزمان ، وبحر المعارف والعرفان ، العارف بالله والدال عليه ذي النور الباهر ، والجامع بين علمي الباطن والظاهر ، سيدي وشيخ مشايخي الحبيب : عبد الله بن حسين بن طاهر علوي رضي الله عنه ، المتوفىٰ ليلة الخميس ، ثمانيَ عشرةَ مضت من شهر ربيع الثاني ، سنة (١٢٧٢هـ) ألف ومئتين واثنين وسبعين هجرية ، نفعنا الله به وأعاد علينا من بركاته وأسراره في الدنيا والآخرة .

* * *

(١) بَرَّا : كلمة تستعمل في حضرموت بمعنىٰ : قَطُّ .



الوَصِيَّة

المُسَمَّاةُ: هدِيَّةَ الصَّدِيقِ لِلأخِ والرَّفِيق

نَظْمُ

الحبيب عبد الله بن حُسين بن طاهر باعلويّ

رحمه الله تعالى

(١١٩١هـ - ١٢٧٢هـ)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للرحمٰنِ ... ذي الفضل والإحسانِ

حمداً كثيراً جَمَّا ... يفوق عَدَّ النَّعْما

ثم صلاة اللهِ ... علىٰ رسول اللهِ

وآلِهِ والصحبِ ... وكلِّ مَن قد نُبِّيْ

مع السلام الدائمْ ... ما هبت النسائمْ

وهٰذه وصيهْ ... واضحة جليهْ

ومن طلبْ لها ٱسما ... فإنها تُسَمَّىٰ

هديةَ الصديقِ ... للأخ والرفيقِ

وٱسمع لما أقولُ ... يا من لَهُ معقولُ

يا طالباً للبِرِّ ... في بحرها والبَرِّ

اعلم هداك اللهُ ... أَن الهدىٰ هُداهُ

وأول الهدايهْ ... والساس والبدايهْ

محبتكْ للخيرِ ... وأَهلِهْ أهلِ السَّيْرِ

هم تابعو المختارِ ... وصفوةُ الجبارِ

هم سادةٌ عُبَّادُ ... ونَقْوَةٌ زُهَّادُ

أهلُ الرضا والقُرْبِ ... والأنسِ بِهْ والحُبِّ

التاركونَ الدنيا ... الفانيون الأحيا

همتهمْ عليَّهْ ... سيرتهمْ مَرضيَّهْ

قلوبهم سليمهْ ... مسلولةُ السخيمهْ

هم تاركو الفضُولِ ... في القول والمأكولِ

سيماهُمُ التواضعْ ... وقطعُ كلِّ قاطعْ

أحوالهمْ مشهورهْ ... وفي الكتبْ مسطورهْ

تحيا بها القلوبُ ... تُسقىٰ بها الجُدوبُ

فذكرهمْ عبادهْ ... تَحصُلْ بها الزيادهْ

تَنزلْ بها الرحماتُ ... تُدفَعْ بها الآفاتُ

يحصلْ بها السرورُ ... والأُنس والحبورُ

مُحبُّهمْ محبوبُ ... يَحصُلْ لَهُ المطلوبُ

وهُوْ بهم سعيدُ ... وفعله سديدُ

طوبىٰ لمن رآهمْ ... ومَن مشىٰ وراهمْ

فالمرءُ مَعَ مَن أَحَبّْ ... ومِثْلُ من لَهُ ٱصطَحَبْ

ثم التشبُّهْ بالقومْ ... في سيرهمْ بل والعومْ

والأخذُ في الطريقِ ... بالجِد والتحقيقِ

بالحال والمقالِ ... والكسب والفِعالِ

والصدقِ والإخلاصِ ... والتركِ للمعاصي

علامةُ المحبهْ ... ورأسُ كلِّ قُربهْ

* * *

فصل

في التحذير من مجالسة أهل الشر وأهل الغفلة

واحذر مِنَ أهل الشرِّ — أهل الجفا والضُّرِّ

من يُكثِرُ الفسادا — ويؤذِي العبادا

فَقُرْبُهم مَعَرَّه — ونفعهم مضرَّه

صلاحهم فسادُ — وقربهم إبعادُ

نفاقهم كسادُ — بياضهم سوادُ

البُعدُ منهم سَعْدُ — والمَيل عنهم رُشْدُ

وبُغضُهم في اللهِ — عروة دين اللهِ

لا تركنوا إليهمْ — أو تحضروا لديهمْ

كذاك أهل الغفلهْ — في حطهم والنُّقلهْ

أهل اللعبْ واللهوِ — ذَوُو الضحكْ والسَّهْوِ

أبعد كثيراً منهمْ — واغمض لعينكْ عنهمْ

فصحبة الجهالِ — وكلِّ ذي ضلالِ

مضرة في الحالِ — والدِّين والمآلِ

فالمرء من خلِيلهْ — في فعله وقيِلهْ

يمشي علىٰ سبيلهْ — في حَطِّهْ أو رحيله

فاصحب لكل خَيِّرْ — وخاشع مذكِّر

مَن يُنْهِضَنْكَ حالُهْ — ويُرشِدُكَ مقالُهْ

* * *

فصل

في الحث علىٰ طلب العلم والعمل والتعليم

واطلب علوم الدينِ … وٱرْقَ إلى اليقينِ

فالعلم قوت القلبِ … فيه رضاءُ الربِّ

تحيا به الأرواحُ … تَحصُلْ به الأرباحُ

مجالس التذكيرِ … عديمة النظيرِ

فيها من التنويرِ … للسر والضميرِ

ما ليس في كثيرِ … من طاعة القديرِ

لأنه الأساسُ … وأصلها والراسُ

يُعرَفْ به المعبودُ … وما هو المقصودُ

تُحفَظْ به العبادهْ … من نقصٍ أو زيادهْ

ففضله عظيمُ … وقدره جسيمُ

وقد كفى القرآنُ … في فضله بيانُ

كذلك الأخبارُ … وبعدها الآثارُ

وهُوْ لنا دليلُ … وصاحبٌ جليلُ

فاعمل به وعلِّمْ … تُدعىٰ بخير مُسْلِمْ

واحذر من الآفاتِ … وجانِبِ الزلاتِ

فالعلم بالأعمالِ … يزكو وبالأحوالِ

وليس بالأقوالِ … وكثرة الجدالِ

العلمُ خشيةْ كلُّهْ … يُعرَفْ بذاك أهلُهْ

وإن أردتْ أن تَحيا … فٱلْزَمْ لما في « الإحيا »

واعمل بما تراهُ … فيهِ وما حواه

علـــمٌ جميعُـــهْ نـــافـــعْ ونـــورْ كلُّـــهْ ســـاطـــعْ
يـــدعـــوك للسعـــادهْ وتـــركِ كـــلِّ عـــادهْ
طـــوبـــىٰ لعـــامـــلٍ بِـــهْ بجسمـــــهِ وقلبِـــــهْ
يَحظـــىٰ بقـــرب ربِّـــهْ وودِّهِ وحبِّـــــــــهْ

* * *

فَصْلٌ

في تحسين العقيدة

وصحِّحِ العقيدهْ ... بنبذةٍ مفيدهُ

من قول أهل السُّنَّهْ ... أهل الهدىٰ والفِطْنَهْ

كالحجة الغزاليْ ... وكلِّ ذي كمالِ

واْشرَحْ بها الضميرا ... وكن بها بصيرا

وقَوِّها بالعملِ ... الصالح المكَمَّلِ

والذكر والتفكُّرِ ... ورؤية المُصَبِّرِ

وتركِ كلِّ زَلَّهْ ... وشهوةٍ وغفلَهْ

أما مع الذنوبِ ... وكسبِ كلِّ حُوبِ

وفعلِ كلِّ شهوَهْ ... من موجبات القسوَهْ

فتُكْسَفُ القلوبُ ... ويُحجَبُ المطلوبُ

من كل نورٍ باهرْ ... يظهرُ في السرائرْ

ويأتِي اللعينُ ... بكل ما يَشِينُ

من بِدَعٍ قبيحهْ ... تظنها صحيحهْ

وهِيْ من الشيطانِ ... يَغُرُّ للإنسانِ

* * *

فَصْلٌ

في الحث على الطهارة

واحــرص علـــى التطهيــرِ للجســـم والضميــــرِ
بـــالـــرفـــع لــــلأحـــداثِ والـــدفـــع لــــلأخبـــاثِ
فـــالطُّهْـــرُ شطـــر الـــديـــنِ عـــن النبـــيْ الأميـــنِ
كــــذلــــك النظــــافــــةْ تـــــورِثُ لِلَّطـــــافَـــــةْ
تَنشَــــطْ بهــــا الأجســـامُ تــــزكـــو بهـــا الأحــــلامُ
مـــن غيـــر مـــا وســـواسِ بطـــاعـــة الخنَّـــاسِ
بـــل سيـــرةٌ ســـويَّـــةْ بـــالملـــة المـــرضيَّـــةْ
كـــذا خصـــال الفطـــرةْ خـــذهـــا مـــنَ أهـــل الخبـــرةْ
فتحتَهـــا كـــمْ سِـــرِّ بهـــا الخبيـــرُ يَـــدري
فـــلا تكـــن كـــالبهْـــمِ الســـائمـــات العُجْـــمِ
فتتــــرُك الآدابـــــا وتُحـــرَمُ الثـــوابـــا

* * *

فَصْلٌ

في الحث على الصلاة

واحرص على الصلاةِ ... تفوزُ بالصِّلاتِ

وهِيْ من الإسلامِ ... كالرأس للأجسامِ

وهل ترىٰ في الناسِ ... حَيّاً بغير راسِ

فاقتُلْ لتاركيها ... واحكم لمنكريها

بالكفر والخسرانِ ... والنار والهوانِ

نعوذ بالرحمٰنِ ... من فتن الشيطانِ

وأَدِّها في الوقتِ ... وٱحذر تقعْ في المقتِ

بأنْ تُقَدِّمَنْها ... عنهْ أو تُؤَخِّرَنْها

وقم بكل شرطِ ... لها وكن ذا قِسْطِ

من سترٍ أو طهارهْ ... للجسم والطهارَهْ

واستقبِلَنْ للقبلهْ ... بالصدر فهْوَ المِلَّهْ

كذلك الأركانُ ... يُعْنَىٰ بها الإنسانُ

واحذر من البُطْلانِ ... بفعلٍ أو هَذَيانِ

وزِدْ لها إحسانا ... واطلب لَهُ بيانا

من كتب الأئمهْ ... ومن خيار الأمهْ

واجلس إليهم تَظْفرْ ... بكل خيرٍ أوفَرْ

واحرص على الجماعهْ ... فيها بكل ساعهْ

بادر لها وسابقْ ... واحذر أخي تنافقْ

بتركها في الجَمْعِ ... كذا أتىٰ عن جَمْعِ

فاسمع أحاديث النبيْ ... فيها ولا تكن غبي

وقـــد أتـــىٰ فـــي فضلهـــا   مـــا لســـت أُحصِـــي نقلَهـــا

واحضُـــرْ مـــع الإمـــامِ   تكبيـــــرة الاحـــــرام

كـــذلـــك الجمعـــةُ قـــد   عـــن النبـــيْ فيهـــا وَرَدْ

فـــي تـــركهـــا وعيـــدُ   وزاجـــرٌ شـــديـــدُ

وفضلهـــــا مشهـــــورُ   عـــن النبـــيْ مـــذكـــورُ

معـــروفُ بـــالضـــرورَهْ   لكـــــل ذي بصيـــرَهْ

يجهَلُـــهُ أهـــل الجهـــلِ   ومـــن فَقَـــدْ للعقـــلِ

وهِـــيْ علـــى الـــذكـــور   فـــرضٌ ســـوىٰ معـــذورِ

كـــذلـــك الـــرواتـــبْ   لهـــا أخـــي فـــواظـــبْ

فقـــد أتـــت رغـــائـــبْ   فيهـــا لكـــل راغـــبْ

وليـــس مـــن صـــلاتـــكْ   ينفَعْـــكَ فـــي ممـــاتـــكْ

ســـوىٰ حضـــور القلـــبِ   فيهـــا وقصـــد الـــربِّ

* * *

فصل

في الزكاة

وأدِّ للـــــــزكـــــــاةِ ... فــــي أوّل الأوقـــــاتِ

أخـــرِجْ لهـــا ببِشْـــرِ ... وقصـــدِ نيـــلِ الأجـــرِ

مـــن أحســـن الأمـــوالِ ... وهـــي علـــى الكمـــالِ

وأعطهـــا أهـــلَ القِـــلِّ ... مـــن أهلهـــا أهـــلِ الفضـــلِ

تـــربـــو بهـــا الأمـــوالُ ... تُحْفَـــظْ بهـــا الأحـــوالُ

وأحســـن إلـــى الإخـــوانِ ... والأهـــل والجيـــرانِ

وكـــلِّ ذي ضـــرُورَهْ ... واستـــر لكـــل عـــورَهْ

وصَـــدَقـــاتُ السِّـــرِّ ... تقِيـــكَ كـــلَّ شَـــرِّ

❊ ❊ ❊

فصلٌ

في الصوم

وصـــم لشهـــر الصـــومِ	وأنـــوِ لكـــل يـــومِ
قبـــل طلـــوع الفجـــرِ	فـــي كـــل فـــرضٍ يجـــري
وللمُفَطِّـــراتِ	الكـــلِّ فـــاحـــذر تـــاتِ
كـــالأكـــل والجمـــاعِ	هـٰـــذانِ بـــالإجمـــاعِ
والكِـــذْبِ والنميمـــهْ	والغيبـــةِ الـــذميمـــهْ
وغيـــرِهـــا ممَّـــا وَرَدْ	فيـــه حـــديـــثٌ يُعتَمَـــدْ
وأفطِـــرْ علـــى الحـــلالِ	يـــا طـــالـــبَ الكمـــالِ
ثـــم اقتصـــرْ فـــي الأكـــلِ	علـــى الخشِـــنْ مَـــعْ قِـــلِّ
وقـــم ليـــالـــي الشهـــرِ	لا سِيْمـــا آخِـــرْ عَشْـــرِ
فيهـــا ليـــالـــي القـــدرِ	تَحَـــرَّهـــا فـــي الـــوتـــرِ
فـــاْعْتَكِفَنْهـــا أجمـــعْ	وللمَبَـــرّاتِ اْجمَـــعْ
والصـــوم غيـــرُ الـــواجـــبِ	يُميـــطُ كـــلَّ حـــاجِـــبِ
لَـــهُ مـــن الثـــوابِ	أجـــرٌ بـــلا حســـابِ
فـــاْطلـــبْ لَـــه وجِـــدّا	واْحـــرِصْ عليـــهِ جِـــدّا

* * *

فصل
في الحج

وأَدِّ فــــرضَ الحـــــجِّ ... بتَجِّـــــهِ والعَـــــجِّ
كـــذاك فـــرضَ العمـــرهْ ... فـــي العمـــرِ كلِّـــهْ مَـــرَّهْ
هـٰــــذا إن استطعـــــتَ ... إليــــهِ واْقتَــــــدَرْتَ
إذا وجـــــبْ فبــــادرْ ... إلـــىٰ أدا الشعـــائـــرْ
واْنْـــوِ واَحـــرِمْ للبَـــرِّ ... ولَـــبِّ واســـأَلْ تَظْفَـــرْ
وقـــف عشيـــةْ عَـــرَفَـــهْ ... قُـــرْبَ الجبـــلْ بعَـــرَفَـــهْ
واْحلِـــقْ وطُـــف للـــركـــنِ ... واْسْـــعَ وكُـــنْ ذا حُسْـــنِ
وأَكثِـــرِ الطـــوافـــا ... دَأْبـــاً والاعتكـــافـــا
وســائــرَ الطـــاعـــاتِ ... مـــن بـــاقِـــي الحَسْنـــاتِ
كـــالبِـــرِّ والصـــلاةِ ... فـــاْغْـــنِ بهـــا وآتِ
فـــالحَسَنـــهْ فـــي الحَـــرَمِ ... بـــألـــفِ ألـــفٍ فـــاْعلَـــمِ
بـــل جـــاءتِ الأخبـــارُ ... فيهـــا بمـــا يُحـــارُ
مـــن فضلـــه العظيـــمِ ... وقـــدره الفخيـــمِ
فقـــم بكـــل الأدَبِ ... فيـــه تَفُـــزْ بـــالأرَبِ
واحـــذر مـــن الـــذنـــوبِ ... وكســـب كـــلِّ حُـــوبِ
فـــي ذلـــك المكـــانِ ... تَـــرجِـــعُ بـــالخســـرانِ
وزُرْ شفيـــعَ الخلـــقِ ... طـــه رســـولَ الحـــقِّ
تنـــالُ كـــلَّ سُـــؤْلِ ... بـــزَوْرَةِ الـــرســـولِ

❊ ❊ ❊

فَصْلٌ

في تلاوة القرآن

وٱتــــلُ كتــــاب اللهِ	تــــلاوةً كمــــا هِــــيْ
ورَتِّلَــــنْ تــــرتيــــلا	وٱسلُــــكْ بــــهِ سبيــــلا
تَفَهَّــــمِ المعــــانــــي	يــــا صاحِ بــــالجَنــــانِ
ولا تــــرىٰ لثــــانــــي	مــــن كــــل غيــــرٍ فــــانــــي
وأَعــــطِ كــــلَّ آيــــهْ	حقــــوقَهــــا للغــــايــــهْ
واحــــذر مــــن الغَفْــــلاتِ	فــــي حــــالــــة القِــــراةِ
نعــــوذ بــــالإلٰــــهِ	مــــن هٰــــذه المنــــاهــــي
واللهــــوِ والنسيــــانِ	وســــائــــرِ العصيــــانِ

* * *

فصل

في الحث علىٰ ذكر الله تعالى

ويــا مــريــدَ الخيــرِ	ودفْــعِ كــلِّ ضَيْــرِ
والفــوزِ بــالجِنــانِ	مــع رضــا الــرحمٰــنِ
والأنــسِ فــي الحيــاة	وحــالــةِ الممــاتِ
اقطــع لكــل عــائــقْ	واْفْــنَ عــن الخــلائــقْ
واجعــل زمــانــكْ ذِكْــرا	ســراً أخــي وجهــرا
ودُم علــى الأذكــارِ	بــالليــل والنهــارِ
بــالقلــب واللســانِ	فــي ســائــر الأحيــانِ
الــذِّكْــرُ غــرس الجَنَّــهْ	يــؤنسْــكَ فــي المجَنَّــهْ
وهْــوَ الــوِقــا والجُنَّــه	مــن شــر إنــسْ أو جِنَّــهْ
وهــو الــرفيــق الــدائــمْ	والصــاحــبْ المــلازمْ
فــاقطــع بــهِ زمــانــكْ	واعمُــرْ بــهِ جَنــانــكْ
فــاسمــع أخــي مشــورتــي	واعمــل علــىٰ نصيحتــي
تَحْمَــدُ حيــن تُقْبَــرْ	تَشكُــرُ حيــن تُحشَــرْ
والــذِّكــرُ مــا كمثلِــهْ	فــي نفعــه وفضلِــهْ
وهْــوَ لَــهُ قشــرانِ	كمــا لَــهُ لُبَّــانِ
فــاْرْقَ إلــى المعــالــي	وغــايــةِ الكمــالِ
واللهُ ذو إفضــــالِ	لا تيــأســوا مــن حــالــي
ومَــن هُــديْ للجِــدِّ	وبَــذْلِ كــلِّ جُهْــدِ
وســار فــي الســويَّــهْ	البيضــاءِ النقيَّــهْ
لا بــد يُعطــىٰ السُّــولا	ويُــدركُ المــأمــولا

* * *

فَصْلٌ

في الحث على اغتنام الوقت وعمارته بالخير

وٱغتَنِمَنْ للصحةْ والعافيه والفسحةْ
فإن كل ساعةْ ولحظة وخطره
ليس لها من قيمه ولا لها من رجعه
فكن على الساعاتِ من سائر الأوقاتِ
من ليلٍ أو نهارِ من عصرٍ أو إبكارِ
شفيقَ بالوقت فلا تُنفِقْهُ إلاَّ في العلا
من كثرة الأورادِ والذكرِ للمعادِ
والفكرِ في الخليقةْ والسير في الحقيقةْ
أو في اكتساب العلمِ من كل عِلْمٍ يحمي
صاحبَهُ عن إثمِ وعن جميع الذَمِّ
أو في اكتساب البُلْغَةِ من حِلِّهِ في عِفَّةِ
مما يفي بالحاجةِ من لقمة وخِرْقَةِ
بنيةٍ صالحةِ لا لريا وسمعةِ
مَعْ ترك كل عادةِ توجبُ كلَّ شقوةِ
أو في قضاءِ خَلَّةْ لمؤمنٍ أو مؤمنةْ
ومَنْ عن المعالي وذروة الكمالِ
عَجَزَ فليحاذرْ من فعلِ كلِّ خاسرْ
وليأت بالعزائمْ والتركِ للمآثمْ
عسىٰ يكونُ سالما إنْ لن يكونَ غانما

* * *

فصل

في الحث علىٰ أكل الحلال واجتناب الحرام

والأكــلُ مــن حــلالِ ... مــن هٰــذه الأمــوالِ

فــرضٌ فقــمْ بــالفــرضِ ... تفــوزُ يــومَ العــرضِ

واحــذر مــن الحــرامِ ... فــي أكــلٍ أو إدامٍ

أو مــركــبْ أو ملبــوسِ ... أو مــوضــعِ الجلــوسِ

وكــلَّ استعمــالِ ... لا تــأتِــهِ بحــالِ

فقــد أتــى الحــديــثُ ... بــأنــه خبيــثُ

والحــج والصــلاةُ ... والبــر والصِّــلاتُ

والــذكــر والقيــامُ ... والعتــق والصيــامُ

مَــعْ أكلِــكَ الحــرامــا ... لا تــوصِلَــكْ مَــرامــا

بــل هِــيْ مــن الــذنــوبِ ... عنــد أولــي القلــوبِ

والسعــيُ للعيــالِ ... بــالكســب مــن حــلالِ

فيــه فضــائــلْ جمَّــهْ ... معــروفــةٌ لــلأمَّــهْ

بــل هُــوَ كــالمجــاهــدْ ... عنــد المليــك الــواحــدْ

والحِــلُّ لُــهْ مَــراتــبْ، ... أوَّلُهــا فــواجــبْ

أمَّــا الحــرام المحــضُ ... فــالبعــد عنــه فــرضُ

وهْــوَ الــذي أوجبَــهُ ... فِقْــهٌ بــأن نَجْنَبَــهُ

وفــوقهــا يطلُبْهــا ... مَــن للعــلا يخطُبْهــا

مــن يتــركِ الشبهــاتِ ... وســائــرَ الشهْــواتِ

يتــركْ مــن الحــلالِ ... شيئــاً نقيّــاً حــالــي

مِــن خــوف الانجــرارِ ... لمُــوجِــبِ البــوارِ

وهٰــــــذه الخصــــــالُ عَــــزَّ لهـــــا العمــــــالُ
لٰكــــنْ علــــىٰ ذي السبــــبِ يــــأتـــي بكــــل واجـــبِ
ثـــم يطـــالـــبْ قلبَـــهْ بنيـــــل أعلــــىٰ رتبـــهْ
ســـألهـــا مـــن ربـــهْ يجعلهـــا مـــن كسبـــهْ

❊ ❊ ❊

فصل

في المعاشرة مع أصناف الخلق

والحقُّ للخلائقْ — من واجبات الخالقْ
أوجبه علينا — فرضاً لزوماً عَينا
حتىٰ لأهل الذِّمَمِ — فكيف حقُّ المسلمِ
إلاَّ لشخصٍ مُهْدَرْ — بحكمِهِ المقرَّرْ
فقم بكل حقِّ — لله في ذا الخلقِ
وأهونُ المأمورِ — كفايةُ الشرورِ
كُفَّ يديك عنهم — واحفظ لسانكْ منهم
وانصح لهم نصيحهْ — بنيَّةٍ صحيحهْ
واستر لكل عورهْ — واصدُق لدى المشورهْ
وزد لكل مسلمْ — أشياءَ: منها سَلِّمْ
عليهِ إذ لَقِيتَهْ — وبشَّ إن رأيتَهْ
وشَمِّتِ العاطسْ إذا — عَطَسْ ومِطْ عنهم أذى
وشيِّعِ الجنائزا — واحذر تكونُ عاجزا
وحِبَّ لِلمؤمنِ ما — تحبُّهُ يا مسلما
وكن بظهر الغيبِ — لَهُ نقيَّ الجَيبِ
وعِنْ لكل محسِنْ — وٱدعُ لهُ وأحسِنْ
عَظِّمْ لكل صالحْ — وارحم لكل طالحْ
وزد أخا الفتُوَّهْ — حقوقَ للأخُوَّهْ
عظيمةً مشهورهْ — وفي الكتبْ مسطورهْ
يفي بها أهل القوهْ — في الدين والمرُوَّهْ
يؤثرهُ بالمالِ — يخدمهُ بالحال

ويُظهِرُ المَحاسِنا   وليس يُفشي باطنا

يعفو عن الزلاتِ   يُغضي عن الهفواتِ

فإن وَهَىٰ رَقعَهُ   وإن هوىٰ رَفَعَهُ

يدعو له في الخمسِ   وغيرها كالنفسِ

يحفظهُ في أهلِهْ   ومالِه ورحلِهْ

حيّاً وبعد موتهْ   يحنو علىٰ بيوتهْ

أَسقَطَ كلَّ كُلفَهْ   وحاز كل أُلفهْ

ليس له مثيلُ   ولا به بديلُ

هٰذا هو الصديقُ   والأخ والرفيقُ

كذاك حق الجارِ   قد جاء في الأخبارِ

فإنه لا يؤمِنُ   مَن جارُهُ لا يأمنُ

وهي أخي كثيرهْ   ثقيلة عسيرهْ

إلاَّ على الموَفَّقِ   الصابرِ البَرِّ التقيْ

كذا حقوق الرَّحِمِ   عن النبيِّ العَلَمِ

وفي الكتاب المُنْزَلِ   من عند مولانا العلي

واصِلُها موصولُ   قاطِعُها مفصولُ

إن الرحِمْ معلقهْ   بالعرش فٱشفِقْ شفقهْ

وصِلْ أخي من قطعَكْ   ولا تَضَعْ من وَضَعَكْ

واعفُ لمن قد ظلمَكْ   وأَعطِ من قد حَرَمَكْ

فهٰذه فضائلُ   يُعنىٰ بها الأماثلُ

ولم يكن بالواصلِ   من قام بالتواصُلِ

وللأصول زائدُ   في برهم فوائدُ

فلا لها انفكاكُ   لو وُجِدَ الإشراكُ

فنسألُ اللهَ لهمْ   عفواً وأن يرحَمَهُمْ

ولا يؤاخذْنا بما ... نَنْقُصُ من بِرِّهِما

كذلك الزوجانِ ... كلٌّ له حقانِ

والعبد والأجيرُ ... حقهما شهيرُ

كذلك البهائمْ ... وهٰذه العجائمْ

كلٌّ له حقوقُ ... وتركها عقوقُ

فاحرص على الإحسانِ ... في ذا وكلِّ شأْنِ

واحذر من التضييعِ ... والخلقِ الوضيعِ

وشيمةُ الأراذلْ ... النَّذْلَةِ الأسافلْ

فعند الامتحانِ ... والوزنِ بالميزانِ

يَظهَرُ فضلُ الرجُلِ ... في عقله والعملِ

* * *

فصل

في العزلة والانفراد عن الناس

يا طالبَ السلامهْ ... والحفظَ من ظلاُمَهْ

والأمنَ من ندامهْ ... في ذِهْ وفي القيامهْ

خذ لكْ من العلومِ ... مِن فرضِها المحتومِ

ما يُصلِحُ الأعمالا ... ويُؤْمِنُ الإضلالا

من كل عِلْمٍ صالحْ ... للقلب والجوارحْ

وخذ من الحلالِ ... قَصْدَ مرورِ الحالِ

ثم اعتزل للهِ ... لا لِطِلابِ الجاهِ

بل لفراغ البالِ ... عن كثرة الأشغالِ

وخِلْطةِ الجهالِ ... والخوض في الأقوال

وخوفِ فوْتِ الوقتِ ... وموجبات المَقتِ

وخوفِ من عوائدِ ... تَجُرُّ للمفاسدِ

فاْغنمْ زمان المهلهْ ... بطاعةٍ في عزلهْ

واترك لكل شرٍّ ... في ظاهرٍ وسِرٍّ

وسِرْ وطِرْ بالفِكْرِ ... في بَرِّهِ والبحرِ

وفي الفَنا والقبرِ ... وفي الجزا في النشرِ

والحشرِ والكتابِ ... والوزن والحسابِ

والنارِ والعذابِ ... وشدة العقابِ

وجنةِ النعيمِ ... ونظر الكريمِ

فالفكرُ رأس الحكمهْ ... وهُوْ سراج الظلمهْ

فاطلب له بالخلوهْ ... وتركِ كلِّ جلوهْ

يا حبذا الخمولُ ... والعالِمُ المجهولُ

ليــس لــــه فضـــولُ ... بــــربــــه مشغـــولُ

بـــل هُـــوْ بِبُـــدِّهْ لازمْ ... دائـــمْ لـــــه مـــلازمْ

مُـــراقـــبُ الأنفـــاسِ ... نـــاسٍ لكـــل النـــاسِ

قـــد كَـــفَّ عنهـــم شـــرَّهْ ... إن لـــم يَصِلْهُـــم بِـــرَّهْ

أنفـــاســـــه كنـــوزُ ... غـــداً بهـــا يفـــوزُ

جليسُـــــهُ الإلٰـــــهُ ... أنيسُـــــهُ مـــــولاهُ

طـــوبـــىٰ لـــه طـــوبـــاهُ ... فـــي ذِهْ وفـــي أخـــراهُ

يـــا اللهْ لنـــا بحَبَّـــهْ ... مـــن عـــالِـــي المحَبَّـــهْ

* * *

فَصْلٌ

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والأمر بالمعروفِ   بشرطه المعروفِ
والنُّكْرُ للمنكورِ   من أوجَبِ الأمورِ
باليد فاللسانِ   أدناه بالجَنانِ
وليس ذو إيمانِ   فاقدَ هٰذا الشأْنِ
وقد وَرَدْ وعيدُ   في تركه شديدُ
فٱستَقْرِ للآياتِ   إن كنتَ ذا إخباتِ
واستَمِعِ الحديثا   وسِرْ بِهِ حثيثا
أوله التعريفُ   فالوعظ فالتعنيفُ
وفضلُهُ لا يُنكَرُ   وخيرُهُ لا يُحصَرُ
بِهِ قِوامُ الدينِ   والطَّرْدِ لِلَّعِينِ
فنفعُهُ مخلَّدُ   وبِرُّهُ مؤبَّدُ
يحيا به الشخص الأَبَدْ   لا كوجودَكْ للولدْ
كيف ومَن هَدَيْتَهْ   فمِن لظىٰ نَجَّيْتَهْ
وفي الجِنانْ أدخلتَهْ   ببطنها أبَّدْتَهْ
فهل ترىٰ من منحهْ   كمثل ذي العطيهْ
وضدُّ ذا مَن تَرَكَهْ   بجهلهِ في الهَلَكَهْ
رَضِيْ لهُ بالنارِ   وغضبِ الجبارِ
غداً يكون خصمَهُ   إذ لم يكنْ علَّمَهُ
فانصح لكل مسلمِ   وارشد له وعلِّمِ
وكن به شفيقا   وداعياً رفيقا
واحذر من التكبُّرِ   والعنفِ والتجبُّرِ

فـــالـــرفـــقُ خيـــرٌ كلُّـــهْ وليـــس يُجْحَـــدْ فضلُـــهْ
إلاَّ إذا لـــــم يُجْـــــدِ فخـــذ بكـــل جُهْـــدِ
واجعـــل دليلَـــكْ عِلْمـــا تمشـــي بـــه فـــي الظَّلْمـــا
والمنكـــــراتُ جَمَّـــــهْ أشيـــاءُ فيهـــا حُـــرْمَـــهْ
كـــالتـــرك للصـــلاةِ أو فعـــــلِ مبطـــــلاتِ
والكشـــــفِ للعـــــوراتِ وجهـــــلِ واجبـــــاتِ
والتـــــركِ للعقـــــودِ أو شـــرطِ بـــالمفقـــودِ
وكـــاستمـــاع الغيبـــةِ والكِـــذْبِ والنميمـــةِ
والنهـــــيُ للمكـــــروهِ مـــن أحســـن الـــوجـــوهِ
كـــالنهـــيِ للفَضـــولِ فـــي فعـــلٍ أو مَقُـــوْلِ
والأمـــرُ بـــالمحبـــوبِ مـــن أفضـــل المنـــدوبِ
كـــالأمـــر بـــالإحســـانِ فـــي كـــل مـــا يُعـــانـــي
وتـــركِ كـــل فـــانـــي يُلهـــيْ عـــن الجِنـــانِ

* * *

فصل

في الاتباع لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يـــا طـــالبـــاً للقُـــرْبِ ... مـــن ربـــه والحُـــبِّ
ومحـــوِ كـــلِّ ذنـــبِ ... اِتْبَـــعْ لمـــن قـــد نُبِّـــي
أعنـــي النبـــيْ الممجَّـــدْ ... سيِّـــدَنـــا محمـــدْ
فـــي خُلْقـــهِ العظيـــمِ ... وقلبـــه السليـــمِ
وفعلـــهِ والقـــولِ ... وجـــودِهِ والطَّـــوْلِ
وزهـــدِهِ فـــي الـــدنيـــا ... وصبـــرِهِ فـــي المَحْيـــا
وشكـــرِهِ وبِـــرِّهْ ... فـــي يُســـرِهِ وعســـرِهْ
بجسمـــهِ وحـــالِـــهْ ... وفعلـــهِ وقـــالِـــهْ
وعفـــوِهِ وحلمِـــهْ ... وفكـــرِهِ وعِلْمِـــهْ
ونطقـــهِ وصمتِـــهْ ... وهـــديـــهِ وسَمْتِـــهْ
ولِينـــهِ وخَفضِـــهْ ... وأخـــذِهِ ورفضِـــهْ
وبغضـــهِ والحُـــبِّ ... وبُعـــدِهِ والقُـــرْبِ
ولُبســـهِ والمـــأكـــلِ ... والفـــرض والفضـــائـــلِ
ورأفتِـــهْ ورحمتِـــهْ ... وبـــأســـهِ وشـــدتِـــهْ
فلَـــكَ فيـــهِ أُســـوَهْ ... فـــٱجعلـــهُ لـــكَ قُـــدْوَهْ
لا تَبتَغِـــيْ بـــديـــلا ... بـــهِ ولا تحـــويـــلا
خُلُقُـــهُ القـــرآنُ ... كفـــىٰ بـــه بيـــانُ
أدّبـــه سيِّـــدُهُ ... علـــى الـــورىٰ سَيَّـــدَهُ
وأدَّبَ الصحـــبَ بهـــا ... بهـــا رَقَـــوْا أعلـــى البَهـــا
ســـاروا بنحـــوِ سِيـــرتِـــهْ ... فـــي ظـــاهـــرِهْ وســـريـــرتِـــهْ

كـــذاك ســـار بَعـــدَهُـــمْ آحـــادُ رامُـــوا بُعـــدَهُـــمْ

أنـــىٰ لهـــم بـــرَشـــادِهِـــمْ لٰكـــن حَظُـــوا بســـوادِهِـــمْ

كـــذا بقـــيْ يقفـــو الأثـــرْ فـــي كـــل عصـــر قـــد عَبَـــرْ

ونـــالَ كـــلٌّ قِسمَـــــهْ مـــن إرث طـــه سَهْمَـــــهْ

بقـــدر مـــا ســـار بِـــهِ بجسمـــــهِ وقلبـــــهِ

مـــن العلـــوم والعمـــلْ طـــوبـــىٰ لمـــن إرثُـــهْ شَمَـــلْ

فسِـــرْ علـــىٰ آثـــارهـــمْ تَـــدخُـــلُ فـــي غِمـــارهـــمْ

* * *

فصل

في حفظ القلب

واعلم بأن القلبا ... والنفسَ بل واللُّبَّا
والروحَ بل والعقلا ... أسماءُ جاءت نقلا
والقصدُ معنىٰ واحدُ ... يُدرىٰ ولا يشاهَدُ
وهو الذي يخاطَبْ ... يثاب أو يعاقَبْ
قد فاز من زكَّاهُ ... وخاب من دَسَّاهُ
إذا صَلَحْ صَلَحْتا ... وكلَّ خير نِلْتا
وإن فَسَدْ فسَدْتا ... وضاع ما عملتا
وآيةُ الصلاحِ ... لهُ مع الفلاحِ
محبة الإلٰهِ ... وتركُ كلِّ لاهي
للقلب والأركانِ ... عن طاعة الرحمٰن
والحُبُّ للقاء ... بالموت والفناء
وآية الفسادِ ... للقلب والفؤادِ
محبةُ الدنيَّهْ ... والكُرْهُ للمنيَّهْ
وأُنسُهُ بالناسِ ... علامة الإفلاسِ
وطاعة الخناسِ ... بكثرة الوسواسِ
والأخذُ في العوائدْ ... من كل شغل فاسدْ
المُهلِكَهْ للدينِ ... بالقَطْع واليقينِ
من هٰذه المباني ... وكثرة الأواني
وحليةِ النساءِ ... والشغل بالأبناءِ
من كل ما لا يعني ... ولا يُفِدْ أو يُغني
فَرُضْ أخي للقلبِ ... بتركِ كلِّ ذنبِ

وصَفِّهِ بالجوعِ وقِلَّةِ الهُجوعِ
وقلةِ الكلامِ والترك للأنام
ورفضِ كلِّ شهوَهْ وغفلة وجفوَهْ
والحفظِ للحواسِ من مَسْمَعْ أو هِماسِ
وأعَمُرْهُ بالحضورِ والذِّكرِ للشَّكورِ
حتىٰ تصيرَ فاني ولا تَرَىٰ لثاني

* * *

فَصْلٌ

في حفظ بقية الأعضاء

والحفـــظُ لـــلأركـــانِ ... مــن ســائــر العصيــانِ

فــرضٌ علــى الإنســانِ ... كــالعيــن واللســانِ

والسمــع واليــديــنِ ... والبطــن والــرجليــنِ

والفــرجِ وهْــيَ كلُّهــا ... خُلْقَــتْ لنفــعِ أهلِهــا

فشُكــرُهــا ٱستعمــالُهــا ... فــي طــاعــة البــاري لهــا

كــالــذكــر بــاللســانِ ... والأمــر بــالإحســانِ

والجهــرِ بــالقــرآنِ ... والعلــمِ والمعــانــي

ولْيُبْــدِ مــا بقلبــهْ ... مــن كــل بــاطــنٍ بِــهْ

مــن حــاجــة تُعِينُــهْ ... بهــا يَــزيــدُ دِينُــهْ

وكفــرُهُ كــالســبِّ ... ولعنِــهِ والكِــذْبِ

وكثــرةِ الهَــذْيــانِ ... والــزور والبهتــانِ

أَلَــمْ تَــرَ مــا قــد أتــى ... فــي ذمِّ أقــوال الفتــى

كَهَــلْ يَكُــبُّ النــاسَــا ... يكفيــك ذا نبــراسَــا

كــذاك بــاقــي الأَعضــا ... اِعمَــلْ بهــا مــا يُــرضــىٰ

تكــونُ عنــد البــاري ... مــن جملــة الأبــرارِ

واحــذر مــن الكفــرانِ ... للخــالــق المنــانِ

ذي الفضــل والإنعــامِ ... بــالنعــم الجســامِ

ومــن شَكَــرْ لنفسِــهْ ... يلقــاهُ بعــد رَمْسِــهْ

يَجنِــيْ جَنــاءَ غَــرْسِــهْ ... فــي يــومــه وأمسِــهْ

وكفــرُهُ عليهــا ... وعــائــدٌ إليهــا

فخَـــفْ مـــن الــــذنـــوبِ وكَسْـــــب كـــــلِّ حُـــوبِ
فهْـــيَ سمـــوم الــــديـــنِ عنــــد أُولِــــيْ اليقيـــنِ
وكــــالميـــاه المغـــرقَـــهْ ومثـــلِ نـــارٍ مُحـــرِقَـــهْ
وهْـــيَ السبـــبْ فـــي النـــار وغضـــــب الجبـــــارِ
وهْـــيَ بـــريـــدُ الكفـــرِ وأصـــــلُ كـــــلِّ شَـــرِّ

❊ ❊ ❊

فَصْلٌ

في حسن الخلق

والحُسنُ للأخلاقِ ... فيها رضا الخلَّاقِ

وهْيَ كترك الغضبِ ... وموجبات العَطَبِ

من كِبْرٍ أو تفاخُرِ ... أو زهوٍ أو تكاثُرِ

والبغض والتحاسد ... والحقد والتباعد

والقطع والتدابر ... والهجر والتنافر

والغش والخديعهْ ... والمكر والوقيعهْ

والكفرِ والنفاقِ ... والغدر والشقاقِ

والفحش والخيانهْ ... وبئست البطانَهْ

والخلف والرياءِ ... والزور والمِراءِ

والعجب والغرورِ ... والكُرْهِ للمقدورِ

والحرص والأطماع ... والجمع والإمناعِ

والبخل والشُّحِّ الردي ... وكلِّ عيب مفسِدِ

بتركِ ذِهْ وبعدَها ... يعملْ ويفعلْ ضِدَّها

كالعطف والتراحمْ ... والودِّ والتسالُمْ

والشكر والتصبُّرِ ... والذكر والتفكُّرِ

والوصل والتزاورِ ... والإلْف والتناصُرِ

والأنس والمحبَّةِ ... لخالق البريَّةِ

والتوبة الصحيحهْ ... والبرِّ والنصيحهْ

والعفو والغفرانِ ... والعدل والإحسانِ

والصدق واليقينِ ... في شُعَبات الدينِ

والفقرِ والمراقبهْ	والصمت والمحاسبهْ
والجودِ والتوكلِ	بحاله والعملِ
والخوف والرجاءِ	والكَتْمِ للبَلاءِ
والشوقِ أيضاً والرضا	بما بِهِ اللهُ قَضىٰ
والزهد والتواضُعِ	والترك للتنازعِ
وما حوى الخُلْقَ الحَسَنْ	غيرُ النبيْ جَدٌّ الحَسَنْ
لكنْ على الإنسان أنْ	يمشي علىٰ ذاك السَّنَنْ
بجهُدِهِ وطاقتِهْ	وما حوىٰ من قُدرتِهْ

* * *

فَصْلٌ

في التحذير من الدنيا

واتــرك أخــي للــدنيــا ... وهْــيَ جميــعُ الأشيــا
ســوى الـــذي للهِ ... خــالٍ عــن المنــاهــي
بنيـــــة التَّقَــــوِّيْ ... لطـــاعـــة المُقَــــوِّيْ
وكــل مــا ســوىٰ ذا ... بَــذْرٌ لكــلِّ إيــذا
فــي ذهْ وفــي الممــاتِ ... وســائــرِ الحــالاتِ
حَــلالُهــا حســابُ ... حــرامُهــا عقــابُ
عَمــارُهــا خــرابُ ... ومــاؤهــا ســرابُ
ميــلادُهــا تــرابُ ... مجمــوعهــا ذَهــابُ
يقظتُهــا أحــلامُ ... صحتهــا أسقــامُ
فــرحهــا همــومُ ... نعيمُهــا زَقُّــومُ
كثيـــرةُ العَنـــاءِ ... قليلـــةُ الغَنـــاءِ
ليــس لهــا بقــاءُ ... آخــرُهــا فَنَــاءُ
تُخــرِبُ عــامــريهــا ... تكسُــرُ جــابــريهــا
تُهيـــنُ رافعيهــا ... تَضُــرُّ نــافعيهــا
تُلْهِــيْ عــن الجِنــان ... وطــاعــة الــرحمٰــنِ
كــم ضيَّعَــتْ أعمــارا ... وخَــرَّبَــتْ ديــارا
فمَــن تكــنْ هِمَّتُــهُ ... وفــي الغِــذا نَهْمَتُــهُ
فيــه انقضــت مــدتُــهُ ... إن الخَــرَا قِيمتُــهُ
يــا طــالــبَ السعــادَهْ ... اتــرك لكــل عــادَهْ
وٱعِكُــفْ علــى العبــادَهْ ... والعلــم والــزهــادَهْ
واقنــعْ بمــا تيسَّــرْ ... وخَــلِّ مــا تعسَّــرْ

إن شئتَ ما يُبقِيْكا ... فكلُّ شَيْ يَكفِيكا

أو شئتَ ما يُغنيكا ... فليس شَيْ يَشفِيكا

بل رُمْتَ ما يَشقِيكا ... في هٰذهِ وتِيكا

فالناس في غوايهْ ... عن سُبُل الهدايهْ

أَتْباعُ كلِّ ناعقْ ... من شاهِقٍ لشاهِقْ

وفي فَضا البَراريْ ... ولُجَجِ البحارِ

في طلب الفَضولِ ... وموجِبِ الكُلُولِ

فهْوَ لأجل الناسِ ... يدخلُ كلَّ باسِ

طوبىٰ لمن رماها ... ولا رَعىٰ حِماها

وسار في الطريقهْ ... طريقةِ الحقيقهْ

طريقةِ الصحابهْ ... أَصابَها إصابَهْ

رَمَوْا بكل كُلْفَهْ ... حازوا لكل أُلْفَهْ

واحذر أخي من نفسكْ ... أيضاً وأبنا جنسكْ

يُلقوكَ في المتاعبْ ... وهٰذه المصاعبْ

وكن وحيدَ دهرِكْ ... وآدفِنْ وُجُودَ ذِكْرِكْ

* * *

فصل

في طلب العذر والدعاء

فخـــذ علـــى التحقيـــقِ ... هـــديـــةَ الصـــديـــقِ
ركيكـــةَ المبـــانـــي ... واهيـــةَ الأركـــانِ
فيهـــا عيـــوبٌ جَمَّـــهْ ... وظـــاهِـــرَهْ لـــلأُمَّـــهْ
كـــالـــزَّحْـــف والتكـــريـــرِ ... واللحـــن والتقصيـــرِ
فـــاعـــذُرْ أُخَـــيَّ عُـــذرا ... واستـــر أُخَـــيَّ ستـــرا
فهْـــيَ مـــن المَعِيـــبِ ... إلاَّ لـــدىٰ حبيـــبِ
عســـىٰ لهـــا قَبـــولُ ... وعِلْمُهـــا معمـــولُ
نـــاظمهـــا فقيـــرُ ... وذنبـــه كثيـــرُ
والقلـــبُ مِنْـــهُ قـــاســـي ... وفـــاســـدٌ ونـــاســـي
يـــا صـــادقَ الأُخُـــوَّهْ ... أُمنُـــنْ لَـــهُ بـــدعـــوهْ
يَبلُـــغْ بهـــا منـــاهُ ... فـــي ذِهْ وفـــي أخـــراهُ
ويُصْلِـــحُ الإلٰـــهُ ... لَـــهُ جميـــعَ أعضـــاهُ
عســـىٰ عســـىٰ عســـاهُ ... يغفـــرْ لَـــهُ خَطـــاهُ
يـــا ربُّ يـــا كـــريـــمُ ... يـــا حـــيُّ يـــا قيـــومُ
يـــا مَـــن بنـــا رحيـــمُ ... وفضلُـــهُ عَميـــمُ
يـــا ســـامـــعَ الـــدعـــاءِ ... ورافـــعَ السمـــاءِ
يـــا ذا العطـــا الهَتَّـــانِ ... والجـــود والإحســـانِ
أَصلِـــحْ لنـــا الســـريـــرهْ ... ونَـــوِّرِ البصيـــرهْ
وأَصلِـــحْ القلـــوبـــا ... واغفـــر لنـــا الـــذنـــوبـــا
واستـــر لنـــا العيـــوبـــا ... وأعطنـــا المحبـــوبـــا
واكْشِـــفِ الكـــروبـــا ... واكْفِنـــا المـــرهـــوبـــا

أَحسِـــنْ كمـــا أحسنتنـــا ... وٱستُـــرْ كمـــا سترتـــا
وزِدْ كَمـــا قـــد زِدْتـــا ... وجُـــدْ كمـــا قـــد جُـدْتـــا
أتمِـــمْ بمـــا أنعمتـــا ... ومـــا بـــهِ مَنَنْتـــا
واحفـــظ لمـــا أكـــرمتـــا ... بـــهِ ومـــا عَـــرَّفتـــا
وٱختِـــمْ لنـــا بـــالحُسنـــى ... يـــا ربِّ وٱعـــف عنـــا
فـــإننـــا ظلمنـــا ... أنفسَنـــا وخُنَّـــا
نقـــولُ بـــاللســـانِ ... مـــا ليـــس فـــي الجَنـــان
ونُظْهِـــرُ الإحســـانـــا ... ونُخْفِـــي البهتـــانـــا
نـــأمـــرْ بمـــا لا نعمـــلْ ... ونـــأتـــي مـــا لا نجهَـــلْ
إحســـانُنـــا مَسَـــاوِي ... وصـــدقُنـــا دَعـــاوِي
نُـــرائِـــيَ الخـــلائـــقْ ... ولِلـــوَرَىٰ ننـــافـــقْ
يـــا ربنـــا اعتـــرفنـــا ... بـــأننـــا اقتـــرفنـــا
وأننـــا أَســـرفنـــا ... علـــىٰ لَظَـــىٰ أشـــرفنـــا
فتـــبْ علينـــا تـــوبـــهْ ... تغســـلُ كـــلَّ حَـــوْبـــهْ
واستـــر لنـــا العـــوراتِ ... وآمِـــنِ الـــروعـــاتِ
واغفـــر لـــوالـــدينـــا ... رَبِّ ومـــولـــودينـــا
والأهـــل والإخـــوانِ ... وســـائـــرِ الخِـــلاَّنِ
وكـــلِّ ذي محبَّـــهْ ... أو جِيـــرَةٍ أو صُحبَـــهْ
والمسلميـــنَ أجمَـــعْ ... آميـــنَ ربِّـــيَ ٱسمَـــعْ
فَضـــلاً وجُـــوداً مَنَّـــا ... لا بـــاكتســـابٍ مِنَّـــا
بـــالمصطفـــى الـــرســـولِ ... نَحظَـــىٰ بكـــل سُـــولِ
صَلِّـــىٰ وسلَّـــمْ ربـــي ... عليـــهِ عَـــدَّ الحَـــبِّ
وآلِـــهِ والصحـــبِ ... عِـــدادَ طَـــشِّ السُّحْـــبِ
والحمـــدُ لـــلإلـــهِ ... فـــي البَـــدْءِ والتَّنـــاهـــي

❊ ❊ ❊

مُحتوى الكتاب